

دراسات في تاريخ الأندلس

دويلات الصقلية العامرين في شرق الأندلس
(عصر دويلات الطوائف)

دكتور

أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال

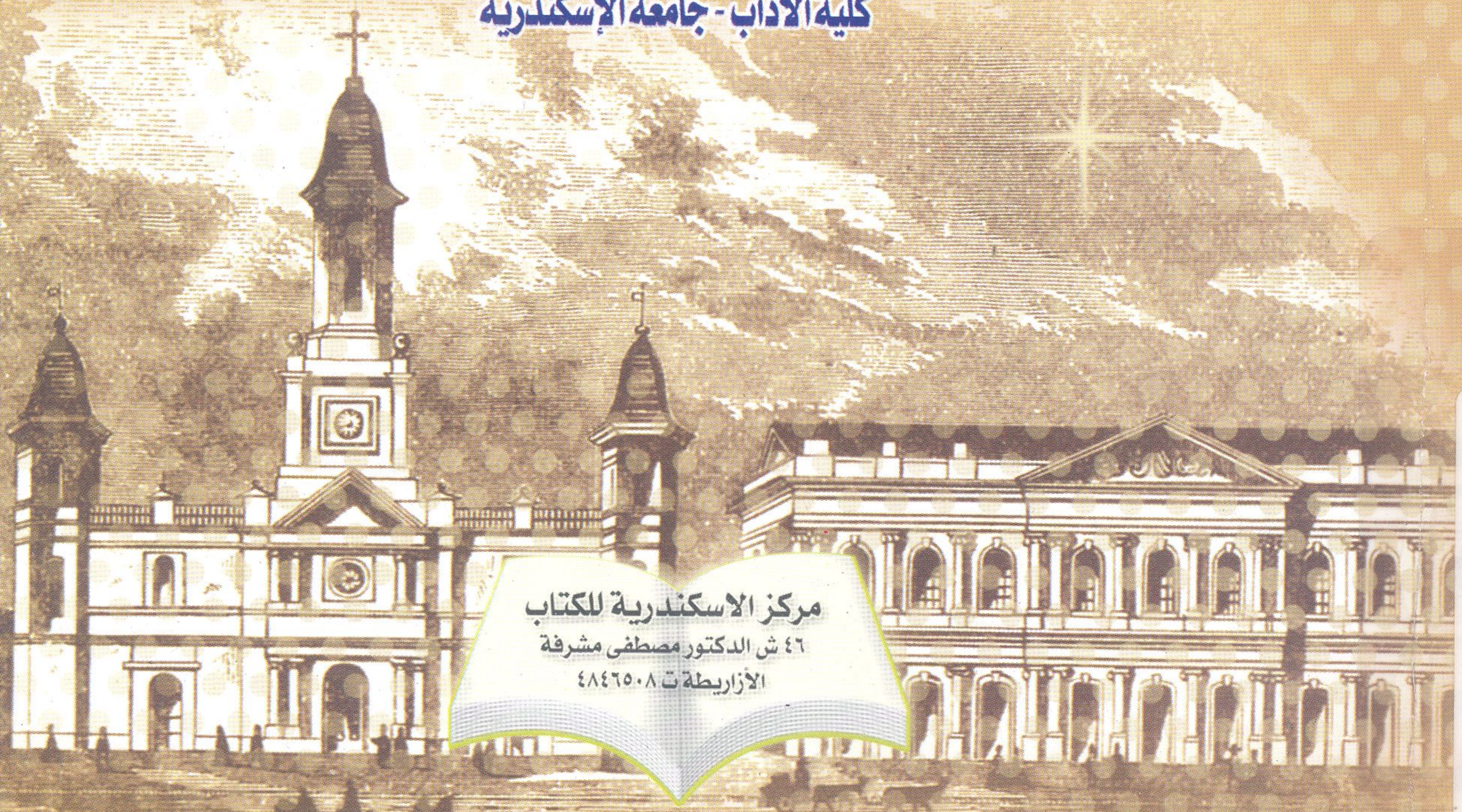
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مركز الاسكندرية للكتاب

٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة

الأزايطة ت ٤٨٤٦٥٠٨



دراسات في تاريخ الأندلس

دويلات الصقالبة العامريين

في شرق الأندلس

{عصر دويلات الطوائف }

تأليف

الدكتور/ أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية
فرع دمنهور

٢٠٠٧

مركز الاسكندرية للكتاب

٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة – سوتير (سابقا)

تليفون وفاكس : ٤٨٤٦٥٠٨ – الاسكندرية

alexbookcenter@yahoo.com

الإهداء

إلى روح والدي الطاهرة أقدم هذا
العمل مبتهلاً إلى المولي العلي القدير أن
يسكنه فسيح جناته .
وإلى أمي الغالية أطال الله عمرها .

مقدمة

شرق الأندلس
في عصر دويلات الطوائف

مقدمة

أولاً: موضوع البحث ومهج الدراسة

شهدت منطقة شرق الأندلس منذ انهيار الدولة العامرية وفرار الصقالبة إليها عقب اندلاع نار الفتنة أحداثاً خطيرة في تاريخ الأندلس فقد ظهرت في مسرح الأحداث آنذاك ثلاث قوى متصارعة فيما بينها: المروانية الذين كانوا يسعون إلى استعادة سلطانهم المفقود ، والبربر الذين كانوا يتنازعون مع الطائفة الأندلسية الرئاسة ، والفتيان العامرية الذين بادروا ببسط سلطانهم على بلاد شرق الأندلس . وقد أسفر الصراع بين هذه القوى الثلاثة عن قيام دويلات صقلية في معظم مناطق شرق الأندلس أدت دوراً هاماً وخطيراً في التاريخ السياسي للأندلس في عصر الطوائف نظراً لما كانت تنعم به هذه الدويلات من حصانة الموقع وثراء واسع النطاق في الموارد الاقتصادية ، وهدوء نسبي ساعد على توافر الأمن وازدهار التجارة ، مما كفل للدويلات الصقلية استقرار نسبي كان له أعظم الأثر فيما أصابته تلك الدويلات من رخاء اقتصادي ، ظهرت آثاره في مجال الفنون والصناعات وساعد على اتساع العمران .

ومما لاشك فيه أن تداخل الحوادث والوقائع السياسية في شرق الأندلس وتشابكها خلال الفترة التي أعقبت سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م عقد إلى حد كبير موضوع الدراسة ، كما أن المادة العلمية الهزيلة التي زودتنا بها المصادر العربية عن شرق الأندلس لم تسعف الباحث في تتبع دراسة التاريخ السياسي لدويلات الصقالبة العامريين على نحو متكامل بحيث استلزم الأمر جهوداً مضنية لتتبع مسار الوقائع وتسلسلها زمنياً وربطها بحوادث قرطبة .

كما اقتضى الأمر تحليلاً دقيقاً للنصوص التاريخية بغية استنباط حقائق تسلط بعض الأضواء على ما غمض من أحداث المنطقة ، كما اقتضى مقابلة بين النصوص الإسبانية القديمة وإطلاعاً واسعاً لوجهات النظر الإسبانية من خلال ما صدر من دراسات حديثة

باللغات الاسبانية والفرنسية والعربية عن التاريخ السياسى لشرق
الأندلس في عصر الطوائف ، أبرزها البحث القيم الذى أصدره
الدكتور أحمد مختار العبادى عن الصقالبة في أسبانيا والدراسة القيمة
التي قدمتها كليليا سارنللى تشركوا عن مجاهد العامرى ، وكتاب
عصر دويلات الطوائف للأستاذ محمد عبد الله عنان ، هذا بالإضافة
إلى البحوث العامة التي عالجت تاريخ الأندلس بوجه عام وتاريخ
بعض مدنه الشرقية وأهمها :

- تاريخ بلنسية في العصر الإسلامى للأستاذ اويثى ميراندا
ويتألف من ثلاثة أجزاء وعنوانه :

Huici Miranda (A) : Historia Musulmana de Valencia Y su
Region , 3 Tomos , Valencia , 1970 .

- وكتاب الأستاذ جاسبار ريميرو عن تاريخ مرسية منذ الفتح
الإسلامى حتى نهاية دولة الإسلام في الأندلس :

Gaspar Remiro (M) : Historia de Murcia Musulmana ,
Zaragoza , 1905 .

- وكتاب مختصر تاريخى عن جزر البليار لألفار وكامبانير
إى فويرتيس :

Campaner Y Fuertes (A) : Bosquejo Historico de la
Domanicion Islamita en las Islas Baleares , Palma , 1888 .

إلا أن بعض تلك الكتب في مجملها تناولت تاريخ تلك المدن
بشكل عام كما أنها لا تخلو في بعض الأحيان من تحامل على
المسلمين وتمجيد للنصارى ، ومبالغات ممقوتة تتفى عنها الصفة
العلمية في بعض الأحيان ، كل ذلك كان مبرراً كافياً لأن يقع اختيارى
على التاريخ السياسى لدويلات الصقالبة العامريين في شرق الأندلس
موضوعاً لدراستى ، وعلى الرغم من أن موضوع البحث يتعلق
أساساً بشرق الأندلس ، إلا أنني اضطررت اضطراراً إلى أن أخوض
أحياناً في تاريخ دويلات الطوائف الأخرى المجاورة لها تبعاً لعلاقات
الود والعداء التي كانت قائمة بينها ، وقد أعاننى في هذا الاتجاه بعض
الدراسات والبحوث التي أصدرها مؤرخو العرب الحديثون عن
تاريخ قرطبة والمرية وبلنسية ودانية ومرسية وغيرها .

هذا وقد قسمت بحثى إلى بابين رئيسين ، يتضمن الباب الأول: ثلاثة فصول :

الفصل الأول: دراسة تمهيدية وتنقسم إلى قسمين :

أولاً - المسرح الجغرافى لدويلات الطائفة الصقلية في شرق

الأندلس : وتحدثنا فيه عن بداية ظهور هذا التحديد الجغرافى

والعوامل الطبيعية التى أظهرت أهمية تلك المنطقة سياسياً واقتصادياً وجغرافياً وعسكرياً ثم تحدثنا عن الخصائص الجغرافية لمدينة المرية طبقاً لروايات المؤرخين والجغرافيين القدامى ، كما استعرضنا المسرح الجغرافى لتلك المدينة وأثره في ظهور المرية كقاعدة بحرية لاسطول الأندلس ثم أوضحنا الخصائص الجغرافية لكورة بلنسية وأهم أعمالها ، وكذلك مدينة طرطوشة ، كما تعرضنا بالدراسة لمملكة دانية من حيث الموقع الجغرافى وخصائصه .

أما القسم الثانى : فقد تناولنا بالدراسة الصقلية في الأندلس قبل

قيام دول الطوائف ، وبداية ظهور العنصر الصقلى ، فبدأنا بالتعريف بهم كما هو وارد في المصادر العربية ومواطن جلبهم ، ودور اليهود والعرب في تجارة الرقيق الصقلى ، وبداية ظهورهم في المجتمع الأندلسى منذ عهد الأمير عبد الرحمن الداخل ، وعلى الأخص في عهد الأمير الحكم بن هشام الربضى ، وأوجه استخدامهم في الخدمات العامة وفي القوى الدفاعية وتتبعنا دورهم في التاريخ السياسى للأندلس طوال عصر الدولة الأموية حتى سقوط الدولة العمارية ، واندلاع نار الفتنة في البلاد ، إلى أن تمكنوا من السيطرة على بلاد شرق الأندلس .

أما الفصل الثانى من هذا الباب وعنوانه "مملكة المرية" : فقد تتبعنا

فيه بإيجاز التوسع العمرانى في المرية طوال عصر الخلافة إلى أن

انتزى بها خيران العامري رئيس طائفة الصقالبة في قرطبة ، وأحد
فتيان المنصور ابن أبي عامر الذي فر من قرطبة - بعد سيطرة
سليمان المستعين والبربر على المدينة - واتجه إلي شرق الأندلس
حيث انضمت إليه حشود هائلة من الصقالبة استطاع بهم أن يخلي هذه
البلاد من العناصر البربرية ، فاستولى على قلعة أوريولة سنة ٤٠٤ هـ /
١٠١٣ م ، ثم مرسية التي أسند ولايتها إلي زهير العامري ، ثم
انتزع المرية من يد أفلح سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م ، وانتهى الأمر
بخيران إلي السيطرة على كل أقاليم كورة تدمير .

ثم تناولنا موقف خيران من الخلافة في قرطبة منذ انتزائه
بمملكة المرية ودوره بالاشتراك مع أهل قرطبة في محاولة لإعادة
الخلافة إلي البيت الأموي وتقويض دولة سليمان المستعين بعد أن
اشيع موت هشام المؤيد ، وعلى أساس هذه الشائعة عمد المتآمرون
من العامرية وعلى رأسهم خيران إلي البحث عن سلاح يشهرونه في
وجه المستعين فلم يجدوا أمامهم أصلح من علي بن حمود الذي ينتسب
إلي الإدارة ، فتحالف خيران معه بغرض إعادة هشام المؤيد ،
وانتهى بهم الأمر إلي التغلب على سليمان ودخول قرطبة سنة ٤٠٧ هـ /
١٠١٦ م ومبايعة علي بن حمود بالخلافة ، غير أنه لم يلبث أن
فر من قرطبة عندما تيقن من وفاة هشام المؤيد ، وفي المرية بايع
عبد الرحمن المرتضى ، واستحكم العداء بين خيران وعلي بن حمود
إلي أن أنتهى الأمر بمقتل الأخير على أيدي صقالبته ، ثم انتقلنا إلي
الحديث عن العلاقة بين خيران والقاسم بن حمود وما كان من تودد
القاسم لخيران ، مما أدى إلي تحول الأخير عن تأييد الحزب الأموي
خاصة بعد أن أظهر لهم المرتضى الجفاء ، لهذا أضمر الكيد له
وخذلاه في معركته مع البربر مما أدى إلي انهزام قواته ، وانتهى
الأمر بمصرعه على أيدي جند خيران ، واستقرت الأمور للقاسم
والبربر ، إلا أن خيران عمل على التدخل بين أبناء البيت الحمودي ،
ثم تحدثنا عن تدخل خيران في الأحداث السياسية في قرطبة
بالاشتراك مع مجاهدي العامري وفتكهم بالبربر ، كما تتبعنا موقف
خيران من الأحداث في شرق الأندلس ، واشتراكه مع العامريين في
تتصيب عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول ثم تغيره عليه مما أدى

إلى فرار عبد العزيز من شاطبة إلى بلنسية . وفندنا أسباب الغيرة والحسد بين مجاهد وخيران التي تركزت في اتساع ملك الأخير ، وطمع مجاهد في الاستيلاء على بعض أملاكه ، كما أبرزنا أهم الإصلاحات الداخلية لخيران والتي انعكست على نهضة المرية وازدهارها .

ثم أوضحنا الدور الذي لعبته مملكة المرية في عهد زهير العامري ، وقضائه على التمرد الذي قاده ضده الفتى مسلم في حصن أوربولة ، وتناولنا بالشرح مراحل الصراع بين زهير ومجاهد وموقف كل منهما من ابن طاهر وابن خطاب في مرسية ، وبيننا أن أملاك زهير اتسعت حتى شملت قرطبة نفسها ، وما كان من تنصيبه لرجل شبيه بهشام المؤيد سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م لإضفاء صبغة شرعية على حكمه .

كما استعرضنا العلاقة بين زهير العامري وابن عباد ، ودعوة الأخير لشبيه هشام ، ودخول ملوك شرق الأندلس في هذه الدعوة ، وامتنع زهير عن مبايعة شبيه هشام مما أثار العداء بينهما ، وما ترتب على ذلك من تحالف زهير مع باديس ، ومبايعتهما لادريس بن علي ، ثم تحول هذا التحالف إلى عداء بين زهير وباديس ، أدى إلى اندلاع حرب بينهما انتهت بمصرع زهير .

أما الفصل الثالث من هذا الباب وهو بعنوان "مملكة بلنسية" : فقد

تعرضنا في القسم الأول منه لدراسة الأحوال السياسية في بلنسية ، وأبرز الأحداث السياسية التي مرت بها منذ استقلالها سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م ، وتمكن مبارك ومظفر من الاستقلال بها ، والمحاولة التي قام بها مبارك لضم شاطبة إلى ملكه وفشله في ذلك .

وأوضحنا أن استقلال بلنسية سياسياً مع ما كانت تتمتع به من ثراء ومكانة اقتصادية ، كان له أبلغ الأثر فيما حازته المدينة من

جباية ، انعكسا بدورهما على النواحي الحضارية والدفاعية ، هذا بالإضافة إلي ما شهدته بلنسية في عهدهما من ازدهار ثقافى وعلمى .

وأوضحنا أنه على الرغم من توافر كافة أسباب النجاح لمملكة بلنسية ، إلا أنه سرعان ما انهار حكم الصقالبة العامريين فيها نتيجة للسياسة المجحفة التى اتبعاها تجاه رعيتهما ، ثم تعرضنا بالدراسة للفترة التى أعقبت مقتل مبارك ومظفر ، وتولى لبيب حكم بلنسية بالاشتراك مع مجاهد ، وما آل إليه الأمر بعد عامين من تغلب المنذر بن يحيى التجيبى على بلنسية وإخراج لبيب عنها ، واستدعاء أهل بلنسية لعبد العزيز المنصور لحكمها ، ثم تطرقنا إلي الحديث عن سياسته تجاه ملوك الطوائف ، ومشاركته في مبايعة شبيه هشام وحروبه ضد زهير العامرى ومجاهد .

أما القسم الثانى من هذا الفصل : فقد تناولنا فيه بالدراسة

الأحوال السياسية لمدينة طرطوشة : عند اندلاع نار الفتنة ، حيث كانت طرطوشة ضمن أملاك مجاهد العامرى إلي أن استنزلها منه لبيب الصقلبى ، ومحاولة منذر التجيبى صاحب سرقسطة الاستيلاء عليها وفشله في ذلك بسبب مساعدة مبارك صاحب بلنسية له .

ثم تعرضنا لخلفاء لبيب الذين تعاقبوا على حكم طرطوشة ابتداءً من الفتى مقاتل إلي أن انتزعها المقتدر بن هود من الفتى نبيل ، وضمها إلي ملكه سنة ٤٥٢ هـ / ١٠٦٠ م .

أما الباب الثانى وعنوانه "مملكة دانية" : فيشتمل على فصلين ،

الفصل الأول تناولنا فيه بداية ظهور مجاهد العامرى على المسرح السياسى في شرق الأندلس عند اندلاع نار الفتنة والعوامل التى أدت إلي ظهوره ، إلي أن تمكن من السيطرة على المنطقة الممتدة من طرطوشة شمالاً حتى دانية ولورقة جنوباً وما آل إليه الأمر بعد ذلك من خروج تلك المناطق من قبضته ، عدا دانية والجزائر الشرقية .

ثم انتقلنا للحديث عن السياسة الداخلية والخارجية لمجاهد ، ومواقفه من ملوك شرق الأندلس ، بالإضافة إلى سياسته البحرية لتوسيع مملكة خاصة في جزر البليار وسردانية ، ولدرء الأخطار المحيطة به في غرب البحر المتوسط .

ثم تحدثنا عن علاقة مجاهد بمملكة إشبيلية ، ودخوله في الدعوة لشبيه هشام الذي نصبه بنو عباد في إشبيلية لتكوين حلف عربى صقلبى ضد البربر والذي تحول إلى حلف سياسى عن طريق المصاهرة ، ونتيجة لذلك نعمت دانية بفترة من السلم دامت حتى وفاة مجاهد العامرى سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م .

ثم تناولنا الحياة العلمية في مملكة دانية وازدهارها ، نتيجة لاهتمام مجاهد بالعلوم والآداب ، وهجرة العلماء والأدباء إلى دانية عقب سقوط الدولة العامرية ، وأفردنا جانباً من هذا الفصل لذكر أشهر علماء وقراء وحفاظ وأدباء دانية في عصره .

بعدها انتقلنا إلى الحديث عن مملكة دانية في عهد على بن مجاهد وبدأنا بذكر جهود مجاهد لاقتكاكه من الأسر ، إلى أن انتهى الأمر برجوعه إلى دانية سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ - ١٠٣٢ م وإسناد ولاية العهد له بدلاً من أخيه حسن ، مما تسبب في حدوث صراع بينهما بعد وفاة مجاهد ، وتدخل المعتضد بن عباد في هذا الصراع ، إلى أن انتهى الأمر باستقرار الأمور لعلى ثم انتقلنا إلى السياسة الخارجية لعلى بن مجاهد وعلاقته بملوك الطوائف ، وسيره على سياسة أبيه في مودعة جيرانه ، وارتباطه معهم بعلاقات مصاهرة عن طريق تزويجهم من بناته الرائعات الجمال مما أتاح له القيام بدور الوساطة بين ملوك الطوائف ، ثم تناولنا علاقته بالفاطميين وقيامه بإرسال المعونات اليهم أيام المجاعة العظمى التى أصابت مصر سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م .

كما أشرنا إلى سياسة التسامح من النصارى خاصة برشلونة ،
والحرية الدينية التى تميز بها عصره ، مما أدى إلى ظهور النزعة
الشعوبية فى عهده .

ثم انتقلنا إلى الحديث عن أحوال دانية فى عهد على بن
مجاهد ، حيث نعمت المملكة باستقرار لمدة ثلاثين عاما ، لابتعاده عن
السياسة واهتمامه بجمع المال والتجارة ، وانتهينا إلى ذكر العوامل
التي ساعدت ابن هود فى الاستيلاء على دانية من صهره على بن
مجاهد سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م .

أما الفصل الثانى من هذا الباب : فقد خصصناه لدراسة الجزائر

الشرقية فى عهد مجاهد وابنه على إقبال الدولة ، واستقلالها بعد
سقوط دانية فى أيدي المقتدر ، فأشرنا فيه للأهمية الجغرافية
والاستراتيجية لجزر البليار وحكم مجاهد العامرى لها وعماله عليها
منذ أن تولى أبو العباس أحمد بن رشيق إلى أن استقل بها المرتضى
عبد الله بن الأغلب ، بعد استئزال المقتدر بن هود لدانية وضمها إلى
ملكه ، وجهود من وليها من الفتيان الصقالبة للنهوض بها فى كافة
المجالات ، وقيامهم بصد الهجمات المسيحية المنظمة التى تعاقبت
على جزر البليار وشرق الأندلس ، والتي كانت تلقى التأييد من أمراء
المرابطين فى الأندلس .

ثم تعرضنا للظروف التى أدت إلى سقوط جزر البليار فى
أيدي النصارى سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م ، والتي تمثلت فى الحملة
الصليبية الكبرى التى باركها البابا باسكال الثانى ، وقادتها مملكة بيزنطة
الإيطالية ، إلى أن استعادها المرابطون فى نفس العام واعدوا
أعمارها .

وزيلت الرسالة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التى توصلت
إليها من خلال دراستى :

وأخيراً: أوجه خالص شكرى وعظيم امتنانى إلي استاذى

ووالدى الدكتور : السيد عبد العزيز سالم الذى أشرف على الرسالة ،
وشرفت بالتلمذ على يديه طوال مراحل الدراسة ، وكان خلال
مراحل البحث عقلاً مفتوحاً يرشدنى دائماً إلي الصواب ، كما أوجه
شكرى أيضاً إلي الاستاذ خوسيه رامون نافارو والذى علمنى اللغة
الاسبانية ففتّح لى أفق الاطلاع على المراجع التى خدمت موضوع
الدراسة ، وأوجه عميق شكرى أيضاً لكل من ساعدنى أثناء الدراسة
والبحث إلي أن تكامل الموضوع ، تحية لهم جميعاً وجزاهم الله عنى
كل خير .

دراسة نقدية لأهم مصادر ومراجع الرسالة

أولاً: المصادر التاريخية والأدبية:

- ١ - ابن حيان القرطبي (أبو مروان حيان بن خلف) ٣٧٧ - ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ - ١٠٧٦ م : " المقتبس في أخبار الأندلس " هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان شيخ مؤرخى الأندلس وأعظم من سجل تفاصيل حوادث عصره ، وتتميز كتابته التاريخية بصدق الرواية ودقة التفاصيل والموضوعية في عرض الأحداث ^(١) ، مما يدل على عمق الحاسة التاريخية لدى شيخ مؤرخى الأندلس ^(٢) .

ولقد عاش ابن حيان عصر الفتنة بما فيه من مساوئ دون أن يرحل عن قرطبة ، وقد سجل مادة تاريخية خصبة عن عصر الفتنة ، وتمكن بفضل صداقاته العديدة بمن خاضوا الفتنة أو عايشوها من التعرف على كل تفاصيل أحداثها ولا ريب أن هذه الأحداث المثيرة التى مزقت وحدة الأندلس ، قد أذكت مخيلة ابن حيان وصقلت قلمه ، وأمدته بكثير من التعليقات الصائبة ، والملاحظات القوية التى تتمثل في كل كتاباته .

صنف ابن حيان عدداً كبيراً من الكتب لا يقل عن خمسين ، ولكن لم يصل إلينا من هذه المصنفات إلا قطع متفرقة من كتابه المقتبس اعتمدنا عليها في كثير من مواضع بحثنا .

(١) ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) المقتبس في أنباء أهل الأندلس ، تحقيق الدكتور محمود على مكي ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ١٠ من المقدمة .

- أنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٢١١ .

(٢) د. سحر السيد عبد العزيز سالم : تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي ، الجزء الأول ، التاريخ السياسى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٤٠ .

ولم يتبق من المقتبس الذى كان يضم نحو عشرة أجزاء سوى خمسة قطع منفصلة ^(١) .

القطعة الأولى : وتتناول عصر الحكم الربضى وجزءاً من عصر عبد الرحمن الأوسط وكانت في حوزة المستشرق ليفى بروفنسال الذى انتفع منها في كتابه " تاريخ أسبانيا الإسلامية Histoire de l' Espagne Musulmane 3 Vols ولكنها اختفت بعد وفاته .

القطعة الثانية : تلى القطعة السابقة وتؤرخ للسنوات الأخيرة من إمارة عبد الرحمن الأوسط ابتداءً من عام ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م ومعظم عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن حتى سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م. وقد نشر هذه القطعة الدكتور محمود على مكى ^(٢) ، وقد أفدنا كثيراً من المادة الواردة في هذه القطعة إذ أنها تسلط أضواء ساطعة على بداية اعتماد أمراء بنى أمية في الأندلس على عنصر الصقلية بهدف إضعاف سطوة القبائل العربية بالأندلس وفيها يوضح ابن حيان سياسة الأمير محمد بن عبد الرحمن تجاه مناطق الثغور بخلق قوى جديدة بالمنطقة حفظاً للتوازن بين الفئات العربية والبربرية والصقلية.

^(١) عن مؤلفات ابن حيان راجع :

- مقدمة كتاب المقتبس ، تحقيق الدكتور محمود على مكى .
- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، الجزء السادس ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٠٢ .
- عبد الله جمال الدين : أبو مروان بن حيان أمير مؤرخى الأندلس ، منزلته وكتبه ومنهجه التاريخى ومصادره ، مجلة أوراق ، العدد ٢ ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ٢١ - ٢٣ .

Francisco Bons Boigues : Ensayo biobibliografica Sobre Los historiadores Y geografos arabigo espanoles , Madrid , 1898 .

P . Melchor Antuna : Aben Hayan de Cardoba Y su Obra historica , El Escorial , 1924 .

F . Gracia Gomez , a Proposito de Ibn Hayan , Al - Andalus Vol , XI , Fasc 2 , 1946 P . 359 - 423 .

^(٢) ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) : المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق الدكتور محمود على مكى ، القاهرة ١٩٧١ .

أما القطعة الثالثة : فتنناول عهد الأمير عبد الله الأموي ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م نشرها المستشرق الأسباني الأب ملشور انطونيا ^(١) ، وهذه القطعة في غاية الأهمية بالنسبة لموضوع البحث فهي تضم أسماء شخصيات صقلبية لعبت دوراً هاماً في نظام الإدارة والحكم في عصر الإمارة ، ونذكر منهم بدر بن أحمد الوصيف وأبنائه ، وغصن الفتى ، وبدر الخصى وغيرهم .

وتتناول القطعة الرابعة : معظم عهد عبد الرحمن الناصر ، وقد قام بنشر هذه القطعة وتحقيقها كل من الأساتذة بدرو شالميتا ، وفيدريكو كوربنطي ، ومحمود صبح وصدرت في مدريد سنة ١٩٧٩ ^(٢) . وقد أفدت كثيراً من مادة هذه القطعة في إبراز سياسة عبد الرحمن الناصر في إضعاف العصبية العربية وفي توضيح خطته العسكرية لحصار المدن وهي إقامة مدن عسكرية تجاهها تحكم الخناق عليها وترغمها على الاستسلام السريع .

وتتضمن هذه القطعة تفاصيل هامة عن معركة الخندق ، إذ كان الباحثون يعتمدون على رواية صاحب أخبار مجموعة ، التي تنسب هذه الهزيمة الثقيلة إلى القبائل العربية المجندة ، ولكن ابن حيان يقدم لنا معلومات جديدة توضح لنا أن سبب الهزيمة هو مولد والثغور ، وكذا يذكر ابن حيان النتائج المتعددة التي ترتبت على الهزيمة ، ويوضح ابن حيان كيف أن سياسة الاعتماد على الموالى ولا سيما الصقالبة كانت سبباً في إضعاف العصبية العربية .

وتشتمل القطعة الخامسة : على حوادث سنوات خمس من خلافة الحكم المستنصر بالله ٣٦٠ - ٣٦٤ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤ م قام بنشرها الدكتور عبد الرحمن الحجى ^(٣) .

^(١) ابن حيان : المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، القسم الثالث ، تحقيق الأب ملشورم ، أنطونية ، باريس ١٩٣٧ .

^(٢) ابن حيان : المقتبس ، الجزء الخامس ، نشره بدرو شالميتا ، وفيدريكو كوربنطي ، ومحمود صبح ، مدريد ١٩٧٩ م .

^(٣) ابن حيان : " المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٨٣ .

وتتركز أهميتها في توضيح حالة الضعف التي أصابت نفوذ القبائل العربية في عصر الحكم المستنصر بالله ، فقد أغفل ذكر القبائل العربية المجندة في هذه القطعة إلا في مناسبتين فقط ، الأولى عند استقبال بنى حمدون الجذاميين الوافدين من المغرب على رأس أنصارهم من البربر ، والثانية عند استقباله لأدارسة المغرب الأقصى ، مما يشير إلى سياسة الحكم القائمة على الحد من نفوذ هذه القبائل والاعتماد على الصقالبة وبربر العدو .

٢- ابن بسام الشنتريني (أبو الحسن علي) ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م

"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" :

يعتبر كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام من أهم المصادر الأدبية التي تتضمن تفاصيل تاريخية هامة لحوادث ووقائع جرت في سياق سرده لأخبار الأدباء والكتاب الذين زخرت بهم الأندلس في عصر الفتنة وعصر دويلات الطوائف ، فهو يحوى تراث القرن الخامس الهجرى بأسره (الحادى عشر الميلادى) وهى فترة من أكثر الفترات ازدهارا في العلم والأدب والفن . وتتضمن هذه الفترة عصر الدولة العامرية ، وما أعقبه من اندلاع الفتنة الطائفية والحرب الأهلية وكذلك عصر الطوائف حتى نهايته ، وهى الفترة التي عايشها ابن حيان وعاصر حوادثها .

وقد اعتمد ابن بسام في سرده لتفاصيل الوقائع التاريخية على ابن حيان فهو ينقل عنه ما سطره في مصنفاته ^(١) ، التي لم يصلنا منها سوى معظم كتاب المقتبس ، مما أكسب كتاباته أهمية كبيرة ، فهو ينقل عنه مقتطفات بالغة الأهمية في ذكر أمراء الطوائف ووزرائهم وأدبائهم ، وترجع أهمية تلك المقتطفات إلى أنها نقلت بلسان مؤرخ ثبت معاصر للأحداث ، مستوعب لأسبابها ونتائجها

(١) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٣٥ .

ومعظم هذه النقول من مصنفات لم تصل إلينا ، وهذا هو السبب في الأهمية العظمى التى تكمن في الذخيرة .

ويهمنا من الذخيرة " القسم الثالث " الذى يتعلق بالجانب الشرقى من الأندلس ويشتمل على بلنسية ومرسية ودانية ولورقة والمرية وطرطوشة بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من تراجم أمرائه وأعيانه وكتابه وشعرائه ، ومختارات عديدة من رسائلهم ومنثورهم ومنظومهم ، أفدت منها كثيراً خاصة فيما اشتملت عليه من معلومات قيمة عن أحوال بلنسية السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عصر ملوك الطوائف ، كما أفدت من المادة التاريخية التى نقلها عن ابن حيان لاسيما ما يتعلق بأول ملوك الطوائف في شرق الأندلس عند قيام الفتنة بالأندلس ، وأعنى بهما مبارك الفتى ومظفر ، وأهم أعمالهما ومظاهر الأمن الذى ساد بلادهما في ظل حكمهما ، بحيث شجع أعداداً كبيرة من أهل قرطبة إلى الهجرة إليها والاستقرار بها ، كما اجتذبت بلنسية عدداً كبيراً من الموالى ومن العناصر الصقلبية في عهدهما ، وأصبحت ملاذاً للباحثين عن الأمن من كل أرجاء الأندلس ، ومن بين الأخبار التى نقلها ابن بسام عن ابن حيان أن مباركاً ومظفراً رغم جهلهم بالعلوم والآداب كانا يستخدمان طائفة من الكتاب البلغاء أمثال : ابن التاكرنى وابن مهلب وابن طالوت وغيرهما ^(١) ، واشتركا مع الفتيان العامرية الذين استقروا في شرق الأندلس في مبايعة المرتضى خليفة بقرطبة سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م وإن كانا قد عزفا عن الاشتراك في الحملة التى قادها المرتضى لدخول قرطبة سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م ^(٢) ، ويسوق ابن بسام نقلاً عن ابن حيان أخباراً هامة عن هذين الملكين الصقليين إبان الصراع الذى نشب بين مبارك ومنذر التجيبى ^(٣) وكذلك عن مجاهد العامرى ملك دانية والجزائر ، والمعارك التى خاضها مع عبد العزيز بن أبى عامر ودور سليمان بن هود للإصلاح بينهما ، وعن انضمام مجاهد إلى الحلف الذى أقامه ابن عباد للوقوف أمام البربر ، واعترافه بشبيه

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١١ - ٢٢ .

(٢) نفس المصدر : ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥٦ .

(٣) نفس المصدر : ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٦ .

هشام ، ومصاهرتة لملوك الطوائف في عصره ، كما يسوق تراجم
لأهم أدباء وعلماء دانية أمثال : أبى الوليد الباجي ، وابن حزم ،
وصاعد البغدادي ، وابن سيده ، وعبد الله بن يوسف بن عبد البر ،
وابن شهيد ، وأحمد بن برد الأصغر ، وعبد العزيز بن أرقم ، وابن
مسلم ، ومحمد بن خلصة النحوي ، وابن اللبانة ، وادريس ابن
اليمان ، وعبد الرحمن بن مقانا وغيرهم .

أما بالنسبة للمرية فقد أورد ابن بسام نقلاً عن ابن حيان
تفاصيل هامة عن خير ان العامري وسياسته الودية أو العدائية مع
دويلات الطوائف المجاورة لدويلته ، ودوره في أحداث شرق
الأندلس ، من ذلك على سبيل المثال مشاركته في تنصيب عبد العزيز
بن أبي عامر ، كما سجل صورة واضحة المعالم للازدهار العلمي
والأدبي الذي أصابته المرية في عهده ^(١) .

كذلك يسوق تفاصيل هامة عن العلاقات القائمة بين خليفته
زهير وابن عباد صاحب اشبيلية ^(٢) ، وعن العداء الذي نشب بين
زهير وابن عباد وتسبب فيه عدم اعتراف زهير بشيبه هشام
المؤيد ^(٣) ، وما ترتب عليه من تحالف زهير مع حبوس الصنهاجي
درءاً لخطر ابن عباد ، وتحول هذا التحالف إلى صراع بين زهير
وباديس بن حبوس انتهى بهزيمة زهير ومصرعه ^(٤) .

^(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٤٣ - ٦٤٥ .

^(٢) نفس المصدر : ق ٢ ، م ١ ، ص ١٦ - ١٨ .

^(٣) نفس المصدر : ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٥١ .

^(٤) نفس المصدر : ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٥٦ - ٦٥٧ .

٣- عبد الله الزيرى^(١) (عبد الله بن بلقين بن باديس) : مذكرات الأمير

عبد الله الزيرى الصنهاجى ملك غرناطة ، المسماه بكتاب التبيان عن المحادثة
الكائنة بدولة بنى زيرى في غرناطة :

ثالث ملوك غرناطة في عصر الطوائف وآخرهم ، ويرتفع
نسبة إلى زيرى بن مناد الصنهاجى وتعتبر تلك المذكرات الشخصية
للأمير عبد الله أقيم مجموعة وثائق شخصية وصلت إلينا في العصر
الإسلامى ، إذ تسلط الأضواء على فترة غامضة من تاريخ الأندلس
في عصر الطوائف بحقائقه كاملة دون تحوير أو تغيير يرويهها ملك
من ملوك الطوائف ، يقر فيها بمخازى عصره ، ويبرر تدخل
المرابطين لخلع ملوك الطوائف^(٢) .

كما تعتبر تلك المذكرات وثيقة سيكولوجية من الطراز الأول
تساعد على الحكم على مظاهر الانحلال الاجتماعى ، والتفكك
السياسى في الأندلس قبل الزلافة وفي أعقابها ، بالإضافة إلى أنها تسد
فراغاً كبيراً في مصادر تاريخ الأندلس زمن الطوائف ابتداء من
الفترة التى تنتهى فيها مؤلفات ابن حيان^(٣) .

وقد أفدت كثيراً من هذه المذكرات عند معالجتى للعلاقات
السياسية بين مملكتى المرية وغرناطة ، بالإضافة إلى ما جاء بها من
تصوير صادق - من خلال الأحداث المعاصرة للمؤلف - لحالة

(١) ولد الأمير عبد الله في سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٦ م واصل على عرش غرناطة في سنة ٤٦٩ هـ /
١٠٧٧ م عقب وفاة جده باديس بن حبوس ، وظل هذا الأمير على العرش حتى تم خلع على
أيدي المرابطين سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٨٠ م ، ونفى إلى مدينة أغمات بالمغرب الأقصى ، حيث
عكف على كتابه تلك المذكرات ، وقد قام بنشر هذه المذكرات المستشرق الفرنسى الأستاذ
ليفى بروفنسال تحت عنوان : " مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة
٤٦٩ - ٤٨٣ هـ المسماه بكتاب التبيان " ونشرها بالقاهرة في عام ١٩٥٥ م .

(٢) سالم (الدكتور / السيد عبد العزيز) : " التاريخ والمؤرخون " ، دار الكتاب العربى
للطباعة والنشر ١٩٦٧ م ، ص ١٢٦ .

- أبو مصطفى (د. كمال السيد محمد) : " تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية حتى سقوطها في
أيدي المرابطين " ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ٥ .

(٣) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٩ من المقدمة .

دويلات الطوائف في أيامها الأخيرة ، إذ كان هو نفسه أحد الأطراف المشتركة فيها ، بل إن هذه المذكرات أوردت تفاصيل دقيقة لأحداث تلك الفترة بكثير من الأمانة والصدق مما أتاح لنا فرصة تصحيح بعض الأخبار التي وصلت إلينا من المصادر الأخرى .

٤- ابن عذارى المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد) عاش في

القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي "البيان المغرب في أخبار

الأندلس" :

يعد هذا الكتاب من المصادر الرئيسية لتاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي للمغرب حتى سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م ، وقد اعتمد فيه ابن عذارى على مصادر مغربية وأندلسية ترجع إلي القرنين الخامس والسادس الهجري أشار إليها ابن عذارى في مؤلفه منها البكري ، ابن الرقيق ، والقضاة ، وابن مشرف ، وكتاب نظم الجمان والبيدق ... الخ ، كما كان كتابه منهلاً استقى منه من أتى بعده من المؤرخين ، ونقلوا عنه حرفياً دون أن يكلفوا أنفسهم مجرد الإشارة إليه وإن كان هو نفسه لم يسلم من النقل الحرفي عن غيره ومنهم ابن صاحب الصلاة .

ومع ذلك فإن هذا الكتاب يعد من أدق وأشمل المصادر التاريخية للأندلس سياسياً واجتماعياً وعسكرياً ، ولذلك اعتمدت عليه كثيراً في جميع فصول البحث وبصفة خاصة على جزئيه الثاني والثالث .

ويتضمن الجزء الثاني منه أخبار الأندلس مرتبة ترتيباً حولياً منذ الفتح وحتى استبداد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر في حين يشتمل الجزء الثالث على أخبار الأندلس منذ أن تولى المظفر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر الحجابة حتى إنتهاء عصر دويلات الطوائف ، ولقد أفادنا هذا الجزء في مواضع كثيرة من البحث خاصة

فيما يتعلق بفترة الفتنة ، ودور الصقالبة فيها خاصة خيران ومجاهد وما كان من لجوء أولئك الصقالبة إلى شرق الأندلس ، والتحالف الذي قام به خيران والحموديين ثم انقلابه عليهم ، ومبايعة المرتضى في شرق الأندلس ^(١) .

ومن بعده زهير العامري فقد أورد أخبار صراعه مع باديس بن حبوس ودور وزيره ابن عباس في ذلك ، مما أدى إلى هزيمة زهير ومصرعه في نهاية الأمر ^(٢) .

وفي هذا الجزء يتعرض ابن عذارى لمملكة دانية ، فيتحدث عن عصر مجاهد العامري وولده علي إقبال الدولة ^(٣) ، كما يتحدث عن مبارك ومظفر العامريين صاحبي مدينتي بلنسية وشاطبة ^(٤) ، وعن لييب الصقلبي وعبد العزيز بن أبي عامر اللذين تعاقبا الحكم ^(٥) ، كما انفرد ببعض الأخبار عن إمارة طرطوشة وحكامها لييب ومقاتل ونبيل إلى أن خرج عنها هذا الأخير وأسلمها للمقتدر ابن هود ^(٦) .

وتتسم هذه الأخبار التاريخية التي أوردها ابن عذارى بالدقة والوضوح ولعل السبب في ذلك يرجع إلى اعتماد ابن عذارى على ابن حيان كمصدر هام لمعلوماته عن هذه الفترة من عصر دويلات الطوائف خاصة في مجال العلاقات السياسية والعسكرية .

(١) ابن عذارى المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد) : " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " ، الجزء الثالث ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٠ ، ص ١١٩ - ١٣١ ، ١٦٦ .

(٢) ابن عذارى : " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " ، ص ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٦٩ - ١٧٢ ، ٢٩٣ .

(٣) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ١١٥ - ١١٦ ، ١٥٥ - ١٥٨ .

(٤) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ١٥٨ - ١٦٣ .

(٥) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ١٦٣ - ١٦٥ .

(٦) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٢٢٤ - ٢٥٠ .

لسان الدين ابن الخطيب (٧١٣-٧٧٦هـ / ١٣١٣-١٣٧٣م) :

يعتبر ابن الخطيب آخر كاتب عظيم انجبته الأندلس^(١) فقد ألف في فترة إقامته بالمغرب مؤلفات كثيرة نذكر منها ما اعتمدت عليه في بحثي .

أ - " كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة " : ويقع في أربعة مجلدات^(٢) ويعد هذا الكتاب بمثابة معجم أعلام جمع ابن الخطيب فيه سير النابهين من أهل مملكة غرناطة ومن وفد عليها وسكنها^(٣)، وتشتمل تراجم أولئك الأعلام على بعض الأخبار المتناثرة التي تتعلق بأحداث شرق الأندلس ، وقد أمكنني أن استخرج من هذه التراجم حقائق تاريخية هامة أفادتني كثيراً في تأريخي لأحداث المنطقة أثناء عصر الطوائف .

ب - " كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام " ويعد آخر إنتاج علمي لابن الخطيب ، كما يعتبر من أهم المصادر التي تناولت تاريخ المغرب والأندلس ، وقد اعتمدت في بحثي بوجه خاص على القسم الثاني الذي يتناول تاريخ الأندلس من الفتح العربي حتى عصر المؤلف (القرن الثامن الهجري) وقد نشره الاستاذ ليفي بروفنسال .

ويقدم لنا هذا الكتاب معومات تظهر أهميتها عند مقارنتها بما أورده ابن حيان وابن عذاري ، خاصة فيما يتعلق منها بعصر المنصور العامري وأولاده والفتيان العامرية ونص البيعة لهشام المؤيد بعد وفاة أبيه الحكم المستنصر .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير (العصر الإسلامي) الجزء الثاني ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) لسان الدين ابن الخطيب : " الاحاطة في أخبار غرناطة " : أربعة مجلدات ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ١٩٧٣ ، المجلد الثاني ١٩٧٤ ، المجلد الثالث ١٩٧٥ ، المجلد الرابع ١٩٧٧ .

(٣) بالنثيا (أنخل جنثالث) : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٢٥٧ .

كما أمدنا بروايات هامة عن الفترة التي تبعت سقوط الدولة العامرية وقيام الصراع في البيت الأموي حول السلطة ، وأحداث الفتنة البربرية التي عجلت بسقوط الخلافة بقرطبة وقيام دويلات الطوائف ، فقد أورد أخباراً هامة عن أمراء الصقالبة في شرق الأندلس وعلى رأسهم خيران العامري وزهير ومجاهد ومبارك ومظفر وليبيب ونبيل وغيرهم . كما يذكر أخباراً تتعلق بالحياة الاجتماعية في بلنسية في عصر الطوائف ، ويصور حياة الترف التي نعم بها أهل هذه المدينة في بداية عصر الطوائف ، وينفرد بذكر الرواية التي تتحدث عن قيام مبارك بمحاربة منذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة الذي طمع في انتزاع طرطوشة من لبيب العامري ، وتمكن مبارك من إيقاع الهزيمة بمنذر الأمر الذي ساعد في ازدياد نفوذه ^(١) .

٦- المقرئ (أبو العباس أحمد) ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م "فتح الطيب

من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب :

رغم أنه مصدر متأخر تاريخياً ، ألفه صاحبه وهو بعيد عن وطنه ، إلا أنه يشكل موسوعة أدبية جغرافية تاريخية كبرى ، أو دائرة معارف شاملة لكل الحوادث ووقائع الأندلس وتراثها الفكري والفني .

ويبدو المؤلف من خلال كتابته أنه رجل قوى الحافظة ، واسع الاطلاع لا يعرف السأم إليه سبيلاً ، فهو إذ قصد الكلام في موضوع معين ، فإن ذاكرته تأبى عليه الوقوف عند حدوده ، بل لابد أن يتناول موضوعات أخرى ، تمس من قريب ، وربما من بعيد الموضوع المراد ، ومن هنا كثرت الاستطراد في تأليفه ، وهذه الشذور التي ينقلها المقرئ دون تمحيص أو تحقيق ، وإن أفقدت كتابته وحدة الموضوع ،

(١) لسان الدين بن الخطيب : أعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام ، الطبعة الثانية ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٦ ، ص ٢٢٦ .

والتركيز في معالجة النقاط التي يتعرض لها ، فقد كان هذا الكتاب ذا فائدة عظيمة للباحث لاشتماله على عدد كبير من الرسائل التي تسجل أحداثاً سياسية وعسكرية ، ووثائق تاريخية قيمة ونقولا مطولة من كتب لم تصل إلينا ^(١) مثل كتاب الرايات للرازي وبعض كتب لابن حيان. وعلى هذا الأساس يعتبر مؤلفه مصدراً أساسياً لجميع الباحثين في تاريخ المغرب والأندلس إذ يتضمن معلومات جغرافية وتاريخية هامة، وقد اعتمدت عليه في كثير من مواضع البحث ، لاسيما فيما أورده من أخبار خافية عن الصقالبة وأماكن استجلابهم ونهاية الخلافة الأموية حيث يوضح كيف تمكن العامريون بفضل اعتمادهم على الصقالبة والبربر من السيطرة على مصائر البلاد وإضعاف العصبية العربية مشيراً إلى أن العناصر الأموية التي عاشت فترة الاستبداد العامري كانت تعتبر ذلك وسيلة تستهدف نقل السلطان من المضرية إلى اليمينية ، ولذلك سرعان ما ثاروا عندما أرغم عبد الرحمن شنجول آخر العامريين الخليفة هشام المؤيد على تنصيبه ولياً لعهد ، وربما أغفل المقرئ لذلك ذكر ملوك الطوائف الصقالبة في شرق الأندلس .

٧- ابن خاقان (أبونصر الفتح بن محمد القيسي الأندلسي)

ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م "كتاب قلاند العقيان" :

عاصر ابن خاقان دويلات الطوائف ودولة المرابطين ، وهي فترة رخت فيها سوق الأدب والعلوم وحفلت بشخصيات لامعة في مختلف نواحي المعرفة الإنسانية في الأدب شعره ونثره ، في التاريخ والفلسفة وغير ذلك ، ويعبر كتاب القلاند عن تألق سماء الأدب واللغة بنجوم سواطع من الأدباء والعلماء الذين أثروا العصر بنظمهم ونثرهم.

(١) الحبيب الجنجاني : المقرئ " صاحب نفح الطيب " دراسة تحليلية ، دار الكتب الشرقية ، الطبعة الأولى ، تونس ١٩٥٥ م ، ص ٦٢ - ٦٦ .

وترجع أهمية كتاب القلائد إلي أن ابن خاقان أورد به أربعاً وستين ترجمة للمشهورين من الرؤساء والوزراء والفقهاء والأدباء ، وقد اقتصررت هذه الترجمات على أعيان القرن الخامس الهجري والمعاصرين له في القرن السادس مزج فيها المصنف بين الأدب والأخبار التاريخية ، فقد أورد كثيراً من الأحداث التي جرت في عصره وعائنها ثم سجلها في كتابه مثل علاقة إقبال الدولة ببني طاهر أصحاب مرسية ^(١) ، ومصاهرة مجاهد للمعتضد ابن عباد ، والعلاقات الودية التي نشأت بينهما ^(٢) ، كما يصور بقلمه ما نعمت به ميورقة من فخامة وجمال وذلك في معرض حديثه عن ناصر الدولة ^(٣) الذي يتسم عهده بالجهاد ضد النصارى ^(٤) .

ولابن خاقان كتاب آخر عنوان " مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس " ويضم تراجم لشخصيات أندلسية بارزة ، يشتمل على وزراء وفقهاء وكتاب ، وواضح فيما يبدو أن هذا الكتاب جاء استكمالاً لكتاب القلائد فألحق به الأدباء والعلماء الذين غُفل عن ذكرهم في القلائد ، واستهدف من تصنيفه تخليد مآثر الأندلسيين وحمايتهم من الضياع ^(٥) ، ويعد هذا الكتاب مصدراً هاماً لدراسة المجتمع الأندلسي على مختلف طبقاته .

وقد أفدت في دراستي من تراجمه للشخصيات التي أدت دوراً هاماً في تاريخ الأندلس كشخصية الحاجب جعفر المصحفي ^(٦) والوزير أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد ^(٧) ، والوزير الكاتب

(١) ابن خاقان (أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيس) : " قلائد العقيان في محاسن الأعيان " ، المجلد الأول ، تحقيق الدكتور : حسين يوسف خربوش ، الطبعة الأولى ، مكتبة المنار ، الأردن ١٩٨٩ ، ص ١٧٧ .

(٢) ابن خاقان : نفس المصدر ، ص ٧٨ ، ١٨٢ .

(٣) ابن خاقان : نفس المصدر ، ص ٢٤٦ .

(٤) نفس المصدر : ص ٢٤٨ .

(٥) ابن خاقان : " مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس " تحقيق محمد علي شوابكة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ١١٣ من المقدمة .

(٦) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ١٥٣ .

(٧) ابن خاقان : نفس المصدر ، ص ١٨٩ .

أبى حفص أحمد بن برد ^(١) والفقيه أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدي ^(٢) ، والفقيه أبى محمد على بن حزمي ^(٣) وابن سيده ، والفقيه أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ^(٤) والحاجب المنصور بن أبى عامر ^(٥) .

٨- ابن الكردبوس (أبى مروان عبد الملك) : "الاكتفاء في

أخبار الخلفاء" أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي

يعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة التي لا يستغنى عنها من يكتب في تاريخ الدولة الأموية وملوك الطوائف بالأندلس ، وتتمثل أهميته فيما أورده من معلومات عن عصر المنصور محمد بن أبى عامر وعصر الفتنة ^(٦) ، وفيما يذكره من أخبار عن أحوال الجزائر الشرقية .

ثانياً: المصادر الجغرافية

١- العذري (أحمد بن عمر بن أنس) ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م "ترصيع

الأخبار وتنوع الآثار ، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك" :

اعتبر هذا الكتاب مصدراً جغرافياً هاماً لكل من يبحث في تاريخ الأندلس ، فإلى جانب المعلومات الجغرافية الدقيقة يورد العذري تفاصيل تاريخية هامة تتعلق بالمواضع الجغرافية التي يتعرض لها ، فهو يعتمد على الرازي عند حديثه عن كور الأندلس ،

^(١) ابن خاقان : نفس المصدر ، ص ٢٠٧ .

^(٢) ابن خاقان : نفس المصدر ، ص ٢٧٦ .

^(٣) ابن خاقان : نفس المصدر ، ص ٢٧٩ .

^(٤) ابن خاقان : نفس المصدر ، ص ٢٩٤ .

^(٥) ابن خاقان : نفس المصدر ، ص ٣٨٨ .

^(٦) ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) : " تاريخ الأندلس " وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمطريد ١٩٦٥ ، ص ٦٢ - ٦٨ .

ثم يضيف إلى هذا النقول تفاصيل تاريخية تدل على إطلاع ومعرفة ومشاهدة أيضاً^(١).

وقد اعتمدت اعتماداً خاصاً على النصوص المتعلقة بتاريخ مدن شرق الأندلس في عصر الطوائف خاصة بلنسية والمريّة وشاطبة ودانية^(٢)، فعند تعرضه لبلنسية مثلاً يزودنا بمادة غزيرة وغنية عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عصر الطوائف كالشأن في مدينة المريّة^(٣).

٢- الأديريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك بن إدريس) ت ٥٦٠

هـ/ ١١٦٤ - ١١٦٥ م "صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من

كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق":

يعتبر الشريف الأديريسي أول متخصص في علم الجغرافية، أخرج في مؤلفه ما لم يخرج به عالم من قبله^(٤)، ويعد كتابه أعظم مصدر جغرافي عربي خاصة ما يتعلق منه بالأندلس، فالكتاب غني بالمادة الجغرافية، والمعلومات الاجتماعية والاقتصادية التي أوردها المؤلف حصيلة مشاهداته لمدن الأندلس، فعندما يذكر إحدى المدن يتحدث عن موقعها والمسافات التي تربط بينها وبين جاراتها، فإذا كان ميناءً نهرياً أو بحرياً وصف مرفأها والسفن الصادرة والواردة وأنواع السلع التي تشحن بها، ثم يتحدث عن تحصيناتها من قلاع وقصاب وأسوار وما ينفتح فيها من أبواب، ثم عن خصائصها الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية^(٥).

(١) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٦، ص ٨٥.

(٢) العذري (أحمد بن عمر بن أنس) المعروف بالدلائي: "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار"، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد ١٩٦٥، ص ١٧ - ١٨، ١٩ - ٢٠.

(٣) العذري: المصدر السابق، ص ٨٢ - ٨٤.

(٤) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص ١٦٧.

(٥) نفس المرجع، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

وتتميز كتابات الادريسي بدقة الوصف ، واستخدام مصطلحات فنية ما زالت تحتفظ بها اللغة الاسبانية كجوائز الأسقف ومساواته والتشكيلات الزخرفية الهندسية والنباتية والفسيفساء التي يسميها الفصل .

ويعتبر وصفه للمرية أعظم ما وصلنا حتى اليوم في المصادر العربية دقة في التعبير وإفاضة في المادة التي يزودنا بها حول خصائصها في مجال الصناعة والتجارة والانتاج الزراعي ، وحول منشأتها الحربية والمدنية .

كما يعتبر وصفه للمدن الأخرى مثل بلنسية وشاطبة وطرطوشة ودانية والجزائر الشرقية وغيرها من أهم ما وصلنا من أوصاف لهذه المدن في المصادر العربية .

٣- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المعمر) ت ٨٦٦

هـ / ١٤٦١ م "كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار" (١) .

يعتبر مصدراً جغرافياً وتاريخياً هاماً لمدن الأندلس ، فهو إلى جانب كونه معجماً جغرافياً مرتباً على الحروف كأحسن ما تكون المعجم الجغرافية ، يتضمن معلومات تاريخية نقلها من مصادر قديمة ضاعت مثل ابن حيان وابن خاقان خاصة عند حديثه عن المنصور محمد بن أبي عامر ، وبناء الزاهرة وحجره على الخليفة هشام المؤيد (٢) ، وعلى هذا فإن الكتاب يحتوى على فنيين مختلفين أحدهما : ذكر الأقطار والجهات وما اشتملت عليه من النعوت والصفات ، وثانيهما الأخبار والوقائع المختلفة بها ، الصادرة عن

(١) الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد بن عبد الله بن المعمر) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، الطبعة الثانية ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٤ م .

(٢) نفس المصدر : ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٥٣٧ .

مجتليها ^(١) فهو يهتم بوصف المدينة ، ويذكر موقعها بالنسبة لغيرها من المدن ، وأهم ما تتميز به من معالم طبوغرافية بالإضافة إلى اهتمامه بالأخبار والوقائع المتصلة بها ، ومن خلال المعلومات التي أوردها يتضح لنا أن المؤلف رجل عارف بما يكتب ، مطلع على أحوال الأندلس ملم بتاريخه .

ولقد أفدت كثيراً من كتاباته عن جغرافية وتاريخ شرق الأندلس مثل أوريولة ^(٢) ، وكذلك بلنسية التي يسوق عنها أخباراً تاريخية مقتضبة ، ولكنه يتوسع في ذكره لطبوغرافيتها ومعالمها وتحصيناتها وتجاريتها وطبائع أهلها ^(٣) كما يورد أخباراً هامة عن دانية من حيث موقعها على البحر واتخاذها بالتالي قاعدة بحرية رئيسية في شرق الأندلس ويذكر تحصيناتها ومنتجاتها الزراعية ^(٤) .

وعندما يذكر سردانية يشير إلى غزوات المسلمين عليها ، وينفرد بذكر الرواية القائلة بأن مجاهدًا غزا جزيرة سردانية مرة أخرى سنة ٤٠٩ هـ ، ولكنه اضطر هو ومن معه من المسلمين إلى الخروج عنها سنة ٤١٠ هـ ، بعد أن تعرضوا للوباء والجوع ^(٥) . وفي روايته عن ميورقته يذكر لنا كيف استباحها العدو سنة ٥٠٨ هـ بعد سقوطها في يد ملك برشلونة ^(٦) .

كذلك اعتمدنا على الحميري فيما يتعلق بعمران المريّة ^(٧) ، وشاطبة ^(٨) ، وطرطوشة ^(٩) ، ومرسية ^(١٠) ، ويابسة ^(١١) وغيرها .

(١) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، نشره ليفي بروفنسال ، القاهرة ، المقدمة ، ص ح .

(٢) الحميري : الروض المعطار ، تحقيق إحسان عباس ، ص ٦٧ .

(٣) الحميري : نفس المصدر ، ص ٩٧ - ١٠٠ .

(٤) الحميري : نفس المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(٥) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٦) الحميري : نفس المصدر ، ص ٥٦٧ .

(٧) الحميري : نفس المصدر ، ص ٥٣٨ .

(٨) الحميري : نفس المصدر ، ص ٣٣٧ .

(٩) الحميري : نفس المصدر ، ص ٥٣٩ .

(١٠) الحميري : نفس المصدر ، ٣٩١ .

(١١) الحميري : نفس المصدر ، ص ٦١٦ .

٤- ابن غالب الأندلسي (محمد بن أيوب) عاش في القرن السادس

الهجري / الثاني عشر الميلادي ، قطعة من كتاب " فرحة الأنفس " ^(١) :

قام الدكتور لطفي عبد البديع بتحقيق هذه القطعة ونشرها بعنوان " تعليق منتقى من فرحة الأنفس " التي اعتمد فيها المؤلف على نصوص من جغرافية الأندلس لأحمد بن محمد الرازي ، ونقل منها نقلاً حرفياً يتطابق مع نص الترجمة الفرنسية التي نشرها ليفي بروفنسال في مجلة الأندلس ^(٢) .

والقطعة مع إيجازها تتضمن وصفاً للأندلس وذكر خططها ومدنها وحصونها وأقسامها الإدارية وصلة كل قسم بالآخر من الناحية الجغرافية ، وأهم ما تتميز به من خصائص جغرافية واقتصادية من غلات زراعية ومنتجات صناعية .

وقد اعتمدنا عليها عند تعرضنا لذكر المربية ، وأهميتها الاقتصادية إذ كانت داراً لصناعة السفن وقاعدة لأسطول الأندلس الحربي والتجاري ، كما تعرض ابن غالب لذكر كورة بلنسية فذكر أهمية موقعها وما تضمنته من مدن وحصون وبعض ما اشتهرت به من إنتاج زراعي ، وكذلك عن مدينة طرطوشة ، وإن كان وصفه لها جاء مختصراً ولا يمكن أن نغفل أهمية ما أورده به نقلاً عن ابن حيان بشأن تزايد أعداد الصقالبة أيام الفتنة حتى وصل عددهم إلى ثلاثة آلاف وسبعة وثمانون فتى .

^(١) ابن غالب الأندلسي (محمد بن أيوب) : قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، نوفمبر ١٩٥٥ .

^(٢)

٥- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس

يلاحظ أن مادة الكتاب جغرافية تاريخية ، حيث يجرى مؤلفه على تقليد الجمع بين الجغرافية والتاريخ الذي جرى عليه معظم الجغرافيين والمؤرخين الأندلسيين والمشاركة أمثال : السعدي في مروج الذهب ، واليعقوبي في كتاب البلدان ، إلا أن المؤلف اتبع القاعدة التي وضعها الرازي وهي إيراد المادة الجغرافية أولاً ثم التاريخية بعد ذلك ، كما اعتمد في كتابته على النقل من مؤرخين سابقين صرح بأسمائهم مثل قوله " قال صاحب التاريخ " يقصد الرازي ، وأيضاً ابن خرداذبة ، وابن بشكوال ، وابن سيده ، وأحمد بن أبي فياض الدلائلي (يقصد العذري) وابن القوطية ، وابن حيان ، وغيرهم ممن عني بتاريخ الأندلس ^(١) .

وعلى الرغم من اعتماد المؤلف على النقل ممن سبقه ، إلا أننا نستنتج من كتاباته أنه كان ثباتاً عارفاً بما يكتب مطلعاً على أحوال الأندلس ملماً : بتاريخه وقد أفدت كثيراً من كتاباته خاصة فيما ذكره من مادة تاريخية عن أعداد الصقالبة الذين كانوا يخدمون القصر ويحرسونه ومقدار المؤن المخصصة لهم ، وذلك في سياق حديثه عن مدينة قرطبة وأيضاً عن أعداد الصقالبة بمدينة الزهراء ^(٢) كما استعنت في بحثي على ما أورده من معلومات موجزة تتعلق بمدن شرق الأندلس مثل بلنسية وشاطبة وطرطوشة ودانية ومرسية والمرية ^(٣) .

(١) أنظر حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ .

(٢) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، الجزء الأول ، تحقيق لويس مولينا ، مدريد ١٩٨٣ ، ص ٣٤ ، ١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٦٦ .

(٣) مؤلف مجهول : نفس المصدر ، ص ٧٣ - ٧٧ .

٦- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) ت ٦٨٥ هـ /

١٢٨٦ م "المغرب في حلى المغرب" ^(١) :

وهو كتاب يجمع بين الجغرافية والتاريخ والأدب ، ويوضح علي بن سعيد منهجه في تأليف هذا الكتاب بقوله " كل من التصنيفين مرتب على البلاد ، متى ذكرت بلد ذكرت كورة ، وأتكلّم عليه وعلى كل كورة منه .. وابتدئ بكرسى مملكتها وقاعدة ولايتها بحسب مبلغ (علمي) من اعلام بمكانها من الأقاليم ومن بناها وما يحف بها من نهر أو منتزه أو خاصة معدنية ونباتية ومن تداول عليها من أبناء الملوك أولى التواريخ التى لا يجب إغفالها ثم نأخذ في الطبقات واحدة بعد أخرى ، وهى خمس : طبقة الأمراء ، وطبقة الرؤساء ، وطبقة العلماء ، وطبقة الشعراء ، وطبقة اللّيف ^(٢) " .

يبدأ ابن سعيد كتابه بالحديث عن الأندلس وخصائصها وفضائلها ، ثم يتحدث عن كورة الأندلس كورة بعد كورة ، وقد أطلق عليه " وشى الطرس في حلى جزيرة الأندلس " ثم رجع وقسم الأندلس إلي غرب وموسطة وشرق .

وقد أعاننى هذا الكتاب في بحثى خاصة في الفصل التمهيدى عن أحداث الأندلس قبل قيام دويلات ، كما أفدت من تراجمه لبعض رجال تلك الفترة وما تضمنته من إشارات جغرافية وتاريخية وأدبية عن قواعد شرق الأندلس وأهم رجالتها وأدبائها وعلمائها وفقهائها وشعرائها ، خاصة في بلنسية ودانية وشاطبة وطرطوشة ، وهى معلومات هامة اعتمد فيها على المشاهد والرواية والنقل عن

^(١) ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) : " المغرب في حلى المغرب " الجزء الأول والثانى ، الطبعة الثانية ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ م .

^(٢) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، المدخل ص ٩ .

الحجاري ، والرازي ، وابن غالب ، وابن حوقل ، وعن ابن حيان ،
وابن حزم ، وابن الفرضي ، والحميدي ، وابن بشكوال ، وابن
خاقان ، وابن بسام ، وابن داحية^(١)

ثالثاً: كتب التراجم

لكتب التراجم أهمية عظمى في دراسة التاريخ وذكر بعض
مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، وذلك لتداخل ما
يتعلق بالسير ببعض الوقائع التي تتعلق بالحوادث المشار إليها ، ولهذا
فقد اعتمدت في بحثي هذا على عدد كبير من كتب التراجم الأندلسية
ومن بينها تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ، وكتاب جذوة
المقتبس للحميدي ، وكتاب الصلة لابن بشكوال ، وكتاب بغية
الملتمس للضبي ، وكتاب الحلة لسيراء لابن الأبار ، وكتاب التكملة
لكتاب الصلة لابن الأبار ، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ،
وكتاب الموصول والصلة لابن عبد الملك الانصاري ، وصلة الصلة
لابن الزبير وغيرها^(٢) .

وقد أفادتنا هذه التراجم كثيراً في إعداد الفصل التمهيدي عن
دور الصقلية في أعقاب وفاة الحكم المستنصر ، وكذلك عند الحديث
عن الشخصيات الجلييلة التي لعبت دروا بارزاً في تنشيط الحركة
العلمية في الأندلس بوجه عام خاصة في عصر ملوك الطوائف في
دانية والمرية وبلنسية .

رابعاً: دواوين الشعر

يعتبر الشعر مصدراً هاماً لدراسة الحضارة الإنسانية لانه
يعتبر مرآة للحياة الاجتماعية والسياسية للعصر موضوع الدراسة ،
وهو صورة صادقة للمجتمع المراد البحث فيه ، فالشعر من المصادر

(١) أنظر ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ١٤ - ١٦ من المقدمة المحقق .

(٢) عن تلك الكتب راجع كتاب ، انخل جنثالث بالنتيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٦٦ -

التي تعين الباحث في التاريخ على تصور ما كانت عليه الآثار المختلفة من قصور ومنتزهات ومبانيات ، ومن بين الانتاج الشعري الذي اعتمدت عليه في استنباط مادة تاريخية حضارية .

أ- ديوان ابن دراج القسطلی (أبو عمر أحمد) ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م :

كان ابن دراج القسطلی من الشعراء الموهوبين الذين نالوا الشهرة في الشرق والغرب على السواء ، مدح المنصور محمد بن أبي عامر وبنیه ، ويعبر شعره تعبيراً صادقاً عن أحوال الأندلس في عهد الدولة العامرية وبداية عصر الفتنة وعصر دويلات الطوائف .

فمعظم ما نظمته من أشعار يتعلق بمدح الملوك الذين ناصبوا البربر العداء فهو تارة يتوجه بمدائحه إلي بقية الأمراء الأمويين الذين حاولوا عبثاً إعادة الخلافة المروانية دون أن يحالفهم النجاح ، أمثال محمد بن هشام المهدي ، أو عبد الرحمن المرتضى ، وتارة يخطب ود " الفتیان " العامريين أمثال مبارك ومظفر صاحبى بلنسية ، ولبيب صاحب طرطوشة ، ومجاهد صاحب دانية والجزائر الشرقية وخيران صاحب المرية ^(١) .

خامساً : المراجع المتخصصة

اعتمدت كذلك على كثير من المراجع الأجنبية والعربية التي تتصل بموضوع البحث وأهمها :

١- كتاب ملوك الطوائف لبريتواي بيبس ^(٢)

يعتبر هذا الكتاب من أهم ما كتب باللغة الأسبانية عن عصر ملوك الطوائف ، قدم فيه بدراسة تاريخية عن مقدمات الفتنة ، فذكر عيوب النظام الاستبدادي الذي انتهجه كل من عبد الرحمن الناصر

^(١) ديوان ابن دراج القسطلی (أبو عمر أحمد) تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٨٩ هـ ، المقدمة ، ص ٢٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .
^(٢)

والمنصور محمد بن أبي عامر ، وتماديهما في الاعتماد على العناصر الأجنبية بربرية وصقلية ، وإهمال العناصر العربية ، مما أدى في النهاية إلى تصدع بناء الدولة واندلاع نار الثورة التي أطاحت بنظام الخلافة وراح ضحيتها عدد كبير من الرؤساء أبرزهم عبد الرحمن شنجول وبعض الخلفاء المتأخرين من بني أمية ، وتفتت الأندلس إلى دويلات خاضعة للطوائف التي تتمتع بالقوة ومنها دويلات الصقلية .

ولقد أفدت كثيراً من هذا الكتاب خاصة فيما أورده من معلومات عن قيام الصقلية بسك نقود تضمنت نقوشها الكتابية أسماء من قام بسكها وتاريخ ذلك ، خاصة تلك التي سكها مجاهد العامري في الوطة Elota ومبارك ومظفر في مدينة بلنسية ، وفي طرطوشة ، وقد تمكنا بفضل ما تضمنته تلك العملات من نقوش من تحديد فترات حكم ملوك الطوائف واللقاب التي حملوها على الأخص ما يتعلق منها بدانية وبلنسية وطرطوشة .

٢- كتاب تاريخ المسلمين في اسبانيا للمستشرق الهولندي رينهاردت دوزي^(١) :

يقع هذا الكتاب في أربع مجلدات ، عالج في المجلد الأول التاريخ الإسلامي في عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة والقسم الأول من عصر الدولة الأموية حتى تاريخ الفتح الإسلامي للأندلس ، أما المجلد الثاني فيشتمل على تاريخ أسبانيا في ظل دولة القوط الغربيين والفتح الإسلامي للأندلس حتى قيام الدولة الأموية والأخطار التي تعرضت لها الأندلس في عصر الإمارة .

ولقد اعتمدت كثيراً على دوزي فيما يتعلق بالصقلية الذين اصطنعهم الحكم الربضي^(٢) لاختماد ثورة الربض ، ودورهم في

(١)

R . Dozy : Spanish Islam , A History of the Moslems in Spain ,4 Vols Add ,Francis Griffin Stokes , London 1913 .

Dozy : Ibid , Book 2 , p . 250 .

(٢)

توجيه سياسة الدولة في عهد عبد الرحمن الأوسط^(١) . وينتهي هذا القسم من الدراسة في المجلد الثاني ببداية عهد عبد الرحمن الثالث .

أما المجلد الثالث فيتناول جهود عبد الرحمن الناصر لاستعادة وحدة الأندلس في الداخل ، وإظهار هيبة الخلافة الأموية في الخارج ، والمغزى من تلقيبه بالخلافة سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٩ م . وقد أورد المؤلف في هذا الصدد مادة علمية قيمة من الصقالية ومواطن جلبهم منها في أوروبا ومعامل الخصيان في فردان Verdun^(٢) وإقبال عبد الرحمن الناصر على الاستكثار من العنصر الصقلبي وإخمال العرب .

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى تتبع عصر الحكم المستنصر بالله بالدراسة ، فيذكر اهتمام هذا الخليفة بالعلوم والمعارف ، واستفحال نفوذ الحاجب والوزراء في عهده مثل جعفر المصحفي والمنصور محمد بن أبي عامر ، وتدخل زوجته صبح في شئون الحكم التي تمكن محمد بن أبي عامر عن طريقها من السيطرة على مقاليد الأمور خاصة بعد وفاة الحكم المستنصر^(٣) ، ويتتبع تاريخ الدولة العامرية في عهد عبد الملك المظفر ثم عبد الرحمن شنجول ، واندلاع الثورة في عهده ثم مقتله وانتشار الفتنة وقيام الحرب الأهلية التي أدت إلى انقسام الأندلس وبداية ما يسمى بعصر الطوائف^(٤) (الأندلسيين ، والبربر ، والصقالبة) . ويخص خيران العامري باهتمامه ، فيذكر تحالفه مع الحموديين ثم انقلابه عليهم متتبعا في ذلك مبدأ الغاية تبرر الوسيلة في صراعاته السياسية^(٥) ، كما يسلط الضوء على سياسته مع مجاهد في أحداث قرطبة^(٦) .

أما المجلد الرابع فيتناول في بدايته تاريخ مملكة اشبيلية ، ومحاولة ابن عباد توحيد العرب والصقالبة ضد البربر عن طريق

Dozy : Op , Cit ., pp . 265 , 281 – 282 .

Dozy : Ibid , book 3 , p . 430 .

Dozy : Ibid , pp . 457 – 487 , 512 – 521 .

Dozy : Ibid , pp . 534 – 561 .

Dozy : Ibid , pp . 562 – 571 .

Dozy : Ibid , b . 3 , pp . 584- 585 .

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

الاعتراف بهشام المؤيد المزيف^(١) ويتحدث عن دور ابن عباس في توجيه امور المرية ونصائحه وتوجيهاته التي أدت إلى نكبة سيده زهير العامري في حربه ضد باديس صاحب غرناطة^(٢) ، ولقد ركز المؤلف في بقية صفحات الكتاب على ملوك إشبيلية ، وحروبهم وعلاقاتهم بالبربر حتى قدوم المرابطين واشترائهم في موقعة الزلاقة التي انتصر فيها المسلمون ، ثم انقلابهم على ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد الذي اعتقل ونفى في أغمات .

٣- كتاب تاريخ اسبانيا الاسلامية للاستاذ ليفي بروفنسال

يعتبر ليفي بروفنسال من أكثر المستشرقين اهتماماً بتاريخ الأندلس ، ويعتبر هذا الكتاب أهم ما صنفه من بين مؤلفاته العديدة ، ويقع في ثلاثة أجزاء^(٣) تتبع فيها حوادث الأندلس من الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية حتى سقوط الخلافة وقد خصص الجزء الثالث لمظاهر الحضارة في الأندلس في الفترة التاريخية التي عالجها في الجزئين الأول والثاني .

ويهمنا من هذا الكتاب دراسته للصقلية ودورهم في التاريخ السياسي للأندلس بدءاً من استخدام الحكم الربضي لهم كقوة يعتمد عليها في إخماد الثورات الداخلية^(٤) ، ودور هؤلاء الصقلية في حياة القصور^(٥) ، والمناصب التي تولوها خاصة في عهد عبد الرحمن الناصر الذي اعتمد عليهم أكثر من اعتماده على العرب^(٦) ودور الصقلية بعد وفاة الحكم المستنصر^(٧) ، ومراحل الصراع التي خاضها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر للقضاء على خصومه وحجره على الخليفة هشام المؤيد^(٨) ، وزيادة استعانتة بالبربر

(١) Dozy : Spanish Islam , book 4 , pp . 602 – 606 .

(٢) Dozy : Ibid , p . 610 – 616 .

(٣) Levi – Provençal (E) : Histoire de l ' Espagne Musulmane 3 Vols , Alger 1944 .

(٤) Levi - Provençal : Histoire de l ' Espagne Musulmane , Vol , I , p . 132 .

(٥) Levi – Provençal : Ibid , pp . 184 , 185 , 186 , 187 , 194 , Vols II , pp . 362 – 367 .

(٦) Levi – Provençal , Hist , Vol , II , pp . 286 , 318 .

(٧) Levi – Provençal : Ibid , Vol , II , p . 394 .

(٨) Levi – Provençal : Ibid , pp . 409 – 431 , 454 – 456 .

والصقالبة في الجيش ، إلي أن يصل إلي حجابة عبد الرحمن شنجول الذي أطلق شرارة الحرب الأهلية في الأندلس بتطلعه إلي ولاية العهد، مما أدى إلي سقوط الدولة العامرية ، وقيام دويلات الطوائف بعد سلسلة من الحروب الدموية بين طوائف الأندلسيين والبربر والصقالبة ، وتدخل النصاري في تلك الحروب إلي أن انتهى الأمر باتجاه الصقالبة إلي شرق الأندلس ^(١) .

٤- كتاب تاريخ بلنسية الإسلامية للاستاذ أمبروزو أويثي ميراندا :
يقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء الأول يتناول فيه تاريخ بلنسية من الفتح الإسلامي حتى عصر الطوائف والثاني عالج فيه سياسة السيد الكنبيطور التوسعية في شرق الأندلس ابتداء من استيلائه على بلنسية إلي أن استعادها المرابطون والثالث تتبع فيه تاريخ بلنسية في ظل دولتي المرابطين والموحدين حتى سقوطها في يد خايمي الأول ملك أرغون .

ولقد ضمن المؤلف الجزء الأول من هذا الكتاب وصفاً جغرافياً لمدينة بلنسية طبقاً لما أورده المؤرخين والجغرافيين العرب . كما سجل صورة واضحة المعالم لمجتمع المسلمين في بلنسية في القرن الخامس الهجري معتمداً في ذلك على مؤلفات العذري والحميري مبرزاً طبيعة أهل شرق الأندلس السلمية ^(٢) ، ويتضمن هذا الجزء أيضاً أحداث الفتنة بالأندلس عقب مصرع عبد الرحمن شنجول وانهيار الدولة العامرية ، وما تبع ذلك من حروب وصراعات بين البربر والأندلسيين والصقالبة ، مما أدى إلي فرار الأخيرين إلي شرق الأندلس ^(٣) ، وانتزاعهم في هذه المنطقة ، وعلى هذا النحو قامت مملكة بلنسية بجهود مبارك ومظفر اللذين ضما إليها شاطبة ^(٤) ، وكذلك بفضل جهود لبيب صاحب طرطوشة الذي خلفهما في حكم بلنسية إلي أن تولى عبد العزيز بن أبي عامر حفيد المنصور

^(١) Levi - Provençal : Ibid , pp . 491 - 496 .

^(٢) Ambrosio Huici Miranda: Historia Musulmana de Valencia Y su Region ,Tomo T
Valencia 1969 , p . 72 .

^(٣) A . Huici Miranda : Ibid , pp . 133 - 137 .

^(٤) A . Huici Miranda : Ibid , T , I , pp . 148 - 152 .

وتناول علاقة زهير العامري بعبد العزيز ، واعتراف الأخير بهشام المزيف في اشبيلية وتتبع العلاقات بين عبد العزيز والنصارى للتصدي لهجمات مجاهد وارتباطه بعلاقات ودية مع باديس حتى أنه استجاب له عندما طلب منه إعدام الأسرى بعد هزيمة زهير ، كما اعترف باديس بعبد العزيز كوريث لممتلكات فتيان والده ، وقيامه بضم المرية إلى ملكه ، إلى أن غدره صهره معن بن صمادح واستقل بها ، ثم يذكر الصراع بين ملوك الطوائف اعتماداً على نصوص لابن حيان الذي صب عليهم اللوم والتقريع وذرهم تصرفاتهم ، خاصة خيران ومجاهد لدورهما في إثارة الفتن والحروب بالأندلس ، وكذلك في المؤامرات التي حيكت بين ملوك الطوائف مثل قيام مبارك بسم خيرة رئيس شاطبة .

كذلك أورد معلومات قيمة عن مملكة دانية في ظل مجاهد العامري وولديه عليّ وحسن ، وقيام مجاهد بغزو جزيرة سر دانية ، كما قدم صور الحياة الشخصية لمجاهد اعتماداً على رواية م . اماري^(١) ، التي نقلها عن الذخيرة^(٢) .

وابن عذارى^(٣) . موضحاً دور مجاهد في الغزو البحري والصعوبات التي واجهها عند قيامه بفتح سر دانية ، والهزيمة التي منى بها وصدي غزوات مجاهد التي امتد أثرها لسنوات عديدة استمرت حتى بعد وفاته لدرجة أن المصادر المسيحية أوردت أخبار غزوات تحمل اسمه بعد سنة ٤٣٦ هـ ، تاريخ وفاته^(٤) .

كما تناول دور مجاهد في الحروب الأهلية داخل شبه الجزيرة ، واشترأكه مع لبيب في حكم بلنسية لمدة عامين بعد موت مبارك ومظفر ثم حروبه مع عبد العزيز^(٥) وينتقل بعد ذلك إلى

(١) A . Huici Miranda : Ibid , T . I , pp . 229 – 230 .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٣ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .

(٤) A . Huici Miranda : Hist , Op , Cit . , pp . 233 – 340 .

(٥) A . Huici Miranda : Ibid , pp . 243 – 244 .

الحديث عن إمارة عليّ بن مجاهد بعد وفاة والده إلي أن عزله المقتدر بن هود واستولى على ملكه سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م^(١).

لهذا يعتبر هذا الكتاب من مراجعي الرئيسية التي أفدت منها في دراستي لشرق الأندلس ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلي اعتماد مؤلفه على مصادر عربية واسبانية معاصرة .

٥- كتاب تاريخ مرسية الاسلامية للاستاذ جاسبار ريميرو^(٢) :
يتناول هذا الكتاب تاريخ مدينة مرسية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة الإسلام في الأندلس ، اعتمد فيه المؤلف على أهم المصادر العربية المعروفة وقت تأليف الكتاب في بداية القرن العشرين .

وعلى الرغم من أهمية الكتاب في تتبع حوادث مرسية في العصر الإسلامي إلا أن تداخل الحوادث وتشابكها فيما بينها ، مع قلة ما اعتمد عليه من مصادر عربية أدى ذلك إلي اضطراب المعلومات .

ومع ذلك فالكتاب دراسة هامة لاغناء عنها للباحث في تاريخ شرق الأندلس بوجه عام ، وقد اعتمدت عليه عند التعرض لأحداث تلك المنطقة في عصر الطوائف لا سيما الصراع بين خيران ومجاهد وأحوال المرية بعد وفاة خيران حتى انتهت الأمور بهزيمة زهير ومقتله ، واستيلاء عبد العزيز على المرية ، هذا في الوقت الذي كانت فيه مرسية في يد بني طاهر (أبو بكر أحمد بن اسحاق بن طاهر) من قبل زهير .

A . Huici Miranda : Ibid , pp . 246 – 255 .

Mariano Gaspar Remiro : Historia de Murcia Musulmana Zaragoza , 1905 .

(١)

(٢)

٦- كتاب مجاهد العامري (قائد الأسطول العربي في غربى البحر المتوسط في القرن الخامس الهجرى) تأليف / كليلى سارنللى تشيركوا : (١)

يتناول دراسة تاريخ مملكة دانية من خلال شخصية مجاهد العامري وابنه على إقبال الدولة ، ودورهما في مسرح الأحداث بالأندلس ، وأهم أعمال مجاهد وغزواته في البحر المتوسط .

وقد أفادنى هذا المرجع في دراستى لفترة عصر الطوائف بوجه عام ، ومملكة دانية بوجه خاص ، نظراً لأن مؤلفته اعتمدت في دراستها على العديد من المصادر العربية بالإضافة إلى الكتب اللاتينية والمراجع الإيطالية والإسبانية والانجليزية والفرنسية التى أتاحت لها فرصة المقابلة والنقد والتحليل .

٧- كتاب دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى للأستاذ / محمد عبد الله عنان : (٢)

يعتبر هذا الكتاب من أهم المؤلفات العربية التى أرخت لعصر الطوائف بأسهاب ووضوح ، وترجع أهميته إلى أن مؤلفه لم يعتمد فقط على العديد من المصادر العربية المعاصرة المطبوعة كانت أم مخطوطة ، وإنما تجاوز ذلك إلى المدونات المسيحية والمؤلفات الأجنبية ، الأمر الذى أتاح له فرصة المقابلة والنقد والتحليل ، بالإضافة إلى اهتمامه بمعاناة مواقع الأحداث واعتماده على المشاهدة، مما كان له أكبر الأثر في تيسير فهم طبيعة الحروب الأهلية التى دارت رحاها خلال تلك الفترة ، دوافعها وبواعثها وما انتهت إليه .

(١) كليلى سارنللى تشيركوا : مجاهد العامري قائد الاسطول العربي في غربى البحر المتوسط في القرن الخامس الهجرى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦١ .

(٢) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف منذ قيامها وحتى الفتح المرابطى ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٦٩ .

وقد استقتدت من هذا المرجع كثيراً في دراستي للتاريخ السياسي لدول الطوائف بصفة عامة ، ودويلات الصقالبة في شرق الأندلس بصفة خاصة .

٨- كتاب الصقالبة في اسبانيا للاستاذ الدكتور / أحمد مختار العبادي: ^(١)

يعتبر هذا البحث الذى كتب عن أصل الصقالبة ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية في الأندلس من أهم ما كتب باللغة العربية بالرغم من إيجازه لاعتماد مؤلفه على كثير من المصادر العربية بالإضافة إلى المصادر والمراجع الأجنبية هذا إلى جانب تحليله العميق للنصوص العربية بحيث أمكنه أن يستخرج لنا منها مادة علمية أصيلة ، ولهذا كان الكتاب مصدراً هاماً لكثير من الباحثين في تاريخ الأندلس .

ولقد أفدت منه في بحثي خاصة في الفصل التمهيدى للرسالة والفصل المتعلق بمملكة دانية وظهور حركة الشعوبية .

٩- كتاب تاريخ مدينة المرية الإسلامية للأستاذ الدكتور / السيد عبد العزيز سالم ^(٢)

ويتناول في الفصل الأول والثانى من هذا الكتاب تاريخ مدينة المرية منذ انشائها حتى استيلاء جيوش فرناندو والكاثوليكي عليها ، ويشتمل الفصل الثالث على دراسة النظام العمرانى للمدينة ، وأهم آثارها الباقية ، أما الفصل الرابع والأخير فيتضمن عرضاً لمظاهر الحضارة في المرية في العصر الإسلامى ، اعتمد فيه المؤلف على العديد من المصادر العربية والأجنبية بالإضافة إلى الزيارات الميدانية والدراسات الأثرية ، مما أتاح له أن يقدم صورة متكاملة واضحة المعالم لمدينة المرية في العصر الإسلامى .

^(١) أحمد مختار العبادي : الصقالبة في أسبانيا ، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية ، وزارة المعارف العمومية ، المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمطريق ١٩٥٣م.

^(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية (قاعدة أسطول الأندلس) مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٤ م .

ويعتبر هذا الكتاب من المراجع الرئيسية لدراسة مدينة المرية الإسلامية وأكثر ما اعتمدت على هذا الكتاب الهام ، ما يتعلق بتاريخ مدينة المرية في ظل حكم خيران وزهير العامريين .

١٠ - كتاب تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس للاستاذ الدكتور / السيد عبد العزيز سالم : (١)

يتناول تاريخ المسلمين منذ الفتح العربى لبلاد المغرب حتى سقوط الخلافة الأموية بقرطبة ، وعلى الرغم من طول الفترة التى يتناولها هذا الكتاب ، إلا أن مؤلفه تعرض فيه لدراسة كل تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، كما عالج عدة موضوعات تتعلق بالآثار الباقية من العصر الأموى ، وقد اعتمد في ذلك كله على العديد من المصادر العربية والبحوث المتخصصة عربية وأجنبية .

وقد استفدت من هذا المرجع في دراستى للفصل التمهيدى الذى يعالج ارهاصات ظهور دويلات الطوائف عقب وفاة الحكم المستنصر وقيام الدولة العامرية ثم انهيارها الذى أدى إلى إندلاع الحروب الأهلية وقيام ممالك الطوائف في سائر أنحاء الأندلس من بينها ممالك الصقالبة في شرق الأندلس .

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت ١٩٦١ م .

الباب الأول

الفصل الأول : دراسة تمهيدية
أولاً : المسرح الجغرافي لشرق الأندلس
ثانياً : الحقائق التاريخية

الفصل الثاني : مملكة المرية

الفصل الثالث : مملكة بلنسية
(١) بلنسية في ظل مبارك ومظفر الفتيين الصقلبيين
(٢) دولة بني عامر في بلنسية
(٣) إمارة طرطوشة

الفصل الأول

دراسة تمهيدية

أولاً : المسرح الجغرافي لشرق الأندلس

(١) الخصائص الجغرافية لمدينة المرية

* الموقع

* المرية قاعدة بحرية لأسطول الأندلس

(٢) الخصائص الجغرافية لكورة بلنسية

- جغرافية مدينة بلنسية

(٣) الخصائص الجغرافية لمدينة طرطوشة

(٤) الخصائص الجغرافية لمدينة دانية

(٥) الخصائص الجغرافية لجزر البليار

ثانياً : الحقائق التاريخية

* الصقلية في الأندلس قبل قيام دول الطوائف

(١) بداية ظهور العنصر الصقلي في الأندلس

(٢) التوسع في اقتناء الصقلية في عهد عبد الرحمن

الأوسط ومن خلفه من أمراء بني أمية

(٣) النفوذ الصقلي في ذروته

(٤) الصقلية العامرية منذ ظهور المنصور حتى سقوط

الدولة العامرية

(٥) موقف الصقلية من الفتنة

دراسة تمهيدية

أولاً: المسرح الجغرافي لشرق الأندلس

يعنى شرق الأندلس أو " Levante " من الناحية الجغرافية المناطق الأسبانية التى تطل على ساحل البحر المتوسط الغربى ^(١) ، أى المنطقة الممتدة من طركونة شمالاً حتى مرسية ولورقة جنوباً والتى تضم كورة طرطوشة وبلنسية ومرسية وجزر البليار بما فى ذلك كورتى سهلة بنى رزين والثغر حسبما يشير ابن سعيد ^(٢) ، وتخرج منها المرية ، وإن كنا قد اعتبرناها من المناطق الشرقية بالأندلس وكانت مركزاً لدويلة صقلبية منذ طليعة القرن الخامس الهجرى إلى أن لقى زهير العامرى مصرعه فى سنة ٤٢٩ هـ .

وقد بدأ هذا المفهوم يتحدد سياسياً منذ انتزاع الفتيان العامرية بهذه المنطقة ، فعندما وقعت الفتنة وانتهت الدولة العامرية ، بتربع محمد بن هشام المهدي على كرسى الخلافة فى جمادى الآخرة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م ومقتل عبد الرحمن شنجول بعد ذلك بأيام قلائل ، غادر معظم الفتيان الصقلبية قرطبة فراراً من اضطهاد البربر بعد تغلبهم عليها ، واستقروا بشرق الأندلس أكثر مناطق الأندلس أمناً ، ولوجود حكام منهم هناك ، بالإضافة إلى أن شرق الأندلس كان فى الأصل مركزاً اقتصادياً للصقلبية ^(٣) ، ولهذا لم يجدوا صعوبة فى

(١) أنظر مادة (Levante) فى :

Enciclopedia Universal Tomo XXX , Espasa Calpe , Madrid , Barcelona , p . 291 .

(٢) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

- شكيب ارسلان : الحلال السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ، ج ١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٣٥٥ هـ ، ص ٢٠٦ .

(٣) عبد السلام هارون : نواذر المخطوطات ، المجموعة الثالثة ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٣ م ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

- د . أحمد بدر : تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى (عصر الخلافة) دمشق ١٩٧٤ م ، ص ٢٠٦ .

Isidro de las Cagigas:Andalucia Musulmana Instiuto de Estudios Africanos , Madrid 1950 , p . 31 .

إقامة دويلات بعيدة عن مناطق النزاع بين المتصارعين على السلطة في قرطبة ينسجم سكانها مع العناصر الصقلية ، لاسيما وأن معظم سكان شرق الأندلس ينحدرون من أصول اسبانية رومانية وكانوا يتصفون ببعض الملامح الخاصة التي تميزهم عن سائر سكان الأندلس ، هذه الملامح تميزت بوضوح في شرق الأندلس في القرن الخامس الهجري ^(١) .

وكان قيام هذه الدويلات الصقلية يستند على أسس سياسية وحربية منظمة تنظيماً جيداً مما هيا لها المجال لتؤدي دوراً مؤثراً في تاريخ الأندلس زمن الطوائف .

ومنذ ذلك الحين استقلت منطقة شرق الأندلس عن بقية الأندلس ، وأصبح لها كيان خاص بها إلى حد أن اصطلاح شرق الأندلس أصبح شائعاً في كتابات المؤرخين ^(٢) .

وكانت هذه الدويلات تجمعها جميعاً رابطة الانتماء إلى بني عامر لان مؤسسيها كانوا فتيان الصقلية العامرية ، وقد امتد سلطان هؤلاء الصقلية على الساحل الممتد من نهر ابره شمالاً حتى ثغر المرية والجزائر الشرقية (البليار) جنوباً ^(٣) .

(١) Ambrosio Huici Miranda: Historia Musulmana de Valencia Y su Region Tomo I , Valencia 1969 , pp . 72 - 74 .

(٢) العذري : ترصيع الأخبار ، ص ١٦ .

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : " العبر وديوان المبتدأ والخبر " ، ج ٤ ، طبعة بيروت ١٩٨٢ ، ص ٣٥٥ .

(٣) Levi - Provençal : L' Espagne Musulmane aux X eme Siecle , Paris 1932 , p. 30 .

- يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٠ م ، ص ٤٦ .

- العبادي : الصقلية في اسبانيا ، ص ١٧ .

- العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ١٩٦٨ م ، ص ٩٢ .

Luis G .de Valdeavellano : Historia de Espana , Segunda Parte , Madrid 1955 , p. 263 .

ومما لا شك فيه أن طبيعة الوضع الجغرافي للأندلس كشبه جزيرة ، يحيط بها البحر المتوسط من الجهتين الشرقية والجنوبية والمحيط الأطلسي من الجهات الجنوبية الغربية والغربية والشمالية الغربية^(١) ساعدت على تطلع سكان هذه السواحل نحو البحر ، كما أن سواحلها المتعرجة وكثرة خلجانها وأجوائها^(٢) ساعدت على تعدد مراسيها التي تصلح لاقامة قواعد بحرية لارساء السفن وإيوائها بعيد عن تيارات البحر وانوائه^(٣) .

وقد فرضت هذه الطبيعة الجغرافية على حكام الأندلس منذ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط تأسيس بحرية أندلسية حماية لسواحلها وثغورها من أطماع الطامعين ودرءاً لغزوات المغامرين من الشعوب الشمالية^(٤) وكان قيام الدولة الفاطمية في المغربين الأدنى والأوسط وتهديدها المباشر للأندلس في عهد عبد الرحمن بن محمد حافزاً له على انتهاج سياسة بحرية لمواجهة الغزو الفاطمي المتوقع ، والتصدي لغارات النورمان التي كانت تهدد سواحل الأندلس الغربية والجنوبية ، فبدأ بتنظيم البحرية في الأندلس واستكمالها فأكثر من بناء السفن ومهد لهذا بإنشاء عدد كبير من دور الصناعة في مدن الأندلس مثل المرية ، وطرطوشة ، والجزيرة الخضراء ومالقة ، ولقنت ، وشلب ، وقصر أبي دانس ، ودانية ، وشنتمرية ، وشلطيش^(٥) .

(١) الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد) : " صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس " مأخوذة من كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " ، تحقيق دوزي ودي غويه ، ليدن ١٨٩٤ م ، ص ١٧٣ .

(٢) الجون : " بفتح الجيم " وهو الخليج الناتج عن امتداد مياه البحر في الأرض .
R . Dozy : Supplement aux Dictionnaires Tome I , Paris 1927 , p . 236 .

(٣) د . السيد عبد العزيز سالم ، د . أحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط (البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس) ، الجزء الثاني ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، بدون تاريخ ص ٥٢ .

(٤) د . محمد أحمد أبو الفضل : تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الإسكندرية ١٩٨١ م ، ص ٤٦ .

(٥) أبو الفضل : نفس المرجع ، ص ٥٦ - ٥٧ ، ٥٨ .

- ولقد كانت السياسة البحرية الأموية تقوم على التعاون بين القواعد البحرية المتجاورة وهذا ما يتضح من نص ابن حيان حيث يقول في حوادث سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م وفيها غزا الاسطول إلي بلد الفرنجة (إمارة قطلونية) وقائده عبد الملك ابن سعيد بن أبي حماسة =

ومن المعروف أن أغلب القواعد البحرية في الأندلس تركزت على امتداد الساحل الشمالى الشرقى ما بين طرطوشة وبلنسية ، ربما بسبب العداء الشديد بين سكان شرق الأندلس وبين الفرنجة الكارولنجيين ، والقسم الجنوبى من الساحل الأندلسى ويشمل المرية ومالقة والجزيرة الخضراء ^(١) .

(١) الخصائص الجغرافية لمدينة المرية :

١- الموقع :

تقع مدينة المرية ^(٢) - كما يحدد الجغرافيون القدامى - بين مدينتى مالقة وقرطاجنة على ساحل البحر

وكانت عدة مراكبه أربعين مركبا عشرين منها حراقات ، وفيها النفط وآلات البحرية ، وعشرين فيها الرجال والمقاتلة وكانت عدة ركابه من الجند ألف رجل ، ومن البحريين ألفين وكان ركوبهم من مدينة المرية في رجب ٣٢٣ هـ / يونيو ٩٣٥ م ، فبدأ القائد أبى حماسة يتفقد ميورقة الإسلامية فكسر بها لاستتمام نظره فيها ويتابع ابن حيان نصه الأنف الذكر ويصف اندفاع أساطيل المرية والجزائر الشرقية وطرطوشة وغاراتها على ثغور قطلونية الساحلية ، ويقول ... ثم اندفع القائد عبد الملك بن سعيد بن أبى حماسة من آخر مراسى ميورقة يوم الجمعة لأربع بقين من رجب وأوفى على بالش ... ودارت معركة عظيمة انهزم الفرنج على أثرها ... وتقدم الأسطول إلى بلدة أنيش وهى دار صناعتهم ومرفأ مراكبهم ... ثم تقدم الأسطول إلى برشلونة ... ودارت بينهم وبين المسلمين حرب عظيمة انهزم فيها الافرنج ... وعاد الأسطول إلى طرطوشة قاصية بلد الاسلام غانما

- ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٨ .

^(١) أبو الضل (دكتور محمد أحمد عبده) : تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ٥٩ .

^(٢) المرية : بفتح الميم وكسر الراء المهملة وتشديد المثناة من تحت وفي آخرها هاء .

- القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) : " صبح الأعشى في صناعة الانشا " ،

الجزء الخامس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ م ، ص ٢١٧ .

- واسم المرية مشتق من وظيفتها ، أو من الغرض الذى أقيمت من أجله ، إذ كانت

تتخذ في الأصل مرفأ ومحرسا بحريا بمدينة بجانة القريبة منها ، والتي لا تبعد عنها بأكثر من ستة أميال شمالا .

- الانرىسى : صفة المغرب ، ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

- الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) : " الروض المعطار في خبر

الأقطار " ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٤ ، ص

٥٣٧ .

- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى) : معجم البلدان ، الجزء الخامس ،

بيروت ١٩٥٥ م ، ص ١١٩ .

الزقاق^(١) ، وكانت المرية في بداية تأسيسها مستطيلة الشكل تمتد رقعتها ما بين القلعة المنسوبة لخيران العامري بأعلى جبل القصبه شمالاً وبين الساحل جنوباً ، وكان يحدها من الشرق والغرب واديان ضحلان ، الشرقي منهما ينحدر على نحو عمودي من الطرف الشرقي للقصبة إلى البحر ، والثاني يعرف برملة لاشانكا فيتجه من الخندق الفاصل بين جبل الكنيسة والقسم الغربي من جبل القصبه في نفس اتجاه الوادي الشرقي ، وكان يحيط المدينة سور من الجهتين الشرقية والغربية بحذاء الواديين ، يصلهما سور قبلي يمتد بحذاء البحر ، وقد اتسعت المدينة تدريجياً من الشرق والغرب بإزدياد عدد السكان في عصر الخلافة ، ثم أصبحت المرية في عصر الطوائف منتجعاً للهاربين من الفتنة من أهل قرطبة وأشبيلية وموسطة الأندلس ، فاكتملت المدينة بهذا السيل المتدفق عليها حتى ضاقت بهم ، ولم يلبث العمران أن فاض شرقاً وغرباً فتألف ربضان : أحدهما شرقي أطلق عليه ربض المصلى والثاني غربي ويعرف بربض الحوض ، وقد أحيط هذان الربضان بالأسوار حماية للمرية من أي غارة يقوم بها البربر^(٢) ، وهكذا كانت المرية منذ الربع الأول من القرن الخامس تشتمل على ثلاثة مراكز عمرانية أو ثلاثة مدن^(٣) مسورة المدينة الوسطى وربض المصلى ويمتد شرقي المدينة ثم ربض الحوض ويقع غربيها ، ويتميز موقع مدينة المرية بخليجه الواسع العميق الذي يحمي ساحلها من الرياح ، ويمتد بين رأس قابطة بنى أسود^(١) شرقاً ،

Elsayed Abdel Aziz Salem: Algunos Aspectos del Florecimiento Economico de Almeria Islamica Durante El Periodo de Los Taifas Y de Almoravides , Revista del I . E . E T Madrid 1979 , p . 10 .

(١) أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) : تقويم البلدان ، تحقيق دي سلان ، باريس ١٨٤٠ م ، ص ١٧٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢١٧ .

- محمد أحمد أبو الفضل : تاريخ مدينة المرية الأندلسية ، ص ٢٧ .

(٢) سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، قاعدة أسطول الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨٤ م ، ص ١١٢ .

(٣) العمرى (شهاب الدين أحمد بن فضل الله الدمشقي) : وصف إفريقية والمغرب والأندلس ، نشره حسن حسنى عبد الوهاب ، مجلة " بدر " عدد ١١ مطبعة " النهضة " تونس ، ص ٤٦ .

- القلقشندي : المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

(١) البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) : " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب " ، من كتاب المسالك والممالك ، نشره ديسلان ، الجزائر ١٩١١ ، ص ٨٩ .
- كما ورد ذكر حصن القبطة في اعمال الاعلام لابن الخطيب ، ص ٤٢ .

ورأس سابينال غرباً Punta Del Sabinal مكوناً مرسى يكن بشرقه وغربيه ^(١) . ويحد المرية من الغرب الركائز الأخيرة من جبال المرية وتؤلف فرعين من سلسلة جبال غدر ^(٢) Sierra De Gador ويحدها من الشرق فحص مثلث الشكل وأراض منبسطة في امتداد متصل يبلغ ثمانية أميال تقريباً شرقي المرية بين سلسلة جبال رأس القبطة في الجنوب الشرقي من المرية وجبال الحمة في الشمال الشرقي منها ^(٣) ، وبالتالي فإن الجبال تحيط بمدينة المرية من كل جهة ما عدا الجهة الجنوبية والفحص الشرقي ، وكلها جبال صخرية مخرسة وقد لاحظ الإدريسي هذه السمات فقال : " وموضع المرية من كل جهة استدارت به صخور مكدسة ، وأحجار مخرسة ، لا تراب عليها كأنما غربلت أرضها من التراب وقصد موضعها بالحجر " ^(٤) ، وإلى الشمال الغربي من المرية وعلى بعد نحو ثلثمائة وخمسين متراً من الساحل تتدرج الأرض في الارتفاع طولاً بحذاء الساحل وهو المرتفع الحالي الذي تقوم عليه قصبة المرية ^(٥)

= السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٣ .

^(١) الحميري : الروض المعطار (احسان) ص ٥٣٨ .

Elsayed Abdel Aziz Salem : Op , Cit . , p . 11 .

^(٢) Enciclopedia de Cultura Espanola , Tomo I , Madrid 1936 , p . 248 .

- سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٣ .

^(٣) Torres Balbas (Lepodo) : Almeria Islamica , El Andalus , Vol XXII , 1957 , pp . 411 - 412 .

- سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٣ ، ١٤ .

^(٤) الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٨ .

^(٥) وقصبة المرية عبارة عن تلال عظيم فسيح الأرجاء يقع في شمال المدينة على ربوة صخرية منيعة عالية في طرف جبل غدر ، على مقربة من مصب وادي أندرش وتشرف على الميناء ، وقد اشتهرت هذه القصبة أيام الطوائف بضخامتها ومنعتها وكانت تضم جامعاً وقصراً عرف ببهو خيران الفتى العامري الذي وليها في عصر المنصور محمد بن أبي عامر فنسبت إليه ، ثم أقام المعتصم بن صمادح بجواره قصر الصمادحية المشهور .

- ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيس الاشبيلي) : " قلاند

العقيان في محاسن الأعيان " المجلد الأول " ، تحقيق الدكتور حسين يوسف

خربوش ، الطبعة الأولى ، مكتبة المنار ، الأردن ١٩٨٩ ، ص ١٤٧ .

- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب

في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة رسائل) تحقيق الدكتور أحمد مختار

العبادي ، مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٨٣ م ، ص ٨٣ .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

المشهوره بالحصانة والمنعة ^(١) - في الوقت الحاضر - وتقوم على ارتفاع نحو ٦٥ متراً فوق مستوى سطح البحر ، وتكتنف هذا المرتفع أجراف شديدة الانحدار ^(٢) وينحدر من جانبيه المتطرفين الشرقى والغربى واديان صغيران يطلق عليهما اسم Ramblas ولعله مشتق من كلمة رملة وذلك لانهما واديان رخوان أرضهما رملية ، ويفصل هذا المرتفع عن الجبل الشمالى الذى يماثله في الارتفاع والامتداد أخدود عميق فسيح كان يعرف باسم خندق " باب موسى " وكان خندقاً مغموراً في القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجرى ، ويصف الادريسي هذا الموقع بقوله : " والمرية في ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور وعلى الجبل الواحد قصبته المشهوره بالحصانة والجبل الثانى منهما فيه ربضها ويسمى جبل لاهم " ^(٣) .

ونظراً لقرب المرية من موضع الاحتكاك من أمم النصرانية ، فقد اتخذها العرب " رباطاً وابتتيت فيها محارس ، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها " ^(٤) .

كما كان لموقع المرية المتطرف في جنوب شرق الأندلس ، بين مناطق جبلية دعوة المسالك ، صعبة المواصلات وفي أرض قاحلة ، وإطلالها على خليج واسع عميق يحيمها من الرياح أعظم

- = عنان (الاستاذ محمد عبد الله) : الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، دراسة تاريخية أثرية ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ١٩٦١ م ، ص ٢٦٦ .

^(١) العمرى : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، الجزء الخاص بوصف افريقية والمغرب والأندلس ، ص ٤٦ .

- الحميرى : الروض المعطار (احسان) ص ٥٣٨ .

^(٢) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٣٨ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

- السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥ .

^(٣) الادريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٧ .

- الحميرى : الروض المعطار (إحسان) ، ص ٥٣٨ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

^(٤) العنرى : ترصيع الأخبار ، ص ٨٦ .

- الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٣٧ .

الأثر في اتجاه نشاط سكانها إلى البحر حتى حظيت بشهرة تجارية تجاوزت الآفاق بحيث أصبحت بحق باب الشرق ومفتاح الرزق^(١).

٢- المرية قاعدة بحرية لاسطول الأندلس

في عصر الخلافة ارتفعت مكانة المرية وأصبحت منذ تأسيسها أهم موانئ الأندلس ، وأشهر مراسيها للحط والإقلاع^(٢) وأمرها بالسفن الصادرة والواردة وكان خليجها يضم معظم وحدات الاسطول الأموي في الأندلس^(٣) ، وكانت دار الصناعة بالمرية ، تقوم بانتاج أعداد كبيرة من السفن ، وفي هذه الدار استقرت العدة والآلات اللازمة للسفن وما يقوم به الاسطول^(٤).

وهكذا كان إنشاء المرية واتخاذها قاعدة بحرية لاسطول الأندلس إجراءً موفقاً أنجزه عبد الرحمن الناصر ، فالموقع الذي اختير لتأسيسها من المواقع الحصينة المزودة بقصبة شاهقة الارتفاع تتحكم في الدفاع عنها وينحدر من جانبيها الشرقى والغربى سوران أحدهما شرقى والآخر غربى يحيطان بها ويزيدان من قدراتها

(١) ابن غالب (أبو عبد الله محمد) : قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥ م ، ص ٢٨٣ .
- أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٧٧ .

Levi - Provencal : L' Espagne Musulmane aux eme Siecle , p . 181 - 182 .

Elsayed Abdel Aziz : Op , cit . , p . 12 .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٦ .

(٢) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المقدمة ، طبعة بيروت ١٩٨٢ م ، ص ٦٢٩ .

(٣) العمرى : وصف إفريقية والمغرب والأندلس ، ص ٤٦ .

- الحميرى : الروض المعطار (احسان) ، ص ٥٣٧ .

(٤) العنرى : ترصيع الأخبار ، ص ٨٦ .

- الزهرى (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر) : كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ،

مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٠١ .

- ابن غالب : قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، ص ٢٨٣ .

- ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس ، ص ٨٣ .

Emilio Molina Lopez : Algunas Consideraciones Sobre Le Vida Socio - Economica de Almeria en el Siglo XI , Primera Mitad del XII , p . 122 .

- من أعمال الملتقى الرابع الاسباني العربى - المعهد الاسباني العربى للثقافة ، مدريد ١٩٨٣ م .

الدفاعية ^(١) ، كما أنها لم تعد حصوناً مجاورة كانت تشكل خطوطها الدفاعية الأمامية ، فمن حصونها حصن برشانة ^(٢) Purchena وحصن مرشانة ^(٣) وحصن برجة ^(٤) ويقع إلى الجنوب الغربي منها في واد شديد الخصوبة ، ومنها حصن شنش ويقع على مرحلة منها ، ومنها حصن القبطة ويقع إلى الجنوب الشرقي من خليجها .

وحظيت المرية في عهد الحكم المستنصر بالله باهتمام خاص ، فقد كانت قاعدة الاسطول الأندلسي الشرقي ، ومن المعروف أن قائد الأسطول بالمرية في عصر الخلافة كانت له أهمية خاصة فقد أشار صاحب كتاب " الزهرات المنثورة في نكت الأخبار الماثورة " إلى أهمية منصب قائد أسطول المرية في الدولة الأموية ^(٥) ، فذكر في الزهرة الثالثة والثمانين أن " الأمور التي كانت تحار فيها خلفاء بني أمية بالأندلس لا ينفذونها إلا عند مشاورة ثلاثة من الناس ، وهم : قائد الجند بسر قسطة قاعدة الثغر الأعلى والقاضي بقرطبة حضرة الخلافة ... وقائد الأسطول بالمرية لأنها كانت دار صنعة الإنشاء

^(١) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، نشر وتحقيق لويس مولينا ، مدريد ١٩٨٣ م ، ص ٧٧ ؛ ابن الخطيب (لسان الدين) : ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، المجلد الثاني ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٢٩١ .

^(٢) برشانة (Purchena) : حصن هام في المرية يقع على مجتمع نهرين ، وهو من أمنع الحصون مكاناً وأوثقها بنياناً وأكثرها عمارة .

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس ، ص ٣٦ ، ٨٥ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٤٢ .

^(٣) الحميري : نفس المصدر والصفحة .

^(٤) برجة Berja وهي من منائر المرية يقع إلى الغرب منها على مقربة من ساحل البحر وتسمى برجة (بهجة) لبهجة منظرها .

- الإدريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٨ .

- ابن غالب : قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، ص ٢٨٤ .

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس ، ص ٨١ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

^(٥) سالم (الدكتور السيد عبد العزيز سالم) : بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، القسم الأول ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩١ م ، ص ٥٩٧ ، وما يليها .

بالأندلس ولتوسطها بلادهم ، فكان في مدة بنى أمية قائد أسطولها قسيم الخليفة في ملكه : ذاك الملك البر وهذا ملك البحر ^(١) " .

هذا الأسطول الأندلسي العظيم لم يلبث أن توزعت قطعه بين دويلات الطوائف في بطليوس واشبيلية والمرية ودانية وبلنسية ^(٢) ، ومع ذلك فقد ظلت المرية تحتفظ بنصيب الأسد إذ كانت قاعدتها البحرية في عصر الطوائف وعصر المرابطين من أعظم قواعد الأندلس البحرية .

(٢) الخصائص الجغرافية لكورة ^(٣) بلنسية ^(٤)

تقع كورة بلنسية Valencia على الساحل الشرقي للأندلس ما بين طرطوشة ودانية وعند مصب الوادي الأبيض ، وكانت من كور الأندلس الفسيحة المتميزة بوفرة ثرواتها الزراعية وخيراتها العميمية ،

^(١) ابن سماك العاملي (أبو القاسم محمد بن أبو العلاء محمد) : كتاب الزهرات المنثورة في نكت الأخبار الماثورة ، تحقيق الدكتور محمد علي مكي ، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٨٤ م ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

^(٢) Henri Peres : Esplendor de al - Andalus : La Posia Andaluza en Arabe Clasico en el Siglo XI , Traduccion de Mercedes , Garcia Arenal , Madrid 1953 , p . 219 .
وأنظر الترجمة العربية :

- هنري بريس : " الشعر الأندلسي في عصر الطوائف " ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمه التوثيقية ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ١٩٤ .

^(٣) للتعريف بالكورة يقول ياقوت " الكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يحمل اسمها .
- ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٦ .

- وأنظر ابن الكردبوس (أبو بكر محمد بن عمر) : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٧١ م ، ص ٧١ .

^(٤) بلنسية : " بفتح الباء الموحدة وفتح اللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وهاء في آخر " .

- العذري : ترصيع الأخبار ، ص ١٧ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .

- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٥٧ .

- الفلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .

وكانت على حد قول الرازي تجمع البر والبحر والزرع والضرع^(١)، وتضم بلنسية عدداً كبيراً من القرى يبلغ نحواً من ١٦٠٠ قرية في كل قرية جامع ومنبر وقاضى وخطبة^(٢)، كما تشتمل على عدد من المدن العظيمة والحصون القديمة^(٣) منها: شاطبة^(٤) Jativa.

Levi - Provencal (E . V) : La Description de L ' Espagne , D ' Ahmed Al - Razi , Al - Andalus , Vol XVII , Fasc , I , Madrid 1953 , p . 71 .

- ابن سعيد (أبو الحسن على موسى) : " المغرب في حلى المغرب " تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧٨ م ، ص ٢٩٨ .

- أنظر الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص ١٠٢ .

^(٢) العذرى (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى) : " ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك " تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ١٨ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٧٤ .

- أورد العذرى عدداً من هذه القرى والأقاليم هي : " إقليم المنارة ، إقليم أندة ، إقليم شيرب ، إقليم زناتة ، إقليم كنانة ، إقليم شلينة ، إقليم أولهيل ، إقليم لباية ولها رتبة أولية ، إقليم سمح ، إقليم شارقة ، جزء الساحل ، جزء قلييرة ، جزء الجزيرة ، جزء البيضاء وغلنار ، جزء الأسناد ، جزء فحس شاطبة جزء براكانة ، جزء مدينة التراب ، جزء مصمودة ، جزء بنى غتيل ، جزء قسطانية ، جزء فقيرة ، جزء مسل ، جزء مريبطر " .

- العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٢٠ .

- وذكر كل من ابن سعيد وابن الأبار والحميرى بعض القرى الأخرى التابعة لها منها : قرية منصف وتقع غربيها ، وقرية بطرنة وقرية بته ، وقرية البوننت ، وقرية شون ، وقرية قشتيلون ، وقرية بقانة وقرية أسيلة وبريانية ، وقرية بنيول ومن ثغورها : أبيشة وركانة ، ومن حصونها متيطة وحصن كواليه ، وحصن شريون ، وحصن شارقة ، ويقال لها قلعة الأشراف وحصن طرنته .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦١ .

- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاعى البلنسى) : كتاب التكملة لكتاب الصلة ، نشرة عزت العطار الحسينى ، الجزء الأول ، القاهرة ، ص ٢٣ ، ٤٨ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٢٠٢ .

- الحميرى : الروض المعطار (احسان) ، ص ٥٦ .

^(٣) المدن العظيمة والحصون القديمة هنا يراد بها إحصاء ما يتبع كورة بلنسية من المدن الكبيرة ، وما يدخل في زمامها من الحصون المنيعة ، لأن " القديمة " هنا تعنى أمرين القدم الزمنى والمنعة فى آن واحد .

- راجع : مؤنس (دكتور حسين) : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ٦٧ .

^(٤) ولفظها كما جاء فى المصادر العربية " بفتح الشين المعجمة وألف بعدها طاء مهملة مكسورة ثم باء موحدة مفتوحة وهاء فى الآخر " .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٣١ =

ومربيطر^(١) Murviedro ، ودانية^(٢) Denia وجزيرة

= واسم هذه المدينة مشتق من الاسم الروماني Seatabis وشاطبة مدينة قديمة من أعمال بلنسية تقع على بعد ٣٢ ميلا إلى الجنوب الغربي منها ، ولها حصن قديم قائم بأعلى جبل مطل على بطاح ، يضرب به المثل في المنعة ، ولها قصبستان ممتعتان ، وكانت تتميز بطيب هوائها وبكثرة بساتينها ، وكانت أراضيها واسعة كثيرة الزرع والضرع والثمار ، ويشق بطاحها وادي كثير النفع ، ومن متفرجاتها البطحاء والغدير والعين الكبيرة وكانت تضم ثلاثة أقاليم في إقليم منها أربعون قرية ، واشتهرت شاطبة بصناعة الكاغد الذي لا نظير له والذي كانت تصدره إلى الشرق والغرب ، ولما كانت شاطبة تقع على مقربة من بلنسية فقد كان من الطبيعي أن تشاركها في حوادث تاريخها السياسي ، ولذلك كان مصير شاطبة مرتبطا كل الارتباط ببلنسية .

Levi - Provençal : La Description de L' Espagne , p . 71 .

- العذري: ترصيع الأخبار، ص ١٨ - ١٩ ؛ الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص ١٠٣ .
- الانريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٢ .
- القزويني (زكريا بن محمد بن محمد) : أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٩ م ، ص ٥٣٩ .
- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ .
- أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٦٨ ؛ ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ .
- القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٣١؛ الحميري: الروض المعطار ، ص ٣٣٧ .
- مؤلف مجهول : جغرافية الأندلس ، ص ٧٤ ؛ شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .

(١) أصل الاسم العربي لهذه المدينة مقتبس من اللاتينية Muriveteres وتعني الأسوار القديمة وتعرف اليوم باسم ساجونتو ، وهي مدينة قديمة الإنشاء ربما يرجع تاريخها إلى الأيبيريين ، وقد لعبت دورا هاما إبان الصراع بين الفينقيين والرومان ، وكانت في العصر الإسلامي مدينة حصينة ومسورة ولها جامع ومساجد وتقع على مرتفع من الأرض على مقربة من مدينة طرطوشة وعلى مساحة تبعد عن بلنسية بنحو ٢١ كيلو مترا ، ويحيط بهذه المدينة الضياع وتكتنفها الأشجار والمياه المتدفقة .

Levi - Provençal : La Description de L' Espagne , pp . 71 - 72 .

- العذري : ترصيع الأخبار ، ص ١٩ .
- الانريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩١ .
- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٩٩ .
- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ .
- ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ .
- الحميري : الروض المعطار (د. إحسان) ، ص ٥٤٠ .
- حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص ٦٦ .
- الفاسي (دكتور محمد) : الاعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البيئة ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، الرباط ١٩٦٢ م ، ص ٣١ .

(٢) دانية Denia مدينة بحرية من مدن شرق الأندلس عرفت بأنها من ثغور شرق الأندلس العامرة بالأسواق والتجارة وكانت بحكم وقوعها على البحر قاعدة بحرية تجارية وحربية ، فقد كانت السفن التجارية واردة عليها وصادرة عنها إلى أقصى المشرق ، كما كان يخرج من مينائها الأسطول للغزو وكانت مزودة بدار صناعة تنتج العديد من السفن ، وكان =

شقر^(١) Jucar وبلنسية أهم هذه المدن جميعاً وحضرة مملكة بلنسية في عصر الطوائف .

جغرافية مدينة بلنسية Valencia

هي قاعدة بلاد شرق الأندلس واعظم مدائنه ، تقع على مصب الوادى الأبيض على بعد ثلاثة أميال من ساحل البحر المتوسط^(٢) ، عرفت بمدينة التراب^(٣) لخصوبة تربتها ورحابة عمرانها ووفرة

يحيط بها سور حصين يمتد من جهة المشرق في داخل البحر قد بنى بهندسة وحكمه كما كانت مزودة بقصبة منيعة للغاية .

- العزرى : ترصيع الأخبار ، ص ١٩ .
- الادريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٢ .
- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٥٤٠ .
- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .
- ابن غالب : قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ .
- الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٣١ .
- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٧٥ .
- ^(١) جزيرة بالاندلس قريبة من شاطبة ، وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلاً ، وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار ، وبها ناس جلة ، وبها جامع ومساجد وفنادق وأسواق ، وقد أحاط بها الوادى ، والمدخل إليها في الشتاء على المراكب ، وفي الصيف على مخاضة .

- الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٩٢ .
- الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٩ .
- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٢٧ ؛ ج ٣ ، ص ٣٥٤ .
- ^(٢) البكرى : (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن على الحجى ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٨ م ، ص ١٦٢ .

- الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٩١ .
- الحميرى : الروض المعطار (إحصان) ص ٩٧ .
- ليفى بروفنسال : دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع ، ص ١١٨ .
- Encyclopaedia Britanica : Art Valencia , Chicago , U.S.A , 1962 , p. 948 .

- ^(٣) العزرى : ترصيع الأخبار ، ص ١٧ .
- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .
- ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٦ .
- الحميرى : الروض المعطار ، تحقيق إحسان عباس ، ص ٩٧ .
- المقرئ (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى) : " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب " تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

جنايتها وبساتينها ، وهى مدينة قديمة الإنشاء ، أسسها الرومان عام ١٣٩ ق . م ^(١) ، وفي عام ٤١٣ م استولى عليها القوط ، وفي عام ٧١٤ م ثم دخلت في فلك دولة الإسلام في الأندلس منذ ان افتتحها طارق بن زياد ^(٢) ، وكانت قبل الفتح الإسلامى مجرد فرضة (مرسى صغير) ^(٣) ولم تلبث في العصر الإسلامى أن أصبحت من أكبر مدن الساحل الشرقى للأندلس ، وقاعدة من أهم قواعده الكبرى ^(٤) ، وأطلق عليها أهل الأندلس اسم " مطيب الأندلس ، لكثرة بساتينها التى تفوح برائحتها الزكية ^(٥) .

ويجد بلنسية من الشمال مدينة طرطوشة ، ومن الجنوب مدينة دانية ومرسية ، ومن الغرب طليطلة ، وتكثر في بلنسية المياه التى تسقى بها بساتينها وجنايتها : " وهى على نهر جار ينتفع به ويسقى المزارع وعليه بساتين وجنات و عمارات متصلة ^(٦) " ، وهذا النهر هو النهر الأبيض (Guadalquivir) أحد فروع نهر تورية Turia المسمى بالنهر الأحمر وينبع من جبال أرطونة ويصب في البحر المتوسط شمالى بلنسية ، وكانت دار حط واقلاع ولهذا كانت السفن تدخل نهرها ^(٧) ، ومن أهم أنهارها نهر شقر Jucar وميخارس Mijares وسيربيس Seripis ^(٨) ، وتحيط بها جبال ومرتفعات ، ففي غربها تمتد

(١) بروفنسال : دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع ، ص ١١٨ .

Encyclopaedia Britanica : Op , Cit , P . 948 .

(٢) أرسلان : الحلال السندسية ، ج ٣ ، ص ٥٠ .

(٣) مؤنس (دكتور حسين) : رحلة الأندلس ، حديث الفردوس الموعود ، مطبعة كوستا توماس ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٦٤ م ، ص ٢٧٥ .

(٤) الإدريسي : المصدر السابق ، ص ١٩١ .

- الحميرى : الروض المعطار ، ص ٩٧ .

(٥) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .

(٦) الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩١ .

- الحميرى : الروض المعطار ، ص ٩٧ .

(٧) ليفى بروفنسال : مادة بلنسية ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الثامن ، ص ٥٠ .

- ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) : " قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء " تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٧١ م ، ص ٨٤ ، حاشية ٢ .

(٨) Martin (Jose Ibanez) Geografia de Espana , Madrid 1931 , p . 71 .

- شريف (دكتور إبراهيم) : أوروبا دراسة إقليمية لدول أشباه الجزر الجنوبية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٦٠ م ، ص ٢٩٥ .

سلسلة جبال بلنسية ، وفي الشمال مرتفعات مربيطر والبونت ^(١) ،
وفي الجنوب مرتفعات جبل القنت ^(٢) .

ولبلنسية على ساحب البحر مرسى يسمى " جراو " ^(٣) Grao
وفي جنوبها بحيرة مشهورة كثيرة الضوء والرونق كانت تسمى
البوفيره ^(٤) Al Bufera تحريفاً من البحيرة .

ونظراً لكل تلك المميزات التى تمتعت بها بلنسية حظيت
بشهرة كبيرة في تاريخ الأندلس الاقتصاى في العصر الإسلامى
سواء من حيث الزراعة أو الصناعة أو التجارة ^(٥) ، فهى كثيرة
التجارات عامرة القطر راحية الأسعار كثيرة الفواكه جامعة لخيرات
البر والبحر ^(٦) ويصفها الحجارى في المسهب بأنها " مطيب الأندلس
ومطمح الأعين والأنفس ، وقد خصها الله بأحسن مكان ، وحفها
بالأنهار والجنان ، فلا ترى إلا مياهاً تتفرع ، ولا تسمع إلا أطيّاراً
تسجع ، ولا تستنشق إلا أزهاراً تتفتح ، وما أجلت لحظاً بها في شئ إلا
قلت هذا أملح ، وتميزت بوديائها المثمرة وخيرها الوفير ونظمها
الدقيق في الزرع والارواء " ^(٧) . وقد عرفت بلنسية بأنها سهلية في

(١) البونت Alpuente هى قرية من أعمال بلنية ، ويصفها ابن سعيد بأنها معقل من المعقل
الرفيعة والشوايق المنيرة ، استقل بها بنو قاسم الفهرى في عصر ملوك الطوائف .
- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .

- الحميرى : الروض المعطار (د . إحسان) ، ص ١١٥ .

(٢) القنت Alicante وهى مرسى يطل على البحر الأبيض المتوسط تقع بين مرسية وبلنسية ،
وكانت تعد في العصر الإسلامى من كورة تدمير ، واشتهرت بنبات الحلفاء وصناعة
المراكب ولها قصبة منيرة في أعلى جبل .

- الانريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٣ .

- الحميرى : المصدر السابق ، ص ٥١١ .

- محمد الفاسى : الاعلام الجغرافية الأندلسية (مجلة البيئة) ، ص ٢٠ .

(٣) ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ .

- ليفى بروفنسال : مادة بلنسية ، دائرة المعارف الإسلامية ، م ٤ ، ص ١١٨ .

(٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ ؛ أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٧٩ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

(٥) محمد الفاسى : الاعلام الجغرافية الأندلسية ، ص ٢٣ .

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٩٧ .

(٧) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .

- مؤلف مجهول : نكر بلاد الأندلس ، ص ٧٣ . =

مستوى الأرض ^(١) ، وتتوافر فيها المتنزهات والمنتجعات وأشهرها الرصافة ^(٢) ، ومنية ابن أبي عامر ^(٣) .

وتميزت بلنسية بمناخ معتدل لا أثر في سمانها لغبار أو رياح تكدر الأجواء ، ويعبر ابن سعيد عن ذلك بقوله " ويقال أن ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس ، وجوها صقيل أبداً ، لا ترى فيه ما يكدّر خاطراً ولا بصراً ، لأن الجنات والأنهار أهدقت بها ، فلم يثر بأرجائها تراب من سير الأرجل وهبوب الرياح فيكدر جوها ، وهوؤها حسن لتمكنها من الاقليم الرابع ، وأخذها من كل حسن بنصيب ... " ^(٤) .

وقد تغنى شعراء الأندلس برياضها الوارفة ونسيمها العليل الذي ينعش الأنفس ويريح الأبدان من ذلك قول ابن خفاجة ^(٥) :

أحس المدامة ، والنسيم عليل وانطلق خفاق الرواق ، ظليل
والنور طرف قد تنبه دامع والماء مبتسم يروق ، صقيل

= القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .

(١) الحميري : الروض المعطار ، ص ٩٧ .

(٢) هذه الرصافة التي يطلق اسمها حتى اليوم Ruzafa من إنشاء الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الداخل ، وذلك عندما استقل ببلنسية احتجاجاً على تولية الحكم بن هشام إمارة قرطبة ، وقد عرف لذلك بعبد الله البلنسي ، ويقول ابن سعيد عنها " وبرصافة بلنسية مناظر وبساتين ومياه ، ولا نعلم في الأندلس ما يسمى بهذا الاسم إلا هذه الرصافة ورصافة قرطبة " .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٨١ .

- وأغفل ابن سعيد رصافة هشام بن عبد الملك في بادية الشام ورصافة بغداد إجدى ضواحيها .

(٣) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .

- المقري : نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .

(٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٥) هو أبو اسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر ، ولد سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٨٥ م في جزيرة شقر من أعمال بلنسية .

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) : " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨ م ، الجزء الأول ، ص ٥٦ - ٥٧ .

وتطلعت من برق كل غمامة
حتى تهادى خوطه أيكسة
عطف الأراكة فانتثنى شكراً له
فألروض مهتز المعاطف نعمة
ويصف ابن الزقاق جمال وادبها وسهلها بقوله :
بلنسية إذا فكرت فيها
وأعظم شاهدي منها عليها
كساها ربنا ديباج حسن
وفي كل أفق راية ورعيل
ريا ، وعضت تلة ومسيل
طرباً ، وردع في الغصون وهديل
نشوان تعطفه الصبا فيميل^(١)
وفي آياتها أسنى البلاد
بأن جمالها للعين باد
له علمان من بحر وواد^(٢)

وفي أراضيها الخصبة كانت تزرع أنواع كثيرة من الفواكه والمحاصيل الزراعية من أشهرها الزعفران ، والأرز الذي يحمل إلي جميع أرجاء الأندلس^(٣) ، والكروم وأشجار التين والزيتون^(٤) ، والكمثرى وتسمى الارزه^(٥) Perus de san Juan ساعدت هذه الثروة الزراعية التي امتازت بها بلنسية على أن تزدهر فيها بعض الصناعات وأشهرها صناعة : النسيج البلنسي الذي كان يصدر إلي أقطار المغرب^(٦) وبالإضافة إلي ذلك أدت وفرة المنتجات الزراعية

(١) ابن خفاجة (أبو اسحاق إبراهيم بن أبي الفتح الأندلسي) ديوان ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٢٠٦ .

(٢) ديوان ابن الزقاق البلنسي : تحقيق عفيفة ديرانى ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤ م ، ص ١٣٩ .

- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن) : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، وحامد عبد المجيد ، القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ١٠٨ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

(٣) العزري : ترصيع الأخبار ، ص ١٧ .

- القزويني (زكريا بن محمد بن محمد) : أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٩ م ، ص ٢٨٥ .

(٤) البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ١٢٧ .

- ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ .

(٥) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

- لهذا يقول الكاتب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار في رسالة يرثي بلنسية في وصف رائع " أين بلنسية ومغانيها وأغاريد ورقها وأغانيها ، أين حلى رصافتها وجسر ها ، ومنزل عطائها ونصرها ، أين أفيائها تندى غضارة ونكاؤها تبدو من غضارة ، أين جداولها المنساحة وخمائنها ، أين جنانها النفاحة وشمائلها ... " .

- الحميري : الروض المعطار (د. إحسان) ص ١٠٠ .

(٦) ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ =

والصناعية في بلنسية إلى نشاط الحركة التجارية من تصدير إلى الشرق الإسلامي واستيراد منه ومن المغرب ^(١) ، ومن صادراتها الأرز الذي يجود في أراضيها وكان يحمل إلى جميع بلاد الأندلس ^(٢) .

كان لوفرة خيرات بلنسية وازدهارها الاقتصادي أعظم الأثر فيما نعم به أهلها من ترف ورخاء ^(٣) ، وفقد اتصف أهل بلنسية بصفات خاصة ميزتهم عن غيرهم من سكان مدن الأندلس في رقة الطباع وطيب النفس ، يقول العنري : " وقد أطبعت مدينة بلنسية بقلّة الهم ، لا تكاد ترى فيها أحداً من جميع الطبقات إلا وهو قليل الهم ، مليوناً كان أو فقيراً ، وقد استعمل أكثر تجارها لأنفسهم أسباب الراحة والفرج ، ولا تكاد تجد فيها من يستطيع على شيء من دنياه إلا وقد أخذ عند نفسه مغبنة وأكثر من ذلك ، وإنما يتفاخر أهلها بكثرة الأغاني يقولون عند فلان عودان وثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك ^(٤) " . إلا أن هذا المجتمع إلى جانب نزعة اللاهية لم يكن يحيد عن الفضائل والشمائل الكريمة ، وقد امتدح الشقندي أهلها في رسالته فقال : " وأهلها أصلح الناس مذهباً وأمتنهم ديناً ، وأحسنهم صحبة وأرفقهم بالغريب " ^(٥) فيهم نباهة وذكاء وظرف ، وهي دار علم وفقه وآداب خرج منها جملة من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء وأهل اللغة ^(٦) .

وإذا كانت بلنسية في عصر الولاية مجرد بلد خامل الذكر قليل الشأن ^(٧) فإنها بدأت تعمر وتزدهر في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل بحيث أصبحت مركزاً لكورة تحمل أسمها ويقيم بها والرينوب

= - المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

(١) الحميري : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٢) العنري : المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٣) الحميري : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٤) العنري : المصدر السابق ، ص ١٨ .

- الحميري : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٥) الحميري : الروض المعطار ، ص ٩٧ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

(٦) مؤلف مجهول : نكر بلاد الأندلس ، ص ٧٣ .

(٧) بروفنسال : مادة بلنسية ، دائرة المعارف الإسلامية ، ص ١١٨ .

عن السلطة المركزية في قرطبة ، وواصلت بلنسية نموها واتساع عمراتها وخططها حتى أصبحت حاضرة شرق الأندلس وتمهدت لها 'العوامل الأساسية التي مكنتها من الاستقلال في مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) عند اندلاع نار الفتنة البربرية ^(١).

(٣) الخصائص الجغرافية لمدينة طرطوشة: ^(٢)

طرطوشة مدينة عظيمة من بناء الرومان ^(٣) تقع على بعد مائة وعشرة أميال من بلنسية ^(٤) على الضفة الغربية من نهر إيريه ^(٥)، وتبلغ المسافة من طرطوشة إلى موقع النهر في البحر اثني عشر ميلاً ^(٦) ومنها طركونة ^(٧) التي تتصل بأحوازها خمسون

^(١) مؤنس (دكتور حسين) : فجر الأندلس ، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٩ م ، ص ٥٨٧ ، ٥٨٨ .

^(٢) ورد لفظ طرطوشة في المصادر العربية بضم الطائين المهملتين ، وبينهما راء ساكنة ثم واو ساكنة وشين معجمة وفي آخرها هاء .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، طبعة ١٩٥٧ ، ص ٣٠ .

- أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٨٠ .

^(٣) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٧٤ .

^(٤) ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٦ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩١ .

- بينما يذكر الرازي أن المسافة بين بلنسية وطرطوشة ١٥٠ ميلاً .

Levi - Provençal : La description de L' Espagne , p . 72 .

^(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

- ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٧٤ .

Levi - Provençal : Op , Cit , p . 72 .

- وانظر الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ٨٣ ، ١٠٣ .

- القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٤٤ .

^(٦) الإدريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٠ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩١ .

- بينما يذكر صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس ، أنها تقع على بعد ثمانية عشر ميلاً من مصب النهر في البحر . (مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١١) .

^(٧) طركونة Tarragona مدينة أولية على ساحل البحر المتوسط ، متوسط المسافة بين مدينة طرطوشة وبرشلونة ، ومعالمها باقية لم تتغير ، وهي أكثر البلاد رخاماً محكماً ، وسورها من رخام أسود وأبيض .

Levi - Provençal : La Description de L ' Espagne , p . 73 .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

- القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٤٥ .

ميلا^(١) ، وتقع طرطوشة على سفح جبل ، وتقوم قصبتها على صخرة عظيمة الارتفاع من المتعذر على أى مهاجم الوصول إليها لمنعتها وعظم إرتفاعها^(٢) ويقع إلى الشرق من القصبة جبل الكهف ، والمصلى . أما المدينة فيمتد عمرانها غربى القصبة وإلى الشمال منها ، ويحوط المدينة سور من الحجر منيع من بناء بنى أمية على أساس سورها القديم ، وينفتح في هذا السور أربعة أبواب كلها ملبسة بالحديد ، وللمدينة أرباض تطل على حومة الجوف والقبلة ودار الصناعة وقد طوقت جميعاً بأسوار منيعة ، ولها مسجد جامع يتألف بيت الصلاة فيه من خمس بلاطات وصحنه واسع ، ولها أيضاً أربع حمامات ، أما أسواق ربضها القبلى فجامعة لكل صناعة ومتجر ، وتعتبر طرطوشة بوقوعها على البحر المتوسط باباً من أبواب البحر ، ومرقى من مراقبه ينتجها التجار من كل صوب ، ودار الصناعة بطرطوشة تنتج المراكب الكبار من خشب الصنوبر الذى تتوفر غاباته في جبالها ، ولا يوجد له نظير في الطول والغلظ ومنه تتخذ الصوارى والقرى ، وهو خشب أحمر صافى البشر دسم لا يتغير ولا يفعل به السوس ما يفعله في غيره من الخشب ، وهو خشب معروف منسوب إلى طرطوشة^(٣) .

= ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٦ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٧٢ .

- الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩٢ .

(١) الادريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

- ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٦ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٧٥ .

- الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩١ .

Levi - Provençal : Op , Cit , p . 72 - 73 .

(٢) الادريسي : المصدر السابق ، ص ٩ .

- الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

- يصفها عبد الملك بن إدريس الجزيرة بقوله :

في رأس أجرد شاهق عالى الفرى ما بعد لمؤمل من مبصر

يهوى إليه كل أجرد ناعب وتهب فيه كل ريح صرصر

ويكاد من يرقى إليه مرة من دهره يشكو انقطاع الأبهر

- الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩١ .

(٣) الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

- الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩١ .

- سالم ، العبادى : البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٥٧ .

وكانت طرطوشة مركزاً علمياً هاماً في الأندلس ، وإليها ينتسب الفقيه الإمام الزاهد ، أبو بكر الطرطوشي الفهرى نزيل الاسكندرية الذى أهدى كتاب سراج الملوك للوزير المأمون البطائحي ^(١) .

(٤) الخصائص الجغرافية لمدينة دانية: ^(٢)

دانية مدينة قديمة قام الفينيقيون بتأسيسها وكان أول اسم حملته Hemeroscopium ومعناه " مرآة النهار " إلى أن أطلق عليها الرومان اسم ديانيوم Dianium نسبة إلى هيكل منسوب إلى الآلهة ديانا Diana كان قائماً بحذاء الحصن القائم بدانية ، وقد تحول هذا الاسم الرومانى في اللغة العربية إلى دانية ، وفي الإسبانية Denia ^(٣) .

تقع مدينة دانية على ساحل البحر المتوسط جنوب شرقى بلنسية وفي منتصف المسافة ما بين بلنسية والقنت (Alicante) وتدخل في نطاق أعمال بلنسية ^(٤) .

-
- (١) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ .
 - الشيال (دكتور جمال الدين) : أعلام الاسكندرية في العصر الإسلامى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٧٧ .
 - سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ م ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
 (٢) ورد لفظ دانية في المصادر العربية : " بفتح الدال المهملة وألف ثم نون مكسورة ثم ياء مثناة تحتية مفتوحة وهاء من الآخر " .
 - ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ .
 - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٣٣١ .
 - أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .
 - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٣٢ .
 (٣) زييولد : مادة دانية ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١ ، ص ٩٦٣ .
 - كليلىا سارنللى : مجاهد العامرى ، ص ٢١١ .
 - محمد الفاسى : الاعلام الجغرافية الأندلسية " مجلة البيئة " ، ص ٢٧ .
 (٤) بينما يذكر الزهرى أن دانية من بنيان القوطيين .
 - الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص ١٠٣ .
 - ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ .
 - ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ .

وكانت دانية في العصر الإسلامي مدينة برية بحرية حصينة يحيط بها من جهة الجنوب جبل عظيم مستدير هو جبل قاعون LE Mongo يبلغ ارتفاعه ٧١٢ متراً ، أقيمت عليه قصبة منيعة ، وحواليها سبخة (مستنقع) تشكل مانعاً لمن يقدم على محاصرتها ، ويحوطها سور حصين من ناحية المشرق يمتد بحذاء الساحل ، وكانت مدينة عامرة عمرانها متصل ، ولها أقاليم واسعة كثيرة التين والزيتون والعنب واللوز ، أما مرساها ويسمى السمان فكان مقصوداً للسفن الصادرة والواردة وكانت دار صناعة لإنشاء السفن ^(١) ، ومنها كان يخرج الاسطول للغزو ، وإليها كانت تحمل الأخشاب من مدينة قلصة (بجوار كونكة Cuenca) فقد كان الخشابون يقطعون أشجار الصنوبر من غابات قلصة ويلقون بها في ماء النهر فيدفعها التيار إلى المصب عند جزيرة شقر ^(٢) ومن هناك إلى حصن قلييرة ^(٣) حيث توسق بها السفن وتحملها إلى دانية لتصنع منها السفن والقطائع ^(٤) ، وما زاد منها كان يتخذ في بنيان بلنسية ، وعلى هذا النحو اتخذت المجارى المائية وسيلة لنقل الأخشاب الصنوبرية إلى دانية ، وكان ذلك من أسباب ازدهار هذه المدينة وظهورها كقاعدة بحرية رئيسية في شرق الأندلس ، بالإضافة إلى شهرتها كمركز هام للتجارة البحرية بين الشرق والغرب ، وكان ذلك عاملاً من عوامل ثرائها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ^(٥) فظهرت في

=- ارسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ ، ص ٢٩٥ .

(١) العنري : ترصيع الأخبار ، ص ١٩ .

- الادريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٢ .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .

- ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٧٥ .

- الحميري : الروض المعطار (د. إحسان) ، ص ٢٣١ .

(٢) شقر جزيرة حسنة البقاع كثيرة الأشجار والثمار والأنهار .

- الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

(٣) قلييرة: حصن منيع على نهر شقر قد أحرق البحر به .

- الادريسي : نفسه ، ص ١٩٣ .

(٤) الادريسي : المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .

- السيد عبد العزيز سالم : البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

(5) Chabas (Roque): Mochechid hijo de Yusuf Y Aly hijo de Mochechid , Saragoza , 1904 , p . 417 .

هذا القرن كمدينة عامرة بعد أن كانت حتى طلعة القرن الرابع الهجرى خاملة الذكر قليلة الأهمية ، وقد بدأت شهرتها منذ أن أسس فيها عبد الرحمن الناصر دار صناعة بحرية ، ومركزاً بحرياً وقاعدة لرد غارات القراصنة بل ولمهاجمة سواحل فرنسا الجنوبية والجزر القريبة منها ، ثم سطع نجمها وتآلق اسمها منذ أن استقل بها مجاهد العامرى في عصر دويلات الطوائف ^(١) ، وأصبحت على حد قول ابن سعيد " مدينة عظيمة ، مشهورة الذكر ، جليلة القدر متوارثة المملكة مدة ملوك الطوائف " ^(٢) .

ومن أشهر أعمال دانية قسنطينية ^(٣) وبطروش ^(٤) وأنداره ^(٥) وحصن بكيران ^(٦) وحصن بيران ^(٧) .

(٥) الخصائص الجغرافية لجزر البليار Islas Baleares

هى أربعة جزر أكبرها ميورقة Mallorca ثم منورقة Menorca ثم يابسة Ibeza وأصغرها فرمنتيرا Formentera التى تقع جنوبى جزيرة يابسة ^(٨) وتمتد هذه الجزر بحذاء الساحل الشرقى من شبه

(١) السيد عبد العزيز سالم : البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص ١٧٥ .

(٢) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .

(٣) قسنطينية Cocentaiana حصن جليل عامر أهل وبجباله معادن الحديد ومنه يتجهز إلى جميع أقطار الأندلس .

- الأدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٢٠٧ .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٤٩ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٤٧ .

(٥) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤١ .

(٦) بكيران Becairente حصن منيع عامر كالمدينة وله سوق مشهور ، وحوله عمارات متصلة ، وبينه وبين دانية ٤٠ ميلاً .

- الأدريسى : صفة المغرب ، ص ١٩٢ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤١٧ .

- أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٧٨ .

(٧) ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

- الحميرى : المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٨) عنان : دول الطوائف ، ص ١٨٥ ، ٢٠٢ .

- الحجى (دكتور عبد الرحمن على) : التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، الطبعة الثالثة ، دار القلم ، دمشق ١٩٨٧ م ، ص ٤٤ .

جزيرة ايبيريا تجاه سواحل دانية وشقر وبلنسية وبريانية وطرطوشة ،
ومن هنا فإن هذه الجزائر تدخل في نطاق شرق الأندلس ، ويعتبر
تاريخها جزءاً لا يتجزأ من تاريخه .

وقد كان للموقع الاستراتيجي الهام الذي تشغله هذه الجزر في
أقصى الطرف الغربي من حوض البحر المتوسط أعظم الأثر في
التنافس الشديد بين القوى الإسلامية والمسيحية في تلك لمنطقة
 للسيطرة عليها في العصور الوسطى ^(١) بحيث يمكن القول أن حرص
المسلمين على السيطرة على تلك الجزر ذات المواقع الهامة كان
بدافع دفاعي ، فقد كانت جزر البليار تحمي الساحل الشرقي من
الأندلس وتؤلف خطاً دفاعياً أمامياً ^(٢) ، وعرفت بالجزائر الشرقية
لوقوعها شرقي الساحل الأندلسي المطل على البحر المتوسط واسم
أبزر هذه الجزر وهي ميورقة ^(٣) مشتق من اللاتينية Majorica أى
الكبرى ^(٤) ، ويجاورها من جهة الشرق جزيرة منورقة وبينهما
مجرى في البحر طوله أربعون ميلاً ، وتليها جزيرة سردانية وبينهما
في البحر مجريان ، أما من جهة الغرب فتجاورها جزيرة يابسة
وبينهما مجرى في البحر طوله سبعون ميلاً ، ويبلغ طول ميورقة من
الغرب إلى الشرق سبعون ميلاً وعرضها من الجنوب إلى الشمال
خمسون ميلاً ^(٥) ، وتتخللها بحيرة يبلغ محيطها تسعة أميال ، وتقع
مدينتها بلمة بجهتها الجنوبية ، ويدخلها ساقية جارية على الدوام ،
وواد شتوى يشق المدينة ^(٦) ، هذا بخلاف عدد من الحصون

(١) أبو الفضل (دكتور محمد أحمد عبده) : شرق الأندلس في عصر دولة الموحدين ،
رسالة دكتوراه ، جامعة الاسكندرية ١٩٨٠ ، ص ١٦ .

(٢) لويس (ارشيبالد) : القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة الأستاذ
أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٢٤٩ .

(٣) ميورقة : بالفتح ثم الضم وسكون الواو والراء يلتقى فيها ساكنان وقاف مفتوحة وهاء .
- ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في تاريخ الخلفاء ، ص ١٢٨ .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ .
(٤) وتبلغ مساحتها ١٤٠٥ ميل ٢ = ٣٦٤٠ كم ٢ أى ما يعادل ثلاثة أرباع مساحة جزر البليار
بأجمعها .

- دائرة المعارف الأمريكية ، ج ١٨ ، طبعة ١٩٦٣ م ، ص ١٦٨ .

(٥) الانريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٢١٤ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٧ .

(٦) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ = .

والجزيرة بوجه عام غير منتظمة الشكل لكثرة الخلجان والفجوات في سواحلها ، ومتجانسة إلى حد ما في القطاع الشمالي الشرقي ، وفي جهتها الشمالية الغربية تمتد سلسلة شامخة من الجبال تحميها من تأثير الرياح الشمالية الباردة .

وجزيرة ميورقة من أخصب البلاد وأكثرها زرعاً ورزقاً وماشية ، وهي مع انقطاعها من الأندلس مستغنية عنها ، يصل فاضل خيرها إلى غيرها ، ويمتدح الشقندي في رسالته المشهورة وغيره من جغرافى الأندلس ومؤرخيها جمال جزيرة ميورقة وبسالة أهلها ووفرة ثرواتها ^(١) ، وعرفت ميورقة بأنها معدومة الجوانح قليلة الآفة نادرة الوحوش الضارية ، وبغالها مشهورة بحسن السير وسرعة المشى وعظم خلتها ، وحسن ثباتها ، واختلاف ألوانها ، وجمال مناظرها وعلو ظهرها وصحة قوائمها ^(٢) وفي وصف ميورقة يقول ابن اللبانة :

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووس
فكأنما الأنهار فيه مدامة وكان ساحات الديار كؤوس ^(٣)

وتقوم ميورقة على أرض مرتفعة ، بحيث تعلو على مستوى البحر من كل ناحية فلا يقدر أحد أن يطلع إليها ولا يهبط منها ، ويحيط بميورقة سور مرتفع يتقدمه سور أمامى أقل ارتفاعاً يفصل

= أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٩٠ - ١٩١ .
- أنظر المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦٩ .
- دائرة المعارف الأمريكية ، ج ١٨ ، ص ١٦٨ .
^(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٠٩ - ١١٠ .
- الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص ١٢٩ .
- ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٤٦٦ .
- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .
^(٢) الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص ١٢٩ .
- أنظر المراكشى : المعجب ، ص ١٧٧ .
^(٣) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .
- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦٩ .
ومع اختلاف بسيط في بعض كلمات البيت الثانى .
- أنظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

بينهما خندق ، وينفتح في السور خمسة أبواب ^(١) ، ويتوسط المدينة مسجدها الجامع وإلى جواره تقع قيسارية العطارين ، أما دار الصناعة فتقع على مقربة من ساحل البحر ^(٢) .

أما منورقة ^(٣) فكان يطلق عليها زمن الفينيقيين اسم La Nura وهي ثانية جزر البليار من حيث المساحة وأكثرها بعداً عن الساحل الشرقي لشبه جزيرة أيبيريا ، إذ تقع إلى أقصى الشمال الشرقي من مجموعة جزر البليار على بعد نحو ٤٠ كيلو متراً إلى الشمال الغربي من ميورقة ^(٤) ، وتقابل القوس الساحلي لشبه الجزيرة الممتد من برشلونة شمالاً إلى دانية جنوباً ^(٥) وكانت في العصر الإسلامي جزيرة عامرة ^(٦) خصبة مستطيلة قليلة العرض ، يتوسطها حصن منيع ^(٧) ومن أهم مدنها ماهون Mahon وهي العاصمة والقلعة Ciudadela ^(٨) ويوجد على سواحل الجزيرة خلجان عميقة لاسيما في ساحلها الشمالي كخليج البحيرة Albufera والضبعة Aldaya ومنورقة أقل اعتدالاً في المناخ أقل تعرضاً لسقوط الأمطار عن جزر البليار الأخرى بسبب تعرضها للرياح الشمالية الباردة .

أما يابسة ^(٩) فهي ثالثة جزر البليار ، وأصغر من جزيرتي ميورقة ومنورقة في المساحة ، وتقع إلى الجنوب الغربي منهما ،

(١) الزهرى : المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

(٢) السيد - بد العزيز سالم : الجزر الشرقية ، دائرة معارف الشعب ، ص ٨٧ .

(٣) ميورقة بفتح الميم وضم النون وراء مهملة ساكنة وقاف مفتوحة وهاء .

- ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١٦ ؛ أبو الفداء : المصدر السابق ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٤) دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٥ طبعة ١٩٦٩ م ، ص ٥٤٢ .

(٥) يذكر الإدريسي أنها تقابل مدينة برشلونة وبينهما مجرى .

- الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٢١٤ .

- الحميري : الروض المعطار (د. إحسان) ، ص ٥٤٩ .

(٦) الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص ١٢٩ .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١٦ .

(٧) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٩ ؛ أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٨) زيبولد : مادة جزر البليار ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١ ، ص ٦١٧ - ٦١٨ .

(٩) يابسة Ibiza بفتح الياء المثناة من تحت وألف وياء موحدة مكسورة وسين مهملة مفتوحة

ثم هاء . =

ويقال لهذه الجزيرة ولمنورقة ، بنتا جزيرة ميورقة ^(١) - لأنهما أصغر منها - وتبعد دانية عن جزيرة يابسة مائة ميل ^(٢) ، ويبلغ طول جزيرة يابسة عشرة فراسخ ^(٣) ، وعرضها ثمانية ^(٤) ، وكانت هذه الجزيرة قديماً مستعمرة فينيقية تعرف باسم ايبيسوس Ebyssos وفي عام ٦٥٤ ق . م أسس القرطاجيون فيها قاعدة بحرية .

وكانت يابسة في العصر الإسلامي جزيرة خصبة على خلاف ما يدل عليها اسمها ^(٥) ، كثيرة الشجر والكروم والأعناب ، وكان يجري بها أنهار جارية مما أتاح الفرصة لقيام قرى كثيرة وعمائر متصلة ، واشتهرت يابسة بأشجار الصنوبر الجيد العود للإنشاء وعدد المراكب ^(٦) ، ولقد كان لكثرة تعرجات ساحلها أعظم الأثر في تعدد مراسيها ، وقد لاحظ ذلك الحميري فذكر أن ليابسة عشرة مراسي ، ويتصل بيابسة من جهة الجنوب الشرقي جزيرتان صغيرتان تتخللهما مجازات تسمى الأبواب ^(٧) أحدهما هي الجزيرة المعروفة اليوم باسم فرمنتيرا ^(٨) .

= أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٩٠ .

(١) الحميري : الروض المعطار ، مادة يابسة ، ص ٦١٦ .

(٢) يقول الإدريسي " من دانية إلى جزيرة يابسة تسعون ميلاً شرقاً ومن جزيرة يابسة إلى جزيرة ميورقة مائة ميل " .

- الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٦١٦ .

(٣) الفرسخ : يعادل ثلاثة أميال ، أنظر : المقرئ الفيومي (أحمد بن محمد بن علي) المصباح المنير ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ٤٦٨ .

(٤) الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص ١٢٨ .

- وراجع القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٨٢ .

(٥) ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ١٣٠ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٧٠ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٢٤ .

- القزويني : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

- الحميري : المصدر السابق ، ص ٦١٦ .

- وأنظر : الزهرى : المصدر السابق ، ١٢٨ - ١٢٩ .

(٧) الحميري : المصدر السابق ، ص ١٦١٦ .

- وأنظر : الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص ١٢٨ .

(٨) جزيرة فرمنتيرا " طولها عشرون ميلاً وعرضها ثلاثة أميال ، وهواؤها طيب وتربتها كريمة ، ومياه أبارها عذبة وبها عمارات ومزارع ، ولطيب هوائها وتربتها لا يوجد بها شيء من الهوام أصلاً ، وبها منبت الزعفران الجيد الغاية الذي لا يوجد في موضع خير منه " . =

ثانياً: الحقائق التاريخية

الصقالبة في الأندلس قبل قيام دول الطوائف

(١)

بداية ظهور العنصر الصقلبي في الأندلس

انتشرت تجارة الرقيق في العالم الوسيط ، وتعددت لذلك أسواق النخاسة لبيع الرقيق واستخدامهم ذكوراً وإناثاً في كثير من الأعمال المنزلية ، وكان الرقيق نوعين : الرقيق الأبيض والرقيق الأسود ، أما الأبيض من العنصر التركي والصقلبي فهو الذي سماه آدم متز " بأرسنقراطية العبيد " لتفضيل الناس لهم على السود لشجاعتهم ونجدتهم ^(١) وحسن صورهم ولهذا كانوا يبذلون الأثمان الغالية في شرائهم ^(٢) ، أما الرقيق الأسود فكان أكثر رواجاً لوفرتة وسهولة اجتلابه ورخص ثمنه .

ويتفق جمهور من الجغرافيين على أن الصقالبة ^(٣) كانوا ينزلون ببلغاريا العظمى وأن أراضيهم كانت تمتد من بحر قزوين إلي

= القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٤٩ - ٥٥٠ .
(١) نواير المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارون ، المجموعة الرابعة ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ٣٥٢ ، ٣٨٧ .
(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة الدكتور أبو ريدة ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٢٨٠ .
- أحمد مختار العبادي : الصقالبة في اسبانيا - لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية ، المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٥٣ ، ص ٧ .
(٣) والصقالبة من لفظ صقلب : بالفتح ثم السكون ، وفتح اللام وآخره باء موحدة ، قال ابن الأعرابي : والصقلب الرجل الأبيض ، وقال أبو عمرو : الصقلب الرجل الأحمر وقال أبو منصور : الصقالبة جبل حمر الألوان صهب الشعور يتأخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم ، وقيل للرجل الأحمر صقلب على التشبيه بالألوان الصقالبة وقال غيره : الصقالبة بلاد بلغار وقسطنطينية وتسبب إليهم الخرم الصقالبة وأحدهم صقلبي .
- ياقوت (عبد الله الحموي) : معجم البلدان ، ج ٣ ، بيروت ١٩٥٧ ، ص ٤٦ .
وأنظر : البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) جغرافية الأندلس وأوروبا ، من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجى ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٥٤ ؛ ولفظ صقلب Esclave فرنسي قديم يعنى عبد أو رقيق على أن =

البحر الادرياتي^(١) . وقد وصف ابن عبدون الصقالبة بأنهم عراض
الصدور شجعان^(٢) ، ويبدو أنهم كانوا من الكثرة بحيث كان الصقلبي
على حد قول الخوارزمي يستخدم في غيبة التركي^(٣) وينحدر
الصقالبة من ولد يافث بن نوح ، وإليه يرجع سائر أجناس
الصقالبة^(٤) .

=الأصل اللغوي للكلمة كما ورد في اللغة الصقلبية القديمة هو سلافينو Slaveninu ويقصد
بها سكان هذه البلاد من حيث الوطن ، وعرفت هذه الكلمة في اللغة اليونانية باللفظ
سقلابينوى (Sklabenoi) بإضافة الكاف (K) وكانت لا تزال تحمل نفس المعنى السابق ثم
أصبحت تدل منذ القرن السابع تقريباً على معنى " العبد " (Sklavos) ولعل هذه التسمية قد
عرفت عند العرب وقت صراعهم مع الامبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي ،
إذ كان بعض الصقالبة يحاربون في الجيش البيزنطي كجند مرتزقة على حدود هذه
الامبراطورية .

وتعتقد كليليا سارنللي أن هذه الكلمة انتقلت إلى اللغة اللاتينية Sclavus الحديثة نقلاً عن
اليونانيين إلى اللغات الفرنسية Esclave والالمانية Sklave والانجليزية Slave حوالي القرن
الثالث عشر أو الرابع عشر .

- كليليا سارنللي تشاركوا : مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط
في القرن الخامس الهجري ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦١ م ، ص ٣ .
Levi - Provencal : Histoire de L ' Espagne Musulmane , t , II , Alger , 1944 , p . 363 .

(١) الادريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني) نزهة
المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، المجلد الثاني ، القاهرة ، بدون تاريخ ،
ص ٩١٨ .

- البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

- أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد : " رسالة بن فضلان في وصف الرحلة إلى
بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة " ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ، الطبعة الثانية ،
مكتبة الثقافة العالمية ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ١١٧ .

- ابن عبد البر (أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي) : القصد والأمم في
التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ، القاهرة ١٣٥٠ هـ ، ص ٣٥ .

- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ،
بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٦١٢ .

(٢) نوافر المخطوطات ، ج ٤ ، ص ٣٧٢ .

(٣) الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) : يتيمة الدهر في محاسن أهل
العصر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت
١٩٧٣ ، ص ١٩٦ .

(٤) السعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي) : مروج الذهب ومعادن الجوهر " ،
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ٤ ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت
١٩٨٣ م ، ص ٣٢ - ٣٤ .

- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبی) : " كتاب صورة الأرض " -
القسم الأول ، الطبعة الثانية ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٣٨ ، ص ١٠٦ . =

وأصبح هذا اللفظ عند العرب يدل إجمالاً على الرقيق الأبيض الذي يرد من أمم المسيحية ^(١) حتى أولئك الذين يؤتى بهم من جنوب فرنسا أو من بلاد جليقية ، وفي ذلك يقول ابن حوقل : " وبالأندلس سلع كثيرة ترد إلي مصر والمغرب وأكثر جهازهم الرقيق من الجوارى والغلمان من سبى أفرنجة وجليقية ، والخدم الصقالبة وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان من جلب الأندلس " ^(٢).

وقد استخدم الأمويون في الأندلس هؤلاء الصقالبة في البلاط الخلافي ، وفي الإدارات الحكومية وعرفوا بالفتيان والخلفاء ^(٣) ، وأطلق عليهم ابن بسام " المجابيب " ^(٤) وسموا كذلك " بالخرس " لعجمتهم ، كما عرفوا " بالمماليك " ^(٥) وكذلك " العلوج " ^(٦).

=- الكبرى (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن على الحجى ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٨ م ، ص ١٥٧ .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤١٦ .

- الحميرى (أبو عبيد الله محمد بن عبد المنعم) : " الروض المعطار في خبر الأقطار " ، تحقيق د. إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مكتبة لبنان ١٩٨٤ ، ص ١١٧ .

^(١) Isidro de Las Cagigas : Los Mozarabes , Tomo II , Madrid , 1948 , p . 336 .

- جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، مراجعة د. حسين مؤنس ، الجزء الخامس ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ٣٦ .

- د. لطفى عبد البديع : الإسلام في أسبانيا ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ٣٦ .

^(٢) ابن حوقل : صور الأرض ، ص ٧٧ ، ٨٥ .

- شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، نسخة مصورة عن طبعة بيروت ، ١٣٥٢ هـ ، ص ٢٠٩ .

^(٣) ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القرطبى) : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، القاهرة ، بيروت ١٩٨٢ م ، ص ٩١ - ٩٢ .

- ابن حيان : المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٥٣ ، ١٧٠ ، ٢٠٤ .

- ابن حيان : المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ج ٥ ، ص ٧٤ .

- ابن عذارى المراكشى (أبو العباس أحمد بن محمد) : " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " الجزء الثالث ، تحقيق كولان ، وليفى بروفنسال ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ١٠ .

Levi - Provençal : L' Espagne Musulmane au Xeme Siecle , Paris 1932 , p . 54 .

^(٤) ابن بسام (أبو الحسن على الشنترينى) : " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " تحقيق د. إحسان عباس ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩ م ، ص ١٤ .

- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٦٣ .

^(٥) المقرئ (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق د. إحسان عباس ، ج ١ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٣٣٨ .

^(٦) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٤١ =

ويذكر " ابن حوقل " الذى زار أسبانيا في القرن الرابع "هجرى (العاشر الميلادى) أن مواطن الصقالبة لم تكن وقفاً على سواحل البحر الأسود ، بل كانوا يأتون بهم من بلاد الانكبردين Lombardia وقلورية Calabria وجليقية Galicia ^(١) ، وبعض الصقالبة كانوا يؤخذون من المناطق التى يغير عليها غزاة البحر الأندلسيين ، وبضعهم كان يشتري من الموانى الإيطالية ^(٢) وكان للصقالبة سوقاً نافقة في الأندلس ، إذ كان يقتنيهم أهل الأندلس للخدمة أو للقتال بينما يتخذون الاناث جوارى للتسرى بهن ^(٣) .

وكان الطريق الرئيسى لتجارة الرقيق الصقالبة إلى العالم الإسلامى يبدأ من شرق ألمانيا إلى إيطاليا وفرنسا ومنها إلى الأندلس

= ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٩ .

- ابن خلدون : المقنمة ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٢٦١ .

^(١) يقول ابن حوقل " ومن مشهور جهازهم الرقيق من الجوارى والغلمان الروقة من سبى افرنجة وجليقية ، والخدم الصقالبة ، وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة والخصيان فمن جلب الأندلس ، لأنهم عند قربهم منها يخصون ويفعل ذلك بهم تجار اليهود والصقالبة قبيل من ولد يافث ، وبلدهم مستطيل واسع ولغزاة خراسان من ناحية البلغار بهم اتصال ، فهم إذا سبوا هنالك تركوا فحولة على أحوالهم مقرورين على صحة أجسامهم ، وذلك أن بلد الصقالبة طويل فسيح ، والخليج الأخذ من البحر المحيط بنواحي ياجوج وماجوج يشق بلدهم ويسمر مغرباً إلى نواحي اطرابزنده ثم القسطنطينية ويقطع ناحيتهم بنصفين : فنصف بلدهم بالطول يسببه الخراسانيون ويصلون ، والنصف الشمالى يسببه الأندلسيون من جهة جليقية وافرنجة وانكبردة وقلورية " .

- ابن حوقل : صورة الأرض ، القسم الأول ، ص ١٠٥ - ١٠٦ . وراجع :

- R . Dozy : Spanish Islam B . III , p . 430 .

- Aguado Bleye : Manual de Historia de Espana , t , I , p . 412 .

- Hussain Mones : Essai Sur la chute du Califat Umayyade de Cordoue en 1009 (Le Caire 1948) p . 36 .

- Isidro de las Cagigas : Los Mozarabes , t , II , p . 336 .

- Levi - Provencal : Histoire , t , II , p . 363 .

- ليفى بروفنسال : الحضارة العربية في أسبانيا (مترجم) ص ١٠٨ .

- العبادى : الصقالبة في أسبانيا ، ص ٩ .

- العبادى : الإسلام في أرض الأندلس ، مجلة عالم الفكر ، وزارة الإعلام ، الكويت ١٩٨٤ ، ص ١٢٥ .

(2) R . Dozy : Spanish Islam , A History of the Moslems in Spain , B. III , London 1913 , p . 430 .

(3) Charles Emanuel Dufourcq : La Vie Quotidienne dans l' Europe Medievale Sous la domination Arabe , Hachette 1978 , pp . 130 - 132 .

عن طريق نهر الرون وتطالونيا Hispanica ومنها إلى ثغر
بجانة Pechina^(١).

واستخدم الأمويون في إسبانيا الخصيان^(٢) منهم لخدمة
الحريم، وكان اليهود^(٣) يتولون مهمة جلب هؤلاء الخصيان ويجنون
من وراء تجارتهم فيها أرباحاً طائلة وكانت لهم في فردان
Verdun باللورين معامل للخصاء^(٤)، ويبدو أن جماعة من

(١) متر: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٦٨.

العبادي: الصقالبة في أسبانيا، ص ٨.

(٢) الخصيان: بلفظ الخصي الخادم - ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، بيروت ١٩٥٥، ص ٣٧٦؛ والخصاء عادة شرقية كانت شائعة قديماً بين الآشوريين والبابليين والمصريين القدماء وأخذها الأغريق عنهم، ثم انتقلت إلى الرومان فالفرنجة.

- فريال محمود قطان: نشأة الرق التركي والصقلبي في المجتمع الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير) جامعة الاسكندرية ١٩٨٠، ص ٩٣.

- وفي معامل الخساء يقول المقدسي "وأما البيض فجنسان الصقالبة وبلدهم خلف خوارزم إلا أنهم يحملون إلى الأندلس فيخصون ثم يخرجون إلى مصر والروم، يقعون إلى الشام واقور، وقد انقطعوا بخراب الثغور، وسألت جماعة منهم كيف يخصون فتحصل أن الروم يسلون أولادهم ويحرزونهم على الكنائس لنلا يشغلون بالنساء وتؤذيهم الشهوة وكان المسلمون إذا غزوا، أغاروا على كنائسهم وأخرجوا الصبيان منها، وأما الصقالبة فإتهم يحملون إلى مدينة خلف بجانة أهلها يهود فيخصونهم واختلفوا على هذا"، ثم يتبع ذلك شرح لعملية الخساء.

- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنا): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة المثنى ببغداد، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٦، ص ٢٤٢.

- Lopez (Emilio Molina): Algunos Consideraciones Sobre la Vida Socio-Economica de Almeria en el Siglo XI Y Primera Mitad del XII, Actas del IV Coloquio Hispano Tunecino, p. 188.

ومن المعروف أن استخدام الخصيان لخدمة الحريم في القصور إنما كان يحدث من قبيل الغيرة عليهن، وقد يتعرض الصبية أثناء عملية الخساء للموت، فإذا ما تمت العملية بسلام كانوا يباعون في أسواق النخاسة بالأندلس باثمان غالية تفوق ثمن الرقيق العادي.

- شكيب ارسلان: غزوات العرب، ص ٢١١؛

Levi - Provencal: Histoire, Op, Cit, t, II, p. 364.

- كليلى سارنللى تشركوا: مجاهد العامري، ص ٤.

Ch, - E. Dufourcq: La Vie Quotidienne: Op, Cit., P. 130.

(٣) المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ١٤٥.

Dozy: Spanish Islam, book III, p. 430.

- ليفى بروفنسال: الحضارة العربية في أسبانيا، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٥ م، ص ١٠٨.

(4)

Levi - Provencal: Histoire de L' Espagne Musulmane, t, II, p. 364.

المسلمين تعلموا صنعة الخصاء فصاروا يخصون ويستحلون
المثلة^(١).

وكان أغلب الصقالبة من الجنسین يحملون إلى اسبانيا
الاسلامية ، حيث يتولى النخاسون تربيتهم تربية إسلامية ، ويدربونهم
على أعمال القصر ، وبفضل هذه العناية بتنشأتهم تمكن عدد كبير من
الفتيان الصقالبة من شغل مكانة عالية في المجتمع القرطبي ، فكان
منهم الأدباء والشعراء والمشرّفون على مكتبة القصر الخلفي ودور
الطراز ، ودار السكة ، والقائمون بخطط البناء والبرد والمظالم
والمقلدون قيادة الجيش^(٢) ، واستطاع بعضهم أن يكون ثروات
طائلة ، ويقتنى العديد ويمتلك الأراضي .

ويعتبر عبد الرحمن الداخل أول من اصطنع العبيد الخصيان ،
فقد كانت دولته تقوم بادئ ذي بدء على العصبية والموالاة ، وكانت

Aguado Bleye (Pedro) : Manual de Historia de Espana , Tomo ,t, Madrid , 1947 ,
p . 412 .

- شكيب ارسلان : الحل السندسية ، ج ١ ، ص ٤٧ .
- العبادي : الصقالبة في اسبانيا ، ص ٩ .
- د. عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، بيروت
١٩٦٦م ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
- (١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٤٥ .
- شيب ارسلان : الحل السندسية ، ج ١ ، ص ١٤٨ .
- العبادي : الصقالبة في اسبانيا ، ص ٩ - ١٠ .
- (٢) R . Dozy : Spanish Islam B , III , p . 430 - 431 .
- Prieto Y Vives (Antonio) : Los Reyes de Taifas , Madrid 1926 , p . 8 .
- Levi - Provencal : Histoire , t , II , p . 364 - 365 .
- Levi - Provencal : L' Espagne Musulmane au Xeme Siecle , p . 30 .
- Aguado Bleye : Manual de Historia de Espana , t, I p . 412 .
- Isidro de las Cagigas : Los Mozarabes tomoII , Madrid 1948 , p . 336 .
- Hussain Mones : Essai sur la chute du Califat Umayyade de Cordoue en 1009 ,
(Le Caire 1948) pp . 29 , 36 , 39 .

- العبادي : الصقالبة في اسبانيا ، ص ١١ .
- العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، ص ٩١ .
- محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٦٢ ،
ص ٣٤ .
- محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، الكتاب الثاني ، القسم الأول ، الطبعة
الرابعة ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٢٤٩ .

عربية في بنائها وروحها بيد أن خروج بعض القبائل العربية عليه ، والخصومة بين القيسية واليمانية ، والثروات المتواصلة التي رفعوا لواءها ضده ، ونكثهم المتكرر بعهدهم ، حمله على الاسترابة بالعرب والحذر منهم ، فمال عنهم إلى اصطناع الموالى والبربر ، لاسيما بربر العدو (المغرب) وحشد حوله من الموالى والبربر والرقيق آلاف مؤلفة ، لتكون له وقت الحاجة عوناً يركن إليه ويثق به^(١).

واستحجب عبد الرحمن الداخل الخصى منصور ، وكان أول خصى يستحجبه الامويون بالأندلس ، وظل يتولى هذا المنصب في حياة عبد الرحمن^(٢) ، وأصبح استحجاب الخصيان تقليداً متبعاً وقاعدة ينتهجها خلفاء عبد الرحمن الداخل من بعده^(٣) لاسيما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي أصبح تحت تصرفه على الدوام جيشاً عدته أربعون ألف رجل لا يرون طاعة لأحد سواه^(٤) ، " ولا يأنفون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة^(٥) " ، وعلى الرغم من استرابة عبد الرحمن الداخل بالعرب فإنه لم يكن يقبل كثيراً على اصطناع الصقالبة مع انه هو أول من وضع سياسة اصطفاء الموالى والمماليك ، وحذا ابنه هشام الرضا حذوه ، وأتاحت حملاته المستمرة الموجهة إلى ألبه والقلاع وجرندة وأرض شرطانية واسترقه^(٦) الفرصة لوصول أفواج من الرقيق الصقلبي إلى الأندلس.

(١) مجهول المؤلف : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٩٦-٩٧

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٣٣ .

- عنان : دولة الإسلام ، الكتاب الثاني ، القسم الأول ، ص ١٩٨ .

(٢) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، مدريد ١٩٨٣ ، ص ١١٠ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٣٧ .

(٣)

Hussain Mones : Op , Cit , p . 43 .

- عنان : دولة الإسلام ، الكتاب الثاني ، القسم الأول ، ص ١٩٨ .

(٤) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٣٧ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٦١ .

(٦) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٢١-١٢٢ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٣٧-٣٣٨ .

وكان الحكم الربضي بن هشام الرضا أول من أحدث خطة المظالم بالأندلس ، فولى عليها مسرة الخصى^(١) ، وإليه يرجع الفضل في إنشاء أول بلاط ملوكي في الأندلس ، ورتب نظمه ورسومه ، فاستكثر من الموالى والحشم ، وأنشأ الحرس الخاص من الصقالبة ومعظمهم من فئ أربونة ورث بعضهم عن أبيه ، واقتنى عددا كبيرا منهم ، ففي عهده ظهر الصقالبة بكثرة لأول مرة في تاريخ الأندلس^(٢) بل عُرف عنه أنه كان يأمر بخصى من اشتهر بالوسامة من أبناء أهل بلده ، منهم طرفة بن لقيط ، ونصر صاحب منية نصر ، وشريح صاحب مسجد شريح^(٣) ، وبلغ عدد المماليك الصقالبة في عهد الحكم خمسة آلاف صقالبي منهم ثلاثة آلاف من الفرسان وألفان من الرجال وجعلهم يقيمون بباب قصره نوبا ، وجعل على كل مائة منهم قائدا^(٤) ، وعرفوا بالخرس^(٥) لعجمتهم ، وكان

(١) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٢٨ .

(٢) ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد) : الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .
Levi - Provencal : Histoire de L' Espagne , t. I . p . 132 , t. II , p . 105 .

- عنان : دولة الإسلام ، الكتاب الثاني ، القسم الأول ، ص ٢٤٩ .

(٣) ابن حزم (أبو محمد علي) : نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق د. شوقي ضيف ، مجلة كلية الآداب ، مطبعة جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٥١ م ، ص ٧٣ .

(٤) وكانت للحكم ألف فرس مرتبطة بباب قصره الجنوبي المطل على نهر الوادي الكبير " عليها عشرة من العرفاء تحت كل عريف مائة فرس ، فإذا بلغه عن ثائر ثار في أطرافه أمر ، عاجله قبل استحكام أمره ، فلا يشعر حتى يحاط به " .

- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٢٩ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٤ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٢٥ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٣١٨ .

- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٣٠ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٢٠ .

- السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ٥٦ .

(٥) الخرس : من المؤكد أن الصقالبة ، وقد جاءوا من مناطق شتى من وسط أوروبا وجليقية ، كانوا يعرفون لغاتهم الأصلية أو مفردات منها ، وأن أدوات النطق عندهم تكونت على نحو يترك أثره في نطق اللغة التي سوف يتحدثون بها ، ورغم أن الكثرة الغالبة منهم كان يؤتى بهم أطفالا ، يربون على اتقان اللغة العربية وإجادتها ، فإن عددا منهم ليس بقليل ، تجاوزوا سن الطفولة على نحو يتعذر عليهم تعلم العربية وكان جهلهم بها يجعل بينهم وبين العامة سدا من العزلة ، فلا يشاركون غيرهم في حديث الحوار فكان يطلق عليهم اسم " الخرس " .

- د. الطاهر أحمد مكي : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٢٩ ، أنظر : =

من الطبيعي أن يحمل هؤلاء الصقالبة للأمير مشاعر الولاء اعترافاً
منهم بفضله في إتاحة الفرصة لهم للحياة الكريمة ^(١).

=Luis Suarez Fernandez : Historia de Espana Antigua Y Media , Tomo T , Madrid
1978 , p . 177 .

(١) كليلىا سارنللى : مجاهد العامري ، ص ٧ .

(٢)

التوسع في اقتناء الصقالبة في عهد عبد الرحمن الأوسط

ومن خلفه من أمراء بني أمية

وتابع الأمير عبد الرحمن بن الحكم نفس سياسة أبيه في اصطفاء الموالى والصقالبة ، وابتاع أنصبه أخوته من ممالك أبيه (العجم) وكانوا خمسة آلاف مملوك ، وثلاثة آلاف فارس يرابطون إزاء باب القصر ، فوق الرصيف ، وألفا راجل على أبواب القصر ، وقد ارتفع شأن الفتیان الصقالبة في بلاط الأمير عبد الرحمن ، وكان زعيمهم الفتى أبو الفتوح نصر المتصرف في شئون القصر الخاص^(١) ، وكان يحظى بفضل تقرب طروب جارية الأمير الأثرية لديه له بسلطان ونفوذ كبيرين^(٢) .

وأصل الفتى نصر من أبناء الأحرار الذين حشدوا للخدمة داخل القصر وكان أبوه من أسالمة أهل الذمة المولدين من أهل قرمونة^(٣) ، وبمرور الوقت علت منزلة نصر الفتى عند الأمير عبد الرحمن ، فقدمه على سائر خاصته ، وغدا مدير أمر داره ، ومشاركاً لأكابر وزرائه ، يتصرف في أمور الدولة باسمه ، وغدا مرهوب الجانب يخشاه الأكابر والخاصة^(٤) . وقد دفع ذلك المستشرق الهولندي دوزى إلي المبالغة عندما ادعى أن عبد الرحمن الأوسط كان يسلم زمامه لأربعة تسلطوا عليه وأملوا عليه إرادتهم وسيروا

(١) ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان) : المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق الدكتور محمود على مكي ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ١٤٩ .

- Levi - Provençal : Histoire , Op , Cit ., t , I , p . 186 .

- عنان : دولة الإسلام ، الكتاب الثاني ، القسم الأول ، ص ٢٧٧ .

(٢) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٣٩ ، ١٤٤ .

- ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) ابن حزم : نطق العروس ، ص ٧٣ .

- تقع قرمونة إلي الشمال الشرقي من اشبيلية على بعد نحو ٣٥ كيلو مترا ، أنظر :

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٩٦ .

(٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكي ، ص ١٤٩ ، ١٦٦ .

- عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ص ٢٧٧ .

سياسته ، وهم الفقيه يحيى بن يحيى الليثي والمغنى زرياب والجارية طروب والفتى نصر^(١) ، وفي رأى الدكتور أحمد فكرى أن هذا الادعاء فيه كثير من المغالاة تشهد عليها سيرة الأمير عبد الرحمن بن الحكم وأعماله وكل ما هنالك ، أن الأمير كان قد اصطفى هؤلاء الأربعة وأولاهم ثقته وعطفه^(٢) .

وكان من أشهر أعمال نصر قيادته لجيوش الأندلس التى احتشدت لمقاتلة النورمان ، والتصدى لهم عندما أغاروا على اشبيلية وحوزها سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م^(٣) .

كما عهد إليه الأمير بالإشراف على أعمال البناء عند شروعه في توسعة بيت الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة وشاركه في ذلك الفتى مسرور الذى كان يعتبر هو الآخر من أكبر فتيانه الأثيرين

(١)

Dozy : Spanish Islam , B. II , p . 260 .

- Levi - Provençal : Histoire , Op , Cit , t , I , p . 193 .

- Isidro de las Cagigas : Los Mozarabes , tomo , I , p . 184 .

(٢) أحمد فكرى : قرطبة في العصر الإسلامى ، هامش ، ص ٧٣ .

(٣) هاجم النورمان - لأول مرة - وساحل الأندلس الغربية فجأة في ذى الحجة سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م أيام عبد الرحمن الثانى (الأوسط) ويعرف هؤلاء النورمان (بالمجوس أو المجوس الأرمانيين) واشتهر هؤلاء النورمان بنشاطهم البحرى التجارى والحربى ، واتخذت اعتداءاتهم شكلا خطيرا على السواحل الغربية لأوروبا في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) .

- ابن حيدن : المقتبس في أخبار الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٨٣م ، ص ٢٣ - ٢٤ .

- العزى (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس) : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان ، والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٩٨ - ١٠٠ ، ١١٨ - ١١٩ .

- ابن دحية (أبى الخطاب عمر بن حسن) : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، وحامد عبد المجيد ، القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ١٣٨ .

- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٧ - ٨٨ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

R . Dozy : Recherch es sur l ' Histoire de La litteratura de l ' Espagne Pendant le Moyen Age t, II Leyden 1881 , p . 250 - 371 .

Levi - Provençal : Histoire , Op , Cit . , t , I , pp . 152 - 157 .

- سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم ، ص ٢٣٥ - ٢٣٧ .

- سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا في العصر الوسطى ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢١٠ .

لديه^(١). كما توليا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط اتقان طرز الجامع وتنسيق نقوشه في ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م . وقد سجل اسماهما على باب الوزراء المعروف بباب سان استييان أقدم أبواب هذا الجامع وما زالت تزين عقد باب سان استييان كتابة كوفية تسجل أعمال الأمير محمد في الجامع وتتضمن اسمي فتياه نطالع فيها النص التالي : (بسملة أمر الأمير أكرمه الله محمد بن عبد الرحمن ببنيان ما حكم عليه من هذا المسجد واتقانه رجاء ثواب الله عليه وذخره به ، فتم ذلك في سنة احدى وأربعين ومائتين على بركة الله وعونه ، سرور ونصر فتياه^(٢) ، وبلغ من نفوذ الفتى نصر وعظم سلطانه أنه تمكن من اقضاء الحاجب عيسى بن شهيد عن الحجابة وولى مكانه عبد الرحمن بن رستم أثناء مرض الأمير ، فلما أبلى من علته أنكر فعلة نصر وأعاد عيسى بن شهيد إلي الحجابة^(٣) كما تأمر مع الجارية طروب على دس السم في شراب الأمير ، ولكن خبر المؤامرة وصل إلي مسامع الأمير وتم كشفها وراح ضحيتها نصر نفسه^(٤) ، وبموته تنفس الناس الصعداء إذ كان معروفاً بسطوته

(١) Levi - Provencal : Op , Cit ., t , I , p . 184 .

(٢) Levi-Provencal:Inscriptions Arabes d ' Espagne,(Taxtes),Leyden,Paris 1931,p.1 .

- وأنظر السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٨٩ .
- السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية عمرانية وأثرية في العصور الوسطى) الجزء الأول ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧١ - ١٩٧٢ م ، ص ٢٩٦ ، ٣٢٥ .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الحضارة والإسلام في الأندلس ، الاسكندرية ١٩٨٥ ، ص ١٦٤ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق دكتور محمود على مكي ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .
(٤) طروب : هي جارية عبد الرحمن الأوسط المحببة إليه ، وأكبر جواريه سلطاناً عليه ، رغم أنها كانت أقلهن وفاء له . وقد أنجبت من الأمير عبد الرحمن ابناً سمي عبد الله ، فطمحت نفسها إلي أن تحوز ولاية العهد له ، واجتهدت في ذلك اجتهداً عظيماً دون توفيق ، وأخيراً دبرت لاغتيال عبد الرحمن وابنه محمد ليخلو الجو لابنها ، واشترك في المؤامرة نصر الفتى كبير خصيان القصر فكلف طبيباً وفد من العراق في ذلك الحين يسمى الحراني بأن يعد سماً فأعده خوفاً على نفسه من طروب ، وأفشى السر إلي جارية أخرى تسمى " فخر " فأبلغت الأمير فلما أتاه نصر بالشراب المسموم طلب إلي أن نصر أن يشرب في حضرته ، فلم يستطع إلا أن يفعل ومات .

- ابن القوطية (أبى بكر محمد بن عمر) : تاريخ افتتاح الأندلس ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٩١ .

- ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود على مكي ، ص ١٤٩ - ١٥٦ . =

وطغيانه وكثرة مظالمه وعدوانه ، وإلى نصر هذا تتسبب مدينة نصر وكانت تقع إلى الجنوب الشرقي من قرطبة على الضفة اليسرى من الوادي^(١) ، ولما توفي الفتى نصر خلفه سعدون الفتى الذى اختصه الأمير عبد الرحمن ورفع منزلته وأدناه إليه^(٢) ، وظهر من الفتیان الصقالبة في عهد عبد الرحمن الناصر الفتى الكبير مسرة الخصى ، الذى صدر أمر الخليفة بسجنه هو وأخيه عباس سنة ٣٢٧ هـ فسجنا ، وصودرت أموال مسرة فبلغ ما صودر له ثمانية آلاف دينار دراهم^(٣) .

وكما كان للفتیان الصقالبة من سطوة في عهد عبد الرحمن الأوسط ، كانت للجوارى سلطات كبيرة وثروات طائلة بحيث شاركوا في بناء المساجد واتخاذ الأوقاف لها فنسبت إليهن مساجد نذكر منها مسجد طروب ، ومسجد مجد ، ومسجد شفاء ، ومسجد فله ، ومسجد متعة^(٤) ، ومن بين الفتیان الصقالبة الذين ارتفعت مكانتهم في عهد عبد الرحمن بن الحكم الفتى ميسرة ، الذى شارك في قيادة الحملات^(٥) ، وشنظير الخصى^(٦) .

= ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاعى البلبسى) : الحلة السراء ، ج ١ ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١١٤ .
- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٤٩ .
- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٣٠ .

Dozy : Spanish Islam b , II , p . 280 .

Levi Provencal : Histoire , Op , Cit , I , pp . 187 , 194 .

- (١) ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد) : جمهرة أنساب العرب ، الطبعة الخامسة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٩٦ .
- ابن حزم : نقط العروس ، ص ٧٣ .
- ابن حيان : المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، القسم الثالث ، تحقيق الأب ملشورم . انطونية ، باريس ١٩٣٧ ، ص ٣٨ .
- السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .
- عن " منية نصر " أنظر المادة التى أفردها الحميرى (محمد عبد المنعم) الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط ٢ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٥٨٤ .
(٢) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود على مكى ، ص ١٥٩ .
(٣) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ١٥٧ .
(٤) مؤلف مجهول : نكر بلا الأندلس ، ص ١٤٢ .
(٥) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٨٤ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم ، ص ٢٣١ .
(٦) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٤٤ .

وقد شارك الصقالبة في إخماد الثورات وفي المعارك التي خاضتها جيوش الإمارة في الثغر الأعلى^(١) ، إلى حد أن كثير منهم ، كان يقع في الأسر^(٢) وزاد نفوذ الصقالبة إلى حد كبير في أواخر عهد عبد الرحمن الأوسط ، بحيث أنهم أنفردوا وحدهم بتقرير أمر الإمارة بعد وفاة الأمير فعندما سمع أكابر فتيان الصقالبة نبأ وفاته الفجائية ، أخفوا الخبر وأخذوا يتدبرون الأمر ، واجتمعوا ليلاً في المجلس بالقصر وأجمعوا على إقصاء عبد الله بن السيدة طروب واختيار محمد ، ويزودنا ابن القوطية بما دار في المجلس من مناقشات ، فقد تحدث أحدهم فقال " يا أصحابنا نزل أمر صغيرنا فيه ككبيرنا ، فأحسن الله مرآكم في مولانا ، فرفعوا أصواتهم بالبكاء ، فقالوا لهم : دعوا البكاء ، أنظروا بنا لأنفسنا وللمسلمين قبل ، فإذا تم ذلك بكينا ، فما ترون ؟ فرفعوا كلهم بلسان واحد : سيدنا وأبن سيدتنا ، المربية لنا ، والمحسنة إلينا ، فقال لهم منهم فتى من الخلفاء ، يكنى بأبي المقرج ، وكان له حج وفضل : على هذه رأى جميعكم ؟ قالوا : نعم ، قال لهم : وأنا أعلمكم أن رأيي كرايكم ، وأنى أشكر للسيدة لفضلها على دونكم ، ولكنه أمر أن ينفذ فهو سبب لقطع آثارنا من الأندلس ، وأن واحداً منا لا يخطر في طريق ولا يمر بجماعة إلا قال الناس : اللهم العن هذه الوجوه ، فإنهم ملكوا أمر المسلمين فولوا شر من يعرفونه ، وتركوا خير من يعرفونه ، وقد علمتم عبد الله وحاله ، ومن يطوف به ، والله لئن ملك شيئاً من أموركم وأمور المسلمين ليحدثن فيكم وفيهم الأحداث ، فيسألكم الله عنهم وعن أنفسكم ، فكان ذلك وقر بأنفسهم ، فقالوا له من تراه ؟ فقال لهم : الصالح العفيف محمد ، فقالوا له : هو بهذه الصفة إلا أنه لنيم شديد ، فقال لهم : وبماذا يجود الخصيان ؟ إذ ولى وملك بيوت الأموال ، سيجود إن شاء الله ، فقالوا له : رأينا ما رأيت .

(١) ابن حين : المقتبس ، تحقيق محمود على مكى ، ص ١٤٧ .

(٢) العذري (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى) : ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك " ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٣٠ .

فدعا بالمصحف واستحلف جميعهم ، وكان للخصيان اثنان قد استبلاغا في الاستجراح إلي محمد في رضى طروب ، هما سعدون وقاسم ، فقال لهم سعدون إذ قد عزمتم على هذا الرأي فتراموا إليه ، وقولوا له : هب لنا ذنب صاحبنا ، فوعده بذلك ^(١) .

ولما أجمع الصقالبة على إسناد الإمارة إلي محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، خرج سعدون الفتى مكلفاً من قبل حبيب الصقلبي وصقالبة القصر إلى دار الأمير محمد فنعى إليه والده ، وبشره بالإمارة ^(٢) ، ونستدل من تلك الرواية على الدور الهام الذى سوف يضطلع به الفتيان الصقالبة من الآن فصاعداً في مشكلة الاستخلاف .

وما إن اعتلى الأمير محمد بن عبد الرحمن دست الإمارة حتى أحسن معاملة صقالبته وبالع في العناية بهم ، فقد حدث مرة أن اعتل له خصي من فتيانه الصقالبة في طريق قفوله من إحدى الغزوات فتركه عند ذى النون - وكان زعيم قومه - يمرضه ويقوم عليه إلي أن يحدث الله فيه أمره ، ففعل ذو النون ما أراد من ذلك وبالع في الاحتفاء بالفتى إلي أن برئ من علته ، فأقبل به بنفسه إلي قرطبة ، فكافأه الأمير محمد بأن أقره على ولايته وقدمه على قومه ، وارتهن منه بعض ولد ، فاعترف الأمير بفضل ذو النون عليه ، وشكر نعمته ، فاستقام على طاعته ، ونهض بأعباء خدمته .. ^(٣) .

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩١ - ٩٣ .

- ابن حيان : المقتبس ، تحقيق الدكتور محمود على مكي ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ١١١ - ١١٢ .

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ١٤١ .

Dozy : Spanish Islam , b , II , pp , 294 - 296 .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٣ - ٩٤ ، ٩٥ .

- ابن حيان : المقتبس تحقيق الدكتور مكي ، طبعة بيروت ، ص ١١٣ .

- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٥١ - ٥٢ .

Dozy : Op , Cit . , p . 296 .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ٤٣١ .

وكان من فتيان الأمير محمد النقاة المقربين أيدون الفتى أو الخليفة^(١) وبدر بن الصقلبي^(٢) ، ومع ذلك كان نفوذ الصقالبة في قصر الإمارة ، لم يعد قوياً كما كان في عهد عبد الرحمن الأوسط ، واستمر ذلك في عهد الأمير المنذر الذي اشتهر في عهده الفتى أيدون الذي قاد قوات قرطبة في الحملات الموجهة لاختماد ثورة ابن حفصون^(٣) ، ولم يتجاوز عهد المنذر السنتين (٢٧٣ هـ - ٢٧٥ هـ / ٨٨٦ - ٨٨٨ م) .

وفي عهد أخيه وخليفته الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ / ٩١٢ م) ازداد نفوذ الفتيان الصقالبة ، وشغلوا مناصب هامة في الدولة ، وممن برز منهم بدر بن أحمد الخصي الصقلبي الذي كان وصيفاً للأمير عبد الله فاعتقه وصرفه على الخطط الشريفة^(٤) ، وأصبح يؤثره ويوليه ثقته^(٥) ، وكان بدر هذا يتصف بالذكاء وحسن الرأي ، يدل على ذلك أنه كان صاحب الفضل في استئلاف بني حجاج الثائرين في اشبيلية وكسبهم إلي جانب الأمير عبد الله ، فكافأه الأمير بنقله من مرتبة الوصيف إلي مجلس الشورى مع الوزراء^(٦) .

وكان من بين زعماء الفتيان في بلاط الأمير عبد الله ريان الفتى صاحب الطراز ، وأفلح الوصيف اللذين استشهدا في معركة دارت بين المسلمين بقيادة عبد الله ابن لب الخبر وقوات شانجة^(٧) .

(١) ابن القوطية : المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٢) النباهي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن الملقى) : تاريخ قضاة الأندلس ، المسمى المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والغتيا ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٨٠ م ، ص ٥٧ .

(٣) هو إمام ثوار الأندلس (أشدهم نفاقاً وعناداً، أصله من مسالمة الذمة بكورة تاكرنا من عمل رندة .. واستوطن الأول نفاقه حصن ببشتر واتخذة مقراً له، فكانت أمنع قلاع الأندلس قاطبة .

- ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٠٣ - ١٠٥ .

- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٤ - ١١٥ ، ١١٧ ، ١٣١ ، ١٧١ .

(٤) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ، القسم الثالث ، ص ٤ ؛ ابن الأبار : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(٦) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٣٠ - ١٣١ ؛ د. مصطفى أبو ضيف أحمد : القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ ، ص ٣٤٩ .

(٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٣)

الغوذ الصقلبي في ذمروته

وفي عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) تعاظم نفوذ الصقالبة ، فقد اعتمد منذ توليه الامارة على الصقالبة لاسترايته بالعناصر العربية وبادر باقصاء الشخصيات العربية البارزة واحلال فتايه الصقالبة محلهم .

ففي سنة ٣٠٨ هـ / ٩١٩ م عزل محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة العليا ^(١) وولاهم ديراً مولاه ^(٢) وفي سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م عزل الناصر عبد الملك بن سعيد الخولاني من كورة أشونة وأسند ولايتها إلي مولاه نجدة بن حسين ^(٣) . كما سلط سيوف مواليه الفتيان الصقالبة على رقاب أقربائه من بني أمية . فعندما ثار أمية بن اسحاق القرشي المرواني عامله على مدينة شنترين بادر بإخراج القائد نجدة بن حسين مولاه على رأس حملة للقضاء على ثورته .

ونتج عن تقريب بني أمية للصقالبة والموالي أن تفانى هؤلاء في خدمتهم واشتد نفوذهم في عصر الناصر في شئون الإدارة والحكم ، فضلاً عن القصر والخاص فقد عهد إليهم بأعلى مناصب الدولة في القصر والإدارة والجيش لثقته البالغة فيهم وإخلاصهم له ، ولهذا سما شأن الصقالبة وتوطد سلطانهم ، وأحرزوا الضياع وحازوا الأموال الوفيرة ، وفاق عددهم في عهد الناصر أي عهد آخر حيث بلغ عدد الفتيان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون " وعدة النساء بقصر الزهراء الكبار والصغار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلاثمائة امرأة وكان لهؤلاء

(١) كان يطلق على من تولى منصب الشرطة في الأندلس اسم صاحب المدينة .

- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٤٥ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، الجزء الخامس ، نشره ب . شالميتا وف . كورنيطي ، مدريد

١٩٧٩ ، ص ٣٩١ .

من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ينقسم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك . سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان ^(١) . وفي رواية أخرى أن عدد الصقالبة بالزهراء بلغ ٣٩٥٠ خصياً ^(٢) . وقد حدده البعض بحوالى ٣٧٨٧ ، والبعض الآخر بنحو ٦٠٨٧ . كما ذكر البعض أن عدد الفتیان بالزهراء ١٣٧٥٠ ثلاثة عشر ألف وسبعمائة وخمسين فتى ^(٣) .

ويعتقد دوزى أن اختلاف الأرقام حول أعداد الصقالبة ، ربما يرجع إلى أنها صدرت في فترات مختلفة من حكم عبد الرحمن الناصر ، لأن هذا الخليفة استكثر منهم من جهة ، ولأنه كان يقوم بخدمتهم فتیان آخرون من الصقالبة أقل مرتبة منهم ^(٤) .

وعلى أى حال فقد كان من أولئك الصقالبة الحرس الخلفى، ورجال الخاص والحشم، وكان الناصر يمد لهم في السلطان والنفوذ ويرغم أشراف العرب وزعماء القبائل على الخضوع لهم، ليذل بذلك أنفوسهم ويسحق هيبتهم ^(٥) حتى أنه عين مولاة نجدة بـ . حسين الصقلبي قائداً على الحملة الموجهة ضد ردميره الثانى Ramiro II ملك ليون Leon وحلفائه أصحاب مملكة نبرة Navarra والتي انتهت بأول هزيمة

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٦٧ .

- ابن غالب الأندلسي (محمد بن أيوب) : قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥ ، ص ٢٩٦ .

- ويتفق ابن الخطيب مع ابن عذارى والمقرئ بالنسبة لعدد الرجال ، أما بالنسبة لعدد

النساء فيذكر ابن الخطيب رقم ٦٧٥٠ (ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٤٠ -

٤١) ويذكر المقرئ أن عدد النساء ٦٣١٤ (المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ،

ص ٥٦٧) .

(٢) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٦٦ .

Levi - Provençal : Histoire , Op , Cit . , t , II , p . 366 .

(٣) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٥٦٧ .

(٤) Dozy : Spanish Islam , B . III , p . 430 .

(٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ،

تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى - القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى - بيروت

١٩٨١ ، ص ١٣٧ .

للناصر في وقعة شنت مانكش Simancas المعروفة بالخندق عام ٣٢٧ هـ / ٩٣٩ م نتيجة تغير نفوس رجاله ووجوه أجناده ، فتقاعسوا عن القتال وخذلوه في المعركة ، وتراجعوا أمام النصاري وتمكن عبد الرحمن الناصر من النجاة من هذنة المعركة بصعوبة ^(١) .

ومن بين الفتيان الصقالبة الذين ارتقوا إلى أعلى مناصب الدولة في عهد الناصر مولاه بدر بن أحمد الذي تولى أخذ البيعة على الخاصة والعامة عقب وفاة جده الأمير عبد الله ^(٢) ثم ولاه الوزارة والحجابه والقيادة والخييل والبرد ، وكان ينفرد بالولايات فتكتب السجلات في داره ، ثم يبعثها للطبع فتطبع ^(٣) وتخرج إليه ، فيبعث في العمال وينفذون على يديه ^(٤) ، كما خصص لكل من عبد الرحمن وعبد الله ابني بدر الحاجب ، راتباً قدره ثلاثون ديناراً . وفي سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ولي عبد الرحمن بن بدر خطة الخيل ، وفي نفس السنة استخلفه مع موسى بن محمد بن حدير صاحب المدينة على القصر عندما خرج في حملته على جيان ، وأخذ عبد الرحمن بن بدر يتقلب على مناصب متعددة ، فقد عُزل عن خطة الخيل ^(٥) وتولى الكتابة والوزارة والعرض والخزانة ، وكان آخر منصب تولاه ولاية أشبيلية ^(٦) أما عبد الله بن بدر فتولى رسم الكتابة العامة سنة ٣٠١ هـ

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، شالميتا ، ص ٤٣٢ - ٤٣٨ .

- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٣٧ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ؛ الحميرى : الروض المعطار (احسان) ص ٢٢٤ - ٣٢٥ .

- Dozy : Spanish Islam B , III , p . 431 .

- Dozy : Recherches , Op , Cit . , t , I , pp . 156 - 170 .

- Levi - Provençal : Histoire , Op , Cit , t , II , p . 319 - 322 .

- Hussain Mones : Essai Sur La chute , Op , Cit . , p . 178- 197 .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

- Levi - Provençal : L ' Espagne Musulmane , p . 104 - 105 .

(٣) أى يرسلها إلى باب السدة لتختتم بخاتم الدولة ، ثم ترد إليه ليرسل بها إلى العمال ليقوموا بالتنفيذ تحت إشرافه .

- Levi - Provençal : Histoire , t , I , p . 235 .

(٤) ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

(٦) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٠٣ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ٣٣١ .

- ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

/ ٩١٣ م^(١) . ثم ولى الشرطة العليا بمدينة قرطبة حتى عزل عنها^(٢) ، وقدم إلى خطة المدينة سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م^(٣) ، وظل قائماً على خدمة الناصر الذي عهد إليه بالإشراف على شق القنوات سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م والإشراف على بناء المساجد سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م^(٤) كما ولى إسماعيل بن بدر خطة العرض سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م ، وفي رجب من نفس العام ولاه المواريث مكان قند مولى الناصر^(٥) ، وفي سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م قلده ولاية كورة شذونة^(٦) ، أما أبوه بدر الحاجب فقد اعتمد عليه عبد الرحمن الناصر في قيادة كثير من الحملات فهو الذي افتتح مدينة استجة Ecija في جمادى الأولى سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م في بداية عهد عبد الرحمن الناصر^(٧) ، وفي سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م غزا الحاجب بدر إلى لبلبة Niebla فحاصرها وافتتحها^(٨) ، ثم غزا فرمونة سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م وافتتحها قسراً^(٩) . وفي سنة ٢٠٦ هـ / ٩١٨ م كانت غزاة الحاجب بدر بن أحمد إلى دار الحرب ، وهي غزاة مطونية التي أحرز فيها على النصاري انتصاراً ساحقاً وأصاب منهم أعداداً كبيرة من القتلى والأسرى^(١٠) .

- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٧ . انظر :

Levi - Provencal Y Emilio Garcia Gomez : Una Cronica Anonima de Abd Al - Rahman III Al Nasir , Madrid , Granada , 1950 , p . 51 .

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٠٨ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٦١ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٣) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٤٦١ .

Levi - Provencal : Inscriptions Arabes d ' Espagne , pp . 5 - 6 .

Levi - Provencal : Op , Cit . , pp . 6, 8 - 9 .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٣٩١ .

(٦) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٨) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ١٦٩ .

مجهول : مدونة عبد الرحمن الناصر نشرها ليفي بروفنسال واميليو غرسية جوميث ، مدريد ١٩٥٠ م ، ص ٥٣ .

(٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

- مجهول : مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(١٠) ابن عذارى : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

وقد كان الحاجب بدر^(١) يتصف بالكرم والجود ففي مجاعة سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م لم يتردد في بذل كل ما يملك في التخفيف عن المنكوبين فكان " أفشاهم صدقة وأعظمهم مواساة فنعش الله به أمته " ^(٢).

وكان درى الفتى ممن اشتهر من الفتيان الصقالبة في عهد النصارى ووصل إلى منصب صاحب الشرطة العليا ^(٣) ، كما تقلد خطة العرض منذ سنة ٣٠٢ هـ بالاشتراك مع الفتى قند ^(٤) ، كما أوكل الناصر إلى درى هذا قيادة الغزاة إلى ابن الزيات في الثغر سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ^(٥) وهو الذى افتتح مدينة شاطبة من أعمال بلنسية سنة ٣١٧ هـ ^(٦) وعهد إليه الناصر بإقامة بناء محكم يتخذ مقراً للقيادة المقيمين بطليطلة بعد أن تم فتحها ^(٧) ، ومنهم أيضاً الفتى قند الذى ولى خطة العرض سنة ٣٠١ هـ ^(٨) وخطة المواريث بالاشتراك مع درى سنة ٣٠٢ هـ وأسند إليه القيادة العسكرية بمدينة طليطلة في سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م وخرج منها لغزو جليقية ^(٩) . ومنهم طرفة صاحب المطبخ الذى ولى المواريث أيضاً في سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م ^(١٠) . وأفلح صاحب الخيل الذى افتتح قصبة حسن مورور ، وسهيل ، ومننت نيس سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م ^(١١) وحصن منت روبي أمنع معاقل ابن حفصون سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م ^(١٢) . وأيضاً خلف الفتى

^(١) توفى الحاجب أبو الغصن بدر بن أحمد مولى الإمام عبد الرحمن الناصر ليلة الجمعة لست خلون من رجب سنة ٣٠٩ هـ .

- مؤلف مجهول : مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٦٦ - ٦٧ .

^(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١١٠ ؛ ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

^(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١١٠ ؛ ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

^(٤) ابن حيان : المقتبس ، ص ٩٧ ؛ ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٦٧ .

^(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢١٣ ؛ ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

^(٦) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠١ .

^(٧) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٢٠٧ .

^(٨) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٩٧ .

^(٩) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٦٧ ، ٢١٤ .

^(١٠) نفس المصدر ، ص ٢٠٣ .

^(١١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٨٦ .

^(١٢) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٢٠٤ ؛ ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٩١ ، ١٩٩ .

الكبير الذى تولى الطراز سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ^(١) . ومنهم أيضا بدر الفتى ^(٢) الكبير صاحب السيف الذى عهد إليه الناصر بمهاجمة مدينة سبته سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م ^(٣) وأحمد بن يعلى الذى تتابعت غزواته على جليقية ، وأحرز الكثير من الانتصارات الأمر الذى رفع منزلته لدى الناصر فولاه مدينة طليطلة سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م ^(٤) .

ونستدل على إثارة الناصر للصقالبة من اشتغال ما كان يتلقاه من هدايا الملوك والأفراد على أعداد من الصقالبة ، من ذلك هدية ملكا برشلونة وطركونة في السفارة التى بعثا بها إليه وتشتمل على عشرين صبياً من الخصيان الصقالبة وعشرة أذراع صقلبية تقبلها الناصر واستجاب إلي رغبتهم في تجديد معاهدة الصلح ^(٥) .

وكان من أكثر الفتيان منزلة عند عبد الرحمن الناصر الفتيان الكبيران ياسر وتمام ، وأغلب الظن أن أحدهما كان يرأس ديوان الجيش ، وكانا يتناوبان الخدمة السلطانية والذين خرجا يوم وصول رسول امبراطور الدولة البيزنطية لاستقباله بعد تلقى القادة لهم بمبالغة من الناصر في الاحتفال بهم " فاستبان بخروج الفتيين إليهم بسط الناصر وإكرامه ، لأن الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة ، لأنهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمة وبيدهم القصر السلطاني " ^(٦) .

ومن الأمثلة الدالة على وثوق الناصر التام بصقالبته أنه لم أبل بعض الشئ من علته في سنة ٣٤٩ هـ " وتجشم القعود لخاصته

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

(٢) هو الفتى بدر بن موسى وكان مولى خصيا عاش وخدم أيام عبد الرحمن الناصر وظهر اسمه أواخر أيامه سنة ٣٤٨ هـ - وهو غير بدر بن أحمد الصقلبي وصيف الأمير عبد الله الذى ولاه الناصر الوزارة والحجابة والقيادة والخيل والبرد وتوفى سنة ٣٠٩ هـ وكان له ثلاثة أبناء هم عبد الرحمن وعبد الله وإسماعيل تولوا عدة مناصب في عهد الناصر .

- ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٧٣ .

- ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٤) ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٢١٧ - ٢١٩ .

(٥) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٨٤ .

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

أوصل إليه الغتيان الأكابر ، وصاحب الطراز وخواص أكابر العبيد كمظفر وذويه " (١) .

ولما توفي الناصر ببيع لابنه الحكم المستنصر بالله بالخلافة في (٣ رمضان ٣٥٠ هـ / ١٦ أكتوبر ٩٦١ م) " وأول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره الفتیان المعروفين بالخلفاء الأكابر ، كجعفر صاحب الخيل والطرز وغيره من عظمائهم ، وتكفلوا بأخذها على من وراءهم ، وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم ، وأوصل إلي نفسه في الليل دون هؤلاء الأكابر من الكتاب الوصفاء والمقدمين والعرفاء ، فبايعوه ... وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتیان يميناً وشمالاً إلي آخر البهو كل منهم على قدره في المنزلة ، عليهم الظهائر البيض شعار الحزن ، وقد تقلدوا السيوف ، ثم تلاهم الفتیان الوصفاء ... وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتیان الصقالبة الخصيان ، يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ، ثم تلاهم الرماة متكبين قسيهم وجعابهم ، ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول ، ورجالة العبيد ، وفرسان العبيد ، وفرسان مختارين من الجند " (٢) .

ومن الوصف السابق يتبين مدى النفوذ والسلطان الذي كان ينعم به الصقالبة في أواخر فترة حكم عبد الرحمن الناصر .

وواصل الحكم سياسة أبيه في الاعتماد على الفتیان الصقالبة في كل نواحي الإدارة والحكم (٣) . فالارستقراطية العربية قد اضمحلت وغاز نفوذها ، واختفت كقوة سياسية واجتماعية تخشاها السلطة المركزية ، وإن كانت قد بقيت كطبقة من الطبقات ، وحلت محلها أرستقراطية من نوع جديد ، قوامها القادة والرؤساء العسكريون ، من الموالى والصقالبة ، فكانت بذلك أرستقراطية سيف

(١) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٨٦ - ٣٨٨ .

(٣) Levi - Provençal : Histoire , Op , Cit ., t , II , p . 394 .

وليسست ارستقراطية قبيلة أو عصبية ، وأصبح الفتيان الصقالبة في عهده ذوى السلطان الأعظم والنفوذ والجاه في دولة الحكم ، ومن الأمثلة المعبرة عن ضخامة ثراء هؤلاء الصقالبة أن أحدهم وهو الفتى الكبير درى الأصغر الخازن الصقلبي قام بإهداء مولاه الخليفة الحكم منيته الغراء ارادى الرومان المنسوبة إليه وكان قد أنشأها منتزهاً له ، وأنفق عليها أموالاً وفيرة ، وجعلها جنة حقه ، وقبل الحكم هدية فتاه ، وقام بزيارة هذه المنية مع ولى عهده هشام وحاشيته ، وأمضوا فيها يوماً ، وقد أجمع الخليفة ومرافقوه على أنهم " لم يشاهدوا في المنتزهات السلطانية أكمل ولا أهدب ولا أعم من صنع درى هذا " (١) .

ويروى ابن حزم أن المشرف على مكتبة الخليفة الحكم المستنصر الشهيرة (٢) كان صقلبياً يدعى تليد الخصى (٣) ، وهذا اعتراف واضح يدل على علو شأن هؤلاء الصقالبة وطول باعهم في العلوم والآداب ، كما يعلق على ذلك الدكتور أحمد مختار العبادى (٤) .

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن على الحجى ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .
- عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٥١٤ .
(٢) كان الحكم ميالاً إلى العلوم والآداب محباً لها مكرماً لأهلها جماعاً للكتب بأنواعها وفي ذلك يقول صاعد الأندلسى انصرف الحكم " إلى العناية بالعلوم وإيثار أهلها واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التوالمف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة وجمع فيها في بقية أيام أبيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كان يضاهى ما جمعته ملوك بنى العباس في الأزمان الطويلة ... " .
- صاعد (أبو القاسم بن أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد الأندلس) ، طبقات الأمم ، تحقيق حياة العبد بوعلوان ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ١٦٢ .

- ليفى بروفنسال : الحضارة العربية في أسبانيا ، ص ٨٩ .
Aguado Bleye : Op , Cit , t , I , p . 432 .

(٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠٠ .
- ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .
- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، الجزء الأول ، نشره عزت العطار الحسينى ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٢٣٥ (مادة رقم ٦٢٢) .
- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ١٨٦ .
- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٨٥ ، ٣٩٤ .
(٤) العبادى : الصقالبة في أسبانيا ، ص ١٢ .

وكان أول من تولى الحجابة للخليفة الحكم المستنصر جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي^(١) ، استحجبه في عام ٣٥١ هـ / ٩٦١ م واستمر في حجابته حتى وفاته سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م ، وقد عهد إليه الخليفة بالنظر في الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م^(٢) وفي أيام الحكم برزت شخصية غالب بن عبد الرحمن الناصري ، الذي تلقب بفارس الأندلس وأسند إليه الحكم القيادة العليا تشريفاً له وتتويهاً بذكره لحسن بلائه وقيادته ، ويعتبر أول مثل للجند الصقلبي الذي ارتقى إلى القيادة العليا للجيش ، كما أنعم عليه الحكم بلقب الشرطة العليا^(٣) .

كذلك قرب الحكم وجوه موالى أبيه من الصقالبة أمثال : قيصر وسعد ورشيق ، واستخدمهم على رأس أسطول المرية واشبيلية

(١) وقيل الحاجب جعفر بن عثمان بن عبد الرحمن الصقلبي المتوفى سنة ٣٦٠ هـ وهو غير جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة المصحفي والذي كان من برابر بلنسية صاحب المدينة بقرطبة وقد استوزره الخليفة الحكم ، وأمضاه على كتابة الخاصة ، وضم إليه ولاية الشرطة ، ثم قلده هشام المؤيد حجابته وقد نكبه محمد بن أبي عامر وسجنه في المطبق إلى أن هلك فيه سنة ٣٧٢ هـ .

- ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ١ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
- ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

Levi - Provençal : Histoire , Op , Cit ., t , II , pp . 394 - 395 .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٦٦ .
- ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .
Levi - Provençal : Inscriptions Arabes d ' Espagne , p . 10 , 15 , 17 .
- السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة بالأندلس ، ج ١ ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٦٩ .
- ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .
- وقد اشتهر غالب بحروبه وغزواته ضد النصارى ، كما افتتح الكثير من المدن المغربية ، واخضع الكثير من الثائرين فيها .
- مؤلف مجهول : " نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى " منتخبة من المجموع المنسمة بكتاب مفاخر للبربر ، نشرها ليفي بروفنسال ، معهد العلوم المغربية ، الرباط ١٩٣٤ ، ص ٩ ، ١٢ .

Levi - Provençal : Histoire , Op , Cit ., t , II , p . 394 .

- حسين (دكتور حمدي عبد المنعم محمد) : فارس الأندلس غالب الناصري ، ودوره في حوادث المغرب والأندلس ، المجلد ٣٧ ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ١١ .

المتجه إلى عدوة المغرب لمحاربة ابن قنون الأدريسى سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م^(١) ، ومن قواده الصقالبة المشهورين سعادة الجعفرى القائد بمدينة الفرج في الثغر ، وسعيد بن حكم الجعفرى الوزير القائد الذى احتل هو وغالب الناصرى بجيوش الثغر بالصائفة على حصن قلهرة^(٢) .

وهكذا ازداد نفوذ الصقالبة وأصابهم الغرور ، وأثار اغضاء الحكم عن أخطائهم وطغيانهم وسوء سلوكهم دهشة مؤرخى ذلك العصر^(٣) ويعلق ابن عذارى على استبدادهم بقوله : " ظهرت منهم في زمن الحكم أمور قبيحة أغضى عنها مع إثارة العدل واطراحه الجور بالجملة ، وكان يقول : هم أمانونا وثقاتنا على الحرم فينبغى للرعية أن تلين لهم ، وترفق في معاملتهم ، فتسلم من معرفتهم إذ ليس يمكننا في كل وقت الإنكار عليهم " ^(٤) .

وعندما مست دريا الكبير الخليفة الصقلبي المعروف بالخازن مودة من مولاه الخليفة ، وغضبه عليه لتقصيره معه في خدمته ، تولى محمد بن أفلح صاحب المدينة إزالته وتحقيره فأحضره إلى مجلسه بكرسى الشرطة عند باب السدة بالزرهاة ، وأوقفه قائماً على قدميه إلى جانب الكرسى " فوبخه وفثده وأوعده دون أن يغلظ له ، وهو ساكت كاظم ، فلما أنهى كلامه تولى عند دخلا إلى موضع سكناه من القصر ، لم يدفع عن ذلك ، فصار فيه ، ونفذ الأمر إليه للنصف من رجب بعده بالانتقال من قصر الزهراء إلى قصر قرطبة والمقام به متخلياً عن الخدمة ، قد نفذ العهد باسقاط رزقه الخلافى وقصره منه على عشرة دنائير وازنة ، تجرى عليه في كل شهر "

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن على الجبى ، ص ٨١ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٣) العبادى : الصقالبة في أسبانيا ، ص ١٣ .

- د. جودت الركابى : في الأدب الأندلسى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٦ ، ص ٤٠ .

- د. فوزى سعد عيسى : الهجاء في الأدب الأندلسى ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، ص ٩٥ .

(٤) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

وظل على هذا الحال إلي أن توسط له هشام ولي العهد وميسور الفتى الجعفرى لدى الخليفة فعفا عنه ^(١).

وكان إذا غضب الخليفة على أحد من الفتيان الأكابر الخلفاء لأمر ما أقصاه أياماً من قبيل التأديب ثم عفا عنه ^(٢).

ومن أشهر صقالبة القصر في عهد الحكم المستنصر صاحب البيازرة والصاغة جوذر الفتى الكبير ، ومرسن الفتى الكبير ، وفائق الفتى الكبير صاحب البرد والطرارز ^(٣). وفائق هذا وصل إلي درجة عالية من النفوذ والمكانة السامية ^(٤). وكان جوذر عالماً بالأدب واللغة ، ويذكر ابن الأبار نقلاً عن ابن حيان أن أهل الدولة أجمعوا على " أنه لم يقم على رأس أمير بالاندلس من هذا الجيل الغليظ الطباع من الصقلب كهذين الخادمين : فائق وجوذر سعة معرفة وحسن خدمة ولطف إشارة مع رجب صدر وشدة احتمال خلاف ما عليه العصابة " ^(٥).

وعندما توفي الحكم الثانى في ٣ صفر ٣٦٦ هـ / ٣٠ سبتمبر ٩٧٦ م كان الصقالبة سادة الموقف . وبموته اختفى آخر العظماء من بنى أمية في الأندلس .

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق الحجبى ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ١٧٠ .

(٣) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ١١٩ .

(٤) ابن حيان : نفسه ، ص ٦٦ .

(٥) ابن بسام (أبو الحسن على الشنترينى) : " النخيرة في محاسن أهل الجزيرة " القسم الرابع ، الجزء الخامس ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩ م ، ص ٣٤ .

- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ص ٢٥٣ (مادة رقم ٦٦٩) .

(٤)

الصقالة العامرين منذ ظهور المنصور حتى سقوط الدولة العامة

في سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ وضعت السيدة صبح^(١) زوجة الخليفة الحكم ولده الثاني هشام^(٢) ، فتعلق به الخليفة لأن ولده الأول عبد الرحمن كان قد توفي قبل عامين ، ولأنه كان متقدماً في السن لا يرجى ذرية بعد هذه السن المتقدمة وفي مستهل جمادى الآخرة سنة ٣٦٥ هـ / فبراير ٩٧٦ م عهد الحكم إلي ابنه هشام بولاية العهد ، وأخذ العهد من كبار رجال الدولة ومشاهيرها على بيعته^(٣) . وكتب ذلك في كتاب أشهد عليه " من الأعلام هضاب راسية ، وبحار من العلم زاخرة ، وأعلام قولهم مسموع وبرهم مشروع وأثرهم متبوع^(٤) " وتولى إعطاءها للناس على مراتبهم محمد بن أبي عامر ،

(١) كانت صبح جارية بشكنسية أي نافارية ، وتصفها الرواية الإسلامية بالجارية والحظية ، وصبح أو صبحية ترجمة لكلمة Aurora الفرنجية ومعناها الفجر أو الصباح الباكر ، وهو الاسم النصراني الذي كانت تحمله صبح فيما يظهر ، وظهرت صبح في بلاط قرطبة في أوائل عهد الحكم المستنصر ، وكانت فتاة رائعة الحسن والجلال ، فشغف بها الحكم ، وأغدى عليها حبه وعطفه وسماها " بجعفر " ولم تثبت أن استأثرت لديه بكل نفوذ ورأي ، ثم ازداد هذا النفوذ توطدا وتمكنا ، حينما رزق منها الحكم بولده عبد الرحمن ثم بولده هشام .

- ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥١ - ٢٥٣ .

Dozy : Spanish Islam , B , III pp . 460 - 461 .

- عنان : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٩٩ - ٢٠١ .

- عنان : دولة الإسلام ، ص ٥٢٠ .

Ch - E , Dufourcq : La Vie Quotidienne , Op , Cit . , pp . 134 - 135 .

- سالم (د. سحر السيد عبد العزيز) : ظاهرة الزواج المختلط في الأندلس في العصر الإسلامي (بحث لم ينشر) ص ٢ .

(٢) عندما بشر الحكم بولادة هشام وجعفر بن عثمان عنده قال على البديهة يهنئه :

أطلع البدر من حجابيه وأطرد السيف من قرايه

وجاءنا وارث المعالي ليثبت الملك في نصابه

- ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٤٢ - ٤٣ .

- وأنظر ابن عذاري : البيان ، ص ٢٤٩ .

- Dozy : Spanish Islam , OP , Cit . , b . III , p . 468 .

- Levi - Provencal : Histoire , Op , Cit . , t , II , pp . 395 - 396 .

- Maria Luisa Avila Navarro : La Proclamacion (Baya) de Hisamm II Ano 976

D . C - Revista Al - Qantara Vol , I , 1980 , pp . 79 - 114 :

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٤٨ .

وهو يومئذ صاحب الشرطة والمواريث ، وميسور الفتى الجعفرى الكاتب ^(١) .

وكان هشام لا يزال طفلاً ، وقد تمت هذه البيعة رغم مخالفتها للشرع ولكن الحكم كان شديد التعلق بولده ، عظيم الرغبة في أن يستمر الملك في ذريته وقد انتقده الناس بسبب ذلك ، وحمل عليه "ابن حيان" المؤرخ لأن البيعة تمت بسعى من "صبح" أم هشام ، وزوجة الحكم الأثرية إلي نفسه ^(٢) .

ولما توفى الحكم المستنصر بالله كان الصقالبة أكثر جمعا وأحد شوكة يظنون ألا غالب لهم وأن الملك بأيديهم ، وكانوا نيفاً على ألف محبوب ، بخلاف من يتبعهم من الفتيان ، وكان على رأسهم فائق المعروف بالنظامى صاحب البرد والطرارز وجوذر صاحب الصاغة والبيازرة ، واليهما كان أمر الغلمان والفحول بخارج القصر ، وقد حرصا على كتمان خبر موت الحكم ، وقاما بضبط القصر واتخاذ التدابير اللازمة ، لتسيير الأمور وفق الخطة التى وضعها ، وكانا قد دبرا الأمر للمغيرة بن الناصر ، أخى مولاهاما الحكم وعزما على مبايعته خشية أن تؤول الخلافة لهشام بن الحكم لصغر سنه ، وإنكار الناس لتقديمه ، على أن يقر ابن أخيه هشاماً على العهد بعده ^(٣) ،

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٢) مؤنس (دكتور حسين) : معالم تاريخ الأندلس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٠ م ، ص ٣٣٨ .

- وفي أمر البيعة يقول ابن بسام نقلاً عن ابن حيان " أنه لما انتهت خلافة بنى مروان بالأندلس إلي الحكم تاسع الأئمة ، وكان مع فضله قد استهواه حب الوالد حتى خالف الحزم في توريثه الملك بعده في سن الصبا دون مشيخة الأخوة وفتيان العشيرة ، ومن كان ينهض بالأمر ويستقل بالملك ، وذلك أنه نفس بسلطانه على ثلاثة رجال من أخوته ولد الناصر ، عبد العزيز شقيقه والأصبع والمغيرة ، يذكر ابن بسام وكان يقال (لا يزال ملك بنى أمية بالأندلس في إقبال ودوام ما توارثه الأبناء عن الآباء ، فإذا انتقل إلي الأخوة ، وتوارثوه فيما بينهم أدبر وانصرم) .

- ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ٥٧ .

- المقرئ : نفح الطيب (تحقيق إحسان عباس) ، ج ٣ ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٦٠ .

وبذلك يضمن هذان الفتيان بقاء السلطة في أيديهما باعتبارهما أكبر فتيان القصر ومدبري هذه الخطة .

وكان في رأي جؤنر ضرورة التخلص من جعفر بن عثمان المصحفي بقتله ، حتى يتم تنصيب المغيرة ، ولكن فائق عارضه في ذلك لأنه لم يرض أن يفتح عهد المغيرة بسفك الدماء ، فأرسل في طلب جعفر بن عثمان المصحفي ، فحضر ونعيا إليه الحكم ، عرضا عليه ما أجمعا عليه من الرأي ، فتظاهر الحاجب بالاستحسان والموافقة ، ووعدهما بالعمل وفق خطتهما ، وتنفيذ ما يشيران به ، ثم خرج فبادر إلي ضبط أبواب القصر واستدعى أصحابه من خاصة الحكم وأنصار هشام أمثال زياد بن أفلح مولى الحكم ، وقاسم بن محمد ، ومحمد بن أبي عامر ، واستدعى بني برزال البربر إذ كانوا بطانته من سائر الجند ، كما استدعى سائر قواد الأجناد الأحرار ، فاجتمع له من هذه الطوائف ما شد ركنه وقوى أمره ، فنعى لهم الخليفة وأبلغهم ما دبره الصقالبة من نكثبيعة هشام وتولية المغيرة ، وأوضح لهم أن هذا المشروع يمثل خطرا داهما عليهم وعلى دولتهم ونفوذهم ، وأنه إذا ولي المغيرة واستبد الصقالبة بالأمر ، قضى عليهم وعلى دولتهم ونفوذهم ، ونكل بهم المغيرة والصقالبة في حين أنه إذا ولي هشام الخلافة وهو ولي العهد الشرعي فإنهم يضمنون بقاء سلطانهم ونفوذهم فأشار عليه أصحابه بقتل المغيرة قبل أن يبلغه موت أخيه ، فتمكنه الحيلة ، فأقتنع بهذا الرأي وتطوع محمد بن أبي عامر لتنفيذ هذه المهمة ، فأدخل على المغيرة عدة من رجاله فقتلوه خنقا في مجلسه ثم أشاعوا أنه خنق نفسه ^(١) .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ٥٨ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

- المقرئ : نفح الطيب ، طبعة احسان ، ج ٣ ، ص ٨٦ .

Dozy : Spanish Islam , Op , Cit ., B III , p . 470 , 471 - 472 .

Levi - Provençal : Histoire , Op , Cit , t , II , p . 415 - 416 .

- عفان : دولة الإسلام ، ص ٥١٧ - ٥١٨ .

- سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ ، وأنظر :

Luis Suarez Fernandez : Historia de Espana antigua Y media tomo I , Madrid 1976 , p . 339 - 340 .

وهكذا تمكن الأمر لجعفر المصحفي ومحمد بن أبي عامر ،
ولما علم فائق وجوذر بما وقع للمغيرة جزعا وسقط في أيديهما ،
وبادرا إلي الحاجب جعفر وتظاهرا بالرضا والاستبشار بما وقع
والاعتذار عما سبق أن رأياه ، وأخذ الفريقان من ذلك الحين يتوجس
كل من صاحبه ويتربص به ، يقول ابن عذارى : " وانغمس جعفر
في الشغل بأمر البيعة أياماً ، وفي نفسه للصقالية ما لا تهنئه معه
عيشه وفي أنفسهم له أبرح لوعة " (١) .

وتمت بيعة هشام بالخلافة صبيحة يوم الاثنين لاربع خلون من
صفر سنة ٣٦٦ هـ / أول أكتوبر ٩٧٦ م ، ولم يجاوز الثانية عشرة
من عمره - في سن لا يصلح فيها خليفة أو حتى أمير - فتولى حمل
الناس على البيعة له وكيله ابن أبي عامر وحاجب أبيه جعفر
المصحفي ولقب المؤيد بالله (٢) .

وهكذا اجتمعت مقاليد السلطة في أيدي رجلين ، هما الحاجب
جعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن أبي عامر (٣) ، الذي ضمن

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

Dozy : Spanish , B III , p . 473 .

Levi - Provençal : Histoire , T , II , pp . 416 - 417 .

- ينول الدكتور حسين مؤنس " إن جماعة الطامعين أخذوا الناس ببيعة المستنصر
(لابنه قبل ذلك) ودعوههم إلي تثبيتها ، وهم في الواقع قد أخذوا البيعة لأنفسهم
عندما فعلوا ذلك ، فإن نص البيعة لم ينص على وصى أو أوصياء ، وقد اجتهدوا
في دفع الشيوخ إلي إقرارها ، فأقروها " .

- د. حسين مؤنس : شيوخ العصر في الأندلس ، المكتبة الثقافية (١٤٦) الدار
المصرية للتأليف والترجمة ، ديسمبر ١٩٦٥ م ، ص ٧٥ .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد ابن يزيد بن
عبد الملك المعافري من أسرة عربية يمنية ، وكان جده عبد الملك المعافري من بين رجالات
العرب الذين دخلوا الأندلس في حملة طارق بن زياد ، ثم استقر بنو عامر في مدينة طرش
من أعمال الجزيرة الخضراء ، وكان عبد الله بن أبي عامر والد المنصور رجلاً فاضلاً
انصرف إلي الحياة الدينية ونشأ ابنه محمد ظاهر النجابة حاد الذكاء ، ظهرت عليه سمات
الرياسة والطموح منذ صباه ، ثم قدم قرطبة شاباً يطلب العلم والأدب وسماع الحديث وبدأ
حياته كاتب عرائض على باب القصر الخلفي بقرطبة ، ثم اختارته السيدة صبح وكيلاً =
للنظر في أموالها وضياعها ، ثم نصب وكيلاً لعبد الرحمن ابن الحكم المستنصر الطفل سنة

"لصبح " أم هشام سكون الحال واستقرار الملك لابنها ، وطالب لقاء ذلك بأن يُمد بالأموال وتُسند إليه قيادة الجيوش ، بالإضافة إلي ما كان بيده من الخطط السنية ^(١) .

وهكذا ارتقى محمد بن أبي عامر إلي أرفع وظائف الدولة والقصر في أعوام قلائل ، ويرجع الفضل الأعظم فيما وصل إليه من مكانة سامية ، إلي قدراته العالية وطموحه الذي لا حدود له وذكائه الخارق ، فقد كان من أهل الذكاء والنبيل والبأس والحزم ^(٢) ، كما يرجع بالاختصاص إلي عصف السیده صبح عليه وحمايتها له ، وكان في

= ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م براتب شهري قدره خمسة عشر ديناراً ، فلما مات عبد الرحمن بعد ذلك بثلاث سنوات ، عينه الحكم وكيلاً لابنه هشام ، كان ابن أبي عامر قد استطاع في هذه الفترة أن يستحوذ على ثقة الخليفة ، فقدمه للنظر في أمانة دار السكة ، ثم أضاف له الخزانة ثم قدمه على خطة الموارد ، ثم استقضاه على كورة اشبيلية ولبلة واعمالها ، وفي سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م قدمه على الشرطة الوسطى في قرطبة ، والامانات بالعدوة ، ثم قلده منصب قاضي القضاة بالمغرب من العدوة ، واختاره قبيل وفاته ناظراً للحشم ، وكانت السيدة صبح وراء كل ما حظى به من مناصب عليا .

^(١) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ٧٨ ، ترجمة رقم ١٢٠ .

- ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي) : " مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس " ، تحقيق الاستاذ محمد علي شوابكة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٣ م ، ص ٢٨٨ .

- ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ٥٦ - ٦٠ .

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣١٨ .

- ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٣٦٨ - ٣٧٧ .

- المراكشي (عبد الواحد محيى الدين بن علي التميمي) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٧ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ - ٢٥٧ .

- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ، ج ٢٣ ، تحقيق أحمد كمال زكى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٥٩ .

- ابن الخطيب (لسان الدين) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، الطبعة الأولى ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ٤٧٤ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٨ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٩٩ .

^(٢) النباهي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي) : تاريخ قضاة الأندلس المسمى المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا " تحقيق لجنة إحياء التراث العربى ، بيروت ١٩٨٠ م ، ص ٨١ .

كل ما يحظى به من درجات سنية يصانع الحاجب جعفر ويجتهد في إرضائه وكسب ثقته ، وكان بين الرجلين تباين في الطباع أفاد منه ابن أبي عامر ، فقد كان الحاجب جعفر على ما يبيده من التواضع والترفق بالناس شحيحاً مؤثراً لجمع المال ، بينما كان ابن أبي عامر واسع البذل والجود ، حريصاً على اصطناع الرجال ^(١) وكما كان جعفر بطئ الفهم قليل الذكاء ، في حين كان محمد بن أبي عامر شعله ذكاء ، كثير الحيلة والدهاء وسنرى في الصفحات التالية كيف سخر هذه المؤهلات في الاطاحة بخصومه السياسيين ، أمثال الحاجب جعفر نفسه والقائد الأعلى للجيش غالب الناصري .

بعد أيام قلائل من مبايعة هشام بالخلافة أسند حجابته إلي وزير أبيه الأخص جعفر بن عثمان المصحفي ، كما ولى محمد بن أبي عامر خطة الوزارة ، وجعله معاوناً للمصحفي في تدبير دولته ، فامتثل المصحفي للأمر وأطلعته على سره ، وبالحق في بره ، بينما بالغ ابن عامر في مخادعته والنصح له فوصل المصحفي يده بيده واستراح إلي كفايته ، وابن أبي عامر يكرر به ويضرب عليه ويغري به الحسده ^(٢) .

وكان الخليفة الفتى هشام المؤيد بالله ، ميالاً بطبيعته وصغر سنه إلي اللهو والدعة ، وكان عاطلاً من خلال الرفيعة الملزمة لكل من يتولى المناصب الرئاسية فكان يلزم القصر والحدائق ، وكان يقضى أوقاته في اللهو واللعب ، بين الخصيان والجواري وآلات الطرب ^(٣) ، وكان ابن أبي عامر يرحب بذلك ويشجع إقباله على

(١) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ٥٩ - ٦٠ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ، ٢٥٨ .

- المقرئ : نف الطيب ، ج ١ ، ص ٤٠٣ ، ٦٠٣ ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٦٠ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٩٦ ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

- النويري : نهاية الارب ، ج ٢٣ ، ص ٤٠٣ .

(٣) وعلى عكس اجماع المؤرخين يصفه مؤدبه أبو بكر الزبيدي بأنه " كان في صباه في غاية الحنق والذكاء ، وكان يستعظم أدبه ويصف رجاحته وحجاءه ، ويزعم أنه لم يجالس =

مظاهر السفه والاسفاف ، ويراها محققة لهدفه وملائمة لخطته ^(١) ، فقد كان يسعده أن ينصرف الخليفة الصغير إلى لهوه ولذاته ليتفرغ هو إلى تنفيذ مآربه في السيطرة على أمور الدولة والاستبداد بها ، وسحق كل من يعترض طريق طموحه .

ومنذ أن ولي هشام الخلافة حجر عليه ابن أبي عامر ، ولم يسمح لأحد غيره برؤيته أو مخاطبته ^(٢) ولتحقيق هدفه رأى محمد بن أبي عامر أن يبدأ بالصقالية الخصيان الخدام بالقصر وكان عددهم نحو الألف لا يزالون قوة يحسب حسابها وكانت الوحشة ما تزال قائمة بين جعفر والصقالية منذ أن تسبب في فشل مشروعاتهم لتولية المغيرة ، حصر شوكتهم بتولية هشام ، فأخذ جعفر حذره منهم ، وأذكى العيون ، بلغه أن جوذراً وائقاً يدبران على الدولة مع فريق من زعمائهم ، فوضع الفتیان تحت الرقابة ، وأغلق باب الحديد ، الذي كان مخصصاً لدخولهم ودخول أصحابهم ، وصير دخول الناس على باب السدة ، فحسم شر الصقالية ، ووضعهم تحت الرقابة ، وفصل الغلمان الفحولة عن فائق وجوذر ، وألحقهم ابن أبي عامر

عقط من أبناء العظماء من أهل بيته وغيره في مثل سنه أذكى منه ولا أحضر يقظة ولا أطف حساً ، وأرزق حلماً ... " .

- ابن خلکان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٤ ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧١ م ، ص ٣٧٢ ، ترجمة رقم ٦٥١ .

- سيمون حايك : صبح البشكنسية أو الأندلس على عهد الحكم المستنصر والدولة العامرية ، مدريد ١٩٧٦ م ، ص ٩١ - ٩٣ .

- ولهذا فأننى أميل إلى الرأي القائل بأن هشاماً لو كان قد وجد ممن حوله حبا صادقاً وإخلاصاً لكان قد حذا حذو أبيه وجده ، والتاريخ يذكر له بعض المخايل التي كانت تبشر بالذكاء وحسن الرأي ، لكى يت رسم خطوات جده ، ولكن تفرغ الحكم للحياة العلمية ، وتدليله لهشام بعد وفاة ابنه الأول عبد الرحمن سلبت ابنه ووليه أية فرصة لقوة السلطان .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٨٢ - ٨٣ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٥٨ .

- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

- عنان : دولة الإسلام ، ص ٥٢٥ .

(٢) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٠٤ ؛ المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٩١ .

- عنان : دولة الإسلام ، ص ٥٢٥ .

بحاشيته وكانوا زهاء خمسمائة غلام ، اشتد بهم أزره وفخم أمره ، ثم انحاز إليه بنو برزال البربر ، فاعتز بالطائفتين وتبعه سائر الجند ، فهان أمر الصقالبة عنده ، ولم يمض سوى قليل حتى طلب جوذر اعفاءه من الخدمة ، وشعر الصقالبة بانهيار سلطانهم ، فسرى بينهم التذمر واجتمعوا وراء ذرى الفتى الصغير فاتفق جعفر وابن أبي عامر على ازاحته ، وتمكن ابن أبي عامر وبنو برزال في التخلص منه وقتله .

ورأى ابن أبي عامر الفرصة سانحة لسحق الصقالبة ، فأمر كبيرهم فائقاً وباقي زعمائهم بالتزام دورهم ، وانحصدت شوكة الصقالبة حينئذ وفل حدهم ، وتجرد ابن أبي عامر لطلبهم فاستخرج منهم أموالاً جمة استأثر بأكثرها ، وأبعد الفتى فائق في النهاية إلى الجزائر الشرقية فمات هناك ، ويعبر ابن حيان عن تتبع ابن أبي عامر للصقالبة بالقتل والنفي والتشريد بقوله : " وتقسمتهم أيدي القدر نفياً وقتلاً ، صبراً وغلبة ، سراً وعلانية ، حتى هلكوا عن آخرهم في أسرع مدة ، فكانت تلك الطائفة أول من ظهر انتقام الله تعالى بابن أبي عامر منها ، فكانوا جبارين قاسطين في بلاده ، متمردين على عباده ، فأرسه بقدرته على هذا النمط من خلقه فأبادهم " (١) .

ولكى يتقى شرهم وبعد أن تم إخراجهم من القصر ، ويكسب قلوبهم بعد نكبتهم أوحى إلي الحاجب جعفر المصحفي بأن يقلد صاحبهم سكر الفتى أمر القصر فسكن أنفـس الصقالبة وأجراهم على الطاعة (٢) .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦١ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦١ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٦١ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٩ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٩٧ .

- Dozy : Spanish Islam b , III , pp . 474 , 475 , 476 .

- Levi - Provençal : Histoire , t , II , p p . 417 - 418 . =

وما إن انتهى ابن أبي عامر من تشتيت شمل هؤلاء الصقالبة من القصر الخلافي ، حتى ولى مكانهم صنائعه من الصقالبة وقد عرف هؤلاء منذ ذلك الحين باسم الفتيان العامرية ^(١) ، وممن برز من الفتيان العامرية فاتن العامري وكان أوحداً لا نظير له في علم الكلام العرب وكان يتعلق بالأدب ، وكان على حد قول ابن بسام " حسن الخط واسع المعرفة فصيح اللسان حاضر الجواب إلي عفاف طعمة ونزاهة نفس وجمال صورة . وكان ممن تتباهى الملوك بخدمته وتستريح إلي حلمه ^(٢) " .

وظهر في تلك الآونة بقرطبة جملة من الفتيان المجابيب ممن أخذ من الأدب بأوفر نصيب ، من بينهم حبيب الفتى الذي صنف كتاباً يشير فيه بمآثر قومه أسماء (كتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة) ^(٣) ولعل هذا الكتاب كان أول محاولة للكتابة

=- ويلقى الدكتور حسين مؤنس باللائمة على الصقالبة عند حديثه عن انهيارهم السريع فيذكر أنه على الرغم من ارتفاع مركزهم ، وكثرتهم وثرانهم ، كانوا يتفقدون زمام المبادرة ، فقد كانوا خدماً ممتازين ولكنهم سادة سيئين لم يتوحدوا فيما بينهم ، ولم يظهر أمر تلك الفئة إلا بعد سقوط الخلافة وليس قبل ذلك ، وإلا ما كان باستطاعة المنصور أن يطردهم من القصر بتلك السهولة ، وتدل قصة المنصور مع دري وأمره بالقبض عليه وقيام البربر البرزالبين باذلاله دون أن يستطيع الصقالبة الآخرون القيام بنجدته ، يدل ذلك على أنهم كانوا دائماً مترددين غير متفقين على رأى لتحقيق هدف ، فهم بحاجة دائماً إلي قائد أندلسي خليفة أو غيره يملك القدرة على النشاط اللازم للعمل .

Hussain Mones : Essai Sur La Chute , p . 38 .

^(١) ابن الخطيب : أعمالا الاعلام ، ص ٢٤٢ ، ٢٦٠ .

Luis Suarez Fernandez : Historia de Espana , t , I , p . 340 .

^(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٣٤ .

- المراكشي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسى) : الذيل والتكملة لكتاب

الموصول والصلة " ، القسم الثانى ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٥٢٦ ، ترجمة رقم ١٠٠٦ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٨٢ .

^(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٣٤ .

- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) التكملة لكتاب الصلة ، الجزء الأول ، نشرة عزت العطار الحسينى ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ٢٧٨ ، ترجمة ٧٤١ .

- المقرئ : النفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٨٢ .

Dozy : Spanish Islam , b . III , pp . 430 - 431 .

- العبادى : الصقالبة في اسبانيا ، ص ١٤ - ١٥ .

في دائرة الشعوبية الصقلبية وأن لم يكن في صميمها ، لأن مؤلفه دافع عن عنصره ولم يهاجم غيره ^(١) ومنهم عمارة الصقلبي الفتى الكبير ، وميسورا الصقلبي ، ونجم الوصيف وكان من أهل الأدب والشعر ^(٢) وغيرهم .

وبعد أن خلا الجو من الصقلبية عمد ابن أبي عامر على التخلص من منافسيه على السلطة ، فبدأ بالمصحفي ، وللقضاء عليه تقرب إلي غالب الناصري ^(٣) الذي ساندته في ذلك ، وكان توفيق ابن أبي عامر في الحملات التي قادها وانتصاراته المنتتابة على القوى المسيحية في اسبانيا أعمق الأثر في استمالاته لقلوب أهل الأندلس وتعظيمهم له في الوقت الذي قل نفوذ المصحفي وأفل نجمه لا سيما بعد أن صاهر ابن أبي عامر غالب الناصري ، فتزوج ابنته أسماء وتلقب بالمنصور ^(٤) .

(١) د. فوزي سعد عيسى : الهجاء في الأدب الأندلسي ، ص ٩٥ .

- وهذا الكتاب يقابله عند البربر كتاب مفاخر البربر .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٣٤ .

- ابن الأبار : (التكملة كتاب الصلة ، ج ٢ ، نشره عزت العطار الحسيني ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٧٥٧ ؛ ترجمة رقم ١٨٧٥) .

(٣) أبو تمام غالب الناصري " صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى ، شيخ الموالى قاطبة وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع " . كان الوزير جعفر المصحفي قد أساء معاملته عندما تولى الحجابة لهشام المؤيد ، رغبة منه في الانفراد بالسلطان المطلق ، فاضطربت أحوال الثغر نتيجة للمنافسة بين الرجلين ، وكان هذا من الظروف التي استغلها محمد ابن أبي عامر للوصول إلي السلطان .

- ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ .

- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٦١ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٢ - ٦٤ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، ٢٦٤ - ٢٦٧ .

- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٦٠ - ٦١ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٩ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٠٠ - ٤٠٧ ، ج ٣ ، ص ٨٧ - ٨٩ .

- Dozy : Spanish Islam , B . III , p . 480 - 483 .

- Levi - Provençal : Histoire , t , II , p . 418 - 421 .

- Aguado Bleye : Manual de Historia de Espana , t , I , p . 438 .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٣٢٧ - ٣٣٠ .

ولم يلبث ابن أبى عامر أن نجح في الإيقاع بجعفر ، فعزله الخليفة عن الحجابة في شعبان سنة ٣٦٧ هـ / ٢٦ مارس ٩٧٨ م وأمر بالقبض عليه وعلى ولده ، وعلى ابن أخيه هشام وصودرت أموالهم وانتهكت حرمتهم ، وقتل هشام بن أخى جعفر في المطبق ، واستمرت نكبة المصحفى سنين عدة ، يحبس مرة ويطلق أخرى وينقله المنصور معه في غزواته ، واستقر به المطاف في السجن المطبق بالزهراء إلى أن توفي سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م وقيل أنه قتل خنقاً في مطبقه ، وقيل أنه دست إليه شربة مسمومة كانت سبب وفاته^(١).

وكان مما أعان ابن أبى عامر على جعفر المصحفى في تحقيق هدفه من إزاحة المصحفى وظفره هو بالحجابة ، ميل الوزراء إليه وإيثارهم له عليه وسعيهم في ترقية وأخذهم بالعصبية فيه^(٢) ، فقد كان المصحفى من أصل متواضع كما كان ينتسب إلى البربر من جهة وإلى قبيلة قيس العربية بالولاء من جهة ثانية ، وقد نال أرفع المناصب منذ أيام الحكم المستنصر وتقدم على الجميع^(٣) مما أثار عليه نقمة مجموعة من موالى بنى أمية ، كان أفرادها يتناوبون الوظائف العليا جيلاً بعد جيل وأشهرهم آل أبى عبدة ، وآل شهيد وآل جهور وآل فطيس ، ولهذا بادرت هذه الأسرات إلى الانحراف عن المصحفى والانضمام إلى جانب المنصور عندما أقدم على نكبته^(٤).

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٥ - ٦٧ .

- ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٩٠ .

(٢) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ١٦١ .

- ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .

(٣) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ، ١٥٥ - ١٥٦ .

- ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .

(٤) ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

كان التخلص من المصحفي مجرد خطوة أولى في سلسلة الخطوات التي انتهجها ابن أبي عامر لتحقيق أهدافه ، فكانت الخطوة التالية ترمى إلي إزاحة غالب الناصري فارس الأندلس بلا منازع ، ولما كان غالب هو القائد الأعلى للجيش فقد رأى ابن أبي عامر أن يعتمد على عصبية تعينه على مواجهة هذا الخصم العنيد ، فكما استكثر من الصقالية واعتزا بهم استكثر من البربر ، واستجلب من رؤسائهم وأنجادهم من بلغة فروسيته وشدته ^(١) ، فأنشأ صفوفاً جديدة من المرتزقة من زناتة وصنهاجة وغيرهما من قبائل البربر ، في الوقت الذي أخرج العناصر العربية وأسقطهم عن مراتبهم وشنت صفوفهم حتى يقطع التحامهم وتعصبهم ^(٢) .

وبعد أن اطمئن ابن أبي عامر إلي قوة موقفه ، تفرغ للقضاء على منافسه غالب ولم تكن المواجهة بين الرجلين سهلة فقد كان غالب ينعم بشهرة عظيمة بفضل بطولاته العديدة وانتصاراته ، وكان قد تبين له ما يهدف إليه ابن أبي عامر ، فاستجاش من ملوك النصارى ضد ابن أبي عامر ، وقامت بينهما معارك ، وانتهى الأمر بقتل غالب في الرابع من محرم سنة ٣٧١ هـ / أغسطس ٩٨١ م ^(٣)

=- وإن كان الدكتور حسين مؤنس لا يرى أن الأصل البربري للمصحفي هو الذي أدى إلي نفور الوزراء من المصحفي وكراهيتهم له ، وإنما يرجع ذلك إلي عدم كفاءته وغروره مما أثار السخط عليه .

- Hussain Mones : Essai Sur la Chute , p . 211 .

(١) ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيري) مذكرات الأمير عبد الله ، المسماة بكتاب التبيان ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٥ م ، ص ١٦ .

(٢) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٣٨٩ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ ، ٢٩٣ - ٢٩٤ .

- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ ، ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

- ابن الطيب : أعمال الاعلام ، ص ٦٢ - ٦٣ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٩٢ .

وبذلك تخلص من أعظم منافسيه ، وأصبح ابن أبي عامر بعد مقتل غالب سيد البلاد ، وأمر بالدعاء له على المنابر ، واتخذ سمة الملك فتسمى بالحاجب المنصور ، ونفذت الكتب والأوامر باسمه عن "الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر" ومحار رسوم الخلافة ، ولم يبق للخليفة هشام من هذه الرسوم الخلفية سوى الدعاء على المنابر ، وكتب اسمه في السكة والطرز^(١) ، مع هذا لم يخلع اسم الحجابة ، ولم يدع السمع للخليفة والاجابة ظاهر يخالفه الباطن^(٢) .

سعى المنصور إلي اقتناء جيش من الصقالبة يستند عليه متشبهاً في ذلك بالخلفاء ، وقد ساعده على ذلك كثرة غزواته ووفرة ما كان يقع بين يديه من الأسرى^(٣) وقد اصطنع ابن أبي عامر الصقالبة في القيادات العسكرية وفي الإدارات الحكومية وكان حشم القصر يتكون من ألف من الصقالبة^(٤) ، وبلغ من كثرة الصقالبة بالأندلس أن أبي مروان عبد الملك بن شهيد عندما أراد أن يقدم هدية إلي المنصور تضمنت هذه الهدية مائتي صقلبي^(٥) .

وهكذا نجح المنصور في تكوين قوة ممتازة منهم لها دراية تامة بشئون الحكم والقتال ، حتى أن البعض منهم استطاع أن يؤسس دويلات صقلبية في أعقاب سقوط الخلافة بقرطبة .

= عبد العزيز الفيلى : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، الطبعة الثانية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٣ م ، ص ٢٢٣ .

(١) ابن خاقان : مطمح الأنس ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ١٨٠ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٢) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٣٨٩ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ .

- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٣١ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٩٦ .

(٤) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٨٥ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ١٩٨ .

وأنظر ابن شهيد (أبو عامر أحمد بن عبد الملك الأشجعي) : ديوانه ، جمع وتحقيق يعقوب زكى ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٠ .

وتوفي المنصور في سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م وكان لوفاته وقع عظيم بقرطبة وأدرك العقلاء أن رزءاً فادحاً نزل بالإسلام وبالأندلس، واعتقد فريق من المروانية بالقصر، وبعض الناقمين من العناصر الأخرى، أن الفرصة سنحت للتحرر من نير الحكم القائم والعودة إلى النظام الإخلاقي ولكن السلطات العامرية قبضت على عدد من المحرضين وأبعدوا إلى العدو عن أمر هشام، وأستتب الأمر لعبد الملك، واستقبل الناس حكمه بالاستبشار والرضا^(١).

وصدر الأمر من الخليفة باستبقاء عبد الملك في الحجابة في شهر شوال سنة ٣٩٢ هـ / أغسطس ١٠٢٢ م. وقد بدأ حكمه مترسماً خطاً أبيه من حيث إضعاف الخليفة وإبعاده عن أي نشاط، ومن حيث استرضاء الجند ومعاملة الصقالبة العامريين معاملة خاصة، فمنحهم أكبر المناصب وولي بعضهم الثغور^(٢)، كما استقدم زعماء البربر من العدو وكان أعظم من قدم إليه منهم زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي^(٣).

ولما كان عبد الملك قليل الخبرة منهمكاً في الشراب واللهو، فقد اعتمد في تدبير شئون الدولة على خاصته من أكابر الفتيان العامريين أمثال طرفة، وواضح وزهير، وخيران، ومجاهد^(٤).

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٧٨ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٤ .

- عنان : دولة الإسلام ، ص ٦٠٧ - ٦٠٨ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦ .

Levi - Provencal : Histoire de L ' Espagne Musulmane , t, II , p . 459 .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٤) عنان : دولة الإسلام ، ص ٦١٦ .

- عن الفتيان العامرية ، أنظر :

- ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٥ ، ٧ ، ١٠ ، ٢٢ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٠٣ .

وقد انتهز الفتى طرفة الصقلبي زعيم فتیان القصر الصقالبة ،
وصاحب الحظوة لدى الخليفة فرصة مرض المظفر ، فاستبد بالأمر
وأنفرد بشؤون الحكم بعد أن أقصى الوزير عيسى بن سعيد اليحصبي
المعروف بابن القطاع ، وأغلظ حجابته مدتها وهابه الجند وخافوا
سطوته ، وصار الأدر والنهي في يديه فحقد عليه الناس ، وعندما أبل
الحاجب من علته وجد طرفه وقد استولى على أمره ونفذ أشياء بغير
علمه ، فقبض على طرفه في صيف ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م ، وانتهى
الأمر بقتله في شوال سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٤ م ^(١) .

وتوفي عبد الملك المظفر في ١٦ صفر ٣٩٩ هـ / ٢٠ أكتوبر
١٠٠٨ م ، وقيل سمه أخول شنجول ^(٢) .

ويسجل هذا التاريخ بداية لفترة تاريخية من أكثر الفترات
التاريخية اضطراباً وغموضاً أو فاتحة ما يعرف بعصر الفتنة ، فقد
خلف عبد الملك أخوه عبد الرحمن شنجول والذي كان أضعف منه
شخصية ، أو على حد قول الدكتور حسين مؤنس أسوء من تولى
الحكم في بلاد الأندلس ^(٣) .

عندما تولى عبد الرحمن الحجابة كان يبلغ حينذاك الخامسة
والعشرين من عمره ، ولم يكن محبوباً لسوء خلقه ومجونته ^(٢) ، وزاد
من ازدراء الرعية له أنه اشتهر منذ طفولته بلقب " شنجول "

^(١) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٧ - ٣٦ .

Levi - Provençal : Histoire , t , II , p . 461 - 462 .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٣٩ .

- أحمد فكري : قرطبة في العصر الإسلامي ، حاشية ص ١١٨ .

^(٢) الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) : " بغية الملتبس في تاريخ
رجال أهل الأندلس " ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ٣٧٣ ، ترجمة
رقم ١٠٥٣ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٣٧ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٣ .

Hussan Mones : Essai sur la ch

^(٣)

^(٢) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٦٦ - ٦٧ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٠٧ .

Sanchuelo لكونه حفيداً لسانشو غرسيه Sancho Garcia II ملك نبرة ^(١) بالإضافة إلي تلقبه بالمأمون ناصر الدولة ، ولما لم يمض بعد على توليه الحجابة عشرة أيام ، وقد اعتبر أهل الأندلس هذا اللقب افتئاتاً وغروراً ممن لا تؤهله خلاله لمثل هذا التكريم ^(٢) ، ثم تطلع شنجول إلي الظفر بولاية العهد وطلب من الخليفة هشام المؤيد أن يكتب إليه عهداً بذلك متوسلاً بقرابة بينه وبين المؤيد من ناحية الخوولة ، لأن أم هشام المؤيد كانت من البشكنس ^(٣) كذلك . وهكذا حصل شنجول على مأموله وأصدر هشام مرسوماً أسند إليه فيه بولاية العهد ^(٤) يوم

^(١) إشارة إلي ما هو معروف من أن أم عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر كانت بنت شانجة الثاني ابن غرسيه الأول ابن شانجة الأول وهو الملقب بأبركة ملك نبرة Sancho Garcia (Abarca) وقد أسلمت هذه الأميرة بعد زواجها بالمنصور وسمت باسم عبدة ، وأنجبت عبد الرحمن سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م ، وأطلقت عليه - تدليلاً - مصغر اسم أبيها ، أي سانشويلو Sanchuelo (بالعربية شنجول) وقد أعقبت هذا الزواج هدنة بين قرطبة والبشكنس وأقبل هذا الملك إلي قرطبة لزيارة ابنته وحفيده وصهره في ٢ رجب ٣٨٢ هـ / ٤ سبتمبر ٩٩٢ م .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٦٦ .

Dozy : Spanish Islam , B . III , p . 539 .

Dozy : Recherches , t , I , pp . 203 - 210 .

Levi - Provençal : Histoire , t , II , p . 437 .

- ليفي بروفنسال : الحضارة العربية في اسبانيا ، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١٠٢ .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٤٣ .

- عنان : دولة الإسلام ، ص ٦٢٣ .

- أحمد فكري : قرطبة في العصر الإسلامي ، ص ١٢١ .

- سحر عبد العزيز سالم : ظاهرة الزواج المختلط في الأندلس في العصر الإسلامي ، بحث لم ينشر ، ص ٢ .

^(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٣٨ - ٤٢ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٩١ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٤ .

^(٣) البشكنس Vascones هم سكان نافار Navarra التي كانت بنبلونة Pamplona عاصمة لها .

- البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب

المسالك والممالك ، الطبعة الأولى ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجى ،

بيروت ١٩٦٨ م ، ص ٧٩ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٤٢ .

Levi - Provençal : Histoire de l' Espagne Musulmane , t , II , p . 471 .

^(٤) أنظر نص ولاية العهد في :

- ابن بسام : النخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٤٣ - ٤٦ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

الثلاثاء ١١ ربيع الأول ٣٩٩ هـ / ٤ نوفمبر ١٠٠٨ م . مدعياً عدم وجود من يصلح لها من القرشيين ، فكان ذلك التصرف عود الثقب الذي أشعل نار فتنة مبيرة ، فقد قام بنو مروان وشيعتهم للدفاع عن حقهم فلم يخذلهم الناس ^(١) . لذلك سرعان ما تفجر في نفوس بني أمية كامن الغضب على الأسرة العامرية ومن ناصرها لاستحواذها على السلطان دونهم وهم أصحابه ^(٢) .

وكان عبد الرحمن قد ذهب في غروره إلى أبعد مدى ، فنصب ابنه الطفل عبد العزيز في خطة الحجابة ، وأسبغ عليه لقب سيف الدولة ، وهو لقب عمه المظفر ^(٣) .

وكان من العوامل التي أذكت موجة جديدة من السخط ، أن عبد الرحمن أصدر أمره في ١٣ جمادى الأولى ٣٩٩ هـ / ١٣ يناير ١٠٠٩ م إلى رجال الدولة وأكابر أهل الخدمة بأن يتركوا قلائسهم الطوال ويتعمموا بالعمائم كما هو الحال عند البربر فأنف الكبراء لذلك ، ولكنهم رضخوا للأمر كارهين ، وعلق الناس على ذلك بمختلف الأقوال والتأويلات ^(٤) .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٩١ - ٩٣ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢١ - ٣٢٣ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

^(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٤٢ - ٤٣ .

Antonio Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , Madrid 1926 p . 12 .

Levi - Provencal : Histoire de l' Espagne Musulmane , T . II , p . 472 .

^(٢) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٦٧ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٩٠ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٣ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٦ ، ٥٧٦ .

^(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٤٧ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٩٤ .

^(٤) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٤٨ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤١٠ .

Levi - Provencal : Op . Cit . , p . 473 .

Hussain Mones : Essai Sur La Chute , p . 254 .

وأراد شنجول أن يشغل الناس بحديث الغزو أسو بابيه وأخيه ، بعد أن سمع بإغارة النصارى على الحدود الإسلامية واعتزم أن يسير إلي الغزو ، وأن يقصد جليقية فاعترضه كبير الفتيان الصقالبة ، وحذره من مغادرة قرطبة في هذا الوقت لأن الأمويين يدبرون انقلاباً على العامريين ينتزعون به الحكم وأن كثيراً من الجند يميلون إليهم ، فلم يصغ إلي قوله وأمر بالخروج إلي الغزو في ١٦ جمادى الأولى ٣٩٩ هـ / ١٦ يناير ١٠٠٩ م . وعهد بإدارة الأمور في غيبته إلي عبد الله بن أبى عامر المعروف بعسكلاجة وهو ابن عم أبيه المنصور^(١) . ولكن شنجول لم يحقق غايته من الغزو ، وفي طريق الرجوع إلي قرطبة بلغه أن ثورة اشتعلت بقرطبة أثناء غيبته عن قرطبة تزعمها محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر استهدفت خلع الخليفة هشام المؤيد وولي عهده معاً ، وساعدته الذلفاء أم أخيه عبد الملك في ذلك بأموالها ، لاعتقادها اعتقاداً جازماً أنه كان لعبد الرحمن يد في موت ابنها .

واتصلت الذلفاء بالأمويين عن طريق فتى من الصقالبة العامريين يدعى بشرى وكان من قبل من فتيان المروانية ، ثم انتقل إلي العامريين فيمن انتقل من فتيان القصر ، ولكنه بقى على ولائه لساتته الأقدمين ، وتعهدت الذلفاء بأن تعاون المتآمرين المروانيين بالمال مقابل النار لولدها ، وسرعان ما استجاب بنو أمية للدعوة ورشحوا محمد بن هشام بن عبد الجبار زعيماً لبنى أمية ، وداخله لذلك سليمان بن هشام واستظهر بسائر ولد أبيه الناصريين وقومهم المروانيين ، فجدوا في معونته وكلمتهم يومئذ في بغضاء العامريين متفقة ، فلانوا بمحمد بن هشام وبايعوه سراً بالخلافة ، وكان فتاك بيتهم في ذلك الوقت جسوراً ثائراً مخاطراً خليعاً مداخل للصقوره والفتاك ، يتطلع للانتقام لأبيه الذى قتله الحاجب عبد الملك^(٢) .

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٩٦ .

Dozy Spanish Islam , B . III , p . 540 .

- Levi - Provencal : Histoire de l' Espagne Musulmane , T . II , p . 473 .

- Hussain Mones : Essai Sur La Chute , p . 254 - 255 .

- عنان : دولة الإسلام ، ص ٦٢٩ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٥٢ - ٥٣ ، ٦١ .

- النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤١٠ - ٤١١ = .

(٥)

موقف الصقالبة من الفتنة

انتَهز محمد بن هشام بن عبد الجبار فرصة خروج شنجول للغزو واتفق مع أنصاره على القيام بثورتهم بعد شهر من خروج شنجول من قرطبة حتى لا يتمكن من العودة سريعاً لآخمادها ، وتم تنفيذ المخطط الذي وضعه ابن عبد الجبار في ١٦ جمادى الآخرة ٣٩٩ هـ / ١٥ فبراير ١٠٠٩ م ، فبدأ أصحابه من أراذل العامة بالهجوم على قصر قرطبة واقتحموه وقتلوا عبد الله بن أبى عامر (عسكلاجة) ^(١) صاحب المدينة ، ورفعوا رأسه على رمح ، فلما رأى العامة ^(٢) رأسه مرفوعاً ، هرعوا إلى محمد بن هشام ، والتف حوله جمهور كبير من الحجامين والخرازين والزبالين والعنازين والجزارين والسفلة والغوغاء ^(٣) . ودخل محمد القصر واحتل مجلسه وأجبر الخليفة على خلع نفسه ، وتولى محمد بن هشام الخلافة في اليوم التالى ، وتلقب بالمهدى ^(٤) ، وبايعه فريق من الخاصة

= ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٠٩ .

- Dozy : Spanish Islam , B III , p . 547 .

- Lévi - Provençal : Op , Cit . , pp . 473 - 474 .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص ٣٤٧ .

^(١) هو أبو حفص بن عسكلاجة أديب شاعر ، من الرؤساء في الدولة العامرية .

- الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٩٦ ترجمة رقم ٩٣٥ .

^(٢) وتحت اسم العامة يمكن أن ندخل الحرفيين والعمال وصغار التجار والاجراء والعاطلين وجميع أولئك الذين جاءوا إلى المدينة يبحثون عن وسيلة للرزق ويستخدمون قوتهم على العمل للحصول عليه .

- صلاح خالص : اشبيلية في القرن الخامس الهجرى ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٥٣ .

^(٣) هم جماعات كثيفة العدد من المشاغبين والعاطلين يقدر عددهم بالآلاف ، كانوا يقيمون في العاصمة ينتظرون فرصة خروج الحملات ليلتقوا في جماعات تخرج دائماً في حملة الربيع وتعود في الخريف ، وكان منهم المحاربون والحرفيون والعاملون ممن يجدوا في الاضطرابات مجالا للمشاركة ، فيعيشون الفوضى ويعيثون في البلاد فساداً .

Hussain Mones : Essai Sur La Chute . , Op , Cit . , p . 143 .

^(٤) يذكر الدكتور محمود على مكي أن هذا اللقب كان من الألقاب التى يتلقب بها الانمة السبعة ، وقد أثار تلقبه بهذا اللقب أهل الأندلس السنة عليه .

- مكي (دكتور محمود على) التشيع في الأندلس ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الثانى ، العدد ١ ، ٢ ، ص ١٣٧ .

والوزراء والفقهاء^(١)، فرح العامة بهذا الانقلاب الذي كان من باكورة نتائجه اقضاء حاجب متسلط مستبد، وخلع خليفة متخلف في تفكيره ضعيف في قدراته، وأبقى الخلافة في بيت بنى أمية^(٢).

ثم أن المهدي وجه حشوده من العامة والسجناء الذين أطلقوا من سجونهم إلى مدينة الزاهرة معقل بنى عامر، فحطوا عليها واقتحموا أبوابها ونهبوا ما في قصورها من تحف وثروات وجردها من كل محاسنها ثم أتوا على قصورها بالهدم والتدمير فسورها بالأرض^(٣).

أما عبد الرحمن شنجول الذي عدل عن إنفاذ حملته، واضطر إلى العودة إلى قرطبة ظناً منه أن باستطاعته إخماد الثورة، فما إن وصل إلى دير أملاط Guadamellato قرب قرطبة حتى قبض عليه عصابات ابن عبد الجبار ومزقوه يوم الخميس ٣ رجب ٣٩٩ هـ / ٣ مارس ١٠٠٩ م وزالت دولة بنى عامر بعد أربعة أشهر ونصف من استيلائه على رياستها^(٤).

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٥٥ - ٥٩ .

- النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤١٢ - ٤١٣ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٦ .

Levi - Provencal : Op , Cit ., p . 474 - 475 .

- Hussain Mones : Op . Cit ., p . 258 - 262 .

(٢) أحمد فكري : قرطبة في العصر الإسلامي ، ص ١٢٢ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٦١ - ٦٢ ، ٦٥ .

- النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤١٣ - ٤١٤ .

Dozy : Op . Cit ., P . 542 .

Levi - Provencal : Hist , Op , Cit ., p . 476 .

(٤) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٦٦ - ٧٣ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٩٧ - ٩٨ .

- المراكشي : المعجب ، ص ٢٥ .

- النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤١٤ - ٤١٧ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٦ .

Dozy : Spanish , Islam , B. III , p . 543 - 544 .

Levi - Provencal : Hist , Op , Cit ., t ., II , p . 478, 429 .

Agudo Bleye Manual de Historia de Espana , T . I , p . 441 .

Hussain Mones : Op , Cit , p . 264 - 267 .

وفي أيام محمد بن هشام بن عبد الجبار بدأ الفساد ينخر في الدولة الأموية ، فقد كان رجلاً قاسياً دموياً أحماً مجرداً من الفضائل لا يعبأ بالقيم الإنسانية ، حاط نفسه بطائفة من حثالة المجتمع القرطبي من الدهماء والغوغاء الذين أزروه والتفوا حوله ^(١) ، فما كادت الأمور تستقر له بقرطبة حتى شن حرباً ضروس على العناصر البربرية ، لأنهم كانوا أعوان العامريين وجندهم ^(٢) ، وشجعه في ذلك أهل قرطبة الذين كانوا بحكم العصبية الأندلسية يحقدون على البربر وبتلك السياسة العنصرية ضد البربر ، أشعل نار الفتنة البربرية التي كان من الأولى كما يذكر ابن عذارى أن تسمى فتنة عبد الجبار ^(٣) ، ويصفه ابن حيان بأنه " مفرق الجماعة بقرطبة ومبتعث تلك الفتنة المبيرة " ، كما عمد إلى نفي جماعة كبيرة من الصقالبة العامرية ، كما أخرج بعد ذلك صقالبة القصر ، الذين لجأوا إلى أطراف الأندلس الشرقية ، وكونوا دويلات صقلبية ^(٤) .

وأثارت تصرفات المهدي ابن عبد الجبار مشاعر الاستياء في المجتمع القرطبي فاستغل أحد أحفاد الناصر ذلك وثار بطائفة من الحانقين على المهدي وفي مقدمتهم جماعة العبيد العامريين ، وطوائف البربر في الخامس من شوال ٣٩٩ هـ (٣ يونيو ١٠٠٩ م) وتلقب بالرشيد وتقدم من القصر ، وطالب المهدي بالتنازل له عن الخلافة ، فالتفت العامة من الربض الغربي حول المهدي ، وخرج في

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠١ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٥٥ - ٥٦ .

Lévi - Provençal : Hist , Op , Cit , p . 479 .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ .

- النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤١٨ .

- ابن الخطيب (لسان الدين) : الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق الأستاذ محمد

عبد الله عنان ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٥١٣ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٥ .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص ٣٤٨ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٧٦ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ٢٧ .

Peres (Henri) : Esplendor de al - Andalus - la Poesia andaluza en arabe clasico en el siglo XI , Traduccion de Mercedes Garcia - Arenal , Madrid , 1953 , p . 15 .

وأنظر الترجمة العربية هنرى بيريس : الشعر في الأندلس ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد

مكى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ١٤ .

جموعه لمقاتلة خصومه وأسفرت المعركة عن هزيمة هشام وجموعه من البربر والعامريين ، وأسرى هشام وأبنه وأخوه أبو بكر ونفر من الزعماء قتلهم المهدي جميعاً ^(١) .

وتبع ذلك مذبحة بشعة قام بها العامة ضد البربر ، فاضطروا إلى الخروج من قرطبة إلى الثغر ^(٢) ، وكان من بين الفارين عقب هزيمة هشام بن سليمان ، ابن أخيه سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، فرفع بدوره لواء الثورة على المهدي ، وانضم إليه البربر المتحيزين خارج قرطبة ، فبايعوه بالخلافة وتلقب بالمستعين ^(٣) وبذلك انقسمت الأندلس إلى طائفتين رئيسيتين طائفة البربر ، وكانت تؤيد سليمان المستعين ، والطائفة الأندلسية وتضم البدليين من العرب والمولدين والصقالبة وكانت تدعو للمهدي .

لهذا تحالف المستعين والبربر مع شانجة من غرسيه بن فرذلند Sancho Garcia de Castilla واشتبك جيش البربر وجيش واضح صاحب طليطلة والثغر الأوسط - في موضع يعرف بشرنبة ^(٤) (Jarama حالياً) على مقربة من قلعة النهر Alcala de Henares أو قلعة عبد السلام فانهزم واضح هزيمة شنعاء في شهر ذي الحجة سنة ٣٩٩ هـ / أغسطس ١٠٠٩ م ، وفرت فلوله صوب قرطبة ^(٥) .

(١) الضبي : بغية الملتمس ، ص ٢٢ ؛ المراكشي : المعجب ، ص ٢٦ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٧ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٨١ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤١٩ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٥ .

Levi - Provencal : Op , Cit ., p . 480 - 481 .

(٣) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٨٢ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٣ .

(٤) هو النهر الذي يسمى الآن Rio Jarama وهو فرع من نهر تاجة El Tajo .

- ابن دراج القسطلي : ديوان ابن دراج القسطلي ، نشر وتحقيق الدكتور محمود علي مكي ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٣٨٩ هـ ، حاشية ص ٥٤ .

(٥) الضبي : بغية الملتمس ، ص ٢٢ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٢ - ١١٣ .

Peter Scales : The handing over of the Duero Fortresses 1009 - 1011 A.D (399 - 401 A . H) Al - Gantara , Vol V Fasc , I Y Z 1984 , p . 110 , 111 .

وأحس المهدي بأنه لن يستطيع الثبات أمام البربر ، فرد هشام المؤيد إلى الخلافة ليستعيد به رضا من بقي من أهل قرطبة ، وشرع في تحصينها ، وأرسل يستجد بالنصارى ، أما سليمان المستعين فقد زحف في حشوده البربرية مع قوة قشتالية بقيادة شانجة بن غرسية صوب قرطبة وعسكروا بشرقها في سفح جبل قنتيش ^(١) في ١١ ربيع الأول ٤٠٠ هـ / ٥ نوفمبر ١٠٠٩ م ، والتقى المهدي والمستعين في معركة هُزم فيها جيش قرطبة وقتل ما يقرب من عشرين ألفاً من أهل قرطبة ، وفر نفر من الصقالبة وعلى رأسهم واضح العامري إلى شرق الأندلس ^(٢) .

وتعتبر معركة قنتيش لذلك من المواقع الحاسمة في تاريخ الأندلس الإسلامية وذلك لأن الخلاف والانقسام قد بلغ فيها درجة لا أمل معها في استعادة وحدة الصف واسترجاع الخلافة الأموية ، وبالتالي فقد كانت نقطة البدء في تاريخ ما يسمى بملوك الطوائف .

بعد هزيمة المهدي دخل زاوي بن زيري - موقف الفتنة بعد الدولة العامرية ^(٣) - والبربر قرطبة في ١٦ ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ / ٨ نوفمبر ١٠٠٩ م ونصب البربر سليمان بن الحكم خليفة يوم الثلاثاء ١٧ ربيع الأول ٤٠٠ هـ / ٩ نوفمبر ١٠٠٩ م ولقبوه بالمستعين بالله ^(٤) ، أما المهدي فقد فر إلى طليطلة واستعان بواضح

Luis Suarez Fernandez : Op . Cit . , p . 369 .

^(١) يقع هذا المكان غير بعيد من ملنقى وادى أرملاط Guadamellato بالوادي الكبير في شمال شرق القليعة Alcolea .

Levi - Provençal : Histoire de l' Espagne Musulmane , T , II , 482 - 483 .

^(٢) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ٤٤ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٨٧ ، ٨٩ .

- النويرى : نهاريّة الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٢١ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

- Dozy : Spanish Islam . Book III , p . 551 .

- Menendez Pidal (Ramon) : La Espana del Cid , Cuatro , edicion Tomo t , 1947 , p . 94 .

^(٣) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الثاني ، ص ٥٨٨ .

Levi - Provençal : Op , Cit . , p . 483 .

^(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٣٦ .

والى الثغر الأعلى وأنصاره الصقالبة ، وتحالف بدوره مع الكونت رامون بوريل الثالث Ramon Borrel III de Barcelona أمير برشلونة وأخيه أمير أرقلة أرمنجول (يسميه العرب أرمقند^(١)) Armengol de Urgel . وفي مقابل ذلك تنازل لهم عن مدينة سالم^(٢) ، وقدم الجميع بجيوشهم لمحاربة البربر في قرطبة ، والتقى الجيشان في موضع يعرف " بعقبة البقر " ^(٣) لاربعة عشر خلت من شوال ٤٠٠ هـ / أواخر مايو ١٠١٠ م وأسفرت المعركة عن هزيمة سليمان وجيشه البربرى ، وفي اليوم التالى دخل المهدي وواضح قرطبة ، وأعيد محمد المهدي إلى دست الخلافة وعين هذا واضحا لحجابه^(٤) .

-
- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٩٠ - ٩١ .
 - النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٢٢ .
 - ^(١) يعنى بأرمقند : القومس قائد خيل الافرنج ، وحليف محمد المهدي ، خصم سليمان بن الحكم ، وهو أخو رامون بوريل قومس برشلونة ، وقد قتل في موقعة عقبة البقر .
 - ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٩٥ .
 - Levi - Provencal : Op , Cit ., p . 484 .
 - ^(٢) مدينة سالم Medinacelia عاصمة الثغر الأوسط في أيام العرب ، وتقع على الطريق بين مدريد وسرقسطة (على بعد ١٥٣ كيلو متر إلى الشمال الشرقى من مجريط (مدريد) ونحو مائة كيلو متر إلى الشمال الشرقى من وادى الحجرة) وتدين بفضل إنشائها واسمها الذى لا يزال مطلقا عليها إلى سالم بن ورعمال المصمودى أحد قادة البربر (من شمال أفريقيا) وكان من موالى بنى مخزوم .
 - ابن حيان : المقتبس ، تحقيق دكتور محمود على مكى ، ص ٢١٤ ، وهامش ص ٢١٥ .
 - الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٨٩ .
 - ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٧٢ .
 - ابن غالب : (أبو عبد الله محمد بن غالب البلسنى) : قطعة من كتاب " فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس " ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥ م ، ص ٢٨٠ .
 - مكى (دكتور محمد على) : مدريد العربية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٦ ، ٨٩ .
 - ^(٣) عقبة البقر Al Vacar على بعد عشرين كيلو مترا شمالى قرطبة .
 - الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٢١٣ .
 - Levi - Provencal : Op , Cit ., p . 484 .
 - ^(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥ ؛ المراكشى : المعجب ، ص ٢٧ .
 - ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٩٣ - ٩٥ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ .
 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١١٤ - ١١٥ .
 - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٦ .

وكان فريق البربر قد اتجهوا جنوباً مع زعيمهم زاوى بن زيرى وسليمان المستعين بالله ونظموا صفوفهم ، وطاردتهم المهدي بجيوشه وجيوش حلفائه النصارى مستهدفاً القضاء عليهم ، والتقى بهم في وادى آره Guadiaro في ٦ ذى القعدة ٤٠٠ هـ / ٢١ يونيو ١٠١٠ م وفي هذه الموقعة لقي المهدي وحلفاؤه هزيمة نكراء وقتل عدد كبير من القواد الصقالبة ، وارتد المهدي إلى قرطبة وارتد حلفاؤه إلى موطنهم ^(١) .

وكان واضح قد ضاق ذراعاً بتصرفات المهدي وحماقاته وكان من الفتيان العامريون وفي مقدمتهم واضح ، جميعاً ينقمون على المهدي ، ما فعله بهشام المؤيد أولاً وبابن أبى عامر وآل عامر ، ثم أخذه البيعة لنفسه آخرأ ، وقدم من شاطبة جماعة منهم إلى قرطبة وفيهم بعض الفتيان البارزين أمثال خيران وعنبر ، فاتفقوا على الغدر بالمهدي والاستيلاء على السلطة ولذلك قرروا الالتفاف حول هشام المؤيد ، فأخرج واضح هشام المؤيد من سجنه وأعادته إلى دست الخلافة ترضية للبربر ، وأمر بقتل المهدي ، وتولى قتله عبد من عبيد العامريين يعرف بالشفق وذلك في يوم الأحد ٨ ذى الحجة ٤٠٠ هـ / ٢٣ يوليو ١٠١٠ م .

-
- ابن سماك العاملى (أبى القاسم محمد بن أبى العلاء محمد بن سماك المالقى الغرناطى) : " الزهرات المنثورة في نكت الأخبار الماثورة " تحقيق الدكتور محمود على مكى ، مدريد ١٩٨٤ م ، ص ١٢٥ .
 - المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

Dozy : Op , Cit ., p . 553 .

Levi - Provençal : Histoire de l ' Espagne , Tome II , p . 484 .

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١١٥ - ١١٦ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

Sozy : Spanish Islam , book III , p . 553 .

Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , p . 14 .

Levi - Provençal : Histoire de l ' Espagne Musulmane , t , II , p . 481 .

Aguado Bleye : Manual de Historia de Espana , t , T . p . 442 .

- عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ص ٦٤٩ .

- السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٨٦ - ٨٧ .

Luis Suarez Fernandez : Historia de Espana , t , I . p . 370 - 371 .

Peter Scales : The Handing of the Duero Fortresses , p . 114 - 115 .

وهكذا استعاد الصقالبة نفوذهم إذ أصبح هشام المؤيد العوبة في يد واضح ورفاقه الفتيان العامريين ، وتولى واضح منصب الحجابة للخليفة ^(١) ، ثم دعا واضح البربر إلى الطاعة ولكن البربر رفضوا دعوته ، وسارت جموعهم إلى قرطبة حتى وصلت إلى مدينة الزهراء ودخلتها يوم السبت ٢٤ ربيع الأول ٤٠١ هـ / ٤ نوفمبر ١٠١٠ م ، ثم زحفت جموعهم على أرباض قرطبة ، وعاثوا فيها تخريباً ونهباً وقتلاً ^(٢) ، وعانت قرطبة من حصار البربر ، فكتب واضح إليهم باسم هشام يستعطفهم ويرغبهم في التصالح ونبذ الفتنة ، ولكن سليمان مزق كتاب واضح دون أن يقرأه فلما أدرك واضح فشل جهوده ، أقدم على الفرار سراً إلى بعض نواحي الثغر ، ولكن الجند قتلوه في ١٥ ربيع الثاني ٤٠٢ هـ / ١٦ أكتوبر ١٠١١ م ^(٣) .

-
- (١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥ .
 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢١٦ .
 - المراكشي : المعجب ، ص ٢٧ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ .
 - النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .
 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١١٦ .
 - النباهي : (أبو الحسن بن عبد الله الحسن الملقب) : تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقاة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٨٠ م ، ص ١٨٩ .
 - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .
 - المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

Dozy : Spanish Islam , p . 555 .

Levi - Provencal : Op , Cit , p . 486 .

Emilio Garcia Gomez : Algunos Precisiones Sobre la Ruina de Cordoba Omeya , pp . 269 - 270 .

مقال نشر بمجلة الأندلس ، عدد (٢١) ، مدريد ، غرناطة ١٩٤٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢١٧ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٠٢ .

Dozy : Op , Cit . , p . 557 .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١١٧ - ١١٨ .

Levi - Provencal : Op , Cit . , p . 487 , 488 .

Emilio Garcia Gomez : Op . Cit . , p . 271 .

واستمرت المعارك من ذلك الحين سجالات بين الطرفين ، والطاعون والسيرل تجتاح قرطبة ، وفي يوم السبت ٢٦ شوال ٤٠٣ هـ / ١١ مايو ١٠١٣ م وقعت المعركة الحاسمة التي انتصر فيها سليمان والبربر واقتحموا قرطبة وفتكوا بأهلها ^(١) هكذا استتب الأمر لسليمان ، لكن الفوضى كانت قد عمت البلاد ^(٢) ، وتفككت الدولة وقبض البربر على زمام السلطة ، وتولوا المناصب الهامة ، وأقطعهم سليمان كور الأندلس الجنوبية والوسطى ، إرضاء لهم وتخوفاً من تركيزهم في العاصمة ^(٣) .

وكان الفتيان العامريون قد خشوا العاقبة بعد مقتل واضح ، ولما رأوا غلبة البربر على حكومة قرطبة الجديدة ، توجسوا غدرهم ، ولاذ معظمهم إلى مناطق آمنة في شرقي الأندلس ، بعيداً عن سلطان الحكومة المركزية ، وأنشأوا هنالك في القواعد الشرقية دويلات صقلبية ^(٤) .

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ٢١٨ .
 - ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٢ .
 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١١٨ .
 - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٧ .
 - القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) : " صبح الأعشى في صناعة الانشا " الجزء الخامس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢٤٦ .
 - المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

(٢) ويصف ابن حيان سنوات حكم سليمان قائلاً أنها كانت " شداداً نكدات ، صعباً مشنومات ، كريهات المبدأ والفاتحة ، قبيحة المنتهى والخاتمة لم يعدم فيها حيف ، ولا فرق فيها خوف ، ولا تم سرور ، ولا فقد محذور مع تغير السيرة ، وخرق الهيبة ، واشتعال الفتنة ، واعتلاء المعصية ، وطعن الأمن ، وحلول المخافة " .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٣٦ .
 - ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٨ .
 (٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩٥ - ٥٠١ .
 - ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ١١٣ - ١١٤ .
 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١١٩ .
 - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٧ .

Levi - Provencal : Histoire de l ' Espagne Musulmane , t , II , p . 490 .

- (٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٣٧ .
 - ابن عذاري : البيان ، ص ١١٥ .
 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١١٩ .
 - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

هكذا ترتب على انهيار صرح الخلافة الأموية أن افترق شمل الجماعة ، وانتثر عقد البلاد ، وقام على أنقاضها رؤساء طوائف العرب ، وأمراء الجماعات البربرية ، وفتيان صقلية الصقور (أو فتيان العامريين ^(١)) وفي ذلك يقول ابن الخطيب :

حتى إذا سلك الخلافة انتشر
قام بكل بقعة مليك
وذهب العين جميعاً والأثر
وصاح فوق كل حصن ديك
وأقسمت أقطارها الطوائف ^(٢)
وكثر العادي بها والخائف

فتغلب مجاهد على مدينة دانية والجزائر الشرقية ، وليبيب على طرطوشة ومظفر ومبارك على بلنسية ، ونبيل على شاطبة ، وخيران على المرية ومرسية وأوريولة ^(٣) .

وعرفت هذه الدويلات بالعامرية الصقلبية لأن أصحابها كانوا من ممالك المنصور بن أبي عامر وأبنائه ^(٤) .

- وانظر المراكشي : المعجب ، ص ٢٨ .
- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية (قاعدة أسطول الأندلس) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨٤ م ، ص ٥٨ .
- السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٨٦ .

Luis Suarez Fernandez : Op . Cit . , p . 373 .

^(١) مذكرات الأمير عبد الله الزيري ، ص ١٨ .
- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٤٤ .
- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٣٦ .
- الجابري (محمد عابد) : العصبية والدولة " معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي " ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٧١ م ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .
^(٢) ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) : رقم الحل في نظم الدول ، تحقيق الدكتور عدنان درويش ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٩٠ م ، ص ١٦٦ .
^(٣) ابن الخطيب : رقم الحل في نظم الدول ، ص ١٧٠ - ١٧١ .
- محمد عبد الله عنان : دول الطوائف منذ قيام حتى الفتح المرابطي ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٩ م ، ص ١٥٨ .

Isidro de Las Cagigas : Los Mozarabes , t . II , p . 425 .

^(٤) أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، الإسكندرية ، ١٩٦٨ م ، ص ٩٢ .

الفصل الثاني

مملكة المرية

- (١) استيلاء خيران العامري على المرية
- (٢) موقف خيران من الخلفاء المروانيين والمحموديين
- (٣) مشاركة خيران في إحداث شرق الأندلس
- (٤) السياسة الداخلية لخيران
- (٥) المرية في عهد زهير العامري

مملكة المرية

(١)

استيلاء خيران العامري على المرية

رأينا أن ثورة المروانية على شنجول كانت وبالا على الأندلس، فقد تحولت إلى حرب أهلية عاتية أدت إلى تفكك وحدة الأندلس السياسية ونشوب الفتن وانتشار الفوضى، مما شجع بعض رؤساء الأندلس وقادتها على إعلان انفصالها عن السلطة المركزية التي فقدت هيبتها وتراخت قبضتها على الأقاليم منذ بداية الفتنة^(١)، فاستقر الفتيان الصقالبة بشرق الأندلس، وكانت الدرية من نصيب خيران العامري رئيس طائفة الصقالبة في قرطبة^(٢)، كان خيران من جلة فتيان ابن أبي عامر، أقواهم همة وعزماً، وأنشطهم إلى خوض غمار الحوادث التي تلت سقوط الدولة العامرية^(٣).

كان خيران قد شارك الفتيان العامرية في نقيمتهم على المهدي على ما فعله بهشام المؤيد من حبسه بالقصر واضطهاده، وما فعله بعبد الرحمن المنصور وبنى عامر، فائتمروا به وقتلوه، فكان هو وزميله عنبر والحاجب واضح من بين مدبري هذه المؤامرة، وكان خيران وصاحبه عنبر قدما من شرقي الأندلس إلى قرطبة مع عدد آخر منهم للمشاركة في حوادث قرطبة، وإعادة هشام المؤيد إلى دست الخلافة وقد رأينا كيف تولى واضح الحجابة لهشام، وكيف تمكن البربر من اقتحام قرطبة وإعادة سليمان المستعين إلى الخلافة، في شوال ٤٠٣ هـ / مايو ١٠١٣ م، ولقى واضح مصرعه أثناء هجوم البربر على قرطبة^(٤). أما خيران فقد أصيب بعدة جراحات وترك

(١) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ٩ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٦٦ .

- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢١٠ .

(٣) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٤ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٩٥ وما يليها .

(٤) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٢ .

على أنه ميت ، وعندما استرد وعيه تحامل على نفسه ، وقام يمشى فأخذه رجل من البربر إلى داره بقرطبة وعالجه فبرأ ، ثم أعطاه مالا وأطلق سراحه ، ففر من الحضرة مغلتاً من المذابح التي ارتكبتها البربر في صفوف الصقالبة ، ومضى مستتراً في جماعة من أصحابه الصقلب إلى شرق الأندلس ، فكثرت جمعه ، وقويت نفسه وقاتل من هناك البربر واجتمع إليه الأجناد ، فتغلب على مرسية وضم إليها المرسية ثم قاتل البربر في المناطق المجاورة لها فغلظ أمره وعظم شأنه ^(١) .

بعد أن رحل خيران إلى شرق الأندلس رأى أن يفيد من صقالبته في تنفيذ مخططاته وأهدافه ، فخرج في مقدمتهم أول الأمر قاصداً قلعة أوريوالة ^(٢) من كورة تدمير ^(٣) سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م وكانت أورويالة يومئذ مثلاً في " الحصانة والمنعة " وكان البربر يسيطرون عليها منذ بداية الفتنة ، فأخرجهم منها وأستولى عليها واتخذها نقطة انطلاق لتوسعه في شرق الأندلس ، ولم يلبث أن جمعت لديه حشود من المغامرين والطامعين في المغام ، اشتد بهم ساعده وقويت شوكته وأقدم بهم على جسام الأمور فاشتهر أمره ، وأوقع بقوات موسى بن مروان بن حدير صاحب مدينة قرطبة الذي كان مشهوراً بالصرامة

= - أنظر الفصل التمهيدى من هذا الكتاب .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٦٩ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٥ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

Mariano Remiro : Historia de Murcia Musulmana , Zaragoza , 1905 , p . 93 .

(٢) أوريوالة Orihuelo مدينة قديمة كانت أيام القوط حاضرة كورة تدمير ، اسمها اللاتينى Aurariola وتفسيرها الذهبية وتقع على بعد ١٢ ميلاً من مرسية وبينها وبين قرطاجنة ٤٥ ميلاً وكانت مزودة بقصبة منيعة وبساتين وجنات .

- الانريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٣ .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٨ .

- الحميرى : الروض المعطار ، ص ٦٧ .

- محمد الفاسى : الاعلام الجغرافية الاندلسية " مجلة البيئة " السنة الأولى ، العدد الثالث ، الرباط ١٩٦٢ م ، ص ٢١ .

(٣) عن كورة تدمير أنظر العنرى : ترصيع الأخبار ، ص ١٦ .

Levi - Provencal : La " Description de L ' Espagne " d ' Ahmad Al - Razi , al -

Andalus Vol XVII , Fasc I , Madrid , 1953 , p . 70 .

وأنظر أيضاً د. سحر السيد عبد العزيز سالم : بنو خطاب بن عبد الجبار التدميرى ، أسرة من المولدين بمرسية في العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٩ م ، ص ٤٩ وما يليها .

والجراة ، فأسره وقتل أصحابه فعلى ذكره . كما تمكن من الاستيلاء على مرسية حاضرة ^(١) كورة تدمير ، وأخرج البربر منها وأسند ولايتها لأصحابه زهير العامري ، وتوج خيران حركته تلك بالسيطرة على كل أقاليم كورة تدمير ، وظلت خاضعة له حتى وفاته ^(٢) .

وما أن تمت لخيران السيطرة على كل أقاليم كورة تدمير حتى ولي وجهه شطر مدينة المرية معقل الأندلس ^(٣) واستطاع أن يستولى عليها في غرة المحرم سنة ٤٠٥ هـ / يوليو ١٠١٤ م .

وكان قد تعاقب على ولاية المرية قبل اندلاع نيران الفتنة الطائفية ، عدد من الولاة منهم ابن مسلمة والقاسم بن القاسم بن عبد الرحمن ، وابن حدير ، وابن فرجون المعروف بالربولوا ، وابن صاعد ، وعبد الرحمن بن رويش ، وقد تولاها هذا الأخير هي وبجانة وأعمالهما في سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ، ثم وليها معه أفلح الصقلبي ، ولم يلبث الخلاف أن دب بينهما ، فتقاتلا ، وتحصن أفلح في قصبة

^(١) كانت مرسية قبل تغلب خيران عليها تابعة لواصل الفتى الصقلبي الذي كان يتصف بالضعف وعدم الدراية بنظم الحكم ، وكانت فترة حكم واصل هذا على ما يبدو قصيرة . ولم تردونا المصادر التاريخية بتفاصيل عن مدة حكمه حتى إن كثيراً من المصادر العربية تغفل ذكره ولا تذكر لنا عن أخباره شيئاً .

Gaspar Remiro : Historia de Murcia Musulmana , p . 92 .

مرسية Murcia هي قاعدة مملكة تدمير وحاضرة شرق الأندلس بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢١٦ هـ على نهر ينتهي عند قصبة بدلتا تشبه دلتا النيل ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة .

- الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص ١٠٠ .
- الإدريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٤ ، ١٩٦ .
- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .
- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣٥ .
- الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : مدينة مرسية ، موطن الشيخ الزاهد أبو العباس المرسى ، مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية ١٩٦٩ م ، ص ٢٢ .
- عبد النبي (عزت قاسم أحمد) : تاريخ مدينة مرسية الإسلامية منذ تأسيسها حتى استيلاء المرابطين عليها ، رسالة ماجستير ، جامعة الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ٧٥ - ٧٦ .

^(٢) العنري : ترصيع الأخبار ، ص ١٦ .

^(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١١ .

المرية ، بينما امتنع عبد الرحمن في مدينتها ، ثم خرج عبد الرحمن هذا من المرية هارباً ، وعاد إليها ومعه قوة من البربر وبالرغم من ذلك رجحت كفة أفلح ونجح في القضاء على خصمه ، الذي قتل في مقصورة جامع بجانة ، وخلا الجو لأفلح فاشرك معه في الولاية ابن حامد سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م إلي أن تنازع معه ^(١) .

وكان أفلح الصقلبي هذا رجلاً جلفاً " شديد العتو والجهالة ، مفرط النخوة ، لا يحسن التفرد والاستقلال بنفسه ، قد ذهب به العجب كل مذهب ، ورأى لنفسه الفضل على سائر جنسه - أي الفتيان الصقالبة - بالشيخوخة وقديم الملكة فاستهان الناس " ^(٢) .

في هذه الظروف التي أحاطت بمدينة المرية ، عبأ خيران جيشه في مدينة مرسية وانطلق منها في أول المحرم سنة ٤٠٥ هـ / ٢ يوليو ١٠١٤ م تجاه المرية ، ونجح خيران في دخولها وضيق الحصار على أفلح وابنيه بقصبتها حتى هدم البرج الكبير ، وتغلب على القصبه ، ولقى أفلح وولده مصرعهما أثناء القتال وطرحت جثتهما ليلاً في البحر ، واستولى خيران على كل ما عثر عليه فيها من أموال ، ثم أنه من أهل المرية ، وأبدى في ضبطها وتنظيمها همة فائقة ، واتخذها مقراً له ونزلها برجاله وماله ، بينما استخلف على أوريولة ومرسية بعض أتباعه واتخذ حيال أهل المرية ^(٣) سياسة قوامها الرفق والعدل والإنصاف ، واستوسع فيما يليها من أعمال ، وحسنت سيرته ، ويرجع الفضل الأعظم في ذلك إلي وزيره أبي جعفر أحمد بن عباس بن أبي زكرياء الذي اشتهر برجاحة العقل والدهاء فأعانه على تدبير شئون المملكة ^(٤) ، وسوف نرى في حينه الدور الخطير الذي لعبه هذا الوزير في سير الأحداث في عهد زهير العامري الذي خلف خيران في حكم المرية .

(١) العذري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٢ - ٨٣ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١١ .

(٣) سوف يتضح لنا من سرد الأحداث أن المرية كانت تضم أجناساً عدة من العرب والصقالبة واليهود والسودان .

(٤) العذري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٣ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١١ ،

(٢)

موقف خيران من الخلفاء المروانيين والحموديين

أخذ خيران العامري يعمل من مقر دولته على الإطاحة بالمستعين والقضاء عليه وإعادة الخلافة إلى صاحبها الشرعي هشام المؤيد أو من يصلح لها من بنى مروان بعد أن أشيع نبأ موته خنقا على يد سليمان المستعين ، وكانت الطائفة الأندلسية بقرطبة من عرب وصقالبة ومولدين يحقدون على سليمان المستعين ويعتبرونه أصل الفتنة الذي اغتصب الخلافة من خليفته الشرعي بفضل تحالفه مع البربر من جهة واعتماده على نصارى اسبانيا من جهة أخرى ، فكان ذلك سببا في تفريق البلاد وتملك أصحاب الطوائف ^(١) .

وهكذا أخذ المتآمرون من الفتيان العامرية وعلى رأسهم خيران العامري يبحثون عن سلاح يشهرونه في وجه المستعين ، فلم يجدوا أصلا لهذا الغرض من على بن حمود ^(٢) الذي ينتسب إلي الأشراف

^(١) ويعبر ابن حيان عن دولة سليمان بقوله " دولة كفاها نما أن أنشأها شائجة فقشعها أرمقند وثبنتها الجلالة ، ومزقتها الأفرنجة ، ودبرها فاجر شقى ، ووزر لها خب دنى ، فتمخضت عن الفاقة الكبرى " .

- ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ٣٦ - ٣٧ .

Garcia Gomez (Emilio) : Algunas Precisiones Sobre La ruina de la Cordoba Omeya , p . 272- 273 .

مقال نشر بمجلة الأندلس ، عدد ١٢ مدريد ، غرناطة ١٩٤٧ م .

^(٢) هو علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن حسن (بن حسن) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

- ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠ - ٥١ .

- الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢١ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٩٦ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

- المراكشي : المعجب ، ص ٩٨ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٣١ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٢٨ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٤ ، ص ٥٧ ، ٢٧٤ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٣١ ، ٤٨٢ .

الأدارسة ، فأيدوه وحرصوه على الخروج على سليمان ، وكان على بن حمود وأخوه القاسم في جملة أصحاب سليمان المستعين مع البربر ، عقد لهما المستعين فيمن عقد له من المغاربة فولّي علياً على سبتة ^(١) وطنجة ^(٢) وولي القاسم الجزيرة الخضراء ^(٣) ومهما يكن من أمر ،

Levi - Provençal : Histoire de L ' Espagne Musulmane , T , II , p . 490 - 491 .

- إسماعيل العربي : دولة الادارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٢٢٦ وصفحات متفرقة .

^(١) سبتة Ceuta : " مدينة عظيمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق وهو أول البحر الشامي المنتهى إلى مدينة صور من أرض الشام وهي تقابل الجزيرة الخضراء " .

- البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس) : نزهة المشتاق

في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٥٢٨ - ٥٢٩ .

- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٢ .

- القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٣٣ .

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٠٣ .

^(٢) طنجة Tangier مدينة قديمة بالمغرب على ساحل البحر ، بينها وبين سبتة ثلاثون ميلاً في البر ، وفي البحر نصف مجري .

- البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

- الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، م ٢ ، ص ٥٢٩ - ٥٣٠ .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٣ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

^(٣) الجزيرة الخضراء Algeciras وتقع في جنوب الأندلس يقال لها جزيرة أم حكيم وهي على ربوة مشرفة على البحر ، سورها متصل به ، وبشرقيها خندق وغربيها أشجار تين وأنهار عذبة وعسبة المدينة موفية على الخندق وهي منيعة حصينة سورها حجارة ، وهي في شرق المدينة ومتصلة بها .

- الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ١٩ - ٢٠ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٢٨ .

- الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .

- الضبي : بغية الملتبس ، ص ٢٤ .

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٦٩ .

- المراكشي : المعجب ، ص ٢٨ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٢٩ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٤٧ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

Levi - Provençal : La Description de l ' Espagne d ' Ahmed Al - Razi , p . 97 - 98 .

فإن علي بن حمود لم يكد يستقر في العدو بين قومه وأنصاره حتى بدأ يعمل للاستقلال عن قرطبة ويدعم حكمه الشخصي ، ولكن هذا التصرف لم يكن ليرضى الخليفة الذي يبدو أنه بث حوله العيون والجواسيس بين رجاله وأعوانه ، وكان من بين من وجه إليهم تهمة التجسس لحساب قرطبة ، قاضي سبتة ، محمد بن عيسى وشخصية أخرى ، وفقهه من أهل السنة يدعي يربوع ، فأمر بقتل هذين الأخيرين في سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م ^(١) .

وفي أثناء ذلك جرت عدة اتصالات بين علي بن حمود وخيران العامري لاتفاقهما على مخالفة سليمان الذي أطاح بهشام المؤيد واغتصب منه الخلافة ، ثم أن علي بن حمود كان يطمع في الخلافة لنفسه بعد أن بلغته أخبار الحرب الأهلية القائمة في قرطبة ، وكان من الطبيعي أن يرحب بانضمام خيران معه في محاربة سليمان ، فكتب إلي خيران يذكر له أن المؤيد كان كتب له بولاية العهد والأخذ بثأره أن هو قتل ، فدعا خيران لعلي بن حمود بولاية العهد ^(٢) .

وكان خيران في هذه الأثناء يكاتب رؤساء الأندلس الجنوبي ويحرصهم على خلع سليمان والخروج على طاعته ، فأيده في ذلك

(١) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٥ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٢١ .

(٢) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٠ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٣٧ - ٣٨ .

- الضبي : بغية الملتبس ، ص ٢٨ .

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٧٠ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٤ - ١١٦ .

- المراكشي : المعجب ، ص ٢٨ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٢١ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

Gasper Remiro : Historia de Murcia Musulmana , p . 93 .

- ومن الملاحظ أن علي بن حمود لم يستند في دعواه على قرابته من النبي بقدر ما اعتمد على حجة في أن هشام المؤيد الأموي عهد إليه بالطلب لدمه .

- مكى (دكتور محمد علي) الشيع في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الثاني ، ١٩٥٤ م ، ص ١٣٤ .

- وبهذا ضمن وقوف الصقلية إلي جانبه فعضدوه .

جماعة من أهل الأندلس ، ولما تم لخيران تأليب أهل الأندلس على سليمان المستعين ، كتب إلي علي بن حمود بسبته ، وشجعه على العبور إلي الأندلس لينضم معه إلي قرطبة ، فبادر علي بالعبور إلي مالقة ^(١) . واستولي عليها وقتل صاحبها عامر بن فتوح سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م ^(٢) وهناك تظاهر لحلفائه من الصقالبة أنه لا يريد إلا نصرة هشام المؤيد الذي استجار به فانحاش إليه الناس وكثر أتباعه وفي نفس الوقت خرج خيران العامري على رأس قواته إلي مالقة والتقي مع علي بن حمود وقواته بالمنكب ^(٣) سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ^(٤) ثم تجهز الحليفان ونظما صفوفهما وتأهبا للسير نحو غرناطة حيث انضم إليهم زاوي بن زيري وحبوس بن ماكسن بن زيري وأخوته وبنو عمه الصنهاجيون وكانوا يؤيدون ابن حمود فعظم شأنه وقوي أمره ^(٥) كما

^(١) مالقة Malaga : مدينة قديمة فينيقية الأصل ، من أهم مدن جنوب شرقي الأندلس كانت من أعمار وأجل مدن الأندلس في العصر الإسلامي وصفها الإدريسي بأنها " أهلة كثيرة الديار متسعة الأقطار بهية كاملة سنية أسواقها عامرة ومتاجرها دائرة ونعمها كثيرة ولها فيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين " .

- الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٢٠٠ - ٢٠٤ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٥١٧ - ٥١٨ .

- وأنظر مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٧ .

Robles (F . Guillen) : Malaga Musulmana Malaga 1942 , p . 41 .

^(٢) الحميدي : جنوة المقتبس ، ص ٢٠ .

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٧٠ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٣٠ .

- المراكشي : المعجب ، ص ٢٨ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٤ .

^(٣) المنكب Almunecar : مدينة ساحلية متوسطة العمران نزلها عبد الرحمن بن معاوية أول دخوله الأندلس وازدهرت في العصر الأموي وتتميز بكثرة مصايد السمكية وفواكهها المتنوعة ، تقع على مقربة من مالقة .

- الإدريسي : المصدر السابق ، ص ١٩٩ ؛ ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٤٢٣ .

- العمري : وصف إفريقية ، ص ٤٧ ؛ مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في

المغرب والأندلس ، ص ٧٩ - ٨٠ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٤٨ .

^(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٧٠ .

Levi - Provencal : La Description de L ' Espagne , p . 66 .

- السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ٩٠ .

^(٥) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٢٠ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٤ .

مال إليه جانب كبير من البربر استهجنوا من سليمان عتوه واستبداده ، كما أنكروا عليه تجرده من الشجاعة والفروسية وهما الشئ الوحيد الذي كانوا يقدرونه ، افتقدوه في سليمان ووجدوه ممثلاً في ابن حمود الذي اعتبروه واحداً منهم ومن غرناطة تقدمت قوات علي بن حمود وحلفائه الصقالبة بقيادة خيران والصناهة البربر بقيادة زاوي بن زيري وحبوس نحو قرطبة بعد أن بايعوا علياً على طاعة هشام المؤيد^(١).

وعندما اقتربت جيوشهم من الحضرة خرج إليهم سليمان على رأس جيش من البربر لم تلتق أهدافه ، ولم يكن ميزان القوي بين سليمان وخصومه متكافئاً بأي حال من الأحوال ، وكان العدد الأعظم من البربر في جيش سليمان يؤثر علياً بن حمود لكونه عربياً متبربراً من سلالة الأشراف^(٢) ثم أنه كان قد بلغهم أن المستعين كان ينوي بهم شراً ، فقد ذكر المقرئ أن من أعظم أسباب فساد دولة المستعين أنه أنشد لبعض خواصه أبياتاً تكشف عما يضره من نوايا سيئة تجاه البربر جاء فيها .

- حلفت بمن صلي وصام وكبرا	- لأغمد ها فيمن طغى وتجبرا
- وأبصر دين الله تحيا رسومه	- فبذل ما قد لاح منها وغيرا
- فواعجبا من عبشمى مملك	- برغم العالى والمعالي تبربرا
- فلو أن أمرى بالخيار نبذتهم	- وحاكمتهم للسيف حكما محررا
- فإما حياة تستلذ بفقدهم	- وإما حمام لا نرى فيه مازرى ^(٣)

اشتبك الفريقان في معركة ضاربة دارت في موضع يبعد عن قرطبة بنحو عشرة فراسخ^(٤) في منتصف الحرم سنة ٤٠٧ هـ (أواخر يونيو ١٠١٦) وانتهت بهزيمة سليمان وقبض عليه وعلي أخيه وأبيه وسبقوا أسارى إلي علي بن حمود . ودخل خيران وغيره قصر

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ٢٧٠ .

- المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ٩٠ .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٦٢ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٧٠ .

قرطبة وهو يطمع أن يجد هشاماً المؤيد حياً ، ولكنهم لم يعثروا له على أثر ^(١) ، وذكر أنه قُتل وعُرض عليهم قبره ، فأمر على بنبشه ، فأخرجت الجثة ، وشهد أنها لهشام المؤيد وسليمان يتبرأ من دمه ، وأمر على بتجهيزه إلى أهله ودفن بجوار أبيه الحكم ^(٢) ، ثم دعا على بسليمان وذويه وضرب أعناقهم لتسع بقين من المحرم ٤٠٧ هـ (أول يوليو ١٠١٦ م) ، ووضعت الرؤوس الثلاثة في طست ، وأخرجت من القصر إلى المحلة ينادي عليها : هذا جزاء من قتل هشاماً المؤيد ^(٣) ، وبقتل سليمان بن الحكم انقطعت دعوة بني أمية من سائر أقطار الأندلس ، وقامت دعوة بني حمود الإدارة الحسينيين ^(٤) .

وبويع علي بن حمود بالخلافة يوم الاثنين لسبع بقين من المحرم سنة ٤٠٧ هـ (٢ يوليو ١٠١٦ م) في اليوم التالي الذي أخذ فيه بثأر

- ^(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .
- اعتمدنا هنا على رواية ابن الأثير في سرد هذه الحوادث وهي أوفي من غيرها ، ومع ذلك فقد قارنا هذه الرواية بنظيرتها في المصادر التالية :
 - الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٠ .
 - ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٧ .
 - المراكشي : المعجب ، ص ٢٨ .
 - ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٩ - ١٢١ .
 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٢١ .
 - ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٣١ .
 - ^(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤١ - ٤٢ .
 - مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٤ .
 - يذكر ابن الأثير أن الشهود كانوا يعلمون بوجود هشام حياً ، وأنهم زوروا شهادتهم خوفاً على أنفسهم من علي بن حمود الذي كان يطمع في الخلافة لنفسه .
 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٧١ .
 - وعلي أية حال فقط اطمأن علي بن حمود بهذه الشهادة إلى أن الأندلس أصبحت ملكاً له .

^(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٢ .

- المراكشي : المعجب ، ص ٢٨ .
- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٧ .
- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٣٠ - ٤٣١ .
- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٢١ .
- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٤ ، ص ٢٧٤ .
- ^(٤) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٠ .
- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٤ .
- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٣١ .

هشام المؤيد ، ولم يتخلف أحد عن مبايعته ، وقد أقبل إليه الناس من كل صوب ، فكرم منازل الوافدين ، وأجمل خطابهم ، وتسمى ليومه من الألقاب السلطانية بلقب الناصر لدين الله ، وهو لقب حمله قبله بالمشرق المتوكل العباسي (أبو أحمد) وحمله بعده بالأندلس أيضاً عبد الرحمن بن محمد ^(١) وانتقلت الخلافة بذلك لأول مرة من بنى أمية إلي بنى حمود ^(٢) .

ويبدو أن خير ان العامري لم يكن يتوقع أن يتوصل على بن حمود إلي الخلافة فقد كان يأمل عند دخوله قرطبة العثور على هشام المؤيد وإعادته إلي دست الخلافة ^(٣) ، فلما لم يتم الأمر على هواه أيقن بمخادعة ابن حمود له ، فبادر بالعودة إلي حضرته بالمريّة وهو يزعم الكيد لابن حمود .

وبلغ علي بن حمود أن أحد أحفاد عبد الرحمن الناصر قد دعا لنفسه في شرق الأندلس ، بإيعاز ومساندة خير ان العامري الذي بدأ يدبر له المكائد منذ عودته إلي المريّة ، ذلك هو المرتضى عبد الرحمن بن عبد الملك الناصر ^(٤) ، وكان أهل قرطبة قد ضاقوا ذرعاً بحكم ابن

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٩٧ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٤ ، ص ٥٦ .

(٢) وفي هذا يقول المستشرق Isidro de Las Cagigas انتقلت السلطة من يد الأمويين إلي بيوت يرجع أصول بعضها إلي قبائل غير متحضرة ، والبعض الآخر إلي عنصر تجري في عروقه دماء نصف افريقية إلي جانب عائلات تنحدر من البربر ذكر منهم بني حمود .

De Las Cagigas (Isidro) : Los Mozarabes , Tomo II , Madrid , 1948 , p . 401 .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٣٨ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٤ ؛ وأنظر محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص ١٢٦ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤١ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٢١ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٣٠ .

Gasper Remiro : Op . Cit , p . 94 .

(٤) عن المرتضى أنظر :

- الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢٢ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٩٩ .

- الضبي : بغية الملتبس ، ص ٢٧ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ ترجمة رقم ٥١٢ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٣٠ . =

حمود المتبربر وحنوا إلي بني مروان . وهنا أدرك علي خطأ سياسته الأولى ، حيث ضحي بشعبيته بين البربر تزلفاً لأهل قرطبة ، ولذلك انقلب سريعاً عن التجميل الذي كان يظهره لهم وانصرف إلي حزبه البربري وأثره وصب علي أهل قرطبة ضروباً من التنكيل والمغارم ، وانتزع السلاح منهم ، وهدم دورهم ، وقبض أيدي الحكام عن انصافهم ، وعزم علي إبادة أهل قرطبة واخلائها واضطهد جماعة من أعيان قرطبة ، ممن خدموا في عهد المستعين وكان منهم أبو الحزم بن جهور ، وأحمد بن برد الأكبر وغيرهم فاعتقلهم وصادر أموالهم ، وأهان بعضهم بالضرب . وهكذا فقد علي بن حمود محبة أهل قرطبة وأجمع الناس علي مقتله وكرهيته ^(١) .

ولذلك أنقلب خيران علي ابن حمود بعد أن ظفر ابن حمود بالخلافة وقتل سليمان المستعين ، وأيقن خيران بحكم التجربة أن رأسه ستكون التالية في قائمة الضحايا ، خاصة بعد أن بلغه أن علياً بن حمود يسعى إلي قتله ، ولذلك تسلل وخرج من قرطبة بعد أن أعلن خروجه علي علي بن حمود ، وعاد إلي أمارته المرية ليبحث عن يكون أصلح من علي للخلافة بعد أن استقر عزمه علي إعادة الخلافة لبني مروان ، وعثر علي ضالته في شخص عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ^(٢) ، أصلح من بقي من المروانية ، وكان قد خرج من قرطبة مستخفياً ونزل بجيان ، فبادر خيران وأنصاره إلي مبايعته بالخلافة ولقبه المرتضي ، واشتهر عن المرتضي هذا كرهه الشديد لبربر ، ومن شعره السياسي الذي يعبر عن نزعه تلك قوله :

قد بلغ البربر فينا بنا ما أفسد الأحوال والنظما
كالسهم للطائر لولا الذي فيه من الريش لما أصمي

Levi Provencal : Histoire , Op . Cit , p . 493 .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٢١ - ١٢٤ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .

Garcia Gomez : Algunas Precisiones Sobre La Ruina de la Cordoba Omeya , p . 274 .

- السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ٩٣ .

(٢) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ١٠١ ، الحميدي : جنوة المقتبس ، ص ٢٢ .

قوموا بنا في شأنهم قومة تزيل عنا العار والرغما
أما بها نملك أو لا نرى ما يرجع الطرف به أعمى^(١)

والقومية التي يتمناها المرتضى على البربر في هذه الأبيات ، هي التي تكفل خير ان بإعداد الوسائل الضرورية لها ، فقد استخدم خير ان دهاءه في اقناع ملوك الطوائف بشرق الأندلس بأحقية المرتضى في الخلافة ، فراسل منذر^(٢) بن يحيى التجيبي أمير سرقسطة والثغر الأعلى وأرسل أهل شاطبة وبلنسية واليوننت ، فأجابوا كلهم إلي بيعته والخلاف على علي بن حمود ، وتم ذلك في سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧^(٣) ومن الواضح أن العصبية الأندلسية التي تجمع العناصر الصقلبية والعربية ، أجمعت على مواجهة العصبية البربرية^(٤) .

بعد أن تمت البيعة للمرتضى زحفت الجيوش المتحالفة تجاه غرناطة لمواجهة زاوي بن زيري الصنهاجي صاحب غرناطة وأحد حلفاء علي بن حمود ، وفي نفس الوقت تاهب ابن حمود للمسير إلي جيان للتصدي لجيش المرتضى ، وكان تعسف علي بن حمود مع أهل قرطبة واستبداده بهم قد أثار عليه جمهورهم ، فاشتد سخطهم عليه وتبرم به خدمه وفتيانه من الصقالبة ، فوثب عليه ثلاثة من خدمه الصقالبة هم

(١) المقرئ : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٣٠ .

Gasper Remiro : Op , Cit . p . 94 .

(٢) أبو الحكم ويلقب بالحاجب المنصور ذو الرياستين ، كان في بداية حياته جندياً بسيطاً ، وترقي إلي القيادة في آخر عهد المنصور بن أبي عامر ، ثم ولاه سليمان سرقسطة ، فأحسن إدارة شؤونها فازدهر العلم والثقافة فيها بحيث أصبحت تتنافس قرطبة ، راجع سيرته في :

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٥٢ - ١٨٥ .

- ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ ترجمة رقم ٦١٧ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٩٦ - ٢٠١ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٢٦ ، ١٧٥ - ١٧٨ .

Dozy : Spanish Islam , B , III , pp 568 - 569 .

- داود (عبد النبي علي عبد الله) : دولة بني هود في سرقسطة (التاريخ السياسي) رسالة ماجستير ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٩٢ م ، ص ٩٥ - ٩٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٣٠ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٦٣ .

منجح ولبيب وعجيب ، وقتلوه في حمام قصره ليلا في غرة ذي القعدة سنة ٤٠٨ هـ (٢٢ مارس ١٠١٨ م) ^(١) .

ثم بويع القاسم بن حمود بالخلافة في قرطبة صبيحة يوم الأحد بعد ست ليال من مقتل أخيه علي بها سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٨ م ^(٢) . وتلقب بالمأمون ، وعمل علي تدعيم قوته الحربية باقتناء عناصر جديدة من العبيد السودان ، وأسند إلي بعضهم المراكز القيادية ومناصب الرئاسة ، فأثار ذلك سخط زعماء البربر ، فانحرفوا عنه إلي ابن أخيه يحيى بن علي ، فأخذ القاسم يكاتب منذر بن يحيى بيثه شأنهم ، ويستنهضه لتقويمهم ^(٣) ، كما كاتب العامريين واستمالهم ، واقطع زهيراً العامري - نائب خيران علي مرسية - جيان ^(٤) ، وقلعة رباح ^(٥) وبياسة ^(٦) ، وكاتب

(١) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ٢٢ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

- الضبى : بغية الملتبس ، ص ٢٧ ؛ المراكشى : المعجب ، ص ٣٣ .

- ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .

- النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٣٢ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٢٩ ؛ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٤ ، ص ٥٧ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠٦ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ٤٨١ .

- بينما يذكر ابن عذاري أن القاسم ولي الخلافة " يوم الثلاثاء لأربع خلون من ذي القعدة " وهو الثالث من موت أخيه .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٢٤ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٣٢ .

(٣) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٤٨١ ؛ ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٣٠ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٨٤ .

(٤) جيان Jaen مدينة حسنة كثيرة الخصب والرخاء والعسل ، لها زائد علي ثلاثة آلاف قرية ، وهي مدينة كثيرة العيون الجارية تحت أسوارها ولها قسبة من أمنع القصاب وأحصنها .

- الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

- الحميرى : الروض المعطار (احسان) ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

Levi - Provençal : La Description de L ' Espagne , p . 68 .

(٥) قلعة رباح Caltarava من عمل جيان وتقع بين قرطبة وطليلة ، وهي مدينة حسنة ولها حصن حصين على وادى أنه .

- الإدريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٦ - ٢١٣ .

- الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

(٦) بياسة Beaza تقع على مقربة من جيان على كدية من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلي قرطبة ، وكانت محاطة بسور ولها أسواق ومتاجر وحولها زراعات . =

خيران واستعطفه ، فلجأ إليه واجتمع به ^(١) .

ويبدو أن هذه السياسة الجديدة التي اتبعتها القاسم حولت خيران والحزب العامري عن تعضيد وتأييد الحزب الأموي ، خاصة بعد أن اتضح لخيران أن المرتضى لم يكن الشخص الذي كان يتوقعه ، إذ أظهر له الجفاء بعد أن ضمن بيعته له ، من جهة أخرى لم يكن حق الأمويين في الخلافة يعينه كثيراً ، وكان رأي منذر بن يحيى التجيبي في المرتضى مماثلاً لرأي خيران ، ويعبر المقرئ عن ذلك بقوله : "كان من الاتفاق العجيب أن فسدت نية منذر وخيران علي المرتضى ، وقالوا : أرانا في الأول وجهاً ليس بالوجه الذي نراه حين اجتمع إليه الجم الغفير وهذا ماكر غير صافي النية " ^(٢) .

كما يروي ابن حيان أن من أسباب تغير خيران ومنذر علي المرتضى أنه " لما جاء منذر في جيشه مع الإفرنج وغيرهم للاجتماع بالمرتضى بشاطبة لغزو قرطبة ، وفي جملته ابن منسوف ، اجتاز على بلنسية فأغلق واليها مبارك بابها في وجهه ، ومنعه من دخولها ، فلما اجتمع بالمرتضى بشاطبة أغراه علي مبارك أن يخرجهم معهم في الغزو فلم يجبه المرتضى لذلك ، وأقام عذر مبارك ، وأقعد خلفه لجمع الأموال وإنفاذها خلفه ، فأحقده عليه ، فتجمع ابن مسوف وخيران ومنذر وتظاهروا على الغدر به " ^(٣) . وهكذا أضمر الكيد له وخذلانه في معركته المقبلة مع البربر المتغلبين على قرطبة وأعمالها ^(٤) .

زحف المرتضى بجيش كثيف من الموالى العامريين سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م وقد عقد العزم على دخول قرطبة واتخاذها حضرة للخلافة ، وصحبه في جملة من جاء معه منذر بن يحيى التجيبي

= - الأدريسى : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

- الحميري : المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٧٣ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٨٥ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥٦ .

(٤) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٤٥٣ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥١ .

- السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ٩٥ .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٦٤ .

وخيران الصقلبي وعدد من فرسان الفرنجة^(١). ولكن نفس كل من خيران ومنذر لم تكن صافية ، فقد كانا يخشيان عاقبة انتصاره ، وأيقنا أن ظفره بالخلافة يتعارض مع مطامعهما الشخصية ، لهذا عمدا إلى تضليله وتظاهرا بإسداء النصيح له ، وهما يغرران به وأقنعا بمهاجمة بربر غرناطة^(٢) بحجة أنه لا يمكن غزو قرطبة قبل أن يقضى على عدو يتربص بهم في غرناطة ويهدد مؤخرتهم فاقنتع المرتضى بذلك^(٣).

وفي نفس الوقت اتفق خيران ومنذر مع زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي صاحب غرناطة علي الغدر بالمرتضى وفي ذلك يذكر ابن بسام أنهما " دسا على زاوي وأسرا عليه الغدر بالمرتضى^(٤) ". كما يروي المقرئ أن خيران كاتب ابن زيري الصنهاجي " وضمن له أنه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه إلى قرطبة خذل عن نصرته الموالي العامريين أعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور فأصفى ابن زيري إلى ذلك " ^(٥).

نزل المرتضى بفحص غرناطة وكتب إلى أميرها زاوي بن زيري مهددا وطالبه بالدخول في طاعته ، ولكن زاوي لم يأبه لضخامة

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥٣ .

(٢) غرناطة Granada مدينة محيطة بالأندلس بينها وبين وادي أش أربعون ميلا حلت محل البيرة التي خلت أيام الثورات التي اشتعلت في الأندلس في عهد الإمارة وانتقل أهلها إلى غرناطة ، وفي عهد الطوائف استقر بها بنو زاوي بن زيري ، وتولى حبوس تحصين أسوارها وبنى قصبتها .

- الأديسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٢٠٣ .

- العمري : وصف إفريقية والمغرب والأندلس ، ص ٣٤ - ٤١ .

- ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس ، ص ٨٩ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٥ - ٤٦ .

Levi - Provençal : La Description de L ' Espagne , p . 67.

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٦ .

- المراكشي : المعجب ، ص ٣٣ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٢٥ .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥٦ .

Gaspar Remiro : Op . Cit , p . 94 .

(٥) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٨٥ .

جيش المرتضى^(١) وقلة جيشه وأمر كاتبه أن يكتب على ظهر رقعة المرتضى " ألهاكم التكاثر " ^(٢) إلى آخرها لم يزد حرفاً ، فغضب المرتضى وناشبه القتال في نهاية سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٩ م وهو واثق كل الثقة بالتغلب عليه في ساعة من نهار ، ولكن الحرب دامت أياماً ، وجعل منذر يحرض الموالي العامريين سخرية يبغى تورطهم ^(٣) ، فلما حمى الوطيس واشتد القتال " أرسل ابن زيري إلي خير ان يستجزه وعده ، فأجابه : إنما توقفت حتى ترى مقدار حربنا وصبرنا ولو كنا ببواطنا معه ، ما ثبت جمعك لنا ، ونحن ننهزم عنه ونخذله في غد " ^(٤) .

وفي اليوم التالي تراجع منذر وخيران وأصحاب الثغور ، كما أن منذر بث في قلوب عسكر النصاري الذعر من غدر الموالي العامريين فأسقط في يد المرتضى وصبر الموالي العامريون قليلاً حول صاحبهم المرتضى حتى صرع الكثير منهم ، فلما رأى المرتضى نذر الهزيمة قر بنفسه ، فوضع عليه خيران عيوناً ، قبضوا عليه ، وقتلوه علي مقربة من وادي آش^(٥) وجاء برأسه إلي خيران ومنذر في المرية فسر بهلاكه ^(٦) .

^(١) يقول الأمير عبد الله الزيري في مذكراته أن جيش المرتضى كان يتكون من ٤٠٠٠ فارس ، بينما كان جيش زاوي لا يتجاوز عدده ألف فارس ، ولكنها كانت قوة حسنة التدريب .

- مذكرات الأمير عبد الله الزيري ، ص ٢٢ .

^(٢) القرآن الكريم ، سورة التكاثر ، الآية ١٠٢ .

^(٣) يروي ابن حيان : " وأخبر عن منذر أنه الذي ورط المرتضى وحلفاءه وأقحمهم أوعاراً صعبة حتى أنزلوهم فوق رؤوس صنهاجة في الجبل المطل عليهم ، ولما شرع في قتالهم بأن لمنذر جد الموالي ، ولم يشك في ظهورهم فحسدهم وتحيل لهم بما قل حدهم " .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٣٥ - ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

^(٤) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٨٥ .

Dozy : Spanish Islam , B , III , p . 569 .

Gaspar Remiro : Op , Cit . , p . 94 - 95 .

^(٥) وادي آش Guadue بينه وبين غرناطة ٤٠ ميلاً ، مدينة كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار ، ينحدر واديها من جبل شلير ، وهو في شرقيها ، وهي على ضفته ، ولها عليه أرحاء لاصقة بسورها ، وهي كثيرة التوت والأعشاب ، وأصناف الثمار والزيتون ، والقطن بها كثير .

- الإدريسي : صفة المغرب ، ص ٢٠٣ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٦٠٤ - ٦٠٥ .

- أنظر مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس ، ص ٨٨ .

^(٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ = .

بقتل المرتضى فقد خيران ومعاونوه كل أمل في أخذ زمام المبادرة وحصر الخلافة في شخص يكون تحت إمرتهم ، ولم يكن للقاسم أي دخل بهذا الانتصار الذي أحرزه الصنهاجيون في غرناطة ، ومع ذلك فقد استقر الأمر له ولأنصاره من البربر في مملكته بعد انتصار لم يساهم فيه بأي جهد . وكان يحيى بن علي بن حمود قد بايع عمه القاسم علي غير رغبة بعد مقتل أبيه ، اعتقاداً منه بأنه أولى بالعرش من عمه . ولما اشتدت شوكة يحيى في العدو وأخيه في مالقة أقدم علي خلع طاعة عمه ، وكاتب كبار البربر في قرطبة يشكو من أن عمه قد أخذ ميراث أبيه وبعدهم باستعادة مكانتهم في قرطبة إذا انضموا إليه ^(١) فأجابه البربر إلي ذلك وأعد جيشاً ضخماً وأسطولاً جاز به إلي مالقة وأنضم إلي أخوه ادريس ^(٢) ، وبلغ خيران العامري ذلك فكتب يعرض عليه تأييده واعانته كما صنع مع أبيه من قبل عندما ساعده علي الوثوب إلي الحكم في قرطبة . وحاول أخوه ادريس أن يثنيه عن الاستعانة بالعامريين ، وأخذ يشككه من نوايا خيران ولكن يحيى لم يكثر بحجة أنه لن يصيبه شيء مما يضره خيران لو أنه كان يخرده ^(٣) .

وبفضل تعاون خيران ويحيى تمكن هذا الأخير من دخول قرطبة في ٢٢ من ربيع الآخر ٤١٢ هـ (أغسطس ١٠٢٢ م) وهناك بايعه البربر والسودان وأهل قرطبة بالخلافة يوم الاثنين مستهل

-
- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٣١ .
 - ابن سمالك العاملي : الزهرات المنثورة ، ص ١٤٣ - ١٤٥ .
 - المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .
 - ويذكر ابن الخطيب أن المرتضى قتل عند هزيمته في حرباء مع صنهاجة لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة ٤٠٩ هـ ولم يقع أحد له علي أثر .
 - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٤٦٧ .

Dozy : Spanish Islam , B , III , pp . 569 - 570 .

Luis Suarez Fernandez : Op , Cit . , p . 374 .

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٨٦ .

Dozy : Op . Cit . , p . 570 .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٣٣ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٨٧ .

جمادى الأولى ٤١٢ هـ (أغسطس ١٠٢٢ م) وتلقب بالمعتلى بالله
بينما فر القاسم إلى اشبيلية^(١)، ولكن الأوضاع في قرطبة لم تلبث أن
تحولت في غير صالحه، فيحى لم ينفذ وعده للبربر، كما أنه كان
متعجرفاً تعالى على البربر وركبه الغرور فاختلفت الأحوال بقرطبة^(٢)
وحاول خيران أن يغبر من تلك الظروف المضطربة، وسرعان ما
أنقلب علي صديق الأمس، فقد بلغ يحيى أن أهل مالقة خاطبوا خيران
وعرضوا عليه أن ينضموا تحت لوائه، ولم يتردد خيران في
الاستجابة إلى دعوتهم طمعاً في ضم مالقة إلى ملكه وهنا تبين ليحيى
ضرورة الخروج من قرطبة حتى لا يقطع عليه خيران خط الرجعة إلى
العدوة، ولهذا بادر بالخروج إلى مالقة تحت جنح الليل في ١٢ من ذي
القعدة ٤١٣ هـ / ١٠٢٣ م^(٣). وانتهاز القاسم هذه الفرصة ودخل
قرطبة بدعوة من أهل قرطبة يوم الثلاثاء لاثني عشر ليلة بقيت من ذي
القعدة سنة ٤١٣ هـ (١٢ فبراير ١٠٢٣ م)^(٤). ولم يطل به العهد في
قرطبة إذ سرعان ما خلعه أهلها بسبب تسلط البربر على شئون الدولة،
فثاروا عليه وحاصروه في قصره أياماً، وأرغموه على مغادرته إلى
الربض الغربي منها، وأغلقوا المدينة كلها ثم فتحوها فجأة وهاجموا
البربر وسحقوهم سحقاً، وفر القاسم هو وأصحابه مرة أخرى إلى
اشبيلية، لكن أهلها أغلقوا أبواب مدينتهم في وجهه في ١٢ شعبان
١٤١٤ هـ (٣٠ أكتوبر ١٠٢٣ م) لكراهيتهم له ولم يجد القاسم بداً من
الرحيل فانصرف طريداً إلى شريش، ولما علم يحيى بذلك زحف إلى
شريش واستولي عليها وقبض على عمه وحمله معه مقيداً إلى مالقة.
وتوالى الأحداث في قرطبة فقد ندم أهلها على ما فعلوه ببني مروان،
فبايعوا واحداً منهم لقب بالمستظهر، ثم ولوا المستكفي بالله الذي افتتح

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، م ١، ص ٤٨٢؛ ابن عذارى: البيان، ج ٣، ص ١٣١.
- بينما يذكر المقرئ أن القاسم فر من قرطبة إلى اشبيلية ليلة السبت ٢٨ ربيع الآخر سنة
٤١٢ هـ وأن بيعة يحيى تمت يوم السبت مستهل جمادى الآخرة من نفس السنة.
(راجع المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٤٨٦) والتاريخ المثبت في المتن هو الأقرب إلى
الصواب.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، م ١، ص ٤٨٢.

- المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٤٨٧.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج ٣، ص ١٣٣.

- المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٤٨٧.

(٤) ابن عذارى: البيان، ج ٣، ص ١٣٣.

خلافته بقتل المستظهر . وفي ٢٥ من ربيع الأول ٤١٦ هـ / ٢٦ مايو ١٠٢٥ م زحف يحيى بن علي من مالقة نحو قرطبة مستهدفاً الاستيلاء عليها ، فاضطر المستكفي إلى التسلل من قصره في زى غانية ، وفي الطريق وثبوا عليه وقتلوه في أقليمج ، وهكذا استعاد يحيى بن علي المعتلى بالله دولته بقرطبة في ١٦ رمضان من نفس السنة وأقام بها عدة أشهر ثم رحل إلى مالقة في ٨ محرم ٤١٧ هـ / ٢٩ فبراير ١٠٢٦ م وترك على قرطبة وزيره أحمد بن موسى ودوناس بن أبى روح لكي ينوبا عنه في حكمها ^(١) . انتهز حبوس بن ماكسن صاحب غرناطة هذه الفرصة ، وأوعز إلى مجاهد وخيران العامريين بدخول قرطبة ، فلما أحس أهل قرطبة بقرب وصول قوات الصقليين إليها ، وثبوا على من كان في بلدهم من البربر وأعملوا فيهم السيف في ٢٠ من ربيع الأول سنة ٤١٧ هـ / ١١ مايو ١٠٢٦ م وفتكوا بالحامية البربرية ، وقيل أنهم قتلوا منهم يومئذ نحو ألف رجل . وفر الوزير أحمد بن موسى إلى مالقة . وعلى أثر ذلك دخلت جيوش خيران ومجاهد قرطبة ، فأقاما بها نحو شهر ثم اختلفا فيما بينهما ، وبدأ كل منهما يشك في نية صاحبه نحوه ويخشى غدره ، فانسحب خيران ومن كان معه من قرطبة إلى المرية في أواخر ربيع الآخر سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ، أما مجاهد فقد مكث بقرطبة بعض الوقت ثم غادرها إلى دانية حاضرتها ^(٢) .

وهنا يظهر عيب الصقالبة فرغم شجاعتهم واندفاعهم لم يكونوا يقدرّون المستقبل وكان كل منهم يرتاب في نوايا صاحبه ، وينظر إليه على أنه منافس له ^(٣) .

مما تقدم ندرك أن المعاهدات والاتفاقات لم تكن في نظر خيران سوى وسيلة لتحقيق أهدافه ، فإنه ما كان ليحفظ عهده إذا سنحت له

(١) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ١٣٦ - ١٣٧ .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

Dozy : Spanish Islam , B . III , pp . 584 - 585 .

(٣) كليلا سارنللى : مجاهد العامرى ، ص ١٦٥ .

الفرصة لتحقيق هذه الأهداف ، بل كان لا يتردد في طعن صديقه من الخلف والغدر به إذا كان ذلك يحقق له خطته ومأربه .

(٣)

مشاركة خيران في أحداث شرق الأندلس

لم يقتصر دور خيران العامري على التدخل في الاحداث السياسية بقرطبة ، فقد شارك في أحداث شرق الأندلس ، فبعد انفصال مجاهد العامري رئيس الفتيان العامرية بشرق الأندلس عنهم ، أسندوا أمر مشيختهم إلي نفر منهم وتشاوروا في تنصيب أمير من أنفسهم يتخذونه رئيساً لهم ، فاستقر رأيهم علي تنصيب عبد العزيز ^(١) بن عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن أبي عامر رئيساً عليهم ^(٢) وكان ما يزال يقيم في سرقسطة في كنف صاحبها منذر بن يحيى التجيبي ، عندما تلقى دعوة الحزب العامري بشاطبة ^(٣) ، وكانت شاطبة آنذاك جزءاً من أملاك خيران العامري ، وتم تنصيبه في شاطبة رئيساً لحزبهم سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م ^(٤) وتلقب منذ ذلك الوقت بالمنصور

^(١) كان عبد العزيز آنذاك فتى حدثاً لا يتجاوز من العمر خمسة عشر عاماً كان في كنف أبيه عبد الرحمن شنجول طفلاً واضطر في أعقاب مصرع أبيه واندلاع الفتنة واستيلاء محمد بن عبد الجبار على قرطبة إلي الفرار من قرطبة سراً إلي سرقسطة وعمره لا يتجاوز سبع سنين ، وأقام في سرقسطة تحت رعاية صاحبها منذر بن يحيى التجيبي .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٤٩ ؛ ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٩٣ - ١٩٥ .

^(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٤٩ ؛ ابن عذاري : البيان ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٩٤ .

Caspar Remiro : Op . Cit . , p . 92 .

^(٣) شاطبة : مدينة قديمة من أعمال بلنسية تقع على بعد ٣٢ ميلاً إلي الجنوب الغربي منها ، لها قصاب يضرب بها المثل في الحصانة والمنعة .

- الاندلسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٢ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٣٧ .

- شكيب ارسلان : الحل الأندلسية ، ج ١ ، ص ١١٠ .

- حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ص ٦٦ .

^(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٤٩ .

- ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

- ابن الخطيب : رقم الحل في نظم الدول ، ص ١٧١ .

تمثلاً بلقب جده محمد بن أبي عامر ، مما جعل بعض مؤرخي العرب يطلقون عليه اسم المنصور الصغير تمييزاً له عن جده ^(١) .

ولكن خيران خشي من ازدياد نفوذ عبد العزيز وعز عليه أن يحتل مكانه في رئاسة العامريين ، فعقد النية على التخلص منه وساعدته الظروف على تحقيق هدفه ، حيث قام بالاشتراك مع أهل شاطبة - الذين استثارهم استبداد المنصور بهم - بثورة ضده ، فاضطر عبد العزيز إلى الفرار إلى بلنسية في سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٢١ م ^(٢) .

وفي ذلك الوقت كانت العلاقات قد ساءت بين خيران ومجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية (البليار) ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى حسد مجاهد لخيران بسبب سياسته التوسعية وسعيه إلى ضم مزيد من المدن والحصون وأهمها أوريولة ومرسية ، ومن هذا المنطلق وضع مجاهد نصب عينيه ازاحة خيران عن ممتلكاته الجديدة ^(٣) ، وما زال يترصده حتى وجد فرصة مواتية في إيقاع الهزيمة به ^(٤) ، وحاصر بجيوشه وأساطيله سواحل المرية ^(٥) . هنا أدرك خيران بفطنته وذكائه ألا قبل له بمواجهة مجاهد والتصدي له ، فهداه تفكيره وقراره أن يستعين على مجاهد بشخص يرتضيه العامرية ، يتمثل في شخص أحد أطفال المنصور بن أبي عامر ويدعى محمد بن عبد الملك المظفر كان قد انتزى في جيان ، وبفضل ثرواته الطائلة التي حصل عليها عن طريق أمه ^(٦) ، تمكن من جمع عدد كبير

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٤٨ .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

Huici Miranda : Historia Musulmana de Valencia , T . I , pp . 154 , 165 .

^(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٤٨ .

^(٢) ابن خلدون : نفس المصدر والصفحة .

Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , p . 40 .

^(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٩٣ .

- كليلا سارنللي : مجاهد العامري ، ص ٨٢ .

^(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

^(٥) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) : " طوق الحمامة في الألف والآلاف " ، تحقيق الدكتور الطاهر أمدمكي ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ١١٨ .

^(٦) كانت أمه متزوجة من القاسم بن حمود .

- ابن عذري : البيان ، ج ٣ ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، ١٣٢ .

من الرجال الموالين له ، ولم يتردد خيران في دعوته للقدوم إلي مرسية لتوليها ، فاستجاب محمد بن عبد الملك وأقبل مسرعاً إليها ، وهناك بايعه خيران بالامارة وملكه أوريولة ومرسية ولقبه بالمؤتمن ثم بالمعتصم ^(١) .

إلا أن الأمور سرعان ما تازمت بين ابن عبد الملك وخيران بسبب طموح ابن عبد الملك بعيد المدى وميله للسيطرة إلي حد أنه لا يتورع عن قتل أخيه في سبيل التوصل إلي تحقيق هدفه ، ولهذا خشي خيران على نفسه منه ، فاضطر إلي الخروج من مرسية والاقامة بالمرية في ١٤ ربيع الآخر ٤١٢ هـ / ٢٨ يوليو ١٠٢١ م ^(٢) . وهناك نظم قواته ، ثم تحرك من المرية إلي مرسية لمحاربة ابن عبد الملك ، وشدد الحصار على مرسية وضيق عليه الخناق حتى نجح في اخراجه منها في ٦ ربيع الأول ٤١٣ هـ (٩ يونيو ١٠٢٢ م) واستولى الفتيان على أمواله ، فالتجأ المعتصم إلي أوريولة ولكن خيران طارده إليها وأحكم عليه الحصار ، فلما أدرك المعتصم ألا طاقة له بمداغة خيران ، اضطر إلي الفرار منها ولاذ بمجاهد العامري في دانية ، فأقام عنده فترة من الوقت ثم توجه من هناك إلي غرب الأندلس فاستقر بحصن داره ، وتوفي بها من جدري أصابه في ٢ ربيع ثان ٤٢١ هـ / ٣ إبريل ١٠٣٠ م ^(٣) .

وهكذا يتبين لنا أن خيران لم يكن طوال فترة انتزائه بالمرية ومرسية على وفاق مع أصحابه العامريين ، وكانت علاقاته بالأخص مع مجاهد صاحب دانية في غاية السوء ، وكثيراً ما كانت تقع بينهما

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٨٤ ، ٣٩٤ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

Prieto Y Vives : Les Reyes de Taifas , p . 39 .

(٣) ابن الخطيب : اعلام الاعلام ، ص ١٩٤ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٤٩ .

- Gaspar Remiro : Historia de Murcia Musulmana , p . 96 - 98 .

- Prieto Y Vives : Op . Cit . , p . 39 - 40 .

- Huici Miranda : Op . Cit . , p . 166 .

- Maria Jesus Rubiera Mata : La Taifa de Denia , Alicante , 1985 , p . 78 - 79 .

المناوشات والمعارك بين الحين والحين من أجل السيطرة على مقاليد الأمور في تلك المنطقة من شرق الأندلس ، وبفضل جرائته في مواجهة خصومه مع حنكته السياسية ودهائه ، أصاب خير ان الكثير من التوفيق في سياسته التي اتبعها سواء فيما يتعلق بأحداث قرطبة أو في علاقاته بشرق الأندلس .

ومن هنا نجد أن خير ان وفق في سياسته الخارجية أيما توفيق واستقر في المرية وبسط حكمه على أعمالها ، واستطاع أن يؤسس مملكة تمتد أطناها يومئذ في المنطقة الممتدة من شاطئ اسبانيا الشرقي الجنوبي على هيئة مثلث كبير يمتد غرباً حتى وادي آش وحدود مملكة غرناطة ، وشمالاً حتى بسطة وجيان ^(١) هذا بخلاف أوريولة ومرسية، اللتين كان يتولاهما زهير العامري نيابة عنه ^(٢) .

^(١) بينما يشير ابن الخطيب إلى استيلاء حبوس على كورتى جيان وقبرة ولم يحدد لنا تاريخ استيلائه عليهما وهل تم ذلك في عهد خير ان أم زهير (انظر ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢٩) .

- ويذكر صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس " أن ملك خير ان كان يضم إلى جانب المرية وادي آش وجيان وباجة وشونر وبسطة وأرجونة وباجة وطلايطة وشتنجيلة ولم يكن في الثوار أوسع عملاً منه (مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢١٨) .

^(٢) الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ .

- محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ١٦١ .

(٤)

السياسة الداخلية لخيران

استغل خيران قدراته الخارقة وامكاناته الوفيرة للنهوض بالمرية حتى أصبحت المرية في عهده وبفضل عنايته واهتمامه بتعميرها ورفع شأنها من أعظم مدن الأندلس وأكثرها اتساعاً عمرانياً ورخاءاً اقتصادياً^(١). فقد أبدى خيران في ضبط المرية وتنظيمها همة فائقة ، فعمل على تحصينها ، وسد عوراتها ، وأصلح قصبتها التي كان قد أقامها الخليفة عبد الرحمن الناصر ، فنسبت إليه بعد ذلك ، وزاد فيها حتى غدت من أعظم القصاب الأندلسية ، واتخذها عدة لسلطانه وأودعها أمواله وذخائره^(٢) ، وخذران أيضاً " هو الذي أوصل إليها الماء وبني الحمة العجيبة ، وفي أيامه بلغت من العمارة والقوة وفشو الصنائع ما هو مشهور ، وكان مذهبهم في الجود قصداً ، لم يشتهر بكرم ولا وسيم بلوم^(٣) .

ويروى العذري أن خيران زاد في قبلة جامع المرية زيادة اتسع لها الجامع سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م وبني السود المنحدر من جبل ليهم أولاًهم إلي البحر ، وجعل له أربعة أبواب : باب في جبل ليهم ، وباب يخرج منه إلي بجانة ، وباب يسمى باب المربي ، وباب قرب ضفة البحر يعرف بباب السودان كان يسمى في زمن العذري بباب الأسد^(٤) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : مدينة مرسية ، موطن الشيخ الزاهد أبو العباس المرسى ، ص ٦ .

(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١١ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٧٧ ؛ وأنظر : الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص

١٠١ - ١٠٢ .

(٤) العذري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٣ .

كما يرجح الأستاذ هنرى بيريس أن الأبار التى عرفت بها المرية والتى ما زالت أطلالها ترى حتى يومنا هذا ترجع إلي أيامه ^(١).

وكانت المرية في عهده مركزاً لحركة ثقافية وأدبية مزدهرة فقد اهتم بالعلوم والآداب ، حتى قصده بعض أدباء الأندلس المشهورين اجتذبهم بكرمه وتشجيعه على رأسهم أحمد بن عباس بن أبى زكريا ، فاستوزره خيران " وكان ابن عباس هذا غزير الأدب ، قوى المعرفة ، شارعاً في الفقه ، مشاركاً في العلوم ، مقتبساً للشعر من غير طبع فيه ، حاضر الجواب ، ذكى الخاطر ، جامعاً للآداب الملوكية جميل الوجه ، حسن الخلقة ، كلفاً بالأدب ، مؤثراً على سائر لذاته " ^(٢).

كما لجأ إلي حمّاه القاضي القرطبي الزاهد أبو عمر أحمد بن عفيف بن عبد الله بن مريول صاحب كتاب أخبار القضاة والفقهاء بقرطبة ، وكان واسع الرواية والجمع والتقيد والاكتار من طلب العلم ، وعنى بالفقه وعقد الوثائق وشهر بتبريزه فيها ثم شارف كثيراً من العلوم فأخذ بأوفر نصيب منها ، ولما وقعت الفتنة خرج فيمن خرج عنها وقصد المرية فأكرمه خيران وأوفى مكانته ، وعرفه فضله وأمانته فقلده قضاء لورقة ، ولم يزل حسن الراى فيهم إلي أن توفي سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م ^(٣).

ومن العلماء الذين قصدوا خيران ، أبو اسحاق إبراهيم بن عمار ، وكان من جلة العلماء قلده خيران قضاء المرية ^(٤) ، كما قلده بعده

^(١) وانظر الترجمة العربية (الطاهر أحمد مكى : الشعر الأندلسى في عصر الطوائف ، ص ١٢٩) .

^(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٤٣ - ٦٤٥ .
- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ؛ ترجمة رقم ٤١٩ .
- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .
- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .
- دوزى : ملوك الطوائف ، ترجمة كامل الكيلانى ، ص ٤٧ - ٤٨ .
^(٣) ابن بشكوال : الصلة ، ص ٣٨ - ٣٩ ؛ ترجمة رقم ٧٥ .
^(٤) نفس المصدر : ص ٩٤ ؛ ترجمة رقم ٢٠٧ .

أدهم بن أحمد بن أدهم (توفي ٤٢٩ هـ) الذي عرف بصلابة رأيه وأحكامه^(١).

ومن شعراء الأندلس الذين قصدوه ومدحوه بشعرهم الشاعر الأندلسي الكبير أبو عمر أحمد بن دراج القسطلی^(٢) الذي مدح خيران بقصيدته المشهورة قبل أن يرحل من المريّة إلى سرقسطة سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ونطالع فيها الأبيات التالية :

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران	وبشراك قد وافاك عزو سلطان
هو النجم لا يدعى إلى الصبح شاهد	هو النور لا يبغى على الشمس برهان
إليك شحنا الفلك تهوى كأنها	وقد ذعرت من مغرب الشمس غربان
على لجج خضر إذا هبت الصبا	ترامى بنا فيها ثبير وشهلان ^(٣)

كما مدحته الغسانية الشاعرة المشهورة في قصيدة طويلة تعارض بها أبا عمر أحمد بن دراج في قصيدته السابقة ، أولها :

أتزع أن قالوا استظعن أظعان	وكيف تطيق الصبر ويحك إن بانوا
وما هو إلا الموت عند رحيلهم	وإلا فالعيش تجتني منه أحزان ^(٤)

وخدم في المريّة زمن خيران الأديب أبو البحر يوسف بن عبد الصمد أحد المتقدمين في الكتابة^(٥).

(١) نفس المصدر ، ص ١١٣ ترجمة رقم ٢٧٠ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج ، وكنيته أبو عمرو ، عمدة شعراء عصره .

- الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١١٠ ترجمة رقم ١٨٦ .

- ابن دحية : المطرب ، ص ١٥٦ .

- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٣٥ ترجمة رقم ٥٦ وغيرها .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٢ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٩٢ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٢ .

(٤) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٤١٣ ، ترجمة رقم ٩٨٧ .

- الضبى : بغية الملتبس ، ص ٥٤٤ ترجمة رقم ١٥٨٨ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الثانى ، ص ٨٠٩ .

وفي وفود الأدباء والشعراء على المرية في تلك الفترة ما يعبر
تعبيراً صادقاً عما نعمت به تلك المدينة في ظل حكم خيران من أمن
واستقرار ، كان لهما أكبر الأثر فيما أحرزته من ازدهار حضارى .
وكان خيران يجمع بين صفات الدهاء والشجاعة وحسن التدبير ، وبين
التواضع والزهد في الألقاب والرتب الملوكية التي تلقب بها ملوك
الطوائف في عصره ، واكتفى بما كان يوصف به من القاب مثل
"ال خليفة" والفتى الكبير^(١) .

وتوفي خيران بالمرية ليلة الجمعة لثلاث خلون من جمادى
الأولى سنة ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م بعد علة دامت شهوراً^(٢) .

(٥)

المرية في عهد نر هير العامري

لما اعتل خيران وأحسن بدنو أجله ، أرسل إلي زهير العامري -
وكان يتولى بمرسية وجيان من قبله - يستدعيه فأسرع زهير بالقدوم
بعد أن ترك على مرسية مسلم الفتى وظل مقيماً بالمرية إلي أن توفي
خيران . فاجتمع أحمد بن أبى زكريا بأهل العقد والحل ، وأخبرهم
بموت خيران ووصيته في أن يخلفه أخوه زهير في حكم المرية ، واتفق
الجميع بذلك على تولية زهير لعلو همته ، وسداد مذهبه ودهائه ، وتسلم
الحكم في المرية في ٣ من جمادى الأولى سنة ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م
وتلقب بعميد الدولة^(٣) .

(١) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٢ .

- بينما يذكر مؤلف كتاب بلاد الأندلس أنه تلقب بالحاجب سيف الدولة .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢١٨ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١٨ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٥١٧ - ٥١٨ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٤٩ .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢١٨ .

وما كاد الزهير يتولى إمارة المرية خلفاً لخيران ، وأصبح مسلم متولياً لمرسية حتى بادر بشق عصا الطاعة عليه ، ربما حسداً للزهير لما توصل إليه من سلطان فأسرع زهير إلى السير نحو مرسية وأحكم الحصار على الفتى مسلم في قلعة أوريولة واستمر الحصار لمدة ستة أشهر ضيق زهير عليه الخناق حتى اضطر إلى التخلي له عن جميع مقومات الحكم ^(١) ، فعزله زهير وولى مكانه على مرسية أبا عامر بن خطاب أحد أعيان مرسية ^(٢) .

وكانت المرية وقت أن تولى زهير حكمها تمتد من المرية إلى النواحي الشرقية لقرطبة غرباً ، ومن المرية إلى شاطبة ومرسية في الشمال الشرقي ، ومن المرية إلى جيان وبياسة إلى الفج من أول طليطلة في الشمال الغربي ^(٣) .

وقبل أن يعود زهير إلى المرية حضرة دولته أمر أبا عامر بن خطاب بأن يصحبه معه إلى المرية إذ كان يخشى أن ينتزى بها بمجرد انتقاله منها ، فعاد معه إلى المرية بعد أن ترك زهير عليها ابن طاهر ^(٤) ، وأصبح ابن خطاب يحكم مرسية من

(١) العذري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٣ .

(٢) اكتفى ابن الأبار بذكر كنيته دون أن يذكر اسمه .

(ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١١٦) .

- والظاهر أنه حفيد أبي عمر أحمد الخازن بن دحيم بن خطاب ، الذي ضيف

المنصور بن أبي عامر وجيشه في سنة ٣٧٤ هـ .

- ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ .

- سالم (سحر عبد العزيز) : بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري ، أسرة من

المولدين بمرسية في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية

١٩٨٩ م ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢١٦ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٥١٨ .

- عنان : دول الطوائف ، ص ١٦٣ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن اسحاق بن زيد بن طاهر القيسي ، كان فقيهاً عالماً زاهداً خيراً

ناسكاً متبتلاً ، طلب العلم في حداثة سنه في بلده ، ورحل في التماسه إلى قرطبة ، فروى

الحديث بها ، وتفقّه بأهل الشورى المفتين وناظرهم وأخذ بحظ وافر من العلم . =

المريّة^(١)، ويذكر ابن الأبار نقلاً عن تعليقات القاضي أبي القاسم بن حُبَيْش على تاريخ أبي مروان بن حيان أن زهيراً العامري صاحب المريّة ومرسية "خاف انتقاض أبي عامر بن خطاب رئيس مرسية عليه أن تركه خلفه لصفوه إلي مجاهد - يعني العامري - مناوئته فأسكنه معه المريّة دون أن يغير له حالاً ولا نعمة وترك بمرسية ابن طاهر، ندّ ابن خطاب ومناوئته، بعد أن انطلق ابن طاهر من يد مجاهد بفدية غليظة، وعاد إلي حاله ونعمه، وأعان زهير على لم شعته ووفي بعهوده فاطمأنت قدمه بمرسية فيما بعد، وارتفعت حاله، وبُعد عنها عدوه ابن خطاب آخر الأيام فلم يقض له رجوع إليها أن مضى لسبيله^(٢)."

ونستدل من هذا النص أن أبا عامر بن خطاب كان موالياً لمجاهد العامري الذي كان ينافس زهير في السيادة على شرق الأندلس، وأن زهيراً كان يخشى من أبي عامر بن خطاب أن ينقلب عليه إذا ما تركه على مرسية عند توجهه إلي المريّة مقر مملكته، هذا بالإضافة

تغلب ابن طاهر على مرسية وظل يحكمها إلي أن غلبته الفتن، وجّه إليه المعتمد بن عباد جيشاً بقيادة وزيره ابن عمار وقائده ابن رشيق، ففر بن طاهر إلي بلنسية ونزل في كنف صاحبها ابن عبد العزيز، وتوفي سنة ٥٠٧ هـ.

- ابن خاقان: قلاند العقيان، المجلد الأول، ص ١٧٠ - ١٧٣.

- ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، م ١، ص ٢٤ - ٢٥.

- العماد الأصفهاني (أبو عبد الله عماد الدين): "خريدة القصر وجريدة العصر" الجزء الثالث، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق أنرتاش أنرنوش، نقحه وزاد عليه محمد المرزوقي، ومحمد العروسي المطوي، والجيلاني بن الحاج يحيى، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس ١٩٧٢ م، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

- الضبي: بغية الملتبس، ص ٥٠ - ٥١ ترجمة ٢٣.

- ابن الأبار: الحلة السراء، ج ٢، ص ١١٦ ترجمة ١٣٠.

- ابن سعيد: المغرب، ج ٢، ص ٢٤٧ ترجمة ٥١٣.

- المراكشي: المعجب، ص ٧٥.

- المراكشي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسي): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، القسم الثاني، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت (بدون تاريخ)، ص ٥٩٠.

- سحر السيد عبد العزيز سالم: بنو خطاب، ص ٥٤.

^(١) عنان: دول الطوائف، ص ١٧٦.

- سحر سالم: بنو خطاب، ص ٤٩.

^(٢) ابن الأبار: الحلة السراء، ج ٢، ص ١١٦ - ١١٧.

إلى ثراء أبي عامر وسمو مكانته وقوة نفوذه^(١) في مرسية مما يسهل له مهمة الاعتزاء بقومه والانتزاع ، كل ذلك أثار مخاوف زهير العامري ، ولهذا عزله وصحبه معه إلى المرية حسماً للنزاع وضماناً لسيطرته على مرسية .

أما أبو بكر بن طاهر فقد أنابه عن ابن خطاب ، لتقته بولائه وأمانته^(٢) وسار في حكمها سيرة حسنة ، فقد كان رجلاً حسن الرأي يتصف بالعلم والمشورة كما كان محبوباً من أهل بلده زاهداً في الألقاب الملوكية ، لم يدع لنفسه رئاسة^(٣) وظل قائماً بها حتى وفاة زهير سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م . وعندما خلف عبد العزيز المنصور صاحب بلنسية زهير العامري على إمارة المرية ، أقر ابن طاهر على حكم مرسية ولم يتعرض له بشئ إلى أن استقل بها ابنه أبو عبد الرحمن بن طاهر عقب سقوط بلنسية في يد المأمون بن ذي النون^(٤) .

ازداد اتساع إمارة المرية في عهد زهير عما كانت عليه في عهد خيران ، وفي ذلك يقول العذري في روايته " وتمادت ولاية زهير الفتى على المرية وأعمالها إلى أن دخل في ولايته مدينة قرطبة وأعمالها " ^(٥) ونستدل من حوادث سنة ٤٢٥ هـ / ١٠٣٤ م أن زهيراً تطلع إلى الاستيلاء على قرطبة وضمها إلى إمارته ، ولم يتردد في تلك السنة من دخولها في ٢٥ شعبان ٤٢٥ هـ / ١٥ يوليو ١٠٣٤ م وتمكن من بسط نفوذه عليها ما يقرب من خمسة عشرة شهراً ونصف شهر^(٦) .

(١) عن مكانة بنى عامر وثرانهم .

- أنظر : سحر السيد عبد العزيز سالم : بنو خطاب ، ص ٣٥ - ٤٧ .

(٢) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

- عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٧ .

(٣) عنان : نفس المرجع ، ص ١٧٧ .

(٤) العذري : ترصيع الأخبار ، ص ١٦ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ .

- Prieto Y Vives : Op . Cit . , p . 40 .

- Caspar Remiro : Historia de Murcia , p . 101 - 103 .

(٥) العذري : ترصيع الاحبار ، ص ٨٣ .

(٦) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٦ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٥١٨ .

ونتساءل كيف تمكن زهير من السيطرة على قرطبة في الوقت الذي كان يتولاها أبو الحزم بن جهور بن محمد بن جهور^(١) وتصمت المصادر العربية عن الإجابة على هذا التساؤل ، باستثناء ما أورده كل من العذري وابن الخطيب ، وإن كانا لم يوضحا ما إذا كان قد دخلها سلماً أم حرباً ، وفي تصوري أن دخول زهير العامري قرطبة سنة ٤٢٥ هـ لم يكن عن طريق الحرب ، ويبدو أن ذلك تم بناء على استدعاء من أبي الحزم بن جهور للمعاونة في استقرار الأوضاع وحفظ الأمن في قرطبة خاصة في الفتة التي أعقبت إنهاء رسم الخلافة نهائياً في الأندلس سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م ودرءاً للاطماع الخارجية المتمثلة في رؤساء دويلات الطوائف المتطلعين للاستيلاء على حضرة الخلافة المروانية وعلى رأسهم بنو حمود .

من ذلك يتبين لنا طبقاً للروايات المعاصرة أن حكم ابن جهور استمر في قرطبة خلال نفس الفترة التي أقام فيها زهير بقرطبة ، مما يرجح أن إقامته فيها كانت بناء على طلب ابن جهور خاصة وأن المصادر العربية لا تشير إلى قيام أي حروب بينه وبين زهير العامري . وقد أقام زهير بقرطبة وفقاً لرواية ابن الخطيب مدة خمسة عشر شهراً ونصف شهر (من ٢٥ شعبان سنة ٤٢٥ هـ / ١٥ يوليو ١٠٣٤ م إلى حوالي ١٠ من ذي القعدة سنة ٤٢٦ هـ / ١١ أكتوبر ١٠٣٥ م) وفي هذه الأثناء سعى زهير إلى تأكيد شرعية حكمه على مناطق نفوذه بالاستناد إلى سند شرعي دفعاً لخطر الحموديين وملوك الطوائف المجاورين له فاستقدم سقاء يشبه هشام المؤيد زعم أنه عثر عليه وأنه يقيم معه في المرية ، وظل يمويه به على الناس زمناً في سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م^(٢) .

(١) هو جهور بن محمد بن جهور بن عبد الملك بن جهور بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغامر بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة ، وكان لدخول جدهم أبي عبدة إلى الأندلس أثر عظيم ظهر له فيها من جميل النزاع وسعة الباع وحسن الامتناع ما لم يظهر لاحد من النظراء من حين الفتح إلى وفاة أبي الحزم هذا .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٢٠ - ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٠٢ - ٦٠٤ .

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٨٥ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ١٧ .

- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٤ . =

ومن المرجح أن هذا التصرف من قبل زهير لم يرض عنه أبو الحزم بن جهور - الذي سبق أن أنهى رسوم الخلافة سنة ٤٢٢ هـ - وربما قام الخلاف بينهما خاصة بعد أن تضخم نفوذ زهير . واستطاع ابن جهور بطريقة ما أن يجبر زهير على مغادرة قرطبة في نهاية سنة ٤٢٦ هـ ، أو لعل الظروف المحيطة به وعلاقاته مع ملوك الطوائف الآخرين اضطرتته إلى العودة إلى مملكته المرية للحفاظ عليها .

وفي عهد زهير عُرض عليه ضم قصبة شاطبة إلى مملكته ، ولكنه تنازل عنها وأسلمها للمنصور عبد العزيز بن أبي عامر قائلاً "هو أحق بها منا جميعاً" ^(١) .

وحذا القاضي أبو القاسم محمد بن عباد ^(٢) القائم بأمر اشبيلية حذو زهير العامري ^(٣) في الاعتماد على سند شرعي يتمثل في خلف

-
- = ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .
^(١) العذري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٣ .
^(٢) عن بني عباد ارجع إلي :
 - الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ٨٠ ترجمة رقم ١٢٦ .
 - ابن خاقان : قلاند العقيان ، المجلد الأول ، ص ٥١ .
 - ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ١٦٩ .
 - ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٣١٦ ، ٤٨١ .
 - ابن بشكوال : الصلة ، ص ٥٢٣ ترجمة رقم ١١٤٥ .
 - الضبى : بغية الملتبس ، ص ١١٧ - ١١٨ ترجمة رقم ٢٤٧ .
 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٨٥ .
 - ابن دحية : المطرب ، ص ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٥ .
 - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢١ - ٣٩ .
 - ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٤ .
 - النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٤٢ - ٤٤٤ .
 - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٥٣ .
 - النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٩٤ .
 - المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٦ .
 - ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى) : " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " المكتبة التجارية للطباعة ، الجزء الثالث ، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٩ م ، ص ٢٥٢ .
^(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ١٧ ؛ ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .

الحصري^(١) شبيه هشام المؤيد الذي ظهر بالميرية في ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م ليستمد منه السلطة ويقف نداً قوياً أمام يحيى بن علي حمود الذي كان يهدد قرطبة وأشبيلية^(٢). فاستقدمه إلي أشبيلية وبايعه بالخلافة في أوائل المحرم ٤٢٧ هـ / نوفمبر ١٠٣٥ م^(٣)، ثم دعا ملوك الطوائف بالأندلس إلي الدخول في طاعته، وتكلل مسعاه بالنجاح وانضم كل ملوك الطوائف إلي هذا الحلف العربي الصقلبي بهدف تكوين جبهة أندلسية متحدة أمام الطائفة البربرية فبايعه ابن ذنون ليستعين بابن عباد علي ابن هود^(٤) وبايعه عبد العزيز بن أبي عامر أمير بلنسية، وصاحب طرطوشة وأبو الحزم بن جهور، ومجاهد العامري، ومحمد بن عبد الله بن برزال أمير قرمونة^(٥).

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ١٦ ، ١٨ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .

(٢) ويذكر ابن عذارى أن يحيى بن علي بن حمود استحال علي ابن عباد وأراد قتله والاستيلاء علي أشبيلية ، فكان ذلك سبباً دفع ابن عباد إلي استقدام شبيه هشام .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ١٧ ، ١٨ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٨ ، ٣١٥ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٥٣ .

- دوزى (رينهارت) : ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ، ترجمة الاستاذ كامل الكيلاني ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٣٣ م ، ص ٢٤ .

- Dozy : Spanish Islam , B III , p . 602 - 603 .

- Luis Suarez Fernandez : Op . Cit . , p . 453 .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٨٥ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٠ ، ٢٠٠ .

- النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٥٤ .

(٤) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٩ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٧٨ .

Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , p . 70 - 71 .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ١٧ ، ١٨ .

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٠ ، ١٩٩ .

- دوزى : ملوك الطوائف ، ص ٣٤ .

Dozy : Op . Cit . , p . 604 .

- عنان : دول الطوائف ، ص ٣٧ .

إلا أن زهيراً كان من بين الذين امتنعوا من ملوك الطوائف عن مبايعة هشام المزعوم الذي دعا إليه ابن عباد باشبيلية^(١)، ويبدو أن هذا التصرف من قبل زهير أثار غضب قاضي أشبيلية، الذي أبدى النية في محاربة زهير، وكان لزاماً على زهير أن يبحث عن حليف يعتمد عليه في مواجهة ابن عباد، ووجد ضالته في شخص ادريس بن علي بن حمود الذي التفت حوله العناصر البربرية وبعض الفتيان العامرية اتقاء للتهديد الذي يواجهونه من القاضي ابن عباد صاحب أشبيلية.

ففي ٥ من ذي القعدة سنة ٤٢٧ هـ (٣٠ أغسطس ١٠٣٦ م) سير ابن عباد جيشاً إلى زهير العامري يتوعدده إذا لم يخطب باسم هشام فاستجد زهير بحبوس الصنهاجي صاحب غرناطة الذي لم يتردد في الخروج إليه على رأس قواته ومعه محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة^(٢)، فاضطر ابن عباد إلى العود إلى أشبيلية دون قتال^(٣).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .

- ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

- بل أن زهيراً لم يكتف بعدم الاعتراف بهشام المزيف بل كتب رقعة إلى أهل قرطبة يهاجم فيها ابن عباد ، منها : " وأشد هذه العصابة المشؤومة ابن عباد الذي سل سيف الفتنة والبغى من قرابه ، وأثار بغير الظلم من مبركه ، وانتزى ببطنه أشراً ، ومشى في الأرض مرحاً ، وظن أن يخرق الأرض ويبلغ الجبال طولا ، فغزا أهل الاسلام في عقر دارهم ، وأسقط عن نفسه حرمة الله فيهم ، وأذهب ذمته ، وبنى أمره على دعامة زيت ، وأتى لشانه من ظهر بيت ، واستعار اسم الشهيد هشام المؤيد لغير أهله ، وعزاه إلي من ليس من شكله ... " .

- ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الثاني ، ص ٦٥١ .

- Dozy : OP . Cit ., p . 605 .

- Aguado Bleye : Manual de Historia de Espana , T . I . p . 580 .

(٢) عن أخبار بني برزال أنظر :

- ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٥٠ - ٥١ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٦٧ - ٢٦٩ .

- عنان : دولة الطوائف ، ص ١٤٩ - ١٥١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٨٦ ، ٢٧٨ - ٢٧٩ .

- دوزي : ملوك الطوائف ، ص ٢٣ .

- Dozy : Spanish Islam , B III , p . 605 - 606 .

- Aguado Bleye : Op . Cit ., p . 580 .

- Gaspar Remiro : Op . Cit ., p . 99 .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٦٩ .

وكان يحيى بن على بن حمود قد قتل في قرمونة على يد إسماعيل بن عباد سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م وتغلب عليها محمد بن عبد الله البرازلي ، فلما بلغ ادريس بن على بن حمود بسببته خبر مصرع أخيه يحيى أسرع بعبور المجاز إلى مالقة ودعا لنفسه وتلقب باسم " المتأيد بالله " فبايعه حبوس بن ماكسن وانضم إليهما زهير الفتى ، وتحالفوا وتعاهدوا على القيام بدعوته ، فأمر زهير بالخطبة لادريس في المريية في منتصف شهر ذي الحجة ٤٢٧ هـ / ٩ أكتوبر ١٠٣٦ م استجابة لرغبة حليفه وجاره حبوس^(١) ولكن سرعان ما نشب بينهما عارض الخلاف بسبب موالاته زهير لمحمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة في حربه ضد حبوس^(٢) .

ويرجع السبب في التغير الذي طرأ على سياسة زهير مع حبوس الصنهاجي إلى تأثيره برأى وزيره أحمد بن عباس^(٣) فقد غلب هذا الوزير على زهير وألقى إليه زهير أزمته ، " فكان لا يحدث أمر إلا بإشارته ، وبعد مشاورته ، فأشار هذا الوزير الفاجر بغزو باديس بن حبوس بغرناطة " ^(٤) ويعلل دوزي انحراف ابن عباس عن باديس بأنه

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٥٢ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٤٠ .

(٢) وفي ذلك يقول ابن حيان : " وكان سبب فساد باديس بن حبوس وجماعة قومه صنهاجة على جارهم وحليفهم القديم الحلف والولاية زهير الصقلبي ، فتى المنصور بن أبى عامر ، موالاته لكاشحة محمد بن عبد الله زعيم زناتة ، ومضى على ذلك حبوس من عداوته وخلفها كلمة باقية في عقبة " .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٥٦ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

(٣) عن أحمد بن عباس الكاتب أنظر :

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٤٣ - ٦٤٥ .

- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ن ص ٢٥٩ - ٢٦٢ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٥٣٥ ترجمة ٢٨٨ .

- دوزي : ملوك الطوائف ، ص ٥٠ - ٥٧ .

- Dozy : Spanish Islam , B III , p . 607 - 611 .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ . =

سواءه أن يرى سيده زهيراً موالياً لرئيس بربري هو حبوس ، له وزير يهودي هو ابن نغزالة الاسرائيلي ^(١) إذ كان ابن عباس يبغض البربر ويحتقر اليهود ^(٢) .

وتوفي حبوس في رمضان ٤٢٨ هـ / يونيو ١٠٣٧ م وخلفه على مملكة غرناطة ابنه باديس ^(٣) فكان أول عمل قام به الأمير الجديد أن بذل قصارى جهده لاعادة العلاقات الودية بينه وبين زهير على نحو ما كانت عليه في عهد أبيه حبوس وأرسل رسوله إليه يعاتبه ويطلب إليه تجديد المحالفة ، ولكن زهير بدلاً من أن يستجيب لطلب باديس رد

=- وذكر عبد الله الزيري في مذكراته ان ابن عباس " كان من أشد الناس حماقة واستخفافا ، مثيراً للشر ، مؤرثاً بين الملوك وكان الغالب على أمر زهير إذ لم يكن زهير يصلح لشيء لغباوته وجهله " .

- مذكرات الأمير عبد الله ، تحقيق ليفي بروفنسال ، ص ٣٤ .

^(١) إسماعيل بن النغزالة : لم يكن أندلسي الأصل بل كان أهله من الطارنيين على الأندلس ، نشأ بقرطبة واضطرته فتنة البربر إلى الهجرة منها ، فسكن مالقة حيث افتتح دكاناً ، وكان قد درس التلمود بقرطبة ، كما درس الأدب العربي وغيره حتى أصبح يتقن الكتابة المنمقة بالعربية ، وتوصلت به الأحوال إلى أن أصبح كاتباً عند أبي العباس وزير حبوس وكاتبه الأعلى ، فلما توفي أبو العباس خلفه ابنه على الكتابة وكان صغير السن فأصبحت شئون الديوان في يد إسماعيل .

- ابن حزم : " الرد على ابن النغزالة اليهودي " ورسائل أخرى تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص ٩ - ١٠ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٧٦٦ - ٧٦٩ .

- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٦٤ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٣٠ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٣٧ - ٤٣٩ .

Dozy : Spanish Islam , p . 607 .

^(٢) دوزي : ملوك الطوائف ، ص ٤٩ .

- Dozy : Op . Cit . , p . 611 .

- Gaspar Remiro : Op . Cit . , p . 99 .

- Pedro Aguado Bleye : Op . Cit . , p . 58 .

- محمود على مكي : الشيع في الأندلس ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

^(٣) هو باديس بن حبوس بن ماكسن (أبو مناد) المظفر ، أنظر سيرته في :

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٨٦ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٧ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٧ ، ٢٦٦ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٣٠ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ن ص ٤٣٥ - ٤٤٢ .

عليه بأن كل شيء يتم تسويته عند المقابلة مستجيباً لمشورة وزيره أحمد بن عباس الذي أشار عليه بغزو باديس في غرناطة ، ويبدو أن زهيراً استصغر باديس وطمع في الاستيلاء على غرناطة بعد وفاة حبوس^(١) .

وبادر زهير بحشد جيوشه وخرج بها من المرية ومعه وزيره أحمد بن عباس متوجهاً إلى غرناطة سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م ، وقد ضيع الحزم ، واغتر بالعجب ووثق بالكثرة أشبه بمجئ الأمير الضخم إلى عامل من عماله^(٢) ، ولم يراع القواعد والرسوم المتبعة في الزيارات أو عند الالتقاء ، وأعرض عن ذلك كله ، مما يدل على ما كان يحمله في نفسه نحو باديس^(٣) ، واجتاز زهير حدود مملكة غرناطة من شرقها حتى وصل إلى قرية ألفنت^(٤) التي تعتبر باباً لغرناطة^(٥) .

وبلغ باديس نبأ اقتحام زهير بقواته لأراضيه واعتدائه على بلاده ، فأمر بتعبئة قواته تحسباً لما قد يحدث ، وكتب ما بنفسه من مشاعر السخط والغضب وتظاهر لزهير بالمودعة والترحيب ، " وأوسع عليه وعلى رجاله في القرى والتعظيم ، ما مكن اغترارهم ، وثبت طمأنينتهم " ^(٦) وكان باديس مطمئناً إلى حصانة غرناطة التي كان أبوه حبوس قد مدنها وحصن أسوارها ، وبني قصبتها^(٧) . وما أن

(١) مذكرات الأمير عبد الله الزيري ، ص ٣٤ .
- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .
Dozy : Op . Cit . , p . 612 .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٥٦ - ٦٥٧ .
- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .
- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٦ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٧١ .
(٤) هي بالاسبانية Daifontes تقع على بعد نحو خمسة كيلو مترات شمالي غرناطة .
- عنان : دول الطوائف ، ص ١٢٨ ، حاشية ٤ .
- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٧١ حاشية ٣ .
(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٥٧ .
- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .
- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٦ .
(٦) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٦٥٧ .
- ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .
- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١٦ .
(٧) الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٥ .

اجتمع زهير بباديس حتى دب بينهما النزاع ، فقد دعاه باديس إلى الألفة فتجاهل زهير هذه الدعوة مؤمناً بعجز باديس عن الوقوف أمامه فاشتط زهير وأغلظ لباديس بناء على مشورة أحمد بن عباس ، وبالتالي فشلت المفاوضات بينهما ^(١) ، ويعلق ابن حيان على هذا الموقف الاستقرازي الذي وقفه زهير بن باديس بقوله : " وحمل زهير أمره كله على التشطط ، وخلط التغرير بالدالة والجفاء بالملاطفة ، وزعم في بعض ما يقوله أن الذي جاء به زيارة قبر حليفه وخليله حبوس ، وهو قد بخل بالتعزية على ولده أثر موته . واتصلت بينهما المناظرة ، والإمرار يزداد ، وزهير يأبى ذلك ويتهاون كأنه قد اقتدر على خصمه ، ووزيره أحمد بن عباس المعجب التياها يفرى الفرى في تصريح ما يعرض به زهير إيعاداً للقوم ، وإغلاظاً عليهم " ^(٢) .

رغم ذلك حاول باديس مرة أخيرة مصالحة زهير بأن أرسل أخاه بلقين رسولاً من قبله إلى ابن عباس للتوفيق بينه وبين زهير ، ولكن الوزير رد عليه رداً مهيناً فخرج بلقين حانقاً ، وعاد إلى أخيه باديس ومجلسه منعقد فأفضى إليه بما حدث فقرر المجتمعون محاربة زهير ^(٣) .

وكان باديس قد حشد قواته ورتبها ترتيباً محكماً ، ونصب كتائبه في الطريق وأعد العدة للقتال وقطع قنطرة كان لازماً على زهير عبورها ^(٤) . وعلى الرغم من تطور الأوضاع إلى هذا الحد من التدهور ، فقد كان باديس ما يزال يحدوه الأمل في أن يتراجع زهير عما هو مقدم عليه ويثوب إلى رشده سعياً لتجديد صلات الود

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٧٢ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٥٧ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

- سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٧٢ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٦٠ - ٦٦١ .

- Dozy : Spanish Islam , B III , p . 612 - 613 .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٥٨ .

- ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

- Dozy : Op . Cit . , p . 613 .

والتحالف، ولهذا سعى إلي تنبيه زهير في الخفاء إلي الخطر المحدق به، فأرسل رسولا من قبله يطلب منه أن يجتاز الأوعار قبل أن يحبسها عليه، ويبدو أن هذه النصيحة لاقت قبولا لدى زهير، إلا أن ابن عباس وزيره رفضها ربما بدافع من السعي إلي التخلص منه، والانتزاع بالمرية^(١)، وربما كان لهذا الافتراض ظل من الحقيقة وسوف نرى على الأقل أن ابن عباس كان يفتخر أمام باديس بأنه استدرج زهير حتى وقع في الشرك^(٢)، ويؤكد ذلك قول ابن حيان: "وحكى أحمد القيسي متقبل السكة بالمرية أن مهلك زهير وأصحابه كان بقدر الله على يدى أحمد بن عباس وزيره المدبر لسلطانه إذ كان في باطنه فاسد الضمير عليه، حريصاً على إيراطه والحصول على المرية مكانه، إذ كانت دار والده عباس وحوزته وأهل صنائعه وخوله، وجندها تربيته فهو يرى أن مهلكه ويحرص على زواله"^(٣).

أما زهير فقد بات ليلته لا يدري شيئاً مما أعده له باديس "وغاداه باديس صبيحتها على تعبئة محكمة، فلم يرعه إلا رجّه القوم راجعين إليه، تخفق طبولهم وهدير رقاصته^(٤) الأساود فدهش وأصحابه"^(٥). تظاهر زهير بالثبات وثبت في قلب عسكره، وقدم خليفته هذيل الصقلبي في وجوه أصحابه من الموالى العامريين الفحول وعشيرته الصقالبة وغيرهم لاستقبال قوات باديس وأدرك البربر أن هؤلاء الصقالبة حماته وشوكته، وأنهم متى خضدوها لم يثبت لهم من ورائهم، فركزوا الهجوم عليهم وحملوا عليهم حملة قوية واشتد القتال بين الأنريقين وتمخضت المعركة عن انتصار البربر على الرغم من قلة عددهم بالنسبة لجند زهير^(٦). فلم تكد المعركة تحتدم جذوتها حتى قام السودان من رجاله زهير بغدره في بداية الاشتباك وعمدوا إلي خزانة

(١) ابن بسام: المصدر السابق، ص ٦٦٢.

(٢) نفس المصدر، ص ٦٦٧.

(٣) نفس المصدر، ص ٦٦١ - ٦٦٢.

(٤) الرقاص في المغرب والأندلس يقابل في معناه البريدى الذى يحمل الرسائل.

(٥) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، م ٢، ص ٦٥٨.

- ابن عذارى: البيان، ج ٣، ص ١٧٠.

(٦) ابن بسام: المصدر السابق، ص ٦٥٨.

- ابن عذارى: المصدر السابق، ص ١٧٠ - ١٧١.

السلاح فنهبوها ونادوا بشعار صنهاجة وانضموا إليهم ، وأذرعوا بسيوفهم في قوات زهير الامامية ويقترب عددهم من الخمسمائة كان زهير يعدهم للنائبة كما انهزم هذيل قائده في الصدمة الاولى ، وسقط عن جواده وفر أصحابه منهزمين ، وسيق هذيل أسيراً إلي باديس فعجل بضرب رقبتة ، وعندما علم زهير بمصرع هذيل سارع بالفرار دون أن يصحب معه ثقاته ، وانهزم أصحابه خلفه لا يلوون على شيء فأخذهم البربر بالسيف وأبادوا من فر منهم في شعاب غرناطة وجبالها ، ولم يعرف مصير زهير وجهل مصرعه ^(١) .

وغنم رجال باديس من المال والخزائن والأسلحة والحلية والعدة والغلمان والخيام وسائر أنواع الأموال ما لا يحاط به وصف ولا قيمة . وظهر باديس في الموقعة على قوم من وجوه رجال زهير فعجل على الفرسان والقواد بالقتل . واشتمل الأسر على حملة الاقلام جميعاً (الكتاب) وفي مقدمتهم وزيره التياه المستكبر أبو جعفر أحمد بن عباس المتسبب في تلك الواقعة ، وابن حزم وأبو عمر الباجي صاحب الرسائل وغيرهم ، فأطلق باديس سراحهم جميعاً باستثناء ابن عباس الذي زج به في السجن ^(٢) . ومما يؤكد تواطؤ ابن عباس على نكبة زهير واستدراجه إلي هذا المصير قول ابن حيان : "ومن صلف ابن عباس وعجبه الذي صحبه إلي يوم محنته أنه لما قيد إلي باديس أسيراً فوقعت عينه عليه بدأه أحمد بالابتسام وقال له : أبا مناد ! رأيت أي كأس أدرتها لك على هؤلاء الكلاب ؟ ! يشير إلي الموالى

(١) مذكرات الأمير عبد الله الزيري ، ص ٣٥ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٥٨ - ٦٥٩ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٧ .

Dozy : Op . Cit . , p . 614 .

- بينما يذكر العنري أن زهيراً " قتل يوم الجمعة في آخر شوال سنة تسعة وعشرين وأربعمائة (٤ أغسطس ١٠٣٨ م) وأختلف فيمن قتله ولم يوقف له على حقيقة ذلك " .

- العنري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٣ .

- وأنظر ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٧ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

- وقد أكد معظم أولئك المؤرخين مصرعه في قرية الفنت من خارج غرناطة .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٥٩ - ٦٦٠ ؛ ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ،

ص ١٧١ .

Dozy : Op . Cit . , p . 614 .

العامريين" (١). وانتهى الأمر بابن عباس أن قام باديس بقتله بيده (٢) مشتركاً مع أخيه بلقين تشغيلاً منه لتأكيد من أنه هو ناصح زهير والمعرض له غزوه ، ولم ينقذه من القتل شفاعاة الوزير ابى الحزم بن جمهور صاحب قرطبة ولم تؤثر فيه الأموال الضخمة التي عرضها على باديس لاقتداء نفسه (٣) .

قصارى القول أن هذه النكبة كانت ضربة أليمة لمملكة المرية ، فعلى أثر مصرع زهير وانهيار قواته بهذه السرعة استولى باديس على الجزء الشمالى الغربى من أراضى المرية المتاخمة لحدود مملكته وفيها مدينة جيان أكبر قواعدها الشمالية وأهم أعمالها (٤) .

ولما بلغ أهل المرية نبأ هزيمة زهير ومصرعه ، اجتمع اعيانهم وأسندوا أمرهم ورياستهم إلى شيخ الجماعة أبى بكر الرميمى ، فتولى شؤونها وضبط النظام والأمن بها ، إلى أن كاتب أهلها عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بن محمد بن أبى عامر ببلنسية يستدعونه لحكم مدينتهم (٥) . وكان عبد العزيز يرى أنه صاحب الحق الشرعى فى ميراث الفتيان العامريين موالى جده ، وكان منذ مصرع زهير يسعى إلى قتل ابن عباس حتى لا ينافئه فى امتلاك المرية (٦) .

-
- (١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٦٧ .
(٢) تم قتل أبى جعفر ابن عباس عشية ليلة ٢١ من ذى الحجة سنة ٤٢٩ هـ بعد اثنين وخمسين يوماً من أسره وقد بلغ من العمر ثلاثين سنة .
- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .
(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٦٣ .
- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٧٢ .
(٤) مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، ص ٣٥ .
- عنان : دول الطوائف ، ص ١٦٣ .
(٥) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٦٦٣ .
- ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٦٧ ، ١٩١ .
- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٧ .
(٦) وذكر ابن بسام : نقلاً عن ابن حيان أن ابن أبى عامر لما بايعه أهل المرية سعى إلى اهراق دمه ودماء الأسرى من أصحاب زهير عند باديس ، إذ كان يخشى أن يتخلص ابن عباس فيتسبب فى التنقيص عليه .
- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٦٧ ؛ ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٧٢ .

ولما وصل عبد العزيز بن أبي عامر إلى المرية بايعه أهلها ودخلها في نهاية ذي القعدة سنة ٤٢٩ هـ (٣ سبتمبر ١٠٣٨ م) وأقام الدعوة على منابرها لهشام المؤيد المزعوم في اشبيلية، وحاز عبد العزيز جميع الذخائر والأموال الموجودة ببيت مالها من ذهب مضروب ودرهم وجواهر فنقلها جميعاً إلى بلنسية^(١) وأصبح ملك عبد العزيز يضم على هذا النحو مدينة بلنسية والمرية ومرسية، ثم انصرف عبد العزيز إلى بلنسية حاضرة مملكته بعد أن استخلف على المرية صهره ووزيره أبا الأحوص معن بن صمادح التجيبي الذي استغل فرصة غياب المنصور وخلع طاعته وطرده ابنه ودعا لنفسه في سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م^(٢).

ولو أن زهيراً استمع إلى صوت العقل والحكمة وقنع بتدبير مملكته الكبيرة في شرق الأندلس لكان له في تاريخ الطوائف شأن آخر، ولكن وقوعه تحت نفوذ وزيره الكاتب أحمد بن عباس الذي كان يتظاهر بنصحه وهو يعمل للقضاء عليه أدى به في النهاية إلى أسوأ العواقب، فقد دفع حياته ثمناً لأطماعه وسوء تصرفه^(٣).

ومن مآثر زهير بالمرية أنه بنى المسجد الجامع وزاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث الشمالية والشرقية والغربية بلاطاً من كل ناحية^(٤)، كما أوقف عليه الفنادق والحوانيت الموجودة في قبليه وشرقيه ومعظم شماله، وبنى السقاية فكثرت الماء بالمرية، وهو الذي بنى السور الواقع بساحل ربض المصلى^(٥). كما شهدت المرية في

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٦٣ ؛ ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .

(٢) العنري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٤ ؛ ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج ٢ ، ص ٧٢٩ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٧٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٩٠ .

Huici Miranda : Historia Musulmana de Valencia , T , I , p . 174 - 175 .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٧٣ .

(٣) عنان : دول الطوائف ، ص ١٦٣ .

(٤) العنري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٣ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢١٦ .

(٥) العنري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٣ .

Elsayed Abdel Aziz Salem : Op . Cit , p . 15 - 16 .

عهده ازدهاراً صناعياً وتجارياً لم تشهد من قبل فأصبحت محطاً للوارد والصادر ، وانتجعها التجار من كل صوب ونشطت الحركة التجارية والصناعية .

وكان زهير بالاضافة إلى كل أعماله هذه يكرم الفقهاء ويشاورهم ويعمل بقولهم ^(١) ومن أشهر قضاة الميرية في عهده أبو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار بن شهر الرعيني الذي كان بصيراً بالهندسة والنجوم متقدماً في اللغة والنحو والحديث والفقهاء ، بليغاً ، شاعراً ، متكلماً ذا دهاء ومعرفة بالسير والتواريخ ، ولى القضاء بالميرية آخر دولة زهير سنة ٤٢٧ هـ ^(٢) .

(١) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٦ .

(٢) صاعد الأندلسي (أبو القاسم بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد) : " طبقات الأمم " تحقيق حياة بوعلون ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٥ م ، ص ١٧٤ .
- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

الفصل الثالث

مملكة بلنسية

- (١) بلنسية في ظل مبارك ومظفر الفتيين الصقليين
- (٢) دولة بني عامر في بلنسية
- (٣) إمارة طرطوشة

مملكة بلنسية

(١)

بلنسية - في ظل مبارك ومظفر الفتيان الصقليين

أ- مبارك ومظفر يتقاسمان إمارة بلنسية

لما كانت بلنسية من أعظم القواعد الكبرى في شرق الأندلس ، فقد كانت من أولى المدن الشرقية التي انتزى بها الفتيان الصقالبة وأصبحت حاضرة لدولة مستقلة من دويلات الطوائف التي قامت في شرق الأندلس في بداية اندلاع نار 'لفتنة الطائفية' التي أعقبت انهيار الدولة العامرية في أوائل عام ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م^(١).

فعندما تأججت نيران الفتنة في أعقاب مصرع عبد الرحمن شنجول ، واستطاع محمد بن عبد الجبار المهدي أن ينتزع الخلافة لنفسه من الخليفة هشام المؤيد كان مجاهد العامري يتولى بلنسية فتار عليه فتيان خصيان من الصقالبة العامريين هما مبارك ومظفر^(٢)، اختطفوا وهما طفلان من بلاد النصاري وربوا تربية إسلامية^(٣) ثم دخلا في خدمة مولاها مفرج العامري قائد شرطة الزاهرة ومولى المنصور محمد بن أبي عامر^(٤). استطاع هذان العبدان أن يتغلبا على مجاهد ، وينتزعا منه سلطانه عليها فخرج منها إلي دانية بعد أن سلم

(١) عنان (محمد عبد الله) : دول الطوائف منذ قيامها وحتى الفتح المرابطي ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٩ م .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
- بينما يقول بريثو أي بيبس أنه " من المحتمل أن يكون مبارك ومظفر من العبيد الزنوج " ولكنه لم يأت لنا بنص يؤكد صحة ذلك .

- Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , p . 39 .

(٣) Huici Miranda : Historia Musulmana de Valencia , T . I , p . 49 .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٩ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٢ .
Ibars (A . Piles) : Valencia Arabe , Vol . I , Valencia , 1901 , p . 137 - 138 .
Huici Miranda ; Valencia Musulmana , T , I , p . 149 .

لهم بلنسية^(١). ولكن تلك الرواية لا يوجد ما يؤيدها في المصادر الأخرى التي بين أيدينا، ويورد ابن حيان رواية أقرب ما تكون إلى الصحة وتساير واقع الأحداث في بلنسية في تلك الفترة عن كيفية وصول مبارك ومظفر إلى حكم بلنسية، لذلك نميل إلى الأخذ بها، ومجمل هذه الرواية أنهما كانا يتوليان بادئ ذي بدء وكالة الساقية بالمدينة ثم اتفق أن صرفا عنها للمثول أمام الوزير عبد الرحمن بن يسار في سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م لمحاسبتهما فتوسلا إليه مستعطفين، فأقالهما من عثرتهما، وكتب في حقهما ما كان سبباً في ردهما إلى عملهما، ولم تكد تمضي مدة قصيرة حتى قدر لمبارك أن يظفر بالامارة على بلنسية أما ابن يسار فسرعان ما نالته محنة قرطبة بعد ذلك بمدة ولكن مبارك لم يرد له الجميل^(٢).

ويعتبر ابن حيان ارتقائهما على عرش بلنسية بهذه السهولة ضرباً من الغرائب فيقول: "فمن غرائب هذه (الليالي والأيام)، اللاعبة بالأنام"^(٣)، وعنهم يقول ابن بسام نقلاً عن ابن حيان أنهما كانا "عبدان محنة وجنان فتنة، قل الناس فأمرؤا، وخلا لهم الجو فباضوا وصفروا، وغازوا الجماعة بقرطبة مدة أيامهم ودرسوا أحساب الأحرار بأقدامهم مستمتعين بدنياهم..."^(٤).

وأيا ما كانت الأحوال والظروف التي أدت بهما إلى تولي الحكم، فمن المؤكد أنهما اشتركا معاً في ملك بلنسية^(٥)، وأقداً على

(١) ابن عذاري: المصدر السابق، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، م ١، ص ١٤ - ٥١٥.

- ابن عذاري: البيان، ج ٣، ص ١٥٨ - ١٥٩.

- ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٢٢؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج ٣، ص ٢٩٢.

Huici Miranda: Op. Cit., p. 149.

(٣) ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، م ١، ص ١٤.

- ابن عذاري: البيان، ج ٣، ص ١٥٨.

(٤) ابن بسام: المصدر السابق، ص ١٣ - ١٤.

- ابن عذاري: المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٥) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد): رسائل ابن حزم، تحقيق الدكتور احسان

عباس، مكتبة الخانجي بمصر والمثني ببغداد، ندون تاريخ، ص ١٣٢.

- ابن عذاري: المصدر السابق، ص ١٥٩.

- ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص ٢٢٢.

الاستقلال بهما مع اتفاقهما على اقتسام السلطات فيما بينها ^(١) . حيث ظهر من سياسة هذين العبدین في مدة توليهما إمارة بلنسية صحة الألفة بينهما ، فلما اختلفا قط وامتزجا امتزاج الأخوة الأشقاء إذ نزلوا معا بقصر الإمارة ، وكانت تجمعهما في أكثر الأوقات مائدة واحدة ، لا يتميز أحدهما عن الآخر في عظیم ما يستعملانه من كسوة وحلية وفراش ومركوب وآلة ، ولا ينفردان إلا في الحرم خاصة ^(٢) ، على أن جماعة حرمهما كن مختلطات في منازل القصر ، ومتساويات في سائر الأمور ^(٣) ، ويدلل ابن دراج على هذه الألفة وعدم الاختلاف في تلك الأبيات من قصيدة له :

هلمى إلي سيفين والحدّ واحد يجيران من صرف الحوادث جارك
هلمى إلي طرفي رهان تقدما إلي الأمد الجالى عليك اختيارك
هلمى إلي قطبي نجوم كتائب تنادى نجوم التنص غورى معارك ^(٤)

وعلى الرغم من كل مظاهر الإخاء التي كانت تربط بينهما ، فقد كان التقدم لمبارك في المخاطبة برسوم الإمارة ، لصرامته وشدته ، ولد مائة مظفر وتنازله لصاحبه مبارك في سائر أحواله ورضاه عن كل تصرفاته ، وواضح أنه كان ضعيف الشخصية بلغ درجة من السذاجة جعل لمبارك حق التصرف ^(٥) . ومع ذلك فهناك بعض الروايات تشير

(١) ليفي بروفنسال : مادة بلنسية ، دائرة المعارف ، م ٤ ، ص ١١٨ .

- عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٧ .

(٢) من المستغرب أن هذين الخصيين اتخذ حرما خاصة بهما وقد جرت عادة بعض زعماء الصقالبة أن يتخذوا الحريم رغم كونهم من الخصيان .

- العبادي : الصقالبة في اسبانيا ، ص ٢٠ ، حاشية

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٥ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٩ .

- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢٢ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ .

(٤) ابن دراج القسطلی (أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصی) : ديوان ، نشر وتحقيق

الدكتور محمود على مكي ، الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٨٦ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢٤ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٥ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢٢ .

إلى أن مباركا ومظفرا كانا يتقاسمان فيما بينهما حكم الولاية ، فاخصّص
مظفر بحكم شاطبة^(١) التي كان يتولاها الفتى خيرة الصقلي وقت
انهيار الدولة العامرية ، وكان خيرة هذا يتصف بالسخاء والعدل فأحبته
الرعية والتف الناس حوله ، ولكن مبارك طمع في الاستيلاء على
شاطبة والانفراد بولايتها ، مما دفعه إلى التخلص منه ، واتفق أن اجتاز
خيرة بلنسية ، فاستضافه مبارك وبالف في إكرامه والاحتفاء به ودعاه
إلى طعام دس السم فيه ، وما لبث خيرة أن توفي بعد أيام قلانل من
عودته إلى شاطبة ، وعلى الرغم من وفاته فإن مبارك لم يتمكن من
الاستيلاء على شاطبة ، فقد خلف خيرة عليها نائبه عبد العزيز بن أفلح
الذي سارع إلى ضبط قلعة شاطبة ، وتدبير أمر من فيها من الجند
ورفض الاستسلام لمبارك ، الذي كان يفوقه قوة ، واضطر مبارك إلى
الإقرار باستقلاله ، وإن كان ابن أفلح يدين له بنوع من التبعية
والخضوع ، ولم يقدّم بهجائه ، وقبل مبارك منه ذلك وتركه وشأنه
وظلت الأوضاع على هذا الحال إلى أن استولى مجاهد على شاطبة^(٢).

ب- السياسة الداخلية لمبارك ومظفر

لم يكن عصر دويلات الطوائف في الواقع ، سوى تمرد قامت
به القيادات أو الرئاسات المحلية في مختلف مدن الأندلس وشعورها
بقدرتها على الاستئثار بالنفوذ السياسي في مناطقها واستغلالها
لمصالحها الخاصة . وقد أدى استقلال المدن الأندلسية بطبيعة الحال
إلى ازدياد ثروات هذه الرئاسات المحلية^(٣).

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

Huici Miranda : Historia Musulmana de Valencia , T , I , p . 150 .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٥ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٩ .

Ibars : Valencia Arabe , Vol . I , p . 152 .

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 151 .

- عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٧ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢٦ .

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 152 , 181 .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٢ .

- صلاح خالص : اشبيلية في القرن الخامس الهجري ، ص ٤٢ .

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 74 - 75 .

ويتمثل ذلك بصورة واضحة في بلنسية التي استقل بها الفتيان مبارك ومظفر وما اقتتياه من ثروات طائلة ، حيث بلغت جباية بلنسية وشاطبة في عهدهما مائة وعشرين ألف دينار في الشهر : سبعون منها من بلنسية ، وخمسون من شاطبة ، وتذكر المصادر أنهما كانا يتعسفان في جباية هذه الأموال ، فذاقت الرعية وبال قسوتهما حتى اضطرت إلي الجلاء عن أراضيها ^(١) . ويرسم ابن حيان مؤرخ الأندلس الذي ينقل إلينا هذه الأخبار صورة محزنة لحالة الفلاحين البلنسيين في عهدهما فيقول عنهما أنهما كانا " يحثان على ذلك سوق الرعية المضطهدة بسلطانهما ولا يعبان بما آذاها من كلفهما ولا يرفقان لمجهود ما بلغ من عنفهما يقلدانها شرار العمال ، ويستزيدان عليهم في الوظائف النقال مع الأيام والليال حتى اغدا كثير منهم يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقل والحشيش ، وربما أثر ذلك على القوم منهم فلا يقاومونه إلا بالجلاء عن مثنواهم ، والتخلي عن قراهم ، فلا يأسف هذين العلجان ومن تلاهما ، ولا يخافان من مواقعه مثله لمن أقام بعدهم ، بل يتخذان ماجلا أهله من تلك القرى ضياعاً مستخلصة .. " ^(٢) .

وقد أشار مؤرخو الأندلس بوضوح إلي أن ملوك الطوائف كانوا يلجأون إلي هذا السبيل لجمع ثرواتهم الطائلة وزيادة غناهم الفاحش ، وإذا كان هذان الحاکمان قد أثريا على حساب الرعية الكادحة فأنهما لم يترددا في الاتفاق على بعض المشروعات العمرانية والمنشآت العسكرية ، تمكينا للدفاع عن بلنسية ضد أى عدوان قد تتعرض له من جانب جاراتها ، مما أتاح الفرصة لتدفق سيل الوافدين إليها من التجار وأصحاب رؤوس الأموال للاشتغال بالتجارة واستثمار أموالهم في مناخ يسوده الأمن والطمأنينة ، وبعيدا عن الفتن ومظاهر الفوضى والاضطراب ويذكر ابن حيان أن هذين الأميرين شرعا في تحصين بلنسية وسد عوراتها بسور يحيط بالمدينة ، وتفتح فيه أبواب

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٥ - ١٦ .

- ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

- أنظر : ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٩ + .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٢ .

حصينة ، وكان لإنشاء هذا السور أعظم الأثر في حمايتها من طمع الطامعين وتوثب المتوثبين ، وأقبل الناس إليها من كل قطر بالأموال وطمحت بسكانها الأموال ، واستوطنها جملة من أهل قرطبة ممن شردتهم الفتنة وطحنهم النوائب في أعقاب الفتنة ، فانتجعوها ، وأقاموا فيها المنازل والقصور ، واتخذوا البساتين الزاهرة ، والرياضات النضرة ، وساقوا إليها المياه الجارية ، وفي الوقت الذي اصطنع مبارك ومظفر كل مظاهر الأبهة والفخامة في إنشاء القصور والتأهلي في الترف^(١) ، هذا حذوهم وزرائهم وكتابهم ، فاتخذوا القصور الفخمة وانفقوا الأموال الطائلة في تزيينها بالمرمر المسنون والحجر المصقول الذي يزدان بزخارف من التوريقات والتوشيح ، وأثنت بفاخر الأثاث والرياش^(٢) ، حتى قيل أنه عندما يقع البصر على دار مؤمل القشتالي من أصحابهما ، لم يشاهد مثله في قصر الإمارة بالحضرة العظمى بقرطبة^(٣) .

كذلك اجتذبت مزال الأمن والرخاء عدداً من موالى المسلمين والصقالبة من الأفرنج والبشكنس حيث دربوا على ركوب الخيل فصار منهم الفرسان البواسل ، كما لجأ إليها العبيد والمشردين من كل أنحاء الأندلس ، استعين بهم للعمل في الأشغال الحرفية والصناعات وفلاحة الأرض ، أو للخدمة في قصور الأعيان والارستقراطية الحاكمة كما قصدها عدد كبير من التجار ، فنفتت فيها سوق المتاع وجلبت إليها كل ذخيرة^(٤) ، وعاد ذلك بنتائج طيبة على الحركة التجارية وعلى المشتغلين بالتجارة والحرف الصناعية^(٥) .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٦ - ١٧ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢٢ .

- عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٨ .

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ١٧ .

- ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ص ١٧ - ١٨ .

(٤) ابن بسام : نفس المصدر ، ص ١٦ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

(٥) Levi Provencal : L' Espagne Musulmane au X^{eme} Siecle , pp . 232 - 235 .

- صلاح خالص : اشبيلية ، ص ٥٠ .

وأدى الازدهار الاقتصادي والثراء الفاحش ببليسية أن نشطت حركة البيع والشراء عند الخاصة والعامة وتوفرت الأسواق التجارية ، وسعى مبارك ومظفر إلي درجة اقتناء فاخر الأسلحة والآلات والخيول المقربات ونفائس الحلى والحلل ^(١) فانغمسا في الحياة الرخيصة وأخذوا إلي الترف واستغرقا في شهوات النفس ولذاتها واصطنعا كل مظاهر الأبهة حتى ذكر أن موكبهما فاق موكب عبد الملك بن أبى عامر الوارث لحجابه الخلافة في فخر لباسهما ، ووفور عدد أصحابهما وحسن خدمتهم لهما وفاخر ثيابهم التى يرتدونها ^(٢) .

ومن الغريب أن مبارك ومظفر رغم جهلهما بالعلوم والآداب كانا يستخدمان في بلاطهما طائفة من كتاب العصر النابيين البلغاء الذين هجروا قرطبة بعد انقراض الدولة العامرية وعمت الفتنة المبيرة ^(٣) ، وكان على رأس هؤلاء الكتاب ابن التاكرنى ^(٤) ، وابن مهلب ، وابن طالوت ، وغيرهم من كتاب قرطبة ، وكانا يرتبان هؤلاء الكتاب على نسق مشيخة الوزراء في قرطبة ، ويرجعان إليهم في الراى والمشورة والتدبير لأمر الدولة ^(٥) .

واجتذبت هذه الحياة المتألقة الشعراء إلي بليسية ، فتنافسوا في مدح أميرها لقاء عطاء جزيلة وخلع سامية ، ومن هؤلاء الشعراء

-
- (١) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ١٦ .
 - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ .
 (٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٦ ، ١٨ - ١٩ .
 - ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٦١ - ١٦٢ .
 (٣) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ١٤ .
 - ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٦٣ .
 (٤) الكاتب أبو عامر محمد بن سعيد التاكرنى ، كان من أهل الألب والبلاغة والشعر .
 - الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ٦٠ ، ترجمة ٦٨ .
 - الضبى : بغية الملتبس ، ص ٨٠ ، ترجمة ١٣٨٩ .
 - ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٢٦ .
 - ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٣٣٢ .
 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢٥ .
 (٥) ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة .

المادحين نذكر " ابن دراج القسطلی " أشهر شعراء الأندلس الذى مدحهما بقصيدة رائعة مطلعها :

أنورك أم أوقدت بالليل نارك	لباغ قراك أو لباغ جوارك ؟
ورياك أم عرف المجامر أشعلت	بعود البكاء والألوة نارك ؟
ومبسمك الوضاح أم ضوء بارق	حداه دعائى أن يجود ديارك
وخلخالك استنضيت أم قمر بدا	وشمس تبدت أم ألحت سوارك
وطره صبح أم جبينك سافرا	أعرت الصبح نوره أم أعارك ^(١)

وقال في قصيدة أخرى يمدح فيها صاحبى بلنسية وقد دعيا لولاية طليطلة :

أهنيكما ما يهنئ الدين منكما	هدى وندى فليسلم الدين واسلما
وشهر تولى راضيا قد بلغتما	مداه كراما قوم الليل صوما
وفطر تحلى بالصلاة إلى الذى	دعونه الأيـوحش الأرض منكما
فأسفر عن دجة تجلى سناكما	وصدق تجلى بالسلام عليكما
وأكرم به فطرا يبشر بالمنى	وعيدا معادا بالسرور لديكما ^(٢)

ومع ذلك فلم يرد في المصادر التاريخية التى أرخت لهذه الفترة من حكم ملوك الطوائف ما يدل على دعوة وجهها أهل طليطلة لمبارك ومظفر ليتوليا أمور مدينتهم ، وربما تكون هذه الدعوة قد وجهت لأميرى بلنسية بعد خلع أهل طليطلة لعبد الملك بن عبد الرحمن بن متيـوه ، فالمؤرخون يذكرون أنه قد أعقبت ذلك فترة من الاضطراب السياسى في هذه المدينة ، لم تنته إلا بولاية إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون^(٣) . وربما وجهت الدعوة لمبارك ومظفر لحكم طليطلة بين هذين الحدثين ، ومن الثابت أنهما لم يستجيبا في النهاية لهذه الدعوة^(٤) .

(١) ديوان ابن دراج القسطلی : تحقيق الدكتور محمود على مكى ، ص ٨٠ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢٣ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ .

(٢) ديوان ابن دراج القسطلی ، ص ٤٤٢ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٤) أنظر ديوان ابن دراج ، ص ٧٠ ، حاشية رقم ١ .

ج- السياسة الخارجية لمبارك ومظفر:

اهتم مبارك ومظفر العامريان منذ أن استقلا ببلنسية بتحسين هذه المدينة ، فحاطاها بسور منيع ، وسداً عوراتها حتى أصبحت غاية في الحصانة والمنعة ، كما حرصا على تدريب من لحق بهما في بداية قيام دولتهما من موالى المسلمين والصقالبة والافرنج والبشكنس على الفروسية ، وبذلك استطاعا أن يعدا قوة كبيرة من الفرسان البواسل الذين كان يحسب لهم حساباً كبيراً مما ترتب عليه انصراف الطامعين عن بلنسية ، فنعمت بالأمن والاستقرار ، ولم تتعرض لأي اعتداء خارجي طول مدة حكمهما .

وبالرغم من اشتراك مبارك ومظفر مع بقية الفتيان العامريين في شرق الأندلس في مبايعة المرتضى خليفة بقرطبة عام ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م إلا أنهما لم يشاركا عملياً في الجيش الذي سحب المرتضى لدخول قرطبة سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م^(١) . بل زادافى الاحتياط درءاً للمخاطر ، فلما وصل منذر التجيبي في جيشه للاجتماع بالمرتضى في شاطبة لغزو قرطبة ، واجتاز على بلنسية قام مبارك باغلاق أبوابها دونه ، ومنعه من دخولها ، وعندما اجتمع منذر بالمرتضى في شاطبة حاول اقناع مبارك بضرورة المشاركة معهم في الغزو والضغط عليه لتنفيذ ذلك ولكن المرتضى لم يقبل ما عرضه عليه منذر فحقد عليه وكان ذلك أحد الأسباب التي حملت منذر على الغدر به بعد ذلك^(٢) ، كما سبق أن أوضحنا عند حديثنا عن المرية .

ومما لاشك فيه أنهما رتباً أمورهما بمفردهما ولم يقبلا الخضوع أو التبعية لأي دويلة أخرى والحفاظ على استقلال بلدهما والتصدي لأي محاولة للنيل منه^(٣) وأدت هذه السياسة إلي احجام ملوك الطوائف الآخرين عن المخاطرة بالتدخل في شئون بلنسية أو التعرض لها عسكرياً بل أن بعضهم كان يسعى إلي خطب ودهما ،

(١) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ٤٥٦ .

(٢) نفس المصدر ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢٥ .

ومنهم على سبيل المثال حبوس بن ماكسن الصنهاجى الذى أوفد إليهما سفارة على رأسها أفضل خاصته تحمل إليهما كتاباً من نظم الوزير الكاتب أبى عبد الله البزليانى يعبر لهما فيه عن مشاعره الودية فيقول " وأنا لكم الصفى الذى لا تقدر الأيام في وده ، والوفى الذى لا يخشاه الأنام على عهده ... " (١) .

كما أقدم مبارك ومظفر على سك عملة لهما سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م نقشاً عليهما اسميهما إلى جانب اسم الناصر على بن حمود الخليفة القائم في قرطبة آنذاك ليسبغا على حكمهما نوعاً من الشرعية (٢) .

ومن أهم الأحداث التى جرت في عهد مبارك محاربته لمنذر بن يحيى التجيبى صاحب سرقسطة الذى كان يطمع في انتزاع طرطوشة - من أعمال الثغر الأعلى - وكان يحكمها الفتى الصقلبى لبیب العامرى ، ولم يتردد منذر في مواصلة الهجوم عليها الأمر الذى دفع لبیب إلى التماس النصرة من صاحب مبارك ، ويبدو أنهما كانا يرتبطان برباط من التحالف ، بدليل أن مبارك بادر بالخروج بنفسه على رأس قوة عدتها خمسمائة من خيرة فرسانه استطاع بهم أن يحرزوا انتصاراً ساحقاً على قوات منذر في معركة ضارية سقط فيها محارب بن عيسى التجيبى ، ابن عم منذر وصفيه ، وانصرف مبارك أثر هذا النصر المؤزر إلى بلنسية ، فاشتهر أمره وذاع صيته بين ملوك الطوائف وزاد نفوذه ودانت له جماعة الموالي (٣) . وقد مدحه ابن دراج القسطلی ومدح جيشه في قصيدة نذكر منها الأبيات التالية :

وقد زارت حولى أسود تهامست لها الأسدان كسفى مزاركا
وأرضى سيول من خيول مظفر وليلى نجوم من رماح مبارك

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٣٠ ، ٦٣٧ .

(٢) Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , pp . 39 , 119 .

Robles (F . Guillen) : Malga Muslmana , Malga , 1947 , p . 242 .

- كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ مدينة بلنسية ، رسالة ماجستير ، ص ٦٦ .

(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢٦ .

بحيث وجدت الأمن يهتف بالمنا هلمى إلي سيفين والحد واحد
هلمى إلي غيثين جادا سراركا بجيران من صرف الحوادث جاركا^(١)

د- نهاية حكم مبارك ومظفر:

استمر حكم مبارك ومظفر في بلنسية بضعة أعوام^(٢)، تمتع فيها الأميران ووطنانتهما بكل مظاهر الترف والثراء الذى فاق ما كان لغيرهم من ملوك الطوائف المجاورين في الوقت الذى كان السواد الأعظم من الرعية أو الطبقة الكادحة التى يمكن أن نسميها طبقة العامة يعانون شظف العيش، ويقاسون من مرارة الجوع والحرمان بسبب الضرائب الباهظة التى فرضها عليهم، فجلت الرعية تباعاً عن أراضيها وخربت أقاليم، ومن بقى منهم عاش في فقر حتى غدا أكثرهم يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقل والحشيش^(٣).

ومما لاشك فيه أن هذه السياسة المجحفة التى اتبعتها أمير بلنسية تجاه أهلها من العامة أثارت نقمة الناس عليهما واشتدت حركة التذمر والاستياء ضدهما، ولكن الفرصة لم تنتهياً لهم لإعلان ثورتهم على هذين الحاكمين المستبدتين اللذين أحكما القبضة على أمور بلنسية واعتمادهما على رجال قساة يصطنعون العنف في جباية الضرائب. ولذلك تميل المصادر العربية إلى ربط نهاية حكم مبارك الفتى بأسباب

(١) ديوان ابن دراج، ص ٨٦.

- ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، م ١، ص ١٢.

- ابن الخطيب: اعال الاعلام، ص ٢٢٤.

- ابن الخطيب: الاحاطة، ج ٣، ص ٢٩٥.

(٢) كانا يتوليان وكالة الساقية في بلنسية سنة ٤٠١ هـ عندما تم استدعائهما لمحاسبتهما أمام ابن يسار، ثم استقلا بحكم بلنسية بعد مدة قصيرة ربما في عام ٤٠٢ أو ٤٠٣ هـ واستمر يحكماتها حتى عام ٤٠٨ أو ٤٠٩ هـ. ولذلك فمن المرجح أنهما توليا مدة تتراوح ما بين خمس وسبع سنوات.

- ابن بسام: المصدر السابق، ص ١٤ - ١٥.

- ابن عذارى: البيان، ج ٣، ص ١٥٨ - ١٥٩.

- ابن الخطيب: اعال الاعلام، ص ٢٢٢.

- ابن الخطيب: الاحاطة، ج ٣، ص ٢٩٢.

(٣) ابن بسام: المصدر السابق، ص ١٥ - ١٦، ١٩.

- ابن عذارى: المصدر السابق، ص ١٦٢.

دينية ، فتذكر بعض الروايات أن مباركاً ركب جواده من قصر بلنسية
يبلغى الخروج للنزهة خارج البلد ، فاعترض أهل بلنسية موكبه
وتوسلوا إليه أن يخفف عنهم من أموال فرضها عليهم ، فرد عليهم
بقوله : " اللهم إن كنت لا أريد انفاقه فيما يعم المسلمين نفعاً فلا تؤخر
عقوبتي يومى هذا " ^(١) . وسرعان ما نفذ الحكم السماوى حيث واصل
مبارك موكبه بعد ذلك ، فلم يكد يصل إلى قنطرة النهر يريد عبورها ،
وكانت يومئذ من الخشب حتى تعثرت رجل فرسه وخرجت عن حد
القنطرة فرمى به أسفلها فاعترضته خشبة بارزة من القنطرة شذخت
وجهه فسقط طريحاً على الأرض ، وسقط الفرس عليه ، فكسر عظمه
وفتق بطنه ، وفاضت روحه في الحال ، وأمن أهل البلد من مقتله
وكفاهم الله أمره ، واستغل عامة أهل بلنسية هذا الموقف في ذلك اليوم
وقاموا بثورة عارمة انتهبوا فيها قصر الامارة وقتلوا مظفر صاحبه
إتماماً للتخلص من نير حكمهما الغاشم ^(٢) .

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن موت مبارك أضعف من أمر
مظفر ، فوثب أهل بلنسية وأخرجوه منها ، فانزوى بشاطبة ^(٣) ، في
حين أورد ابن عذارى رواية ثالثة تتضمن ما يشير إلى أن مظفر هو
الذى هلك أولاً ، ثم لم يلبث أن لحق به مبارك ومات في ذي الحجة سنة
٤٠٨ هـ أو ٤٠٩ هـ / ١٠١٧ م أو ١٠١٨ م ^(٤) .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٠ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٣ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢٣ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٠ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٣ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢٥ .

- ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ .

Huici Miranda : Historia Musulmana de Valencia , T. I , p. 153 .

(٣) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٩٩٢ .

(٤) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .

- ويذكر ابن عذارى أن موت مبارك حدث سنة ٤٠٨ هـ أو ٤٠٩ هـ وأميل إلى تحديد تاريخ
الوفاة بعام ٤٠٩ هـ حيث أننا نعلم أن مباركاً بايع المرتضى خليفة في قرطبة ، ولكنه لم
يشارك في الحرب التى وقعت بين البربر من جهة والمرضى وأعوانه وحلفائه من جهة
أخرى ، وانتهت بهزيمة المرتضى لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة ٤٠٩ هـ . =

(٢)

دولة بني عامر في بلنسية

أ- عهد لييب ومجاهد العامرين:

في أعقاب هذه النهاية المأساوية لحكم الأميرين مبارك ومظفر في بلنسية واضطراب الأمور والأحوال بها ، اتفق أهل بلنسية على دعوة لييب الصقلبي صاحب طرطوشة - حليف مبارك الذي سبق أن قام بنجدته من قبل عند مهاجمة منذر له - لتسلم مقاليد الحكم في بلنسية ، وتشير بعض المصادر إلى قيام مجاهد العامري صاحب دانية بمشاركة لييب في حكمها ، وكانت الخطبة تصدر باسميهما ، ولكن الخلاف لم يلبث أن دب بينهما ، ففر لييب إلى طرطوشة حتى لا يبطش به مجاهد ، بينما انفرد مجاهد بملك بلنسية زهاء عامين ^(١) إلى أن قام عليه العبيد العامريون في بلنسية وخلعوه وبايعوا عبد العزيز المنصور ^(٢) .

وفي تصوري أن أهل بلنسية عندما استدعوا لييب لتولى الأمور في بلنسية ، اضطروا إلى أن يدين بنوع من الولاء لمجاهد صاحب دانية والذي كان يتمتع بالنفوذ والقوة في شرق الأندلس ، فاستقرت الأمور للييب في بلنسية بعض الوقت ، ولكن يبدو أن لييباً تعذر عليه حكم تلك المملكة الكبيرة المكونة من طرطوشة وبلنسية وشاطبة ، وأقدم على مصانعة جيرانه القطلان والتودد إليهم إلى حد الخضوع لمشيتهم مما أثار عليه أهل بلنسية ، فاضطربت عليه الأحوال فيها ربما بتحريض

= - راجع ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٤٦٧ .

- وأنظر ما ذكر في فصل المرية .

^(١) لم تزودنا المصادر التاريخية بأي نصوص تتعلق بأعماله خلال هذين العامين .

^(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٠ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .

- Huici Miranda : Op . Cit . , p . 241

- Sanchez Albornos (Claudio) : La Espana Musulmana , T .II , Madrid , 1974 , p . 14

من مجاهد الذي كان يطمع في حكمها ، ونستد في هذا التصور إلي رواية لابن حيان ذكر فيها أنه عندما أتفق أهل بلنسية على تأمير الصقلي ، أحدث فيهم أحداثاً مقتوه بها ، فلاذ بالطاغية ريموند Raimondo صاحب برشلونة ، وبالف في التودد إليه حتى جعل نفسه كبعض عماله ^(١) ، مما أحق المسلمين عليه لتعريضهم لملك النصرانية ، وتملكهم الحماس فوثبوا على لييب وقضوا عليه واستصرخوا ابن هود ^(٢) .

وعندما لحق منذر التجيبي بطرطوشة ليتولى حكمها ، غضب مجاهد لأنه كان يطمع في الاستيلاء على وساءه أن يخرج أمرها من يده ، مما أدى إلي اندلاع حروب شديدة بينه وبين منذر خاف الناس وبال عاقبتها على تلك الثغور المضطربة والقريبة من الممالك المسيحية في الشمال ، وانتهت تلك الحروب بتنازل مجاهد عن أطماعه في طرطوشة ^(٣) .

^(١) ربما كانت مشايعة لييب للقطان في برشلونة وعلاقاته الممتازة بهم ترجع إلي قرب طرطوشة من مقاطعة برشلونة .

^(٢) ربما كان يقصد منذر الأول بن يحيى التجيبي (٤٠٨ - ٤١٤ هـ / ١٠١٨ م - ١٠٢٣ م) مؤسس الأسرة التجيبية في سرقسطة ومن الغريب أن منذر هذا كانت له أيضاً علاقات طيبة مع جيرانه المسيحيين من القشتاليين والقطان فنعم حكمه بالهدوء والسلام ، أما ابن هود عماد الدولة أحمد المستعين فقد احتل المدينة سنة ٤٥٣ هـ / ١٠١١ م .
راجع سيرته في :

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٥٢ - ١٥٨ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٢٦ ، ١٧٥ - ١٧٨ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٩٦ - ٢٠١ .

Turk (Dr . Afif) : El Reino de Zaragoza en el Siglo XI de Cristo (V de Hegira)
Madrid , 1978 , p . 48 .

- عبد النبي علي داوود : دولة بنى هود في سرقسطة ، ص ٩٦ - ٩٧ .

^(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٠ - ٢١ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

Rubiera Mata (Maria Jesus) : La Taifa de Denia , Al cante , 1985 , p . 77 - 78 .

ب- بلنسية في ظل حكم المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور:

عندما تبين للعامريين في بلنسية وشرق الأندلس اضطراب أحوالهم ، وأيقنوا من عدم قدرتهم على هزيمة البربر خاصة بعد ذهاب مجاهد عنهم لاسيما أنهم كانوا قد ألفوا حياة الأمن والدعة والاستقرار ، وجدوا أن من الأفضل لهم جمع كلمتهم حتى يعود الهدوء إلي ربوعهم مرة أخرى ، فاجتمع زعماء الموالي العامرية وعلى رأسهم خيران ومنذر ومجاهد ، وقرروا اسناد حكم بلنسية إلي أحد أحفاد المنصور بن أبي عامر وهو أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر (المنصور الصغير) وكان يقيم في سرقسطة في كنف منذر بن يحيى التجيبي فاستدعاه الموالي العامريين إلي شاطبة ، ونادوا به رئيساً للحزب العامري سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م وكان سنه لا يتجاوز أربعة عشر عاماً أو خمسة عشر عاماً وتلقب بالمنصور . ولكن سرعان ما انقلب عليه خيران إذ كان يخشى منه على سلطانه في مرسية وأريولة ، وربما لأنه لم يحصل على ما كان يرجوه في ظل عبد العزيز من نفوذ ، لهذا عمل على إثارة أهل شاطبة ضده ، مما اضطر عبد العزيز إلي أن يغادرها إلي بلنسية سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م ^(١) وقيام خيران بمبايعة حفيد آخر للمنصور هو محمد بن عبد الملك المظفر على نحو ما أسلفنا الحديث عنه ^(٢) .

وتمهدت الأمور لعبد العزيز في بلنسية فما كاد يصل إلي بلنسية حتى استقبله الموالي الصقالبة أفواجاً معلنين له الطاعة والولاء وقلدوه رناستهم ^(٣) واستقرت دعائم ملكه ، ونعمت بلنسية في عهده بفترة طويلة نسبياً من السلم والهدوء والاستقرار ، وقد عمل عبد العزيز في الأعوام العشرة الأولى من حكمه لبلنسية على توطيد دعائم حكمه تأمين

(١) وفي رواية أخرى سنة ٤١٧ هـ .

(٢) راجع ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٩٥ .

(٣) أنظر ما كتب في فصل المرية

Huici Miranda : Op . Cit . , pp . 154 , 165 , 166 .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٤٩ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٩٥ .

- ابن الخطيب : رقم الحل في نظم الدول ، ص ١٧٨ .

سلامته ، فاهتم بالاعمال الانشائية فعمل على دعم أسوار بلنسية وتحصينها ^(١) ، ويصف العنري ما تتسم به أسوار بلنسية من حصانة بقوله : " ولا يعلم ببلاد الأندلس أتقن بناء من سورها ولا أجمل منه ، ولها خمسة أبواب : الباب الشرقي يسمى بباب القنطرة ويخرج منه على قنطرة صنعها المنصور عبد العزيز بن أبي عامر ليس في الأندلس أتقن منها " ، ويذكر أسماء هذه الأبواب ، بخلاف باب القنطرة في السور الشرقي كان هناك باب آخر في نفس السور يعرف بباب الوراق ، أما السور القبلي به باب ابن صخر وفي السور الشمالي باب الحنش ، وفي السور الغربي بابان أحدهما باب بيطالة ، ويليه في الغرب أيضاً باب يعرف بباب القيسارية ^(٢) .

ومن منشأته كذلك المنية المعروفة باسمه وهي " منية ابن أبي عامر " وتسميها المصادر المسيحية " بيانويبا Villanueva " وكانت تقع في ربض بلنسية الشمالي وكانت هذه المنية تعتبر من أشهر مجالس اللهو في بلنسية طوال العصر الاسلامي ^(١) .

كما عمل عبد العزيز على تنظيم الشؤون السياسية لبلده ، فاستخدم في ديوانه أربعة من الكتاب عرفوا بالطبائع الأربع وهم : ابن

(١) العنري : نصوص عن الأندلس ، ص ١٧ - ١٨ .

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 166 .

(٢) العنري : المصدر السابق ، ص ١٧ - ١٨ .

- ومما يدل على تلك الحصانة التي كانت تتمتع بها بلنسية هذه المراثية الرائعة التي قام الدكتور الطاهر أحمد مكي بترجمتها من اللغة القشتالية والبحث عن أصولها ، تقول :

١ - ٢ ، بلنسية ، بلنسية .
٣ - إذا لم يحزن الله من أجلك ، وأنت دائماً أهل لأن تسودي فإن شرفك سيتضائل ، ومعه الراحة والهدوء ، وقد تعودنا أن نستمتع بهما .
٤ - عمك الرئيسية الأربعة ، حيث ذهب المسلم ليجلس ، ويكي أن استطاع يريدون أن يجتمعوا ليهدموا .

٥ - أسوارك العالية ... ما أقوى الذين فوقها ! كثيرون يقاتلونهم ، ورأيهم جميعاً يرتعشون .
٦ - قلاعك وقد تعود أهلك أن يتأملوها من بعيد ، وجلالها الرائع الصافي ، عودهم أن يتأسوا بها ، تنهاوى شيئاً فشيئاً دون أن يستطيع أحد إنقاذها .

- الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، ص ٢٦٢ .

(١) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 166 .

طالوت وابن عباس ، وابن عبد العزيز (المعروف بابن روبش)^(١) ، وابن التاكرنى كاتب رسائله الذى نال الحظوة عنده وقام بأعباء مملكته حيث كان يتمتع بمكانة عالية في الأدب والعلم والذكاء فارتفعت مكانته حتى وصل إلى منصب الوزارة^(٢) . كذلك خدم في بلنسية أحد كتاب العصر النابهين وهو ابن مثنى^(٣) .

كذلك عمل عبد العزيز على لم شمل أسرته وذويه ، وأولاهم عنايته ورعايته وأغدق عليهم الأرزاق الوفيرة ، وعنه يقول ابن حيان : " وكان عبد العزيز هذا أوصل الناس لرحمه ، وأحفظهم بقرابته ، ابتعثه الله رحمة للممتحنين من أهل بيته فأواهم ، وجبر الكسير واكتنف الطريد ، ونعش الفقير ، طوال مدته ، إلى أن بلغ من ذلك مبلغاً أعيا أهل زمانه " حتى صار إسراره هذا مثارا لانتقادات الجند وسبباً لزمه^(٤) .

وكانت علاقته الخارجية مع جيرانه بوجه عام ودية ، فعندما ولى عبد العزيز الحكم في بلنسية واستقرت الأحوال فيها ، سارع لأول

(١) هو أبو عبد الله محمد بن مروان بن عبد العزيز .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٥٠ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٥ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٤٨ .

(٢) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٦٠ ترجمة رقم ٦٨ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٤٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥٠ .

- الضى : بغية الملتبس ، ص ٨٠ ترجمة رقم ١٣٨ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٥ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٩٥ .

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 168 .

(٣) هو أبو المطوف عبد الرحمن بن مثنى كتب للمنصور عبد العزيز صاحب بلنسية وكان بارعاً في الكتابة .

- ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٤٠٩ - ٤١٨ .

- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاءى البلىسى) : اعاتاب الكتاب ، تحقيق الدكتور صالح الاشتر ، الطبعة الأولى ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٦١ م ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٣٠٠ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٩٥ .

وقته إلى كسب ود القاسم بن حمود خليفة قرطبة ، دون أن يتدخل في أحداثها وأرسل له كتاباً مع هدية حسنة قبلها القاسم وولاه على ما بيده ولقبه بالمؤتمن ذو السابقتين وهكذا توطد سلطان عبد العزيز في بلنسية^(١).

فلما خمل شأن الحموديين وانهار سلطانهم في قرطبة حذا حذو غيره من ملوك الطوائف وبادر بمبايعة هشام المزعوم في اشبيلية سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م^(٢). ومن الواضح أنه كان يستهدف من ذلك إلى إيجاد سند شرعي يرتكز عليه في حكمه وكف خطر الحموديين في قرطبة أولاً ثم موالاة بني عباد في اشبيلية بعد ذلك .

ولكن يبدو أن تلك المبايعات لم تكن كافية لدرأ الاخطار المحدقة به في شرق الأندلس من جيرانه ملوك الطوائف وعلى رأسهم مجاهد العامري ، لهذا ارتبط عبد العزيز المنصور بعلاقات ودية طيبة مع جيرانه ملوك اسبانيا المسيحية ، وساد بينهم اسلوب التفاهم باعتباره حفيداً لأميرة نفارية^(٣). فحظى بمساعدتهم واستجابوا لطلبه في تزويده بقوة من الجند المرتزقة لمواجهة أطماع من يتطلعون إلى ملكه وعلى رأسهم مجاهد العامري^(٤).

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

- ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .

- ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٩٥ .

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 68 .

(٢) يقول ابن حيان " ولهج بعض رؤساء الأندلس بذلك ومنهم عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية وأعمالها " .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٠ .

- عنان : دول الطوائف ، ص ٢٢١ .

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 168 .

(٣) على نحو ما أسلفنا في حديثنا بالفصل الأول عن المنصور محمد بن أبي عامر وزواجه من ابنة شانجة ملك نبرة ، وما كان من انجابها لابنه عبد الرحمن شنجول والد عبد العزيز المنصور .

(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٩٥ .

Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , p . 40 .

وشهد عصر المنصور توسعاً ملحوظاً لمملكة بلنسية على حساب المناطق المجاورة لها ، لكن من المعتقد أنه لم يستطع الاحتفاظ بتلك المناطق التي انضافت إلي بلنسية لمدة طويلة . وتفصيل ذلك أن زهيراً بعد تملكه لقصبة شاطبة تنازل عنها للمنصور عبد العزيز باعتبار أنه أحق بها من الصقالبة جميعاً^(١). ولما لقي زهير مصرعه على أيدي قوات باديس بن حبوس الصنهاجي في سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م وانت المنصور الفرصة في توسعة مملكته على حساب أملاك زهير ، حيث كتب إليه أهل المرية يدعونه لرئاستهم^(٢). وكان عبد العزيز يرى أنه صاحب الحق الشرعي في ميراث الفتيان العامريين موالى جده وأبيه^(٣). قبل المنصور دعوة أهل المرية ودخلها بعد ما يقرب من شهر من مصرع زهير وبويع له في آخر ذي القعدة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م . وبالتالي أصبح صاحب كورتي تدمير وبلنسية وولاية مرسية وباضافة المرية أصبحت دولته من بين دويلات الطوائف الكبيرة^(٤).

بادر عبد العزيز باسناد ولاية المرية إلي ولده عبد الله الذي تلقب بالناصر ولكن عهده كان قصيراً ولم يلبث أن وافته المنية دون أن يترك في المرية بصمات تذكر فأقام عبد العزيز مكانه في المرية وزيره وصهره معن بن صمادح^(٥). وانتهاز مجاهد العامري فرصة تغيب المنصور عن بلنسية ، حيث كان يقوم بتنظيم شؤون المرية ، فخرج غازياً إلي بلاد عبد العزيز ، ولم يتردد في تحريض أهل لورقة^(٦) وشاطبة ،

(١) العنري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٣ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٧٣٠ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٧٢ .

وانظر ما كتب في فصل المرية .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩١ .

(٥) ابن ذاري : نفسه ، ص ١٦٦ ، ١٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

Huici Miranda : Op . Cit . , T . I , p . 175 .

- انظر فصل المرية .

(٦) لورقة Lorca هي مدينة عامرة حصينة تقوم على سفح جبل ، وكانت لها أسواق تجارية عديدة وربض في أدنى المدينة ، وكان يحيط بالربض سور واختصت لورقة بمعادن تربة صفراء ومعادن مغرة كانت تحفل إلي كثير من الاقطار .

- الانريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٦ =

وشونر^(١) على القيام بالثورة ضد عبد العزيز ، ثم أنه تحرك بجيشه لاجتياح مملكة بلنسية ، فتوجه إليه عبد العزيز لمصالحته وموادعته تاركاً على المرية صهره معن بن صمادح ، ولكنه لم يكذب وارى وجهه عنه حتى غدره وخانه الأمانة ، وأعلن استقلاله بحكم المرية في سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م^(٢) .

أما عبد العزيز فقد زحف بقواته في الحال إلي الفتیان العامريين المنتزين بشاطبة ، فخرجوا إليه واشتبكوا معه في قتال عنيف وانتهى بهزيمته ، ولكنه جمع قلوبه وكر عليهم فظفر بهم وأزاع فيهم القتل ودخل شاطبة منتصراً . ويروى ابن عذارى خبر هذه المعركة البطولية التي دارت بين ثوار شاطبة وعبد العزيز بعد خروجه من المرية فيقول: " تقدم (أبى عبد العزيز) إلي شاطبة فخرج إليه العبيد العامريون فقاتلوه وطعنوه حتى سقط بين رجلي الفرس وداسوه بحوافر الخيل فتجرد من ثيابه وفر وجعلوا يطعنون ثيابه بالرماح وهم يظنون أنه فيها ثم جمع فله وغزاهم وظفر بهم وقتلهم قتلاً ذريعاً ، ودخل شاطبة وبقي من بقي منهم وتمهدت له الأمور " ^(٣) .

أما بالنسبة لمجاهد فقد استعان عبد العزيز في محاربته له ببعض سرايات من المرتزقة النصاري ، فنكص مجاهد على عقبيه ، بعد أن تبين له عدم قدرته على مطاولة المنصور وعاد أدراجه إلي

= الحميري : الروض المعطار ، ص ٥١٢ - ٥١٣ .

(١) شونر Jodar بالأندلس من كورة جيان ، وهي قرية تعرف بغدير الزيت لكثرة زيتونها ، وكانت كثيرة المياه والبساتين ، كثيرة السقى ، كما كان لها جامع يتألف بيت الصلاة فيه من ثلاث بلاطات تقوم عقودها على أعمدة رخام .

- الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

- الحميري : المصدر السابق ، ص ٣٥١ .

(٢) ابن بسام : الفخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٧٣١ .

- ابن الأثير : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٨١ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٣٠٢ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٩٠ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .

مملكته دانية^(١) . ويبدو أن عبد العزيز حاول مصالحة مجاهد مرة أخرى بعد أن أظلم الأفق بينهما ، فقد أرسل إليه المنصور رسالة من نظم وزيره الكاتب أبي عامر التاكرني يقول فيها : " أن أولى الناس بالاصطلاح نفوس جبلت على صفو ودادها ، وأحق الناس الذنوب بالاطراح ذنوب جنيت على غير اعتقادها ، وأن رسولك الكريم وردني فلم يتردد عندي إلا ريثما يقدح زند الوداد في نفسك النفيسة ، فيورى سراجاً من الصلة أسرى به في ظلماء القطيعة " ^(٢) . وسرعان ما أثمرت هذه المحاولة واستقامت الأمور بينهما من جديد ، فطلب المنصور العون من مجاهد لاسترداد المرية ، ولم يتردد مجاهد في تلبية طلبه كما استعان عبد العزيز بالمرتزقة النصاري واعداء إياهم بالأموال الوفيرة . ولما خرج عبد العزيز بجيوشه من لورقة في طريقه إلى المرية ، بادر معن بن صمادح يطلب العون من باديس ، فأسرع إلى نجدته وعندئذ رأى مجاهد أن مواجهة البربر في معركة ستكون وبالاً عليه ، فأثر النكت بوعده للمنصور ، وتقاعس عن الخروج معه ، ولما أرسل إليه عبد العزيز يستفسر عن سبب احجامه وتقاعسه ، رد مجاهد عليه وعلى كبار قواده قائلاً لهم : " يا قوم ، إن كنتم لا تعرفون البربر ، ولا جربتم حروبهم ، فأنا والله عليهم بها ! فإياكم أن يكون بواركم على أيديهم وأنتم ستعلمون أن فتنة عشرين سنة خير من ملاقة ساعة واحدة ، فإن فيها تتلف الدول وينتقل الملك ويستأصل الجمع ، فعليكم بالتأني ! " . فغضب عبد العزيز من تصرفه هذا وأجابه " جنبت ! : ارجع إلى دانية ولا تفسد على الجيش " . فانصرف عنه مجاهد مغضباً من سبه له ، وأثارت كلمات مجاهد مخاوف عسكر المنصور وتهيبهم من ملاقة البربر وفي نفس الوقت استغل عسكر النصاري هذه الظروف الحرجة التي يواجهها المنصور ، فزابت أطماعهم في المزيد من المال ، وطلبوا منه قدراً كبيراً من الأموال لم يستطع الوفاء به ، فأضطر إلى الانسحاب بجيشه عن المرية ورجع إلى

(١) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٩٥ .
- محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٢٣ .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٢٧ .

بلنسية بخفى حنين^(١). أما باديس فقد اكتفى من الغنيمة بجيان^(٢) التى استولى عليها .

ج- ولاية المظفر عبد الملك بن عبد العزيز المنصور:

امتد حكم عبد العزيز لبلنسية إلى ما يقرب من أربعين عاماً ، ثم توفى في شهر ذى الحجة ٤٥٢ هـ / يناير ١٠٦١ بعد أن ترك دويلة تضم من المدن بلنسية ومرسية وشاطبة وجزيرة شقر وأعمالها^(٣) .

وخلفه على دويلته ابنه عبد الملك باجماع أهل الدولة ، وتمت مبايعته في بلنسية وشاطبة يوم وفاة أبيه ، واستقر في بلنسية ، وتلقب بنظام الدولة ، ثم بالمظفر ، وكان عبد الملك لا يزال طفلاً صغيراً ، فتولى تدبير كل أمور الدولة ابن روبش القرطبى وزير أبيه فأحسن معونته ، وتولى تمهيد سلطانه وتوطيد شؤون دولته رغم ما كانت تعانيه بلنسية من نقص في الأموال والرجال وفساد الأعمال^(٤) .

كان المظفر شاباً مترفاً اعتاد الحياة الناعمة وانغمس في اللهو والترف والشراب وقل اهتمامه بأمر الدين ، وانتهى الأمر بخلعه وزوال ملكه على يد صهره المأمون بن ذى النون الذى قبض عليه وعلى ولده ونفاهما ، وضم بلنسية وأعمالها إلى مملكة طليطلة في ٨ ذى الحجة ٤٥٧ هـ / ١٠ نوفمبر ١٠٦٥ م^(٥) .

(١) مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، تحقيق ليفى بروفنسال ، ص ٤٤ - ٤٥ .

- العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٨٤ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٣٠ .

(٣) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٥ ، ٢٣٩ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٥ ، ٣٠٣ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٥) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

- ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٦٥ - ١٦٦ ، ٣٠٣ .

- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

(٣)

امارة طرطوشة

أ - طرطوشة قبل قيام دولة بني هود :

كان من بين هاجر من قرطبة من الفتيان العامرية عند قيام الفتنة وقصدوا إلى شرق الأندلس الفتى لبيب العامري ، الذي تغلب على طرطوشة وانتزعها من يد مجاهد العامري . وفي تصوري أن مجاهد تغلب على طرطوشة بعد خروجه من قرطبة في أعقاب مقتل المهدي محمد بن هشام في أواخر سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م ، ثم سار منها إلى دانية ^(١) ، ثم وضع يده على بلنسية ومرسية ولورقة وشونر .

ويبدو من استقراء الأحداث أن المدن التي سيطر عليها مجاهد العامري أخذت تخرج من سلطانه تباعاً ، فبلنسية وشاطبة ^(٢) استقل بهما مبارك ومظفر ، وطرطوشة تغلب عليها لبيب ، بينما ولي خيران أمر المرية ومرسية ، ولم يبق في حوزة مجاهد سوى مدينة دانية حسبما نوضح فيما بعد .

وعلى ذلك فأننى أرجح أن لبيباً ولي طرطوشة بعد خروج مجاهد عنها أي بعد سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م . وكان لبيب هذا من فتيان المنصور محمد بن أبي عامر ^(٣) ، قام بضبط المدينة وساس الأمور بها مع رعيته ومع من يجاوره من أمراء الطوائف على الرغم من صغر ملكه بالمقارنة مع نظرائه من ملوك عصره ^(٤) .

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ .

(٢) يروي صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس أن مجاهداً في سنة ٤٠٠ هـ قام بمدينة طرطوشة وبلنسية ودانية وتدمير جميع البلاد الشرقية ، وملك لورقة وبسطة وشونر في ذي الحجة من نفس السنة .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢٠١ ، ٢١٧ .

(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٤٨ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ .

وكان منذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة يتطلع إلى الاستيلاء على طرطوشة ، وعندما أدرك لبيب ما يهدف إليه وأحس بالخطر الجاثم ، اضطر لبيب إلى التماس النجدة من مبارك صاحب بلنسية الذي بادر إلى مؤازرته وخرج بنفسه على رأس نحو خمسمائة فارس من أفضل فرسانه ، وتمكن من إيقاع الهزيمة بمنذر بعد معركة عنيفة ^(١).

وقد ذكرنا فيما سبق أن الغموض يكتنف طرطوشة منذ أن استقل بها لبيب حتى سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م فالمصادر تصمت عن ذكر أي خبر عنها في تلك الفترة كما أن النصوص التاريخية تضمن علينا بأية معلومات عن لبيب الفتى الأمر الذي يجعل التاريخ لطرطوشة في هذه السنوات القليلة أمراً من الصعب تحقيقه ومع ذلك فإننا نعتقد أن طرطوشة نعمت في عهد لبيب بهدوء نسبي لم يعكر صفوه اشتباكات عسكرية أو ثورات محلية ، وقد صرف هذا الهدوء في اعتقادي إلى مناطق أخرى طحنتها النوائب والفتن استهوت المؤرخين بحوادثها فركزوا نصوصهم عليها .

وواضح أن طرطوشة كانت تنعم بالأمن والاستقرار في ظل حكم لبيب ، ولعل ذلك يرجع إلى ارتباطه بأحلاف سياسية مع جاريه مبارك ومظفر ملكي بلنسية مما كفل له حماية مملكته الصغيرة من مطامع ملكي دانية وسرقسطة . على أية حال لقد أتاح لها هذا الهدوء أن تزدهر قنصادياً وعملياً ، وأن يقصدها مياسير التجار ممن لفظتهم قرطبة وقت محنتها يستظلون بهذه الحياة الآمنة ، وتجذب الشعراء المداحين أمثال ابن دراج الذي مدح لبيب الفتى في قصيدة نطالع فيها الأبيات التالية :

تقتل أفاعيها سموم عقاربى
والقائد الآساد فوق شوازب
فأثابه الرحمن قدرة غالب

ملك متى أرم الحوادث باسمه
الرافع الاعلام فوق خوافق
ملك تكرم عن خلائق غادر

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢٦ .
راجع ما كتب عن بلنسية .

يقضى فيمضى كل حق واجب إلا إذ أعطى فوق الواجب^(١)

وربما كان لصفو الحياة التي نعمت بها طرطوشة أعظم الأثر في مبادرة أهل بلنسية بدعوة لبيب لحكم بلادهم عقب وفاة مظفر ومصرع مبارك في شهر ذي الحجة سنة ٤٠٨ هـ / أبريل ١٠١٨ م . فقد كانوا يرجون لبلدهم أن ينعم هو الآخر في ظل حكمه كما تنعم طرطوشة ، وأياما كان الأمر فقد لبي لبيب دعوتهم ، وخلف الفتيين مبارك ومظفر في حكم بلنسية ، ولكنه فيما يبدو كان يخشى من حسد مجاهد العامري له أو من تحرشه به بعد أن أصبح يضم بلنسية إلى إمارته يجاوره في الحدود ، فعمد إلى مصانعته وارتضى لنفسه أن يشاركه في حكمها وأن تصدر الخطبة باسميهما معا درءا لعدائه له واتقاء لشربه ، ومع ذلك فلم يمض وقت طويل حتى دب الخلاف بينهما ، كما استاء أهل بلنسية من لبيب ، لوقوعه تحت نفوذ كونت برشلونة النصراني ، وقد يكون ارتباطه بصاحب برشلونة قد تم بايعاز من مجاهد الذي كان يسعى جاهدا إلى إزاحة لبيب وحمله على التخلي عن بلنسية التي كان مجاهد يطمح في الانفراد بحكمها ، ففر لبيب إلى طرطوشة ، وتحقق أمل مجاهد في الانفراد بحكم بلنسية بالاضافة إلى دانية ، وظل مستوليا عليها زهاء عامين إلى أن اجتمع الفتيان العامريون مرة أخرى وعقدوا البيعة لعبد العزيز بن عبد الرحمن حفيد مولاهم المنصور بن أبي عامر ، واستدعوه لتولى إمارة بلنسية في سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م ومنذ هذا التاريخ تخلى مجاهد عن حكمها^(٢) .

كما اشترك لبيب مع خيران ومنذر التجيبي ومجاهد في القيام بأمر عبد الرحمن بن محمد المترضى الذي قتل في سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م^(٣) . واستمر لبيب يحكم طرطوشة إلى أن تغلب عليه صقلبي

(١) ديوان ابن دراج القسطنطيني ، ص ٩٣ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٠ - ٢١ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ، ٣٠٢ .

Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , pp . 37 - 39 .

- العبادي : الصقالبة في اسبانيا ، ص ١٩ .

- ويلاحظ أن المرجعين السابقين يسمياه (نبيلا) بدلا من (لبيب) .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

Dozy : Spanish Islam B III , p . 566 - 570 .

آخر هو مقاتل العامري ، اختلف الباحثون في تحديد تاريخ توليه الحكم ، فبينما يذكر ابن خلدون أنه تملك طرطوشة في سنة ٤٣٣ هـ ^(١) . يرجح بريeto أي فيفس أن يكون ذلك قد حدث في سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م اعتماداً على نفوذ عثر عليها في سرقسطة تحمل هذا التاريخ باسم نبيل ^(٢) .

وفي تصوري أن عهد لبیب لم يمتد إلى سنة ٤٢٧ هـ ، وأرجح أن تكون فترة حكمه قد انتهت قبل ذلك بمدة ، وتولى إمارة طرطوشة بعده مقاتل العامري ، وأعتقد أن عهده انتهى فيما بين عامي ٤٢٠ هـ إلى ٤٢٢ هـ الذي يسجل تاريخ سقوط الخلافة الأموية في قرطبة نهائياً ، اعتماداً على الرواية التي أوردها ابن بسام في الذخيرة وجاء فيها : " ولما دخل هشام بن محمد الناصري الملقب بالمعتد ^(٣) قرطبة واستوثق له الأمر بها ، سفر عنه رسولا إلى مقاتل صاحب طرطوشة وزيره فائز ابن المغيرة ، فاجتمع بها مع أبي ربيع القضاعي هذا فقال له (فائز) : لو لحقت بقرطبة إلى أمير المؤمنين المعتد بالله كنت تحصل بها على الوزارة معنا " ^(٤) .

تلك الرواية تؤكد أن مقاتلاً كان يتولى حكم طرطوشة فيما يقرب من سنة ٤٢١ هـ عند تبودلت السفارات بينهما . وكان مقاتل العامري يتميز بعلو الهمة والحنكة السياسية ومضاء العزم ، وفي عهده نعمت طرطوشة بالأمن وحياة الاستقرار فارتفع شأنه وذاع صيته ،

(١) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٧١ .

- ابن خلدون : المعبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٢ .

(٢)

Prieto Y Vives : Op . Cit , p . 38 .

(٣) بويج بالخلافة سنة ٤١٨ هـ ، ودخل قرطبة ٨ ذي الحجة ٤٢٠ هـ وظل بها مدة يسيرة إلى أن قامت عليه فرقة من الجند فخلع .

- الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ٢٨ .

- الضبي : بغية الملتبس ، ص ٢٤ .

- وأنظر أخباره في الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٥١٥ - ٥٢٩ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٥١٤ .

وفي هذه اللحظة رد أبو ربيع على وزير المعتد قاتلاً في سخرية لاذعة :

هيك كما تدعى وزيراً وزير من أنت يا وزير

والله ما للأمير معنى فكيف من وزر الأمير

- ابن بسام : نفس المصدر والصفحة .

فتلقب بسيف الملة^(١)، وكان يكتب به إليه وعنه إلى ملوك الطوائف وقد توفر لديه من العمال والكتاب ما لم يكن عند غيره في زمنه ممن هو أكبر ملكاً منه^(٢). ونستدل من ذلك على المكانة التي بلغها مقاتل بين ملوك الطوائف وما بلغته طرطوشة في عهده من شأو كبير حسدتها عليه دويلات طائفية أخرى.

ولقد ارتبط مقاتل بعلاقات طيبة مع علي بن مجاهد وتبادلا رسائل الود^(٣) ولم يتردد مقاتل في الانضمام إلى التحالف العامري المناهض للبربر وأقام الدعوة لهشام المزعوم في اشبيلية^(٤). ومع ذلك فقد انتهت حياته نهاية مأساوية فابن بسام يذكر أن صراعاً وقع بين الموالي العامريين في شاطبة ومقاتل العامري^(٥) كان من نتائجه انقطاع الأسباب بين عبد العزيز المنصور ومقاتل، وفي هذا يقول ابن بسام: "وخرج أبو زيد^(٦) يوماً من بلنسية إلى طرطوشة ليلقى صاحبها مقاتلاً الفتى فلما ورد إليها منع من الجواز، فكتب إلى مقاتل: إن كان واديك نيلاً لا يجاز به فما لنا قد حرمانا النيل والنيل إن كان ذنبى خروجي من بلنسية فما كفرت ولا بدلت تبديلاً^(٧)

(١) ابن عذاري: البيان، ج ٣، ص ٢٢٤.
- بينما يذكر ابن عذاري في نفس المصدر والجزء أنه تلقب بسيف الملك، ص ٢٥٠.
- وقد أشار بريتو أي فينسى أنه عثر على نقود لمقاتل تحمل لقب معز الدولة إلى جانب اسمه حتى سنة ٤٣٨ هـ وابتداء من هذا التاريخ تغير اللقب إلى سيف الملة.
Prieto Y Vives: Los Reyes de Taifas, p. 121.

(٢) ابن عذاري: المصدر السابق، ص ٢٢٤.
(٣) ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، م ١، ص ٣٦٣.
(٤) ابن عذاري: البيان، ج ٣، ص ٢١٩.
Prieto Y Vives: Op. Cit., p. 122.

(٥) ابن بسام: الذخيرة، ق ٢، م ٢، ص ٧٩٠.
(٦) هو أبو زيد عبد الرحمن بن مقاتل الأشبوني القبذاقي، ولسنا نعرف شيئاً عن نشأته، وإن كان قد ظهر في أوائل عصر امراء الطوائف، وجال في أقطار الأندلس متردداً على سرقسطة، وعلى دانية لمديح أميرها مجاهد.
- الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٢٧٩ ترجمة رقم ٦١٨.
- ابن بسام: الذخيرة، ق ٢، م ٢، ص ٧٨٦.
- الضبى: بغية الملتبس، ص ٣٧١ ترجمة رقم ١٠٤٤.
- ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ٤١٣ ترجمة رقم ٢٩١.
(٧) ابن بسام: الذخيرة، ق ٢، م ٢، ص ٧٩٠.

وانتهى الأمر بنشوب الحرب بين العامريين ومقاتل ، لقي فيها مقاتل مصرعه واحتز رأسه وحمل إلي عبد العزيز المنصور في بلنسية ، وقد أثار ذلك غضب منذر صاحب سرقسطة الذي كتب إلي المنصور غاضباً متوعداً^(١) .

وهكذا انتهى حكم مقاتل في طرطوشة سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م وملكها بعده يعلى العامري ولكن مدة حكمه كانت قصيرة^(٢) بحيث انتهت في سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م فخلفها في حكمها من بعده الفتى نبيل . وكان المقتدر بن هود أثناء ذلك ينظر إلي سيطرة أولئك الفتيان الصقالبة على طرطوشة بعين السخط ويتحين الفرصة لانتزاع هذا الثغر الهام من أعمال مملكته ، وأخيراً سنحت له الفرصة عندما اضطرت نار الثورة ضد الفتى نبيل في طرطوشة ، وزحف إليها المقتدر في قواته فسلمها إليه نبيل في الحال دون قتال وخرج عنها ، وانتهت بذلك دولة الفتيان الصقالبة في سنة ٤٥٢ هـ / ١٠٦٠ - ١٠٦١ م^(٣) .

(١) ابن بسام : المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٢ .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

Prieto Y Vives : Op , cit ., p. 38 , 122 .

- وقد استعار يعلى لقب سيف المله الذي حمله مقاتل ، وفي آخر حكمه تلقب بمعز الدولة .

Prieto Y Vives : Ibid , p . 122 .

(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ ، ٣٠٢ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٧١ .

- القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ .

- بينما يذكر ابن خلدون أن نبيلاً خرج عن طرطوشة سنة ٤٥٣ هـ .

راجع ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٢ .

Prieto Y Vives : Op . Cit ., pp . 38 - 39 .

الباب الثاني

الفصل الأول: مملكة دانية

الفصل الثاني: دولة الصقالة في الجزائر

الشرقية في عصر الطوائف

الفصل الأول

مملكة دانية

- (١) بداية ظهور مجاهد العامري على المسرح السياسي في شرق الأندلس
- (٢) جهود مجاهد لدعم دولته حتى عام ٤٠٥ هـ / ١٠١٥ م
- (٣) افتتاح مجاهد لجزيرة سر دانية
- (٤) دولة مجاهد العامري بعد هزيمته في بحر سر دانية وحتى وفاته
- (٥) مملكة دانية في عهد علي بن مجاهد - اقبال الدولة
- (٦) الحياة العلمية والأدبية في مملكة دانية في عهد مجاهد

مملكة دانية

(١)

بداية ظهور مجاهد العامري على المسرح

السياسي في شرق الأندلس

كان مجاهد أبو الجيش الموفق من أشهر الصقالبة الذين ظهوروا في قرطبة في عهد المنصور بن أبي عامر ، ولكن المصادر تختلف حول أصله واسمه ونشأته ^(١) فبينما يذكر المراكشي أنه من أصل رومي ^(٢) نجد بعض الباحثين الحديثين يرجعونه استناداً إلى هذه الإشارة إلى أصول إسبانية محلية ، ويعتقدون أن المنصور أسره في إحدى حملاته المتعددة ^(٣) .

ومن الملاحظ أن مجاهداً هو الوحيد بين أمراء الصقالبة الذي جاء اسمه مقترناً بنسبه إلى أب وجد ، فقد ذكرته بعض المصادر العربية باسم مجاهد بن يوسف بن علي ^(٤) في حين ذكرته مصادر أخرى باسم مجاهد بن عبد الله العامري ^(٥) . ومن الواضح أن انتساب الصقالبة إلى آباء مسلمين وإن لم يكن حقيقياً فقد كان الهدف منه إخفاء الأصل المسيحي الذي قد يتعارض مع المناصب التي كانوا يتولونها ^(٦) . وقد اصطنع بعض زعماء البربر نفس هذا الأسلوب من قبيل الاعتزاز

(١) Huici Miranda : Historia Musulmana de Valencia , T , I , p . 223 .

(٢) المراكشي : المعجب ، ص ٤٨ .

- أنظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٣) Huici Miranda : Op , Cit . , p . 223 .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ .

(٥) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣٥٢ ، ترجمة رقم ٨٢٩ .

- الضبي : بغية الملتبس ، ص ٤٧٢ ، ترجمة رقم ١٣٨٠ .

- ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ١٣ .

(٦) كليلا سارنللي : مجاهد العامري ، ص ١٢٥ .

بالأصل العربى ومن أمثلة هؤلاء بنو الأفطس أصحاب بطليوس الذين زعموا أنهم ينتسبون إلى قبيلة تجيب وهم في الحقيقة من البربر ^(١).

ومن المعتقد أن أم مجاهد وأباه كانا من جملة ما كان يقتنيه الحكم المستنصر في بلاطه ، وأغلب الظن أن أمه على الأقل كانت مسيحية ، وهذا ما سوف تشير إليه المصادر في سياق الحديث عن غزوته سردانية ، وذلك عندما وقعت أمه أسيرة ورفضت العودة إلى دانية مرة أخرى لتمسكها بالديانة المسيحية . بينما تغفل المصادر العربية ذكر أية أخبار تتعلق بأبيه ، ومن المرجح أنه كان من الموالى الصقالبة ، اعتنق الإسلام وتسمى باسم عبد الله وعندما ولد ابنه مجاهد نشأ وتربى وهو لا يزال طفلاً صغيراً في بلاط المنصور بقرطبة فاستطاع أن ينهل من الآداب والفنون ، ويتبحر في علوم القرآن والحديث واللغة ^(٢) ، يقول عنه ابن حيان " وقد عني بطلب ذلك من صباه وابتداء حاله إلى حين اكتهاله " ^(٣).

كما اتاح له وجوده في بلاط قرطبة الفرصة في أن يتدرب على الفروسية والقتال حتى حنق فنونها وطرائقها ، وعنه يقول ابن الخطيب " فلم يك في ملوك الزمان فارس يعد له شكلاً ولباقة ورواءً وهيبة ، وحسن عمل في السلاح ، وتقليباً له ، إلى حنق بآبواب الثقافة والرماية ، وتدقيق لمعانيها " ^(٤) ، فقد كان المنصور يهتم اهتماماً خاصاً بأعداد من

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٨٢ .

- سحر السيد عبد العزيز سالم : تاريخ بطليوس الاسلامية ، الجزء الأول ، التاريخ السياسى ، ص ٣٥٨ .

(٢) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ٣٥٣ ؛ الضبى : بغية الملتبس ، ص ٤٧٢ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٣) ابن بسام : النخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٣ ؛ ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٨ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .

- يقول أبو عامر عبد الملك بن شهيد وهو من أشهر الأدباء البلغاء في قرطبة من رسالة يخاطب فيها مجاهد " كنا تربى صحبة ، وحليفى صبوة ، قد تخلىنا عن الاتساب ، وانتسبنا إلى الآداب " ؛ ابن بسام : النخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٢٢٨ .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١٨ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢١٧ .

توسم فيهم النجابة والفتنة من صقالبتة للقيام بأمور الدولة وقيادة الجيوش وتولى المناصب ^(١).

ومن الواضح أن مجاهداً كان مقيماً بقرطبة وقت اندلاع الفتنة ، وشارك في أحداثها مع وضاح وخيران وزهير وغيرهم من أكابر الفتيان العامرية ، وأنه كان من جملة من أيد منهم المهدي محمد بن عبد الجبار ، وغدر بعبد الرحمن شنجول متخلياً بذلك عن سادته العامريين بعد أن كان مولى من مواليتهم ^(٢) وقد أبدى كوديرا استنكاره واستياءه من هذا الغدر ^(٣) لكن يبدو أن سبب غدرهم يرجع إلي أن عبد الرحمن شنجول لم يأخذ بنصيحتهم عندما عزم على الخروج للغزو ، فقد نصحوه بالبقاء في قرطبة خشية قيام ثورة أثناء غيابه ^(٤) ، إذ كانوا يدركون تماماً مشاعر السخط التي شاعت بين المروانية بسبب انتحاله ولاية العهد ، وكأنما استشعروا تحت الرماد وميض نار كانوا يخشون أن يكون له ضرر ، فلما ضرب بنصيحتهم عرض الحائط ، استثارهم ، فحققوا عليه ، ثم أننا يجب ألا نغفل أن هؤلاء الصقالبة كانوا يتصفون بخصال سيئة منها الأنانية والاهتمام بالمصالح الذاتية وحب السيطرة والتملك ، وقد تهيأت لهم الفرصة لتحقيق طموحاتهم واستخدام كافة الوسائل التي تكفل لهم ما يعود عليهم بالنفع . لهذا تخلوا عن عبد الرحمن شنجول عندما تبينوا رعونته وحمقه وأنه ليس الزعيم القوي الحكيم الذي يستطيع أن يحفظ لهم مكاسبهم ومكانتهم التي حققها لهم المنصور والمفطر ، وانضموا إلي مناوئيه من المروانية تحقيقاً لمصالحهم الذاتية .

لكن المهدي ما كادت تستقر له الأمور حتى أنقلب على الصقالبة ، باعتبارهم عامرية أوفياء لمواليهم من بيت ابن أبي عامر ، فأقدم على نفي عدد منهم إلي أطراف الأندلس الشرقية ، فأقاموا هناك

(١) Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , p . 8.

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٢٧ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٧١ .

(٣) Codera (Francisco) : Mochechid Conquistador de Cerdana Centenario della Pasciito di Michele Amari , Palermo ; 1910 , p . 116 .

(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١١٢ .

يتحينون الفرصة للقضاء عليه إلى أن تمكنوا من قتله في سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ، وأعادوا على الخلافة هشام المخلوع ، وكأنما أراد هشام المؤيد أن يرد إلي هؤلاء العامريين هذا الجميل ، فأقر ولايتهم على ولاياتهم بشرق الأندلس وكان من بين هؤلاء مجاهد العامري^(١) .

ومما لا شك فيه أن مجاهداً كان من أوائل الأمراء الذين استقلوا عن الخلافة في قرطبة عند اندلاع نار الفتنة سعياً وراء مصالحه الشخصية ، ويذكر ابن خلدون أن مجاهداً خرج من قرطبة يوم قتل المهدي في أواخر سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م وأنه سار عندئذ إلى طرطوشة فملكها ثم تركها وانتقل إلى دانية واستقل بها وملك ميورقة ومنورقة ويابسة^(٢) .

وبسوق ابن عذارى رواية أخرى ذكر فيها أن المنصور محمد بن أبي عامر قدم مجاهد على مدينة دانية (أي قبل وفاة المنصور سنة ٣٩٢ هـ) وعند وقوع الفتنة كان مجاهد مقدماً على جزر البليار (الجزائر الشرقية) - أي حوالي سنة ٣٩٩ هـ - ولما أدرك أن الفتنة ضربت أطناها في الأندلس ، سار من الجزائر إلى دانية ، وتملكها وتملك جميع أعمالها المنضافة إليها وأقام بها دولته وتسمى الموفق بالله^(٣) .

وتشير بعض الروايات إلى أن مجاهداً كان وقت اضطرام الفتنة متولياً شئون بلنسية ، ثم ثار عليه العبدان مبارك ومظفر ، واستطاعا أن ينتزعا منه السلطة ، فخرج مجاهد من بلنسية إلى دانية^(٤) .

(١) كليليا سارنللي : مجاهد العامري ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .

- وأنظر القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ .

- مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢١٠ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٤) أنظر رواية صاحب الذيل ، ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٣٠١ - ٣٦٠٢ .
- وأنظر فصل بلنسية .

ويتبين لنا من المقارنة بين تلك الروايات أن المنصور محمد بن أبي عامر أقام مجاهد حاكماً على مدينة دانية قبل وفاته سنة ٣٩٢ هـ . وكان مجاهد قبل وقوع الفتنة وبالذات في عهد المظفر عبد الملك يحكم الجزائر الشرقية فقط ، وأنه استمر يتولى الجزائر الشرقية في حجابة عبد الرحمن شنجول ، ثم اضطر إلى مغادرة الجزائر الشرقية عند قيام الفتنة للمشاركة في أحداثها ، بدليل أن شخص آخر غيره هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن الشرفي ^(١) ، كان يتولى جزيرة ميورقة وغيرها أثناء الفتنة وفقاً لما ذكره ابن بشكوال ، وقد رأينا كيف شارك مجاهد مع رفاقه العامريين في الفتنة مناصراً للمهدي إلى أن تمكن البربر من السيطرة على قرطبة ، فاضطر مجاهد إلى الفرار مع بقية الفتيان العامرية إلى شرق الأندلس ، حيث استطاع أن يفرض سيطرته على المنطقة الممتدة من طرطوشة شمالاً حتى دانية ولورقة جنوباً ، ويذكر صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس أن مجاهداً " قام بمدينة طرطوشة وبلنسية ودانية وتدمير جميع البلاد الشرقية فضبطها وغزا منهم الروم وملك لورقة وبسطة وشونر في ذي الحجة سنة ٤٠٠ هـ ^(٢) .

غير أن نفوذ مجاهد على هذه المنطقة لم يلبث أن تقلص سريعاً ، فقد كان من اليسير على أي طامع من الفتيان العامريين الفارين إلى الشرق بمساعدة شردمة من الرجال أن يستقل بأي بلد منها ، فاستقل الفتى لييب بطرطوشة ، ثم استولى الفتيان مبارك ومظفر على بلنسية وشاطبة ، وانحصر نفوذ مجاهد في دانية وأعمالها وهذا يفسر سعي مجاهد الدؤوب بعد ذلك للتدخل في أمور طرطوشة وبلنسية والمريّة ومرسية حيث كان يعتبرها من أملاكه ومناطق نفوذه .

وهكذا استقل مجاهد بمدينة دانية وحكمها ما يقرب من أربعة وثلاثين عاماً حتى توفي سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م .

(١) ابن بشكوال : الصلة ، ص ٣٣١ .

(٢) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢١٧ .

(٢)

جهود مجاهد لدعم دولته حتى عام ٤٠٥ هـ / ١٠١٥ م

كان من أثر انهيار الخلافة في قرطبة و فرار الفتيان العامريين إلى الشرق اقتسام شرق الأندلس بينهم ، وقيام دويلات طائفية صقلبية منها دولة مبارك ومظفر في بلنسية ، ودولة أفلح في المرية ، ودولة لبیب في شاطبة ، ومجاهد في دانية ، وقد ارتضى هؤلاء الفتيان بما اقتسموه فيما بينهم من بلاد شرق الأندلس ، إذ كان جل اهتمامهم ينحصر في تمكين سلطتهم غير الشرعية ، وكانوا يحتاجون إلى سند شرعى يتمثل في هشام المؤيد ولهذا لم يعترف هؤلاء الصقالبة وعلى رأسهم خيران العامرى ومجاهد بسليمان المستعين في قرطبة ^(١) . وكان خيران بوجه خاص يجنح دائماً إلى التمرد اعتماداً على نفوذه وضخامة قواته فرفض خلافة المستعين وحاربه حتى انهزم واتجه إلى شرق الأندلس حيث استولى على أقاليم كورة تدمير ، ثم انتزع المرية من يد أفلح سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م .

ويبدو أن ازدياد قوة خيران واتساع دولته بتلك السرعة الكبيرة قد أزعج مجاهد فأوجس منه خيفة ، خاصة وأنه الجار الشمالى لخيران . ولعل تهديدات خيران كانت من بين الأسباب التى دعت مجاهد إلى أن يتخذ قراره السياسى بمحاولة إحياء الخلافة الأموية في مقر ملكه في دانية ، وبالإضافة إلى ذلك كان يهدف إلى سند شرعى يرفع من قدره أمام رعيته ويكسبه قلوب أهل الأندلس الذين كانوا يمقتون المستعين وأنصاره البربر . لذلك بادر بمبايعة أحد أشرف العرب هو

(١) يقول ابن بسام " قد كان الملك سليمان أسف على جماعة هؤلاء الفتيان لشرودهم عنه ، واقتبازهم منه ، وراسلهم بجملة رسائل من انشاء ابن برد وغيره من كتاب دولته ، رجاء في كره الدولة بهم ، مقتنعا منهم بالطاعة حسبما فعله مجاوروهم من أهل الثغور ليكون من ورداء التدبير ، ويأمن من الهزيمة في إنفاذ الصريمة ، فصموا رقاها ، وطردها رسله وخرسوا عن اجابته على كتبه وتجردوا الحربه " .
- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٢ .

الفقيه عبد الله المعيطي^(١)، وكان واحداً مما أزعجته الفتنة من رجال الأشراف بقرطبة، وكان في عداد الفقهاء المشاورين بها، خرج من قرطبة ومعه خلق كثير قاصداً دانية، التي يتولاها مجاهد العامري، فوقع المعيطي موقعا حسنا من نفس مجاهد لغزارة علمه ولم يتردد في أن يسبغ عليه قدرا كبيرا من عنايته ويحيطه باهتمامه ورعايته، ويقدره قدره، إذ كان مجاهد مهتماً بالدراسات الفقهية، ولذلك لم يتردد في مبايعته بالخلافة في جمادى الآخرة سنة ٤٠٥ هـ / نوفمبر ديسمبر ١٠١٤ م، ولقبه أمير المؤمنين المنتصر بالله^(٢) وأثبت اسمه في سكتة وفي أعلامه^(٣).

ويعتبر مجاهد أول ملوك الطوائف في انشاء دار سكه خاصة به، ونستدل على ذلك من الدراهم التي ضرب في "الوطه"^(٤)

(١) هو الفقيه عبدالله بن عبد الله بن الوليد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عثمان بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عقبة بن أبي معيط". كان أبوه محدثاً ثقة ولد بمصر سنة ٣٠٠ هـ، ودخل الأندلس مع أبيه وأخ له أكبر منه.

- ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١١٥ .

- وأنظر ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٩ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ؛ ترجمة رقم ٥٩٣ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٦٦ .

- ويذكر ابن بشكوال نقلاً عن ابن حيان : " أن أبا محمد الباجي قال له ذات يوم كأتى بك يا قرشي قد أثرت فتنة وتقلدت أماره ، إلا أتى أراك قليل المتعة بها فاستعذ بالله من شر ما أنت لاق . فوجم المعيطي مما قال له من أين يقوم الشيخ أيده الله هذا ، ويعلم الله بعدي عنه ؟ ! فقال ! من أصبح طريق . فقال له : كنت أراك في منامي توقد ناراً حطبها زرجون لم تلبث أن خمدت فأولتها فتنة تقوم بها سريعة الخمود ، وكذلك أحسب أمرك يكون فيها والله أعلم ، قال : فأظهر المعيطي الاستعانة من ذلك ، وضرب الدهر من ضرباته إلي أن كان من أمر المعيطي ما ذكرناه ، فصحت رؤيا الشيخ فيه بعد أربعين سنة " ، ابن بشكوال : الصلة ، ص ٢٦٩ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢٠ .

(٤) الوطة : هي مدينة من أعمال مجاهد لم نتمكن من تحديد موقعها حتى الآن .

Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , p . 35 .

- ويذكر ياقوت : أن مدينة الوطة بين سرقسطة ودانية .

- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي) : معجم الأديباء ، نشره أحمد فريد الرفاعي بك) ، مكتبة القراءة والثقافة الأدبية ، القاهرة ١٩٣٨ م ، ص ٣٧ ، ج ١٢ ، ص ١٢٧ .

Eloto - Al Wata سنة ٤٠٢ ، ٤٠٣ هـ وتحمل اسمه : -عبد الرحمن الدرهم بالوطه سنة خمس . ويحمل على الوجه الآخر : - الامام عبد الله أمير المؤمنين مجاهد ^(١) وفي سبيل حماية دولته عمد مجاهد إلي اصطناع سياسة بحرية ، فاهتم بإنشاء اسطول ضخم يعينه على تحقيق هذه الحماية بحراً ويمهد له السبيل لضم مزيد من المدن والقواعد البحرية عن طريق الغزو البحري ^(٢) .

ومن المعروف أن أساطيل الأندلس في عهد الخليفين عبد الرحمن والحكم المستنصر بالله بلغت درجة عالية من القدرة الغزوية ، وأصبحت بفضل قادة البحر الأندلسيين من بنى رماحس قوة رهيبة سخرها الخليفان في فرض سيطرتها على القسم الغربى من حوض البحر المتوسط وسواحل العدو ، إلا أن هذه الأساطيل لم تلبث أن توزعت على دويلات الطوائف الساحلية كارت من عصر الخلافة ^(٣) ، تقاسمتها فيما بينها ، غير أن هذه الدويلات لم تقدم من هذا الارث البحرى، كما أفاد مجاهد العامرى الذى كان من أكثر ملوك الطوائف عناية بالأساطيل .

- بينما يذكر القزوينى أن مدينة الوطة موجودة بجزيرة ميورقة ، وهى كبيرة حصينة طيبة الأرض رخيصة الأسعار ، بها مياه غزيرة وأشجار كثيرة - وينقل عن العنرى أنه قال عنها " بها أرحية عجيبة ... " .
- القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٦٨ .
- وإن كنا لم نعثر على تلك النقول في كتاب العنرى الذى بين أيدينا .
- ولكن من المؤكد كما سبق أن ذكرنا ، أن مجاهداً في عام ٤٠٢ هـ وهو تاريخ أول عملة ضربت في الوطة - لم يكن قد افتتح بعد جزر البليار مما يتعارض مع تلك الآراء التى تكررت آنفاً .
- وقد ذكر بعض المستشرقين وعلى رأسهم بريتو آي بيبس وكوديرا أن الوطة هى وبذة ويكتبونها . Huete .

Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , p . 35 .

- ومن الواضح أن الوطة المذكورة كانت لها أهميتها الادارية بحيث اقيمت فيها دار سكة .

^(١) Prieto Y Vives : Op , Cit . , p . 181 .

^(٢) مؤنس (دكتور حسين) : المسلمون في حوض البحر المتوسط ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، مايو ١٩٥١ م ، ص ١٢٠ .

- السيد عبد العزيز سالم : البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٤٢ ، ٤٧ .

^(٣) Henri Peres : Esplendor de Al - Andalus , p . 219 .

- وانظر الترجمة العربية ، الطاهر أحمد مكي ، الشعر الأندلسى ، ص ١٩٣ .

- ارشيبالد لويس : القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط ، ص ٣٠٣ .

- السيد عبد العزيز سالم : البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٢٠١ .

فقد كان مجاهد قائداً ماهراً له طموحاته البعيدة وآماله العريضة، ولكنه كان واقعياً ، أيقن بضرورة اتخاذ أسطول بحري قوى يستخدمه عند الضرورة لحماية دولته من جاراته دويلات الطوائف ، ولتحقيق أحلامه في ضم جزر البحر المتوسط الغربى ، ومن ثم فقد اقتضت همته أن يجدد بناء دار صناعة دانية ، وأن يضاعف طاقتها لتمده بالسفن المقاتلة على اختلاف أنواعها والناقلة من مختلف الأحجام واستكثر من السفن والمعدات الحربية واستطاع في فترة قصيرة أن ينشئ أسطولاً ضخماً ، مكنه من الاضطلاع بدور بحري بارز في حوض البحر المتوسط ^(١) .

وقد مهد مجاهد لهدفه الأعظم بإنشاء دار للسكة ، والاعتماد على سند شرعى في حكمه يتمثل في شخصية المعيطى ، وساعده على تحقيقه ما كان يتمتع به من دهاء سياسى وعقلية مفكرة وشخصية قوية وتفوق حربى ، بالإضافة إلى ما تميزت به دانية من موقع استراتيجى ممتاز ، وما تمتعت به من حصانة هيات لمجاهد الفرصة للمشاركة في حوادث الأندلس ، وفي خوض المعارك البرية والبحرية مستهدفاً توسيع رقعة دولته خارج نطاق جزيرة الأندلس .

وقد بدأ مجاهد بحجز البليار Islas Baleares (الجزائر الشرقية) :

هذا وقد ورد أول ذكر للجزائر الشرقية في العصر الإسلامى في بعض المصادر العربية ، حيث تشير هذه المصادر إلى أن موسى

(١) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٠ .

- يرجع الفضل في ذلك إلى توفر غابات الصنوبر الجيد في المناطق المحيطة بدانية ، خاصة في الجبال المحيطة بحصن قلصة ، وما كانت تدره الزراعة والتجارة عليه من ثروات وافرة ، وأصبح مرسى السمان المنيع في دانية الفائقة الحصانة قاعدة أسطول مجاهد العامرى الذى كان يتطلع إلى تأسيس مملكة مترامية الأطراف تشمل شرق الأندلس والجزر الغربية للبحر المتوسط .

- العذرى : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٩ .

- الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٥ .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ .

- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .

- الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٣٢ .

بن نصير جهز في سنة ٨٩ هـ ولده عبد الله لافتتاح جزيرتي ميورقة ومنورقة^(١). وأعتقد أن ذلك خطأ واضح إذ لم يكن موسى قد فكر بعد في فتح الأندلس فكيف يسير حمله لفتح هاتين الجزيرتين في هذا التاريخ المبكر ، وقبل أن يعبر طارق بن زياد الزقاق بثلاثة أعوام . وقد تكون حملة استطلاعية وجهت من القيروان أو من تونس على غرار الحملات البحرية التي كان يوجهها ولاية بنى أمية في المشرق نحو صقلية ثم أنه لا يوجد في المصادر العربية نصاً يشير إلى قيام المسلمين بفتح هذه الجزر أو حتى مجرد محاولات لفتحها قبل سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م^(٢).

فقد ثار المعاهدة من أهل ميورقة ومنورقة على الأمير عبد الرحمن بن الحكم ونقضوا العهد وأضروا بمن يمر إليهم من مراكب المسلمين ، فغزاهم في ثلثمائة مركب وافتتحها ثانية وفتح أكثر جزائرهم وغنم غنائم كثيرة ، وانفذ فتاة شنظير الخصي إلى ابن ميمون عامله على بلنسية ليقبض له على خمس الغنائم^(٣). وفي العام التالي ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م كتب أهل ميورقة إلى الأمير عبد الرحمن معتذرون إليه عما بدر منهم في العام السابق ويطلبون منه صفحه وأقالته ، فعطف عليهم وأقالهم زلتهم ، وأعطاهم ذمته وجدد لهم عهده^(٤).

(١) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .

- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) : العبر في خبر من غير " ، الجزء الأول ، تحقيق الأستاذ صلاح المنجد ، الكويت ، ١٩٦٠ م ، ص ١٠٤ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .

- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحى) : " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " الجزء الأول ، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٩٨ .
- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، القسم الأول ، الجزء الأول ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ م ، ص ٩٨ .

(٢) عبد الرحمن على الحجى : التاريخ الأندلسي ، ص ٢٣٤ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د. محمود على مكي ، القاهرة ١٩٧١ م ، ص ١٤٤ .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ٨٩ ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٨ .

- عبد العزيز سالم : في تاريخ حضارة الاسلام في الأندلس ، الاسكندرية ١٩٨٥ ، ص ١٢٣ .

(٤) ابن حيان : المقتبس ، ص ١٤٥ .

بينما يشير ليفي بروفنسال إلى غارة بحرية قام بها المسلمون في المغرب بقيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير على جزر البليار سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م ، وعاد منها ظافراً بعد أن أصاب غنائم وافرة ^(١) في حين تذكر كليليا سارنللي قيام المسلمين بغارات بحرية واسعة النطاق على جزر صقلية وسردانية والبليار في سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م ^(٢).

أما كامبانار وأرشيبالد لويس فيذكر أن الحكم الربضي وجه حملتين إلى الجزائر الشرقية سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م وسنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م وكانتا واقعتين آنذاك في حماية الفرنجة ^(٣).

ولم تصبح جزر البليار جزءاً لا يتجزأ من دولة بنى أمية في الأندلس إلا بعد أن ضمت تماماً إليها في سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م . ويعبر ابن خلدون عن ذلك بقوله " كان فتح ميورقة سنة تسعين ومائتين على يد عصام الخولاني ... فكتب له - أي الأمير عبد الله - ولايتها فولياها عشر سنين " ^(٤) وربما يرجع السبب في تأخر دخول هذه الجزيرة ، وبناتها ميورقة ويابسة في فلك دولة بنى أمية في الأندلس إلى ضعف البحرية الأموية في عصر الامارة ، ويسجل فتحها بداية عصر القوة البحرية للأندلس ^(٥).

^(١) Levi - Provençal : Histoire de L' Espagne Musulmane , p . 200 .

- كليليا سارنللي : مجاهد العامري ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

^(٢) نفس المصدر ، ص ١٩٣ نقلاً عن :

- اماري (ميخائيل) : المكتبة العربية الصقلية ، نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ، مكتبة المثني ببغداد ، ليبزج ، ١٨٧٥ م ، ص ٢٨٤ .

^(٣) Campaner Y Fuertes (Alvaro) : Bosquejo Historico de La dominacion Islamita en las Islas Baleares , Palma , 1888 , p . 10 - 17 .

ارشيبالد لويس : القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط ، ص ١٦٢ - ١٦٤ .

- طرخان (دكتور ابراهيم على) : المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ، الادارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ١٠٣ .

^(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .

- بينما يشير الزهري أن ميورقة افتتحت في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط

(٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) راجع الزهري : كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٩ .

^(٥) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

وتولى ميورقة من عمال بنى أمية بعد وفاة عصام الخولاني في سنة ٣٠٠ هـ ولده عبد الله بتقديم أهل الجزيرة فأقرهم الأمير على اختيارهم له ^(١). ولم تلبث هذه الجزر أن اتسع العمران فيها وقصدها التجار ورجال البحر وتوفرت فيها الخيرات ، وظهر فيها العلماء وسادها العلم والمعرفة ^(٢). وقد كثر عدد المسلمين في جزر البليار بعد عشر سنوات من فتحها ٣٠٠ هـ / ٩١٦ م إلى حد مكنهم من القيام بانفسهم باختيار أميرهم " عبد الله بن عصام " الذي أقرهم عليه الأمير عبد الله بن محمد . وقد أرجع كامبانار انتشار الاسلام في هذه الجزر إلى أساليب القهر والتكيل التي اتبعها ولاية جزر البليار مع النصاري من أهل هذه الجزر ^(٣). وهذا حكم استتاجي بناء المؤرخ الميورقي على أساس خاطئ دون براهين يستند عليها ، حيث يقول في هذا الشأن " لسوء حظ سكان جزر البليار فإن الحكم الإسلامي لها أتى متأخراً عن حكمهم للمناطق الاسبانية الأخرى الذي كان في بدايته حافلاً بمظاهر الروح الانسانية والتسامح ، إلا أنه بمرور الزمن أصبح المسلمون يحكمون بطرق استبدادية وقد أتى فتح البليار في هذه المرحلة الثانية الذي تحول الحكم الإسلامي من التسامح إلى التعصب ومن المعاملة الطيبة إلى الاضطهاد والتكيل ... " ^(٤) ثم يوالى اتهامه لولاية جزر البليار باضطهاد النصاري وإجبارهم على الدخول في الإسلام قائلاً : "إذا كان علينا أن نعترف بأن حكام جزر البليار الأولين كانوا على قدر كبير من المهارة التنظيمية والإدارية ، وعلى درجة عالية من الثقافة ، فإن علينا أن نعترف كذلك بأنهم كانوا كبقية حكام الأقاليم الاسبانية الأخرى في معاملتهم لأهل جزر البليار من النصاري الذين كانوا يلاقون من الاضطهاد والمعاملة السيئة ما لاقى إخوانهم في شتى أنحاء اسبانيا ... " ^(٥).

ولكنه ما يلبث أن يناقض نفسه باعترافه أن ذلك كان مجرد استتاج ويؤكد أن ما ذكره " عن سوء معاملة المسلمين لأهل جزر

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .

(٢) الحجى : التاريخ الأندلسي ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٣)

Campaner Y Fuertes : Op . Cit ., pp. 47 - 51 .

(٤)

Campaner Y Fuertes : Ibid ., p . 51 .

(٥)

Campaner Y Fuertes : Op. Cit ., p . 51 .

البليار في عهدها الاسلامي الأول هو مجرد استنتاج لا مفر منه طالما لم تسعفنا الوثائق والبراهين الأخرى بما ينقض هذا الحكم ... " (١).

وفي تصوري أن السياسة الاموية التي اصطنعها بنو أمية مع المعاهدة لم تختلف في بلد عن آخر ، وأن الاسلام انتشر في تلك الجزر بنفس الطريقة التي انتشر بها في شبه جزيرة الأندلس ، حيث تعرضت لنفس الظروف التي هيأت للاسلام أن ينتشر بصورة طبيعية وذلك عن طريق تزواج الفاتحين المسلمين من أهل الجزر ، بالاضافة إلى أن الاحتكاك المباشر بين العناصر الاسلامية الوافدة إلى هذه الجزر من بلنسية ودانية ولقنت بقصد التجارة وبين المعاهدة أدى إلى دخول عدد كبير من أهل هذه الجزر في الاسلام ، فكثر عدد الاسالمة وعدد المولدين بمرور الزمن .

ويتعاقب على حكم ميورقة والجزائر الشرقية بعد عبد الله بن عصام عدد من الولاة نذكر منهم أحمد بن محمد بن الياس الذي قلده عبد الرحمن الناصر عليها في شعبان ٣١٨ هـ (اغسطس ٩٣٠ م) (٢) ثم أحمد بن محمد الطليار في عام ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م (٣) ، فأحمد بن عمر في سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م (٤) وليها بالاضافة إلى سببة بساحل العدو التي كان يتولاها منذ سنة ٣١٥ هـ (٥) . ثم عزله الناصر عن سببة والجزائر الشرقية في ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ - ٩٣٦ م وولاه مكانهما على مجريط (٦) . ومنهم محمد بن عبد الملك بن عبدوس الذي تولى الجزائر

(١) Campaner Y Fuertes : Ibid ., P . 56 .

- سيسالم (عصام سالم) : جزر الأندلس المنسية (التاريخ الاسلامي لجزر البليار) ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٤ م ، ص ٩٢ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا - ف . كورينطي - محمود صبح ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٣٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٥٦ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣١٥ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٤٧١ .

- وأنظر عصام سالم سيسالم : جزر الأندلس المنسية ، ص ٩٤ حاشية رقم ٥ .

الشرقية ربما بعد أن عزل الناصر أحمد بن عمر سنة ٣٢٤ هـ ، وعزله عنها وولى مكانه جعفر بن عثمان ^(١) .

ونظراً لخبرة جعفر بن عثمان بشئون البحر المتوسط وسواحله وجزره ^(٢) فقد أسند إليه الخليفة عبد الرحمن الناصر قيادة الجزر الشرقية في رمضان ٣٣٣ هـ / ابريل ٩٤٥ م ^(٣) لكي يقوم بتنظيم تحركات اساطيلها مع اساطيل ثغور شرق الأندلس لمهاجمة سواحل المغرب وتقديم العون للثوار المغاربة الخارجين في بلاد المغرب ^(٤) وولى الناصر مكانه على جزر البليار رشيق الصقلبي الذي ظل عاملاً عليها إلى أن توفي غريقاً في البحر في عام ٣٤٣ هـ / ٩٥٥ م ^(٥) فخلفه عليها موفق الصقلبي ^(٦) ، الذي اعتنى بإنشاء الاساطيل وغزا في البحر غزوات كثيرة واغار على ثغور الفرنجة ، وظل يمارس عمله على هذه الجزر إلى أن توفي سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م في خلافة الحكم المستنصر بالله ^(٧) . ثم تولى بعده عليها كوثر الصقلبي الذي سار على سنن أسلافه في الجهاد البحري والعناية بالاساطيل البحرية إلى أن توفي سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ في عهد المنصور محمد بن أبي عامر ^(٨) ، فتلاه على ولايتها مقاتل الصقلبي وظل مقاتل يقوم بولاية الجزائر الشرقية ويغزو الثغور المسيحية المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط وجزره ، إلى أن توفي سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م والفتنة على أشدها في الأندلس ^(٩) .

^(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ .

^(٢) Campaner Y Fuertes : Op . Cit . , p . 47 .

^(٣) ابن الأبار : التكملة ، ج ١ ، ص ١٣ .

- المراكشي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسي) : " الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة " ، السفر الأول ، تحقيق محمد بن شريفة ، بيروت ، (د . ت) ص ١١٦ .

^(٤) Campner Y Fuertes : Op . Cit . , p . 47 .

^(٥) ابن الأبار : التكملة ، ج ١ ، ص ١٣ .

- المراكشي : الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ص ١١٦ .

^(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .

^(٧) نفس المصدر ، ص ٣٥٣ .

Campaner Y Fuertes : Op . Cit . , p . 44 - 46 .

^(٨) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .

^(٩) نفس المصدر ، ص ٣٥٣ .

فلما استقرت أمور مجاهد العامري في دانية ، وتوطد سلطانه عليها بعد مبايعته للمعيطي بالخلافة في جمادى الآخرة سنة ٤٠٥ هـ (نوفمبر - ديسمبر ١٠١٤ م) شرع في توسيع مملكته شرقاً عبر البحر المتوسط إلى الجزر الشرقية المواجهة للساحل الشرقي للأندلس ، منتهزاً فرصة الفراغ الذي حدث بعد وفاة مقاتل سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م . ولكي ينأى بنفسه عن المنازعات والحروب المحلية الصغيرة التي تخوضها دول الطوائف الأخرى سواء في شرق الأندلس أو غربها ، خاصة وأن تلك الجزر لم تكن مطمعا لأي من ملوك الطوائف ، وقد كان من أهم العوامل التي دفعت به إلى الاقدام على غزو البحر ، ازدياد قواته البحرية التي ورثها عند اقتسام اسطول الخلافة بانتاج وافر من السفن الغزوية ، هيات له السيطرة البحرية عن هذه الجزر بدلاً من الاصطدام بجيرانه المنافسين ^(١) .

وفي رمضان سنة ٤٠٥ هـ (فبراير - مارس ١٠١٥ م) أي بعد ثلاثة أشهر من مبايعة المعيطي بالخلافة ، سار هو ومجاهد لاحتلال الجزائر الشرقية ، أبحر مجاهد بأسطول قوي من دانية إلى يابسة ومن هناك اتجه إلى ميورقة ، فافتتحها باسم خليفته المعيطي ^(٢) . وتسمى أول انتزاعه بالجزائر بذي الوزارتين ^(٣) وسميت مدينة ميورقة في عصره مدينة مجاهد ^(٤) .

وبضم مجاهد للجزر الشرقية أمكنه بسط سيادته على قسم كبير من شرق الأندلس بما في ذلك الجزر الشرقية ، وأصبح أسطوله راسياً في خليج بلمة بميورقة مما حقق له وضعاً متميزاً على غيره من ملوك الصقالبة الآخرين في طرطوشة والمريّة وبلنسية ، ولقد ساعدته الغابات الصنوبرية بالجزر الشرقية على انتاج اسطول بحري قوي ،

^(١) Huici Miranda : Hist . Mus . de Valencia , T . I . p . 227 .

^(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٣٥٤ .

Maria Jesus Rubiera Mata : La Taifa de Denia , p . 66 .

^(٣) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٨ .

^(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

كما زودته هذه الجزر بالرمك السريعة القوية التي تصلح للحروب^(١) على تحقيق مشروعاته الغزوية .

وقد اثار استيلاء مجاهد العامري على الجزائر الشرقية مخاوف خير ان العامري وأحس بالخطر المحدق على مملكته من جراء هذا التطور السريع في قوة مجاهد لاسيما وأنه أصبح مالكا لأعظم أساطيل الأندلس في عصر دويلات الطوائف ، هذه القوة البحرية العظمى بالإضافة إلى اتساع مملكة مجاهد وازدياد قدراته الهجومية والعلاقات العدائية القائمة بينهما والتي تجلت في الحصار الذي احكمه مجاهد على المرية^(٢) ، وانتصاره الذي أحرزه على خير ان ، كل ذلك أدى إلى تألق اسم مجاهد وارتفاع مكانته بين ملوك الطوائف ، فمدحه الشعراء ومنهم أبو العلاء صاعد البغدادي الذي كافأه مجاهد بخريطة مال ومركب أهدهما إليه من أنباء الانتصار ، ورد عليه صاعد بقصيدة أولها :

أتتني الخريطة والمركب كما اقترن السعد والكواكب
وحط به يمينا به قلعة كما وضعت حملها المقرب
على ساعة قام فيها البنا على هامة المشتري يخطب

إلى أن قال في آخرها

مُجاهد رُضت إباء الشَّموس فأصبح مالم يَكُنْ يُصحبُ
فقلُّ واحتكم فسميع الزمان مُصيحُ إليك بما ترغبُ^(٣)

(١) وفي هذا يقول ابن الخطيب " لقد حذر عليهم (أي على أهل الجزائر) رماكهم السامية ، وكانت عمدة أموالهم ، فكتبها منعوتة ، فلا تكاد الرمكة تنتج مهرا حتى يكتب على ربه بنعته ويلزمه تربيته والقيام عليه إلى أن يصلح للرياضة ، فيقبض منه عند ذلك ويعطى منه خمسة دنانير دراهم لا يزداد عليها في وقت ، ولا يبرأ منه أن نفق ألا ببراءة من ثقته ، ولقد قطع انن رجل لقطعه انن مهرة طلب التشويه بخلقه " .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٨ .

- إن هذا العمل الذي قام به مجاهد حيال رماك أهل الجزيرة لم يكن بغرض تجارى بقدر ما هو حربى ، حيث أن مجاهدا كان يحتاج لتلك الرماك من أجل تحقيق طموحاته وأعماله الحربية عامة والبحرية خاصة ، لاسيما تجاه سردانية .

(٢) ابن حزم : طوق الحمامة ، ص ١١٨ .

(٣) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ٣٥٤ ترجمة رقم ٨٢٩ .

- ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

- الضبى : بغية الملتبس ، ص ٤٧٣ ترجمة رقم ١٣٨٠ .

وعندما وجد خير ان أنه لاطاقة له بالوقوف أمامه بادر بمبايعة محمد بن عبد الملك المظفر كما سبق أن أوضحنا .

(٣)

افتتاح مجاهد لجزيرة سرديانية

سرديانية هي جزيرة أطلق عليها الفرنجة صرداني^(١) Sardaigny Sardinia وقيل سميت سرديانية باسم ساردوس بن هرقل إذ قصدتها بجمع عظيم وحاصرها وافتتحها^(٢) وسردانية جزيرة كبيرة المساحة (٢٣٠ × ١٨٠ ميل ٢)^(٣) ليس هناك بعد الأندلس وصقلية واقريطش أكبر منها^(٤) وهي تقع في منتصف البحر المتوسط الغربي بين شبه جزيرة ايطاليا وفرنسا من الشرق والشمال وسواحل المغرب من جهة الجنوب وجزر البليار في الغرب ، وتتميز الجزيرة ، بكثرة جبالها وقلة مياهها^(٥) ، وتضم ثلاث مدن^(٦) الفيصنة^(٧) وهي مدينة وعامرة ومدينة قالمة^(٨) ، وهي رأس المجاز إلي جزيرة قرشقة (كورسيكا Corsica) والثالثة تسمى قشتيلة^(٩) . وبين سرديانية وجزيرة

(١) سرديانية : بفتح أوله وسكون ثانيه ثم دال مهملة ، وبعد الأف نون مكسورة ، وياء آخر الحروف ، ثم هاء .

- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ .

- أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

- وأنظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٩١ .

(٢) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٤ .

(٣) الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٥٨٤ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٤ .

- بينما يذكر ابن الكردبوس أن طولها مائة وثلاثين ميلا وعرضها مائة وعشرون ميلا .

- ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ .

(٥) وإن كان الحميري يذكر أنها كانت كثيرة الانهار ؛ الحميري : المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

(٦) الحميري : نفس المصدر والصفحة .

(٧) وردت عند الادريسي باسم الفيطنة .

- الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج ٢ ، ص ٥٨٤ .

(٨) الادريسي : نفس المصدر والصفحة .

(٩) الادريسي : نفس المصدر ، ص ٥٨٤ .

قرشقة مجاز طوله عشرون ميلاً^(١). وقيل أربعة مدن^(٢). وتتوفر في سردانية معادن الفضة الجيدة ومنها تُصدر إلى كثير من بلاد الروم ، كما أنها كانت كثيرة الخيرات تتوافر فيها الحمات شديدة الحرارة ، وكانت تخلو من الهوام المؤذية ولا تثبت في تربتها الاشجار السامة^(٣).

ولم تكن جزيرة سردانية قديماً صالحة للحياة البحرية ، لقلة تعاريج سواحلها وندرة موانئها ، وكثرة المستنقعات على امتداد شاطئها ، مما دفع سكانها إلى الحياة بالداخل حيث الحياة أصلح منها على الشاطئ^(٤). ويتميز سكان سردانية بالنجدة والشجاعة والحزم ، وكانوا لا يفارقون السلاح قط ، وسلاحهم المزاريق لا يعتمدون في القتال على الدروع والتراس^(٥).

وأكثر المواقع انفتاحاً وصلاحية للملاحة في جزيرة سردانية في الجهتين الجنوبية والغربية ، وقد كان ذلك سبباً في تعرضها للهجمات والغزوات من هاتين الجهتين ، أي من الساحل الأفريقي في الجنوب وبالذات من الساحل الشرقي للأندلس^(٦). وبينما يذكر كل من ابن الأثير وياقوت أن أول من غزا هذه الجزيرة من المسلمين هو عبد الله بن موسى بن نصير سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م^(٧) ، وأنه افتتح مدائنها وسبى من أهلها ثلاثة آلاف ، وغنم من التحف الذهبية والمتاع الكثير^(٨) فإن الحميري يذكر أن موسى أغزى ابنه عبد الله إلى سردانية سنة ٨٧ هـ / ٧٠٥ م فافتتحها وأصاب سبياً وغنائم^(٩).

(١) الإدريسي : نفس المصدر ، ص ٥٨٤ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٤ .

(٢) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

- الحميري : المصدر السابق ، ص ٣١٤ ؛ وأنظر : الزهيري : كتاب الجغرافية ، ص ١٣٠ .

(٤) كليلىا سارنللى : مجاهد العامري ، ص ١٩٣ .

(٥) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

- الحميري : المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

(٦) كليلىا سارنللى : مجاهد العامري ، ص ١٩٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٧ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٥ .

(٨) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٩) الحميري : المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

- ابن العماد : شذرات الذهب ، المجلد الأول ، ص ٩٧ .

وفي سنة ١٠٦ هـ / ٧٢٤ - ٧٢٥ م ارسل بشر بن صفوان والى المغرب من قبل الدولة الأموية محمد بن بكير مولى بن جمح للغزو فأصاب قرسقة وسردانية ، ثم غزاها حسان بن محمد بن أبي بكير في العام التالي ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م فغنم وسبى ^(١) ، وتابع عبيد الله بن الحبحاب غزوها في سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م ^(٢) . وعاود غزوها قثم بن عوانة بتوجيه من ابن الحبحاب في سنة ١١٩ هـ / ٧٣٧ م فأصاب قلعتها ^(٣) . وعاود المسلمون غزوها في إمارة عبد الرحمن بن حبيب الفهري سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ - ٧٥٣ م ، وصالحوا أهلها على الجزية ، ثم توقفت حركة الغزو لسردانية فترة طويلة استمرت حتى سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ - ٨١٧ م فانتهز البيزنطيون اصحاب الجزيرة هذه الفرصة فعمروها وحصونها بالقللاع ^(٤) .

ثم استأنف الاغالبية الذين استقلوا بالمغرب الأدنى غزو هذه الجزيرة ، فأغاروا عليها في سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ - ٨١٧ م وغنموا غنائم كثيرة ^(٥) ، وشجعهم ذلك لمعاودة غزوها ، فأغار عليها اسطولهم بقيادة محمد بن عبد الله التميمي في سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ - ٨٢٢ م ^(٦) وكانت من أكثر الغزوات البحرية التي قام بها المسلمون في المغرب عنفاً وجراءة ، الغزوة التي قام بها اسطول المهدي بقيادة يعقوب بن أبي اسحاق في سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م في خلافة المنصور بن القائم الفاطمي وتمكن فيها من فتح الجزيرة وسبى عدد كبير من أهلها واحرق بعض مراكبها ^(٧) .

(١) الحميري : المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٣) الحميري : المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٧ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ١١ ، ص ٣٧ .

- السيد عبد العزيز سالم : البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ١٢٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٧ .

(٦) ابن عذاري : البيان ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢١٨ ، ٢٥٤ .

- سالم : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

ويتبين مما اشرنا إليه أن جزيرة سردينية تعرضت لسلسلة متصلة من الغزوات الاسلامية في فترة قصيرة من الزمن ولكن يبدو أن تلك الغزوات المتوالية لم يكن الهدف منها الفتح والاستقرار الدائم في تلك الجزيرة ، وإنما كان الغزاة يستهدفون ملئ أيديهم من الاسلاب والغنائم ، ربما لبعد هذه الجزيرة عن سواحل المغرب الشمالية والاندلس ، ولشراسة المقاتلين من أهلها وتمرسهم في الحرب والقتال بالاضافة إلي وعورة المسالك بهذه الجزيرة وكثرة مستنقعاتها ^(١) .

ويعتبر إقدام مجاهد العامري على فتح سردينية سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م من أهم حوادث التاريخ الأندلسي في بداية عصر دويلات الطوائف ، فما أن أتم مجاهد الاستيلاء على الجزائر الشرقية حتى بدأ يتطلع إلي ضم المزيد من الجزر ، وعلى الأخص جزيرة سردينية التي من الممكن أن يتخذ منها قاعدة لغزو السواحل الغربية من ايطاليا والسواحل الجنوبية من غالة ، وقد يكون من بين آماله التي يسعى جاهداً لتحقيقها السيطرة على الحوض الغربي من البحر المتوسط ، وأن يجعل هذا البحر بحيرة اسلامية ^(٢) . ومن المحتمل أنه كان يتطلع إلي السيطرة على مزيد من الجزر التي يكتظ بها الحوض الشرقي من البحر المتوسط ، وأهمها اقريطش التي استعادها البيزنطيون سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م . ولعل في موقف ولده من الشدة المستتصرية في مصر وحرصه على تزويد أهل مصر بالاقوات وقيامه تحقيقاً لذلك بارسال سفينة محملة بالميرة والطعام ^(٣) ، ما يشير إلي أن مجاهد وولده على اقبال الدولة كانا يدركان حقيقة الاوضاع الاقتصادية والسياسية لمصر الفاطمية ولهذا اسهم علي بن مجاهد في إغاثة أهلها ربما أملاً في

(١) كليليا سارنللي : مجاهد العامري ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) أحمد مختار العبادي : الصقالبة في اسبانيا ، ص ٢٤ .

(٣) وجه علي إلي مصر مركباً ضخماً مملوءاً طعاماً عام المجاعة سنة ٤٤٦ هـ فأعاد الفاطميون المركب مشحوناً بالذخيرة والمال .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

- الداوداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٦ ، ص ٣٦٩ .

- المقرئزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .

- الصاوي : مجاعات مصر الفاطمية ، ص ٦٣ - ٦٤ .

التعاون مع مصر من أجل مشروع أبيه في تحويل البحر المتوسط إلى بحيرة اسلامية .

ففي ربيع الأول سنة ٤٠٦ هـ ^(١) (أغسطس - سبتمبر ١٠١٥ م) أي بعد خمسة أشهر من ضم مجاهد لجزر البليار ، أبحر في اسطول ضخم يتألف من مائة وعشرين مركباً متحمل ألف فارس يقودهم أبو خروب كبير البحريين متجهاً نحو سردينيا ^(٢) واصطحب معه نساءه وبناته وولده علي وأمه جود النصرانية ^(٣) . مما يؤكد أن مجاهداً كان قد وطن العزم على الفتح والاستقرار الدائم في الجزيرة ، وترك المعيطى بدار ملكه .

ويبدو أن السفن رست في خليج كالياري Cagliari إلى جنوبي سردينيا ، وما أن نزل جيش مجاهد على الساحل واقتحم الجزيرة إلى الداخل حتى دارت بينه وبين أهل الجزيرة معارك ضاربة قتل فيها خلق كثير من النصاري ^(٤) ، وقتل قائدهم المسمى " مالتو " وأسر منهم حشد هائل ، بينما سبى عدد كبير من النساء والأطفال ^(٥) . وبالرغم من ذلك الدفاع المستميت الذي قام به أهل سردينيا للدفاع عن الجزيرة في وجه المسلمين ، إلا أن مجاهداً استطاع أن يحرز نصراً مكنه من أن يحتل جزءاً كبيراً منها وأن يفتح الكثير من معاقلها ^(٦)

^(١) يذكر ابن خلدون أن فتح سردينيا كان سنة ٤٠٥ هـ (ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥٠)

بينما يذكر ابن الأثير والنويري أن مجاهداً فتح سردينيا سنة ٤٤٦ هـ ، ولعل ذلك الخطأ راجع إلى النسخ ومن نقل عنه .

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٦٧ .

^(٢) الحميدى : الجنوة ، ص ٣٥٢ ؛ الضبى : بغية الملتبس ، ص ٤٧٢ .

- ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ ؛ ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٦ ، ١٥٥ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٦٧ ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٩ .

^(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٩ .

- سالم والعبادي : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٢٣ .

^(٤) النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٦٧ .

^(٥) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١١٦ ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٩ .

- عنان : دول الطوائف ، ص ١٩١ .

^(٦) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ٣٥٣ =

وفرض على ملوكها الاربعة من قبل بلاد غالة الجزية ^(١) ، ورأي مجاهد أن يمضى في مشروعه إلى أقصى مدى وأن يمكن الفتح باختطاط مدينة واسعة شرع في بنائها في نفس عام افتتاحه للجزيرة . ثم انتقل إليها بأهله وولده " بعد أن غنم وسبى مالا يأخذه الحصر إلى أن كسد في زمانه السبى ، وخست فيه الاثمان " ^(٢) .

وتشير المصادر الايطالية إلى أنه أقام سلسلة من القلاع الدفاعية، فقد وجدت بعض آثار قلعة تقع على مقربة من قرية القديس جريجوري San Gregorio غير بعيد عن الساحل ، وبجوار هذه القلعة وجدت منية وحمامات في موضع يطلق عليه Piscina Nuscedda حيث اجريت الحفريات الأثرية ^(٣) . ومن المحقق أن مجاهداً بقى في سردانية حتى نهاية سنة ٤٠٦ هـ / ابريل - مايو ١٠١٦ م ، حيث استمرت جهوده في الجزيرة نحو عشرة أشهر خلال خريف وشتاء وربيع سنة ١٠١٥ - ١٠١٦ م .

أثناء ذلك استجاش ملوك غالة (الأرض الكبيرة) وتداعوا عليه بعد أن أتخذ من سردانية رأس جسر وقاعدة لشن غاراته على سواحل شمال غرب إيطاليا وفرنجة وأقدم على غزو مدينة لوني Luni الايطالية والاستيلاء عليها وهي ثغر تجارى هام يقع على البحر التيرانى عند خليج سبيزيا Spezia في اقليم اتروريا إلى الشمال من نهر ماجرا ، وكان لسقوطها في يد مجاهد رد فعل عميق في الغرب الأوروبى دفع المسيحيين إلى التيقظ والدعوة إلى الأخذ بالثأر ^(٤) .

= - الضبى : بغية المتمس ، ص ٤٧٢ .

- ولتظر : ابن عذرى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

^(١) ابن الخطب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٩ .

^(٢) ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة .

- العبادي : الصقالبة في أسبانيا ، ص ٢٥ .

- عنان : دول الطوائف ، ص ١٩١ .

^(٣)

Campaner Y Fuertes : Op Cit ., p . 71 .

Maria Jusus Rubiera Mata : La Taifa de Denia , p . 68 .

^(٤) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ٣٥٢ ؛ الضبى : بغية المتمس ، ص ٤٧٢ .

- محمد عبد الله عنان : ملوك الطوائف ، ص ١٩٢ .

- سالم ، العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية ، البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ١٢٤ .

- كليلىا سارنللى : مجاهد العامري ، ص ١٩٨ .

وإذا تتبعنا الطريق التي سلكتها سفن مجاهد للسيطرة على لوني نجد أنه كان يتحتم عليه أن يمر بجزيرة قرشقة Corsica وأن يحتلها أو يترك أثراً بها ، ولكن المصادر العربية تلتزم الصمت حول هذا الموضوع . ويرى المؤرخ ماس لاتري أن المسلمين ماداموا يسيطرون على مضيق بونيفاشيو Bonifacio ويسميه العرب المجاز -^(١) والذي يفصل ما بين سردانية وقرشقة^(٢) ، فلا بد أنهم قد احتلوا على الأقل الجزء الساحلي من قرشقة تأميناً لهذا الممر البحري وسواحل سردانية^(٣) . وهو ما نرجح حدوثه على ضوء جغرافية المنطقة وسياسة مجاهد البحرية آنذاك ، ويبدو أن مجاهداً اتخذ من مدينة لوني قاعدة لتحركاته في شمالي غربي إيطاليا حيث أغار منها على الساحل الممتد بين جنوة^(٤) وبيزة

(١) يبلغ طول هذا المجاز عشرين ميلاً ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، م ٢ ، ص ٥٨٤ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٤ .

(٢) جزيرة قرشقة (كورسيكا) حلها أركان وهي أجوان شرقيها البحر الذي يسمى بالعجمية طرانة وبها مدينة حسنة متوسطة عامرة .

- الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٥٨٤ .

- ويذكر الحميري أنها كانت جزيرة عامرة وأن مشاتها كثيرة ومن مراسيها مرسى البوالص ومرسى الزيتونة ، وكان مقاماً بها زوايا كثيرة ، ويبلغ طولها مائة وستون ميلاً ، وكانت كثيرة الخير ووفرة النعم ، وقد غنمها المسلمون أيام عبد الرحمن الأوسط ، وأبارها قريبة الارشية ، وفي القبلية منها جزيرة سردانية ، بينهما في البحر عشرون ميلاً ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٥٥ .

(٣) Mas Latrie : Traites de Pai et de Commerce et Documents divers Concernant Les relations de chretiens avec Les Arabes de l' Afrique Septentrionale au mogen age 1966 , p . 9 .

- حسين مؤنس : المسلمون في البحر المتوسط ، ص ١١٦ .

- العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣١٢ .

(٤) يقول الإدريسي : " ومدينة جنوة قديمة ازلية البناء ، حسنة الجهات والافياء بنيانها شاهق السمو وهي ووفرة الثمر كثيرة المزارع والقرى والعمارات وهي على قرب نهر صغير وأهلها تجار أمناء مياسير يسافرون براً وبحراً ويقتحمون سهلاً ووعراً ولهم أسطول مخيف ولهم معرفة بالحيل الحربية والآلات السلطانية ولهم بين الروم عزة نفس " .

- الإدريسي : نزهة المشتاق ، المجلد الثاني ، ص ٧٤٩ - ٧٥٠ .

- ويقول عنها القلقشندي : " وهي مدينة على غربي جون عظيم من البحر الرومي ومينائها عليه سور ، وأنها مدينة كبيرة إلى الغاية وفيها أنواع الفواكه ودور أهلها عظيمة ، كل دار بمنزلة قلعة ، ولذلك اغتتوا عن عمل سور عليها ولها عيون ماء ، منها شربهم وشرب بساتينهم " .

(القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦) . =

(أوبيشة) ^(١) وغيرها من المواني الهامة المطلّة على خليج جنوة بأقصى شمال البحر التيراني ^(٢) وكان لكل من المدينتين مصالح تجارية عظيمة تحرص على حمايتها ^(٣).

من المعروف أن مجاهداً هاجم بيزا وأنه نزل إليها واحتل حيا من أحيائها وأحرقه ، ولم يستطع أن يحتل كل المدينة ^(٤) ، وتبالغ الروايات الإيطالية في وصف أعمال السلب والنهب والقسوة التي ارتكبتها جنود مجاهد ، كما تسهب في ذكر غاراته على السواحل الإيطالية ^(٥) ، ولم تقتصر غزوات مجاهد على ساحل إيطاليا الشمالي الغربي ، بل شملت أيضاً ساحل أربونة Narbonne الفرنسي وساحل برشلونة الإسباني ، وكل ذلك يدل على أن مجاهداً أراد أن يستعيد نفوذ الأندلسيين في هذه المناطق ^(٦) ومما لا شك فيه أن إقدام مجاهد على اقتحام السواحل الإيطالية كان تحدياً لقوي المسيحية في الغرب الأوربي وإيطاليا بوجه خاص ، ولهذا وجدت كل من بيزا وجنوة نفسيهما مضطرتين إلى التعاون لدرء الأخطار التي نجمت عن أعمال مجاهد التوسعية ، وكذلك للمحافظة على مصالحهما التجارية والبحرية في تلك المنطقة الهامة ، ولقد لعب البابا بندتو الثامن Benedetto VIII ١٠١٢ - ١٠٢٤ م دوراً هاماً في حشد طاقات المسيحيين الحربية حيث

=- مصطفى حسن محمد الكيلاني : العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ٧٧ - ٧٨ .

^(١) وعن يزا يقول الإدريسي : " ومدينة بيبش من قواعد بلاد الروم مشهورة الذكر كبيرة القطر ، عامرة الأسواق والديار بعيدة الأثناء والأقطار كثيرة البساتين والجنات متصلة الزراعات أمورها شامخة ، وأخبارها هائلة ، ومعقلها شاهقة ، وأرضها خصيبة ، ومياها مغدوقة وآثارها عجيبة ولأهلها مراكب وخيل واستعداد لركوب البحر وقصد البلاد وهي على نهر يأتي إليها من جبل بناحية انكردة وهو نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين " .

- الإدريسي : نزهة المشتاق ، المجلد الثاني ، ص ٧٥٠ .

- ويقول عنها القلقشندي وهي على الركن الشمالي من بلاد الأندلس في مقابل سردانية وهي غربي بلاد رومية ، وإلى بيزة هذه تنسب الفرنج البيازنة والحديد البيزاني .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤١١ .

^(٢) سالم ، والعبادي : البحرية الإسلامية ، ص ١٢٤ .

^(٣) عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٢ .

^(٤) كليلا سارنللي : مجاهد العامري ، ص ١٩٩ .

^(٥) Huici Miranda : Hist , Mus , de Valencia , T , I , p . 232 .

^(٦) العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣١٢ .

قام بتجهيز حملة هائلة تحمل نفقاتها ، وكانت تهدف إلى مهاجمة قاعدة مجاهد في لوني^(١) . ومن الواضح أنه بارك الحلف القائم بين بيزا وجنوة لمواجهة مجاهد العدو المشترك ، مما بعث الحماس ورفع الروح المعنوية لكليهما^(٢) وفي هذا يقول ابن الأثير " فتداعت عليه أمم النصراني من الفرنجة والروم "^(٣) .

وربما كان اختلاف الطرفين المتنازعين في الدين هو الذي بدل الحرب ذات الدوافع السياسية إلى حرب مقدسة^(٤) ويتضح ذلك من الرواية التي ذكرت بهذه المناسبة وهي أن مجاهداً عندما رجع إلى لوني أرسل البابا كيساً مملوءاً رد إليه الكيس مملوءاً بالدخن يعني بذلك أنه سوف يلاقيه بعدد أكثر من الجند^(٥) وهذا يدل على أن المدن الإيطالية عقدت العزم على وضع حد للانتشار والمد الإسلامي في الغرب المسيحي ، وابعاد خطره عن تلك المنطقة .

لم تلبث بيزا وجنوة أن استعادتا مدينة لوني في نفس السنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م^(٦) مما اضطره إلى العودة إلى سردينيا ، وشجع نجاح البابوية في حمل كل من بيزا وجنوة على استرجاع لوني ، على بذل قصارى جهدها لتحرير سردينيا من السيطرة الإسلامية ، تذكر المصادر الإيطالية أن البابا وعدهم بضم سردينيا إليه إذا ما حررها من أيدي المسلمين^(٧) ولهذا لقي استجابة سريعة من خاصة وأن مغام

(١) Mas Latrie : Op . Cit . p . 98 .

(٢) كليليا سارنللي : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٣) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٥٣ ؛ الضبى : بغية المثلث ، ص ٤٧٢ .

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .

- لعل المقصود بالروم هنا جنود البابا والمدن الإيطالية من الرومان ، أما الفرنجة فلعلمهم فرنجة برشلونة ، مما يقوى هذا الاعتقاد موقع برشلونة المواجه لجزيرة سردينيا ومهاجمة مجاهد لبرشلونة فيما بعد .

(٤) كليليا سارنللي : مجاهد العامري ، ص ٢٠١ .

(٥) عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٢ .

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 332 , 238 .

Mas Latrie : Op . Cit . , p . 8 .

- حسين مؤنس : المسلمين في البحر المتوسط ، ص ١١٦ .

Mas Latrie : Op . Cit . , p . 8 .

- كليليا سارنللي : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

القرصنة كان أحد الدوافع لتحرك اساطيل هاتين المدينتين في القرن الحادى عشر الميلادى وقد واتتهما الفرصة للظهور باجتماع قوتهما^(١).

ومما لاشك فيه أن هزيمة مجاهد في لوني أمام تحالف بيزا وجنوة بمباركة البابوية كان بداية الانحسار السريع لتلك الانتصارات الرائعة التى حققها مجاهد ضد النصارى في تلك المنطقة الحيوية ، فلم يلبث أن عاد سريعاً إلي سردانية حيث وقع على عاتقه أن يواجه هو وقواته تلك الحشود الهائلة من النصارى التى وضعت نصب أعينها اجلاءه تماماً عن جزيرة سردانية ، ويؤخذ على مجاهد باقدامه على فتح سردانية ولوني وتهديد سواحل ايطاليا وفرنسا الجنوبية أنه لم يقدر ظروف الزمان والمكان ولم يضع في حسابه نتائج هذه المغامرة غير مأمونة العواقب التى قام بها ، ذلك أن الأوضاع الحربية في غربى البحر المتوسط في ذلك الوقت كانت قد تغيرت عما كانت عليه في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حيث ظهرت كل من بيزا وجنوة كقوة بحرية ضاربة في البحر المتوسط على قمة البحر التيرانى منذ بداية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)^(٢) وفي هذا يقول ارشيبالد لويس " وعلى الرغم مما كان لمجاهد من شأن فإن العامل الجديد في أوضاع غربى البحر المتوسط لم يكن القوى البحرية الاسلامية ، بل كان ما طرأ على قوة بيزا وجنوة وساحل ايطاليا الشمالى الغربى في البحار من انتعاش مفاجئ " ^(٣) . ويضاف إلي هذا العامل أن مجاهداً اصطنع مع سكان سردانية سياسة قائمة على العنف والقهر ، فقد أساء معاملتها أهلها ونكل برؤسائهم ، وفي ذلك يقول ابن حيان " كان شديد الوطأة على رعيته سام أهل الجزائر الخسف فسطا بوجوههم ورؤسائهم وألزم قلوبهم الرهبة لما خافهم على دولته بغريب من التعبد والسياسة " ^(٤) .

(١) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

(٢) العبادى : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣١٢ - ٣١٣ .

(٣) ارشيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٨ .

ومن الواضح أن مجاهداً لم ينهج هذه السياسة مع أهل سردينيا إلا بعد أن ناصبوه العداء وأثاروا في وجهه القلاقل والاضطرابات ، وربما وجد أن استعمال العنف في التعامل معهم قد يرغمهم على الخضوع والاستسلام . ولقد بالغ الايطاليون في وصف قسوة مجاهد بقصد حث الناس على كراهيته وتحريضهم على الخروج عليه والتصدى له ^(١) وقد تحقق ذلك في الحملة البيزية الجنوبية لاسترداد سردينيا .

وفي أوائل سنة ٤٠٧ هـ ^(٢) / ١٠١٦ م أبحرت القوات المتحالفة بأسطول ضخم نحو سردينيا واقتحمت مياه كاليارى ، وهنا وجد مجاهد نفسه بين فكين يطبقان عليه إذا هو ظل باقياً بالجزيرة ، يتمثل الأول في الحملة البحرية الموجهة إلي سردينيا ، والثاني في مقاومة أهل الجزيرة الذين دب فيهم الحماس ، والذي يبدو أنه لم يخبوا أبداً عندما علموا بوصول الأسطول المسيحي ، فأطبقوا على قوات المسلمين ، ويضاف إلي ذلك قيام بعض الجند المرتزقة ، لعلهم من النصارى الاسبان في جيش مجاهد بالتمرد ضده وانضمامهم إلي الثوار فرجحت كفتهم ^(٣) .

ويبدو أن حركة التمرد في جيش مجاهد كانت أشد خطراً عليه من القوات المهاجمة عن طريق البحر ، لذلك اتخذ قراره بمغادرة الجزيرة في الحال حتى يفوت على المتمردين في جيشه الفرصة في الانضمام إلي الثوار وفي ذلك يقول الحميري : " ثم اختلفت عليه أهواء الجند ، وجاءت أمداد الروم وقد عزم على الخروج منها طمعاً في

^(١) Chabas : Machehid , Op . Cit . , p . 419

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 239 .

^(٢) يذكر ابن الأثير أن هذا الهجوم ضد مجاهد حدث في آخر سنة ٤٠٦ هـ .

- ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .

- لكن بمقارنة ما كتبه ابن الأثير برواية الحميري والضبي يبدو لنا أن هذا الهجوم حدث

خلال النصف الأول من سنة ٤٠٧ هـ .

- الحميري : جذوة المقتبس ، ص ٣٥٣ .

- الضبي : بغية الملتبس ، ص ٤٧٢ .

^(٣) عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٢ .

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 233 .

Maria Jusus Rubiera : La Taifa de Denia , p . 69 .

تفرق من يشغب عليه ^(١) " ولكن قرار مغادرته الجزيرة جاء متأخراً بعد فوات الأوان .

وفي تصوري أنه قرر الرحيل عن الجزيرة حتى لا يتعرض لكماشة العدو تطبق عليه من البر والبحر وأنه أثر أن يخوض معركة بحرية فحسب ، وربما كان في نيته بعد ذلك العودة إلي حضرته دانية بعد أن ينس من اخضاع أهل هذه الجزيرة لسلطانه ، وهذا هو ما أميل إلي ترجيحه استناداً إلي رواية ابن الخطيب التي تشير إلي أنه " عزم على التحول إلي محله والقول إلي دار ملكه بدانية وميورقة " ^(٢) .

وأيما كانت الفكرة التي دارت بخلد مجاهد فمن الواضح أنه كان تجاوز الوقت المناسب لاتخاذ قراره ، مما اضطره إلي الخروج باسطوله على وجه السرعة من الجزيرة ، وما كادت سفنه تقلع من سردانية حتى وجد الاسطول المعادي يحق به ويقطع الطريق عليه ، ويمنعه من المضى إلي وجهته ^(٣) . فاضطرب أمره ، واضطر إلي اتخاذ قرار سريع دون روية ، فدخل بالمرالكب في مرسى نهاه عنه أبو خروب رئيس البحريين ، مما جلب عليه أوخم العواقب ^(٤) . فلم يكذ يدخل هذا المرسى حتى هبت ريح عاتية ^(٥) أدت إلي اختلاط السفن وتصادمها وأخذت الأمواج تلقى بسفن المسلمين واحدة تلو الأخرى إلي الشاطئ ، حيث تلقفتها أيدي الأعداء بالأسر والقتل .

ويصف هذه الكارثة شاهد عيان هو أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني فيقول : كنت مع أبي الجيش مجاهد أيام غزاته سردانية ،

(١) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٣٥٣ ؛ الضبى : المصدر السابق ، ص ٤٧٢ .

(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٩ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) بالرغم من أن مجاهد كان قائداً بحرياً مجرباً على علم تام بنوات وأخطار البحر إلا أنه فيما يبدو أثر المجازفة والمخاطرة بالخروج من الجزيرة بعد أن سدت في وجهه السبل ولم يكن أمامه مفر من اتخاذ ذلك القرار .

(٥) فقد أبحر مجاهد بالاسطول من سردانية في ظروف غير مواتية في شهر ابريل الذي تهب فيه على شواطئ جزيرة سردانية رياح المسترال الشمالية الغربية العنيفة .

دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٩ ص ٩٩٢ لعام ١٩٦٢ م .

- عصام سالم سيسالم : جزر الأندلس المنسية ، ص ١٤٧ .

فدخل بالمر اكب في مرسى نهاه عنه أبو خروب رئيس البحرين ، فلم يقبل منه ، فلما حصل في ذلك المرسى هبت ريح ، فجعلت تقذف مراكب المسلمين مركباً مركباً إلى الريف ، والروم وقوف لا شغل لهم إلا الأسر والقتل للمسلمين ، فكلما سقط مركب بين أيديهم جعل مجاهد يبكي بأعلى صوته لا يقدر هو ولا غيره على أكثر ، لارتجاج البحر وزيادة الريح ، قال : فيقبل علينا أبو خروب وينشد :

بكاد وبيل لا أرقأ الله عينه^(١) إلا إنما يبكي من الذل دويل

ثم يقول : قد كنت حذرتك من الدخول ها هنا فلم يقبل ، قال : فبحريعة الذقن ما تخلصنا في يسير من المراكب " ^(٢) .

يشير الوصف السابق إلى أن بعض الروم من النصاري المهاجمين نزلوا إلى الشاطئ حيث انضموا إلى أهل سردانية في الاستيلاء على المراكب التي ألقت بها العاصفة وقيامهم بقتل وأسرها من المسلمين ، بينما كان أسطول العدو محاصراً له يمنع فرارهم ، وهكذا تحطمت معظم مراكب مجاهد وأسرت أو أغرقت ، وقتل معظم جيشه ، واستولى العدو على سائر غنائمه وسببه ، يقول ابن الخطيب : " فكانت عليه وقعة شنيعة وظهور ما سمع بمثله ، فقتل من أصحابه وجنوه عالم لا يحصى ، وملكوا أسطوله ، واستنقذوه واستولوا على حريمه وفيهن نساؤه وبناته وعلى ولده وجود أمه النصرانية ^(٣) " ، ولم ينج من أسطوله الضخم (١٢٠ قطعة بحرية) إلا خمسة مراكب

(١) أدعو الله ألا يجفف دمه .

(٢) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٥٣ ؛ الضبى : بغية المتمس ، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .
أنظر الحميرى ، ص ٣١٤ .

من الغريب أن المصادر الإسلامية التي وصفت مجاهد في أول الأمر بأنه من أهل الشجاعة والتدبير والسياسة ما لبثت أن قدمته لنا في الوصف المتقدم ذكره باكياً على عجزه أمام العاصفة مما استوجب لوم أبى خروب له ، ودفع هويثى ميراندا بأن يصفه بالعجز كخبير بحرى وقرصان مرهوب الجانب .

(Huici Miranda . Op . Cit , p . 237 .) إلا أنه يتضح مما سبق أن السبب في هزيمة مجاهد إنما يرجع أساساً إلى اتحاد النصارى ضده وتمرد أهل الجزيرة وبعض جنوده عليه .

(٣) وقد نجح مجاهد في افتدائه بعض نسائه وبناته أما أمه فقد اختارت البقاء مع أهل دينها وتبعتهما أختها في حين لم يوفق في افتدائه ابنه الوحيد علي إلى أن خلص بعد فترة طويلة سنة ٤٢٣ هـ ووصل إلى ميورقة ثم دانية وهو فتى كاهل يتكلم بلسان الروم الذين ربي فيهم ويتزيا بزيتهم ويقول بقولهم ، ثم أنه أسلم وحسن إسلامه وقدمه أبوه على ابنه الأصغر حسن الذي صرفه عن ولاية العهد وعول عليه دونه في الإمارة .

وأربعة قوارب^(١) وتم وقوع هذه الكارثة في المحرم أو صفر ٤٠٧ هـ (يونيو أو يوليو ١٠١٦ م)^(٢).

وأيا ما كان الأمر فإن طموحات مجاهد ومغامراته كانت أكبر بكثير من قدراته فهو أولاً وأخيراً أمير دويلة من دويلات الطوائف التي تمخضت عن الفتنة الطائفية في الأندلس ترأس عليها ذلك القائد الجريء الفذ الذي ملأ قلوب النصاري رعباً وهلعاً باغاراته الناجحة على العديد من شواطئ وجزر البحر المتوسط حتى أصبحت شخصيته خيالية أثارت الرعب فترة من الزمن في العصر الوسيط، حيث اجتمع عليه النصاري وحطموا آماله ومشروعاته الضخمة، وكان مصير مجاهد أن يرجع من غزو سردانية راضياً من الغنيمة بالاياب، ولم يعد إلي غزوها مرة أخرى.

ومع ذلك فإن بعض الروايات تشير إلى أن المسلمين عاودوا غزو سردانية مرتين أخريين في سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٩ م وافتتح أكثرها وجدد إحدى مدنها فأصاب المسلمين فيها جوع ووباء فخرج منها بمن معه من المسلمين سنة عشرة وأربع مائة / ١٠٢٠ م^(٣) ومرة أخرى في سنة ٤٤١ هـ / ١٠٥٠ م مع أنه كان قد توفي منذ ستة عشرة عاماً^(٤).

(١) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢) عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٣ .

- بينما ورد في دائرة المعارف البريطانية أن مجاهداً أبحر باسطوله من جزيرة سردانية في شهر ابريل الذي تهب فيه على شاطئ جزيرة سردانية رياح المسترال الغربية العنيف .

- دائرة المعارف البريطانية ، ١٩٦٢ ، ص ٩٩٢ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٤ .

(٤)

Campaner Y Fuertes : Op . Cit , p . 74 .

Huici Miranda : Op . Cit , p . 23 , 239 .

عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٤ .

- ويرجع كمبانييراي فورتيس أن تلك الغزوتين حدثتا في هذا التاريخ ويرجح أن المؤرخ الذي أورد تلك الرواية أخطأ في كتابة الاسم وكتبه مجاهد بدلاً من علي بن مجاهد الذي حكم بعد أبيه وحدثت الغزوتين في عهده .

Campaner Y Fuertes : Op , Cit , p . 75 .

كما تذكر المصادر الفرنجية واللاتينية بأن اسطول البليار أغار على ثغر برشلونة عاصمة إمارة قطلونية سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م^(١) ويرجع السبب في قيام مجاهد بهذه الغارة إلى النزاع الذي نشب بين مجاهد العامري ملك دانية والجزر الشرقية وبين لبيب العامري أمير طرطوشة على ثغر دنسية بعد موت أميرها مبارك العامري ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م واستتصار لبيب العامري بأمير قطلونية واستعانته بقواته لمواجهة قوات مجاهد العامري^(٢)، مما أدى إلى توتر العلاقات بين مجاهد والكونتيسة أرمنسيديا Ermenseda الوصية على ابنها الكونت رامون الأول من آل برنجير "ريمنده" Remone I ووقوع اشتباكات بحرية بين أساطيل مجاهد العامري وأساطيل إمارة قطلونية، وبالرغم من حدة هجوم أحد أساطيل مجاهد على ثغر برشلونة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م إلا أن حامية الثغر تمكنت من دحر الهجوم بمساندة فرقة من المرتزقة الفرنجة والنورمان بقيادة روجردي تويني Ruggero di Toeni مما اضطر مجاهد العامري إلى عقد هدنة مع إمارة قطلونية^(٣)، من أجل التفريغ لمواجهة الاساطيل البيزية والجنوية والفرنجية التي كانت تغير آنذاك على الثغور الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

وتروى المصادر أن غارات غزاة البحر المسلمين (أو حسبما يسمونهم في الروايات المسيحية بالقراصنة) من دانية والجزائر الشرقية، ظلت تتكرر على الشواطئ الغربية للبحر المتوسط مدة طويلة، يظللها دائماً اسم مجاهد "موجيتو" أي مجاهد، على أنه ملك افريقية، مما يدل على أن اسم مجاهد ظل يتردد طويلاً في ثغور البحر المتوسط الغربية في ذلك العصر^(٤).

وقد وصفه بعض المؤرخين بأنه كان "أكبر قرصان في عصره"^(٥) وفي هذا الرأي كثير من التجنى على مجاهد حيث كان هدفه الأكبر من تلك الأعمال الحربية التي قام بها توسيع رقعة مملكته

(١) ارشيبالد لويس : القوي البحرية والتجارية ، ص ٣١٤ .

(٢) كما أوضحنا في فصل بلنسية .

(٣) كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٤) عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٤ .

(٥)

التي كانت قاصرة على دانية والجزر الشرقية وربما وجد أنه من الانسب لخطته بعيدة المدى أن يبادر باتخاذ دانية قاعدة للهجوم على المدن البحرية القوية في البحر التيراني حتى تكون له الكلمة العليا في تلك المنطقة ، خاصة وأن تلك المدن البحرية كان من الممكن أن تقوم هي بالهجوم على الجزر الشرقية وأراضى شرق الأندلس ، إذا لم يبادر مجاهد بإظهار قوته وسطوته ومهاجمتها والقبض على زمام المبادرة .

أما وصفه بالقرصنة فهو ضرب من التحامل والتجنى عليه لما سببه من مضايقات للدول المسيحية . وربما لأنه كان يصطنع سياسة العنف مع المغلوبين حتى يضمن بذلك خضوعهم له فلا يقدموا على الثورة عليه ، ولقد أغفلت المصادر الإسلامية ذكر الكثير من أعمال ذلك المجاهد العظيم كغاز بحري من أعظم البحريين في عصره ملاء اسمه أسماع الزمان . ومن الغريب أن يغفل المؤرخون المسلمون المعاصرون لمجاهد وعلى رأسهم ابن حيان وابن حزم ذكر غزواته الجريئة لسردانية ^(١) .

(٤)

دولة مجاهد العامري بعد هزيمته في بحر سردانية وحتى وفاته

عاد مجاهد إلى حاضرتة دانية مكسور الخاطر بعد الهزيمة الشنعاء التي تعرض لها أسطوله في مياه سردانية فوجد الأمور في دانية قد اختلت وتعقدت وكان مجاهد قد أناب عنه المعيطى في دانية قبل خروجه لفتح سردانية . فلما طالت غيبة مجاهد عن حاضرتة ظن المعيطى أنه لن يعود ، فاستبد بالأمر وداخل أهل المدينة وعمل على محو اسمه ولم يرع الأمانة واغتصب السلطة لنفسه ^(٢) ويؤيد ذلك تلك

^(١) Huici Miranda : Op , Cit ., P . 240 .

— مع ذلك يبدو لي أن المصادر العربية التي بين أيدينا اقتصررت فقط على تلك الأعمال البحرية التي قامت بذكرها على أساس أن مجاهد قام بها على رأس قواته بصفته الشخصية ، أما باقي الأعمال البحرية التي تمت بعد هزيمته البحرية في سردانية وضياح قطع أسطوله فقد قام بها قواده ونسبت إليه في المصادر المسيحية في حين لم يرد لها ذكر في المصادر العربية .

^(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢٠ .

النقود التي ضربت بالوطة سنة ٤٠٦ هـ والتي نلاحظ خلو نقوشها الكتابية من اسم مجاهد مع المعيطي^(١).

ولكن ما كاد مجاهد يعود من مغامرته الفاشلة مغلوباً حتى التف حوله أفراد رعيته ، وأبلغوه بما حدث في غيبته من استبداد المعيطي بالأمر ، فبادر مجاهد بعزل المعيطي وأمر بالقبض عليه وعلى من شايعه من أصحابه وتسلم منه سلطانه ، وعاتبه في سوء ما كافأه به ، ثم أنه نفاه من دانية إلي بجاية حيث استقر عند البربر معلماً بها لصبيانهم^(٢) إلي أن توفي سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م^(٣).

وعكف مجاهد بعد نفيه للمعيطي على تنظيم شئون مملكته والعمل على النهوض من عثرته ، خاصة بعد أن فقد كل أماله في السيطرة على سردانية ، ومن هنا صرف عنايته إلي العناية ببلده ، وحمايته من الأخطار الناشئة من الصراع الداخلي بين ملوك الطوائف بالأندلس ، وجد مجاهد نفسه بعد عودته من سردانية في وضع لا يختلف كثيراً عما كان عليه في عام ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م . فقد كان الخطر ما يزال جاثماً على مملكته ، التي كان يتهدها جيرانه ، فمن الشمال كان مبارك ومظفر في بلنسية وشاطبة ، ومن الجنوب والغرب كان خيران وزهير في المريّة وتدمير يتطلعون إلي توسعة دويلاتهم على حساب أراضي الغير ، وكان عليه حماية لحدود دولته أن يخوض في هذه الصراعات ، ولهذا لم يتردد في الاشتراك مع خيران وباجتماع رأي الفتيان العامريين على معارضة خلافة علي بن حمود في قرطبة والدعوة لخلافة المرتضى^(٤) ، كما سبق أن أوضحنا عند حديثنا عن خيران في المريّة .

(١) Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , P . 35 , 181 .

(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢٠ .

(٣) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ١١٥ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ص ٢٩٦ - ٢٧٠ .

- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

- في حين يذكر كل من ابن الأثير والنويري أن مجاهد عندما عاد إلي دانية وجد المعيطي قد

مات (ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٦٧ ؛ وأنظر :

- Prieto Y Vives : Op , Cit . , p . 35 .

(٤) عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٦ .

وقد افترض كثير من المؤرخين الحديثيين وعلى رأسهم الاستاذ عنان أن مجاهداً اشترك في محاولة ارجاع الخلافة الأموية في شخص المرتضى ، مع أن ذلك لم يثبت صراحة في المصادر العربية وعلى رأسها ابن الخطيب في مؤلفيه أعمال الاعلام والاحاطة ، حيث لم يذكر فيها اسم مجاهد بين كل الشخصيات التي كان لها علاقة بالمعركة مع بربر غرناطة ، وترجح ماريا خوسوس ريبيرا أن مجاهد لم يتحالف مع خيران في المرية ، وأنه تجنب الاشتراك في المؤامرات التي كان يدبرها بقية رفاقه من الصقالبة ^(١) . إلا أنني أميل إلى تأييد رأي الاستاذ عنان حيث أن طبيعة الاحداث في تلك المنطقة استلزمت مشاركته فيها ، وأن لم يظهر صراحة فيما أوردته المصادر العربية .

وتطورت الاحداث في بلنسية في نفس هذا العام (٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م) وكان يتولاها الفتيان مبارك ومظفر ، ثم توفي مظفر أولاً ، وتبعه مبارك كما أوضحنا في الفصل السابق ، فاتفق أهل بلنسية على دعوة لبيب الصقلي صاحب طرطوشة لحكم مدينتهم ، ثم شاركه في حكمها مجاهد العامري وكانت الخطبة تصدر باسميهما معاً ، ثم دب الخلاف بينهما ، ففر لبيب إلى طرطوشة بسبب سخط البلنسيين عليه لوقوعه تحت نفوذ ريموند صاحب برشلونة . وانفرد مجاهد بحكم بلنسية اسماً إلى جانب مملكته دانية ، واستمر يتولاها زهاء عامين ، وإن كانت المصادر العربية لم تزودنا بتفاصيل من أعماله في بلنسية في هذين العامين ^(٢) .

ثم اجتمع الفتيان العامريون مرة أخرى ، وقرروا اسناد حكم بلنسية لحفيد مولاهم المنصور وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول في سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م ، وكان مجاهد على رأس مدبري هذا الأمر وتخلّى له عن حكمها ، وارتبط معه بعلاقات ودية ^(٣) . ولكن

Huici Miranda : Op . Cit . , p . 241 .

وأنظر الفصل الثاني .

Maria Jusus Rubiera Mata : La Taifa de Denia , P . 76 .

(١)

(٢) عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٧ .

- Huici Miranda : Op , Cit . , P . P . 241 - 242 .

(٣) أنظر الفصل السابق .

أطماع مجاهد في استعادة بلنسية دفعته إلي التحرش بعبد العزيز المنصور ، فخرج على رأس قوة لغزو مرسية التي كان يتولاها أبو بكر بن طاهر من قبل زهير العامري صاحب المرية ^(١) ولا توضح لنا الرواية أسباب هذا الغزو ولا تاريخ وقوعه على وجه التحديد . ولكن يبدو أنه وقع فيما يقرب من سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م أي في أوائل إمارة زهير للمرية ومرسية عقب وفاة خيران ، حيث تدخل مجاهد في النزاع القائم بين بنى خطاب بن نذير وبنى طاهر لصالح الأول ، فقد قبض مجاهد على ابن طاهر ند ابن خطاب ومناوئه ولم يطلق سراحه إلا بعد أن افتداه بمبلغ كبير من المال .

كذلك شارك مجاهد خيران العامري في الاحداث السياسية بقرطبة عندما علم بموت الخليفة المستكفي بالله الاموى ، وذلك بعد أن تركها الخليفة يحيى بن على بن حمود عائداً إلي دار ملكه بمالقة في المحرم سنة ٣١٧ هـ / فبراير ١٠٢٦ م وما كان من تحريض حبوس صاحب غرناطة لكل من مجاهد وخيران لدخول قرطبة ، فاستجابا لدعوته ، ودخلت جيوشهما قرطبة ، فأقاما بها نحو شهر ثم اختلفا فيما بينهما بعد أن شك كل منهما في نية صاحبه ، فانسحب خيران من قرطبة إلي المرية في ربيع الآخر سنة ٤١٧ هـ / مايو ١٠٢٦ م ثم أعقبه مجاهد بعدها بمدة قصيرة إلي دار ملكه بدانية ^(٢) .

وتشير المصادر العربية إلي حروب اشتعلت نارها بين مجاهد ومحمد بن عبد الله بن قاسم الفهري صاحب مدينة البوننت ^(٣) Alpuente (٤٢١ - ٤٣٤ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٤٢ م) وإن كانت لم توضح لا الأسباب ولا الوقت التي اندلعت فيه هذه الحروب ، ويبدو أنها لم تسفر عن مكاسب بالنسبة لمجاهد حيث استمرت تلك الامارة الصغيرة تحت حكم بنو قاسم حتى سقوطها في أيدي المرابطين .

(١) ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ١١٦ - ١١٧ ؛

- Huici Miranda : Op , Cit ., P . 243 .

(٢) أنظر الفصل الثاني .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٢١٥ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٤٢ .

ولما سقط زهير العامري أمير المرية قتيلاً أمام غرناطة في حربه ضد باديس سنة ٤٢٩ هـ ، وجد كل من مجاهد وعبد العزيز المنصور الميدان مفتوحاً لكي يستولي كل منهما على المنطقة القريبة من ممتلكاته ، وقد رأينا كيف استولى عبد العزيز المنصور على المرية وأعمالها وعلى مرسية وأوريولة ، وعندئذ أيقن مجاهد بأن تضخم مملكة بلنسية على هذا النحو يشكل خطراً على مملكته ، فساعت العلاقات بينهما فجأة وانهار بذلك التحالف العامري^(١) . وتبادلا الرسائل العدائية التي يذم فيها كل منهما الآخر ، ومن أمثلة ذلك أن مجاهداً كتب يوماً إلي المنصور عبد العزيز رقعة لم يضمنها غير بيت الحطينة حيث يقول :

دع المكارم لا ترحل لبغيته واقعد فانك الطاعم الكاسي

وعندما وردت تلك الرقعة على المنصور أقامته وأعدته ، وغضب غضباً شديداً ، واستحضر كاتبه أبا عامر بن التاكرني الذي كتب عنه هذا البيت رداً على مجاهد .

شتمت مواليتها عبيد نزار شيم العبيد شتيمة الأحرار^(٢)
وانتهز مجاهد فرصة خروج عبد العزيز المنصور إلي المرية ، وتغيبه عن بلنسية لتنظيم شئونها ، وسار بقواته من دانية مخترباً أراضى بلنسية حيث أشعل نار الثورة ضد المنصور في شاطبة ولورقة وشوذر من أعمال مملكته ، فخرجت كلها عليه فتوجه إليه عبد العزيز لاستصلاحه ، ولكن الحرب اندلعت بينهما سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م . وانتهى الأمر بانتصار عبد العزيز المنصور في النهاية بعد أن استعان في حربه له بسريات من النصاري ، ولكنه دفع الثمن غالياً بفقده للمرية التي استقل بها صهره معن بن صمادح ، وعاد مجاهد إلي دانية بخفي حنين^(٣) ولكن بعد أن شفا غليله بخضوع المرية لمعن بن صمادح^(٤) .

(١) أنظر الفصل الثالث من الكتاب .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٢٨ .

- ابن سماك العاملي : الزهرات المنثورة في نكت الأخبار الماثورة ، ص ١٤٢ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ١٣٢ .

(٣) أنظر الفصل الثالث .

(٤)

ولم تلبث المياه أن عادت إلي مجاريها بين عبد العزيز ومجاهد ، وطلب الأول من الثاني معاونته في استرجاع المرية ، ولكن مجاهد تقاعس مرة أخرى عن الخروج معه ، مما أدى إلي إثارة استياء عبد العزيز وسخط عليه وسبه ، فانصرف مجاهد غاضباً وتأزمت الأمور بينهما مرة أخرى كما سبق أن ذكرنا في الفصل السابق .

وحاول حبوس التوسط بينهما لاصلاح ذات البين ^(١) ، ودعاهما إلي لم شعت المسلمين ويبدو أن محاولة الاصلاح هذه قام بها باديس بن حبوس بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٩ هـ / ومع ذلك فإن الاعمال العدوانية والاشتباكات العسكرية لم تنته إلا بتدخل سليمان بن هود ^(٢) للوساطة بين الخصمين المتنازعين للاصلاح بينهما ^(٣) . ونجحت وساطة ابن هود ، فساد الأمن وعم السلام ^(٤) بعد أن تبودلت سفارات الصلح بين عبد العزيز المنصور ومجاهد ، وتحول هذا الصلح (أو السلام) إلي تحالف ثلاثي عن طريق المصاهرة بين الملوك الثلاثة ، وذلك بزواج علي بن مجاهد من ابنة سليمان بن هود ، وتزوج عبد الملك بن عبد العزيز المنصور ببنت أخرى لمجاهد هي أخت شقيقه لحسن أخى علي بن مجاهد ^(٥) .

ولقد كفل هذا التحالف السياسى العائلى بين مجاهد وملك سرقسطة الحماية لثغور دانية الغربية أمام أطماع المأمون بن ذي النون ملك طليطلة ^(٦) كما كان للمصاهرة بين عبد العزيز ومجاهد أثرها الكبير في تهدئة الخواطر واستمر السلام بينهما قائماً حتى بعد وفاة عبد العزيز وولاية ابنه عبد الملك زوج بنت مجاهد .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٦٤٠ .

(٢) هو سليمان بن هود الملقب بالمستعين .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٤) ابن بسام : نفس المصدر ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٨ .

- Afif Turk : El Reino de Zaragoza en el Siglo XI de Criso (V de Hegira) ,
MADRID , 1978 , p . 109 .

Maria Jusus : La Taifa de Denia , p . 88 .

(٦)

بالإضافة إلى التحالفات السابقة ارتبط مجاهد مع المعتضد بن عباد ملك اشبيلية بعلاقات سياسية ودية قائمة على مصالح مشتركة بينهما ففي عام ٤٢٧ هـ (١٠٣٥ - ١٠٣٦ م) دعا أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد ملوك الطوائف إلى الاعتراف بالخليفة هشام المزعوم الذي أقامه في اشبيلية للوقوف أمام يحيى بن علي بن حمود والبربر ، وانضم كل ملك من ملوك الطوائف إلى هذا الحلف العربي الصقلبي بقصد تحقيق أغراض شخصية ، وكان مجاهد من ضمن من بايع هشام المزعوم ، ويبدو أن السبب في انضمام مجاهد إلى هذا الحلف الرغبة في اتقاء غدر بن عباد من ناحية ، ودفع خطر البربر على بلاده من ناحية أخرى ^(١) .

ولم تلبث العلاقات السياسية بينهما أن تحولت بمرور الوقت إلى علاقة مصاهرة ، فقد رأى كل من مجاهد والمعتضد تقويتها بالمصاهرة ، وهذا ما حدث فقد زوج مجاهد إحدى بناته ^(٢) من

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ١٧ - ١٨ .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .
- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٠ - ١٩٢ .
(٢) لا أتفق مع كليلا سارنللي في أن بنت مجاهد تزوجت من المعتمد بن عباد ، فالمصادر العربية تتفق على أن المعتضد هو الذي تزوجها وليس ابنه .
(كليلا سارنللي : مجاهد العامري ، ص ١٣٨) .
- وتستند كليلا إلى نص أورده ابن بسام جاء فيه أن المعتمد أمر بصناعة غزال وهلال من الذهب ، فأهدى الغزال إلى السيدة ابنة مجاهد والهلال إلى ابنه الرشيد (ولد المعتمد) ووضح أن كليلا قد التبس عليها قراءة النص ، فقد جاء في النص ما يلي : " أن المعتمد على الله قد أمر بصناعة غزالين من ذهب فصنعا معا من سبعمائة مثقال خالصة ، فأهدى إحداهما إلى الرشيد ابنه والآخر إلى السيدة العروس بنت ابن مجاهد " .
- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٥٢١ .
وواضح أن العروس هي حفيدة مجاهد وكذلك اختلط الأمر على ماريبا خيسوس ريبيرا ماتا التي اعتبرت زوجة المعتضد وزوجة المعتمد شخصا واحدا ، فذكرت أن أرملة المعتضد حظيت باحترام كبير في عهد المعتمد بعد أن أصبحت أرملة وأنه أهدى إليها غزالان من ذهب وأنها اعتبرت الرشيد ابناً لها .

- (Maria Jusus : La Taifa de Denia , p . 85) .

- واعتقد أن حفيدة مجاهد تزوجت حديثاً من المعتمد وأنه قال في هذه المناسبة :

بعثنا بالغزال إلى الغزال وبالشمس المنيرة للهلال

ونيل عليه الشاعر أبو القاسم بن مرزقان :

فذا سكنى أسكنه فوداي وذا نجلي أكلده المعالي

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٥٢١ .

المعتضد بن عباد ، وحظيت هذه الزوجة الحرة بمكانة بين جواريه اللائي بلغن سبعين جارية ^(١) .

وأدت تلك المصاهرة بين المعتضد ومجاهد إلي توطيد أو اصر المحبة والصدقة والألفة والمودة بينهما ، ويعبر ابن زيدون عن ذلك فينشد على لسان المعتضد مخاطباً مجاهد :

عرفت عرف الصبا إذ هب عاطره	من أفق من أنا في قلبي أشاطره
أراد تجديد ذكره على شحط	وما تيقن أنى الدهر ذاكره
قصاره قيصرأ أن قام مفتخرأ	لله أوله مجداً وآخره
خلى أبا الجيش ، هل يقضى اللقاء لنا	فيشتفى منك طرف أنت ناظره
شط المزار بنا ، والدار دانيه	يا حبذا قال لو صحت زواجه ^(٢)

وله أيضاً :

أترى اللقاء كما نحب يوفق	فنظل نصبح بالسرور ونغبق
أفدي أبا الجيش الموفق أنه	للمكرمات ميسر وموفق
باهي به الزمن البهي كأنه	بشر على وجه الزمان ورونق ^(٣)

وهكذا عاش مجاهد الثلاث سنوات الأخيرة من حكمه في سلام مع جيرانه مما أتاح له أن يتفرغ تماماً للاهتمام بالعلوم والآداب ^(٤) .

ويبدو أن مجاهد العامري اعتراه في آخر حياته بعض التخليط والتناقض في تصرفاته ^(٥) وربما كان مرجع ذلك إلي شيخوخته . وتوفي يوم السبت لثلاث بقين من ذي القعدة ٤٣٦ هـ / ١٥ يونيو

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٣١ ؛ ابن دحية : المطرب ، ص ١٣ .

- ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٤٧ ؛ وأنظر ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ .

(٣) ابن الأبار : المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٤) Huici Miranda : Op , Cit ., P . 244 - 245 .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .

ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

١٠٤٥ م بعد أن حكم مملكة دانية والجزائر زهاء أربعة وثلاثين عاماً ساد فيها النظام والأمن والرخاء^(١).

(٥)

مملكة دانية في عهد علي بن مجاهد - اقبال الدولة

خلف مجاهد العامري بعد وفاته سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م علي مملكة دانية ولده علي الملقب باقبال الدولة ، وكان من بين أسرى المسلمين في سر دانية وآل في نهاية الأمر إلي هنري الثاني Enrico II ملك ألمانيا الذي احتجزه علي سبيل المباهاة ، وأعيت مجاهد السبل لرده ، وكان قد بذل فيه عشرة آلاف فلم يقبل أسره الفدية^(٢).

فقد كانت وجهة نظر النصاري في احتجاز علي أسيراً عندهم اتخاذ رهينة ثمينة للضغط علي أبيه مجاهد ، ومنعه من القيام بأية مغامرة أخرى^(٣). علي أنه بالرغم من هزيمة مجاهد في سر دانية . إلا أنه كان يملك من القوة ما يمكنه من تهديد بلاد النصاري مرة أخرى . كما يبدو أن النصاري لم يفكروا في إطلاق سراح علي إلا بعد أن اطمأنوا تماماً من أحجام مجاهد عن التفكير في معاودة الغزو مرة أخرى وادراكهم أن علياً أشرب تماماً تعاليم المسيحية وحب النصاري أهل أمه^(٤) وأيضاً حتى لا يتركوا الساحة خالية لتولية أخيه حسن .

وتم افتكاك علي بن مجاهد من أسره بعد تدخل آل حماد أمراء بني مناد في^(٥) المغرب الأوسط ، نظراً لما كان لبني حماد من علاقة

(١) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الاندلس ، ص ٢١٧ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٧ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢١ .

وأنظر : Huici Miranda : Op , Cit ., p . 246 .

ما سبق ذكره في غزو مجاهد لسردانية .

(٣) عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٥ .

(٤) سوف نلاحظ تأثير هذا الأسر الطويل في بيئة نصرانية علي شخصية علي وميوله وعلاقاته بجيرانه النصاري .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٥ .

وثيقة بالبابوية والجمهوريات البحرية الايطالية وصلت إلي ذروتها في عهد الناصر بن علناس^(١) ودفع مجاهد فدية هائلة ، وقطع على نفسه أوثق العهود بأن يتركهم في سلام وألا يعود إلي ازعاجهم بأي حال من الأحوال^(٢) .

ورجع عليّ إلي دانية سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣١ - ١٠٣٢ م) أي بعد ١٦ سنة قضاها في الأسر^(٣) ، وكان مجاهد قبل اطلاق ابنه عليّ من الأسر ، قد رشح ولده الأصغر حسن الملقب بسعد الدولة لولاية العهد ، وجعل الأمر بعده لعلّي^(٤) ولكنه عدل عن قراره بعد وصول ابنه عليّ ، فلم يلبث أن قدمه عليّ أخيه حسن ، ونصبه ولياً لعهد^(٥) ، ربما في أواخر سنة ٤٣٥ هـ (منتصف ١٠٤٤ م) استناداً إلي بعض العملات التي اصدرتها دار سكة دانية في سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ - ١٠٤١ م) تحمل نقوشها اسم حسن سعد الدولة^(٦) مما يدل على أن عليّ لم يكن قد رشح لولاية العهد بعد . ومن الواضح أن الفترة الواقعة ما بين وصول عليّ إلي دانية وتقليده ولاية العهد بدلا من أخيه حسن ، كانت كافية لتتقيد عليّ وتأهيله لهذا المنصب ، إلي أن شارك أخاه في الحكم كمرحلة أولى ، ثم انفرد بعد ذلك بولاية العهد فقد وجدت نقود ضربت في دانية وميورقة في سنتي ٤٣٥ ، ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م تحمل اسم مجاهد وولديه علي وحسن^(٧) . ونستدل على انفراد علي بولاية العهد في سنة ٤٣٥ هـ من رواية أوردها ابن الخطيب يعبر عما أثاره اختيار عليّ لولاية العهد على العلاقة بين الاخوين إذ يقول " فكان لهذا

(١) حسين مؤنس : المسلمون في البحر الابيض المتوسط ، ص ١١٨ .

(٢) عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٥ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٥ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢١ .

(٤) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٧ .

(٥) نفس المصدر السابق والصفحة .

- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

(٦)

Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , p . 36 .

- Baracelo (Miquel) : Assaig d ' un Corpus numismatic de la Taifa amirida de Deniya - Mayurqua (436 - 468) , p . 46 .

- من اعمال الملتقى الرابع الاسباني التونسي ، بالمادي ميورقة ١٩٧٩ م ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ،

مدريد ١٩٨٣ .

(٧)

- Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , p . 36 .

(أي الترشيح لعلّي لولاية العهد) من الموجدة على أخيه ما ظهر أثره قبل انصرام حَوْل " (١) وهذا أمر طبيعي إذ أنهما ليسا أخوين شقيقين ، ثم أن امتداد الفترة التي قضاها عليّ في الأسر . جعلت أخاه حسن يطمئن إلي أن الأمور قد استقرت ولكنه فوجئ بوصول أخيه واهتمام أبيهما باعداده لولاية العهد ، ثم تفجر الموقف بعد وفاة مجاهد في سنة ٤٣٦ هـ .

فما إن توفي مجاهد حتى آلت مملكة دانية إلي عليّ ، ولم يجرو أخوه حسن علي معارضة في وقتها ، وفي هذا يقول ابن عذاري " فلما فداه أبوه قلده الأمر بعده فمضى أبو الجيش والدهما لسبيله وقد وطد الأمر لعلّي هذا دون أخيه فخير عليّ هذا علي أخاه أن يصرف له الأمر ، ويتخلى له عن الملك ، فلم يجسر علي إظهار ما في نفسه " (٢) واتفقت الآراء علي ولاية عليّ بن مجاهد ، فاضطر حسن إلي مبايعة أخيه وإظهار الطاعة علي ضغن وهو يحمل له في قلبه الحقد والكرهية (٣) التي تتمثل في تلك المؤامرة التي شارك فيها حسن لقتل أخيه علي بالاتفاق مع المعتضد بن عباد زوج أخته ، فما أن تولى عليّ حكم مملكة دانية حتى سار أخوه مغضباً إلي صهره في اشبيلية ، وكان من مؤيديه وأفضى إليه بمشروعه في الوثوب علي أخيه ، واسترداد حقه المسلوب في الملك ، فشجعه المعتضد (٤) . ولعله كان يرى في معاونته علي تنفيذ مشروعه ، سبيلاً إلي بسط حمايته فيما بعد علي مملكة دانية (٥) .

اتفق حسن مع المعتضد علي تفاصيل المؤامرة للتخلص من عليّ . فأرسل معه المعتضد غلاماً شجاعاً فتاكاً من غلمانه يدعى

(١) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٧ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢١ .

- حيث أننا نعرف أن مجاهداً توفي سنة ٤٣٦ هـ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٧ .

(٣) ابن بسام : النخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٤) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢١ .

سلامة^(١) ووضع حسن والغلام العبادي خطتهما لاغتيال عليّ عقب خروجه من صلاة الجمعة ، وكان من عادة عليّ أن يخرج بعد صلاة الجمعة ، ليتنزه قليلاً على شاطئ البحر ، فإذا ركب في موكبه سار حسن وراءه ، فلما انتهى عليّ في ذلك اليوم من نزهته ، وقفل عائداً إلى قصره ، انتهز حسن والغلام العبادي فرصة مروره في زقاق ضيق ، وانقض حسن على أخيه بخنجره ، أصابه في يده ثم حاول أن يثني الطعنة ليجهز عليه ولكن عليّ تلقاه بيده اليسرى ، ولم يمكنه من تنفيذ مؤامرتة ، وعندئذ انقض سلامة برمحه على عليّ فنشب الرمح في الحائط لضيق الزقاق ، وانقض رجال عليّ على الغلام فقتلوه . أما حسن فر هارباً إلى بلنسية ، حيث لجأ إلى صهره وزوج أخته الآخر عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر ، ومن هناك لحق بصهره الآخر المعتضد بن عباد الذي تخلى عنه ، ولم يشاركه أمانيه بعد أن شاعت قصة غدره في جميع أرجاء الأندلس ، واحتقره الناس فرجع إلى بلنسية وهناك عاش في كنف أخته مغموراً إلى أن فارق الحياة^(٢) .

تري كليلاً سارنللى أن تلك المؤامرة ربما تكون قد حدثت في حياة مجاهد على أساس وجود نقود مضروبة بدانية وميوزقة سنة ٤٣٥ هـ وسنة ٤٣٦ هـ تحمل اسم حسن وعليّ معاً ، وإن مجاهداً صالحهما وعفا عن حسن^(٣) . وهو ما لا يتفق مع المنطق ولا مع النصوص العربية ذلك أن تطورات الأحداث التى سبق سردها تدل على أن تلك المؤامرة وقعت عقب وفاة مجاهد ، وليس صحيحاً أن ذلك يتعارض مع ما أورده كل من ابن عذارى وابن الخطيب كما زعمت كليلاً في كتابها . حيث يذكر ابن عذارى صراحة أن تلك الأحداث وقعت بعد وفاة مجاهد ، يقول ابن عذارى " ... فمضى أبو الجيش والدهما لسبيله وقد

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٧٠ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ، ٣٦٥ - ٣٦٧ .

- ويتضمن هذا المؤلف تفاصيل المؤامرة بالاضافة إلى الرسائل التى بعث بها عليّ بن مجاهد إلى عبد العزيز بن أبي عامر وإلى ابن رزين يعلمهم بغدر أخيه حسن له .

- ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

- عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠١ ؛ كليلاً : مجاهد العامري ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٧ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢١ .

- وأنظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٧١ ؛ ١٧٢ - ١٧٣ .

وطد الأمر لعلّي دون أخيه ... ولم ينصرم الحول حتى أحدث على أخيه ما نذكره " (١) حمل عليّ بعد اصابته إلى القصر حيث أقام بقية يومه طريح الفراش لا يتكلم ، ولم يلبث أن استرد قوته وبرأ من جراحه واستقر ملكه بفرار أخيه حسن ، واتفق الجميع على طاعته وتأيينه ، وأخذ يدبر أمور مملكته بحكمة وحزم (٢) .

هذا عليّ بن مجاهد حذو أبيه في انتهاج سياسة الحيدة مع ملوك الطوائف المتخاصمين ، والارتباط بعلاقات ودية مع جيرانه بما فيهم المعتضد ابن عباد الذي ساند حسن في مؤامراته ضده ، فتناسى على هذا الجرم وتبادل معه رسائل الود والمواساة والتعزية (٣) ، فقد كان عليّ يجنح دائماً إلى المسالمة ويصبو دائماً إلى المال وعنه يقول ابن بسام " ... القى السلم ، وأغمد السيف وشام القلم همته كان في خراج يجبيه ، لا في معقل يجتبيه ، وهمه في متجر يمينه ، لا المفخرة يحميه . أصب خلق الله بلبوس ومطعم ، وأصباه إلى دينار ودرهم (٤) " وهذا حذو أبيه في حرصه على إقامة علاقات ودية مع ملوك الطوائف الآخرين عن طريق المصاهرة ، واتخذ من بناته بارعات الجمال عيوناً له على أزواجهن ، يقول ابن حيان " ورزق (أي عليّ) عدة بنات أحسن من الشموس وأفتن من الطواويس ، فتبارى ملوك الطوائف بأفئدة في نكاحهن وتنافسوا في غدوهن إليهم ورواحهن ، واغتنم هو ذلك منهم وأذكاهن عليهم عيوناً ، معتقداً أن الصهر رحم لا تُجفى ، وطريق إلى رعى الذمم لا تخفى ... " (٥) فزوج أحداهن للمعتد ابن عباد صاحب اشبيلية ، كما تزوج المعتصم بن صمادح صاحب المرية بنتاً أخرى لعلّي (٦) .

(١) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

(٢) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٢٩ ، ١٥٠ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٥ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٦ .

- وأنظر : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢١ .

(٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ س ، م ٢ ، ص ٦٨٦ ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٢٧ ، ٣٢٢ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٣ ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .

ولقد أتاحت مصاهرة علي بن مجاهد لبعض ملوك الطوائف له الفرصة ليقوم بدور الوساطة بين ملوك الطوائف المتخاصمين ، وقد اشترك علي بن مجاهد مع المعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود في إرسال وفد إلي المعتمد بن عباد للمصالحة بينه وبين ابن ذي النون يتألف من الوزير أبي عثمان بن بشتغير وأبي عامر بن غند شلب^(١) . ومع ذلك فلم نجد في المصادر العربية أية تفاصيل واضحة عن الأحداث ، التي مرت بمملكة دانية في فترة حكم علي بن مجاهد ولا أية معلومات شافية عن أعمال علي نفسه ، وكل ما نستطيع أن نستنبطه من خلال الاشارات القليلة المتعلقة بسياسته لا يعدو ارتباطه بعلاقات طيبة مع أغلب ممالك الطوائف ، ويتضح ذلك من هذا الكم الكبير من الرسائل الادبية المتبادلة بينه وبين غند من ملوك الطوائف في المرية وأشبيلية وبلنسية وبطليوس ، وغرناطة وطرطوشة وشنتمرية الشرق (السهلة)^(٢) ومرسية^(٣) . ومن الطبيعي أن يرتبط بعلاقات ودية مع

= ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٨٢ .

- ويبدو أن الأمور اختلطت أيضاً على أويثي ميراندا ، فنسب بنات كل من مجاهد وابنه علي إلي شخص واحد هو مجاهد ، قائل : " أنه كان لمجاهد العديد من البنات الذين خلصوا من الأسر بسرعة ، تميزوا بجمال غير عادي قام بتزويج احدهن من المعتضد بن عباد ملك اشبيلية ، وأخرى بالمقتدر في سرقسطة والثالثة بعبد الملك في بلنسية والرابعة بابن صمادح في المرية .

- Huici Miranda : Historia Musulmana de Valencia , p . 246 .

- وقد سبق أن ذكرنا أن مجاهد زوج إحدى بناته للمعتضد ، وزوج أخرى إلي عبد الملك بن عبد العزيز في بلنسية ، كما تزوج علي من ابنة سليمان بن هود - أما بنات علي فقد تزوجت احدهن من المعتمد بن عباد ، وأخرى من المعتصم بن صمادح وهاتان الابنتان هما نفس من عناهما ابن حيان بقوله : " ورزق عدة بنات أحسن من الشمس وافتن من الطواويس " كما يتبين من سياق الرواية في الذخيرة (ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٦) ولم توضح المصادر هل كان لعلي بنات أخريات تزوجن من ملوك الطوائف فالحديث عن تلك المصاهرات يأتي بشكل عام ، يقول ابن الخطيب عن علي " وصاهر امراء وقته على بنات له كن أية في الجمال " .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢١ .

(١) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٤٠٥ .

(٢) أنظر تلك الرسائل الأدبية في :

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٢٩ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٤٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ .

(٣) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ج ٢ ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

أمراء بنى زيرى في إفريقية وبنى حماد في المغرب الأوسط ، هؤلاء
الأخيرة هم الذين أفتدوه من الأسر كما سبق أن ذكرنا .

وكان من أبرز أعمال علي بن مجاهد الخارجية علاقته القوية
بالفاطميين في مصر ، واستجابته لنداء المستنصر بالله في بداية الشدة
المستنصرية التي تعرضت لها مصر منذ سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م
وشملت المجاعة أرجاء مصر ، فأنعدمت الأقوات في سائر أنحاء
البلاد^(١) ، فوجه علي إليه مركباً ضخماً مشوحاً بالمؤن والأطعمة في
سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، أعادها المستنصر إليه مشحونة بالأموال
والذخائر والياقوت والجوهر^(٢) .

ونستدل من الرسالة التي بعث بها علي إلى المستنصر بالله بقلم
وزيره أبي الأصبع بن أرقم علي عمق هذه العلاقات الودية القائمة
بينهما ، وفي هذه الرسالة يعبر علي عن شكره الجزيل للمستنصر بالله
على هداياه ونطالع في هذه الرسالة على ما يلي : " فالآن استمر
المريز ، واستقر الضمير ، واطرد الأمر على بصير ، فتنسم مولى
الحضرة رياها عطراً ، وراد روضها زهراً ، وشام برقها ممطراً ،

=- إلا أن الاستاذ محمد عبد الله عنان يذكر أن علياً جرى على سياسة أبيه في مخاصمة بنى
طاهر أصحاب مرسية على الرغم من أن ابن خاقان أورد رسالة من أبي عبد الرحمن محمد
بن طاهر إلى اقبال الدولة مهناً برجوع أحد معاقليه إليه والظفر بالمنترى فيه .

- عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠١ .

(١) الداوداري (أبو بكر عبد الله بن أبيك) : كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السادس
الدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، معهد الدراسات الألمانية ، القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م ، ص ٣٦٩ .

- المقرئ (نصر الدين أحمد بن علي) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء
الأول ، دار صادر ، بيروت ، طبعة أوفست ، ص ٣٣٥ .

- الصاوي (دكتور أحمد السيد) : مجاعات مصر الفاطمية " أسباب ونتائج " دار التضامن
للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٨ م ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ .

- ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

- Afif Turk : El Reino de Zaragoza , pp . 109 - 110 .

- ويرى أويثى ميراندا أن سفينة واحدة في ذلك الوقت مهما كانت كبيرة لا يمكن بأي حال أن
تحمل من المؤن ما يكفي لتخفيف المجاعة في كل أنحاء البلاد ، ويرى أن الإعانة اقتضت
على تلبية الحاجات الضرورية للخليفة ولأقرب المقربين إليه .

واستوضح هلالها مبدراً ، وارثشف ماءها خصباً ، فما الشكر وإن
جزل ، يرقى ثانياً ذلك الافضال والانعام ، ولا اللسان وإن جعل
يتعاطي ذلك الثناء ولا الأقلام ولا الجهد يقدر قدر ذلك الإكبار
والإعظام ، ولا الوجد يفي بتلك العوارف الجسام ، ولا الطوق يقوم
بأعبائها حق القيام ، وأي وسع يبارى البحر وهو طام وأي طوق يطيق
ركنى شمام ؟ ! ولو كانت للمولى بالقدر يدان ، وساعده إمكان وساعفه
زمان ، لأم شخصه كعبه الآمال واستقبل بقصده قبله السعد والإقبال ،
واستلم بيده ركن الإنعام والإسبال ، فإذا ينسك محرماً ، ولم يقرب
مستلماً ولم ينتقل إليها قدماً ، فحسبه النية التي هي أس البنية والطوية ،
على نائي الطية ، وما تيسر من هدى يهديه ، وعمرة عنه تجزية " (١) .

ونستشف من الرسالة أن علياً كان موالياً للخلافة الفاطمية وإنه
أعلن فيها عن عزمه على الدعاء للخليفة الفاطمي على منابر مملكته ،
وإن لم يكن قد دعا بالفعل للفاطميين (٢) ، إلا أننا لم نجد في المصادر
العربية أو في العملات المسكوكة في دانية وميوزقة في عهد علي ما
يدل على أنه دعا للخليفة الفاطمي حتى بعد أن قطع المعتضد بن عباد
الدعوة الهاشمية وأظهر موت هشام المزعوم سنة ٤٥١ هـ /
١٠٥٩ م (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن علي بن مجاهد لم يتردد مرة أخرى في
تزويد الشام بالمؤن والأقوات ومن المعروف أن قسماً من بلاد الشام
كان تابعاً لمصر الفاطمية فكانما أراد أن يسهم في تخفيف هذه المجاعة
في مصر والشام في آن واحد ، ونستدل على ذلك من قول صاحب
الحلل الموشية " واتصل واليها علي بن مجاهد من الشام ذلك أن الشام
كانت بها مجاعة كبيرة ، ومسغبة شديدة ، وكانت دانية وشرق الأندلس
كثيرة الخصب ، فبعث ابن الموفق من دانية إلي الشام مركباً محشواً

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٣٩٤ .

- وارسلت إلي وزيره أيضاً رسالة تحمل نفس المضمون ، أنظر نفس المصدر ، ص ٣٩٥ ،
٤٠٠ ؛ (وأنظر محمود علي مكى : التشيع في الأندلس ، ص ١٢٩) .

(٢) محمود علي مكى : العلاقات بين مصر الفاطمية والأندلس خلال القرن الحادي عشر
الميلادي ، ص ٢٣ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ .

بالزرع^(١) فعاد إليه مملوءاً ياقوتاً وجوهرأ ودنانير ، فلما تغلب المقتدر على عمالة ابن الموفق ، تحصل بيده ما ذكر واستولى عليه ، فتحصل عنده من ذلك ما لم يكن عند غيره من ملوك الأندلس^(٢) .

ويشير محققا كتاب الحل إلى أن هذه الاعانة ربما حدثت عندما كانت بلاد الشام خاصة قسمها الجنوبي ، تعيش تحت وطأة هجرة التركمان ، والفتح السلجوقي^(٣) .

خلاصة القول يمكننا أن نؤكد إلى حد كبير أن علياً بن مجاهد لم يرتبط بعلاقات سياسية واقتصادية طيبة مع جيرانه في الأندلس فحسب، بل تجاوزت تلك العلاقات نطاق شبه جزيرة الأندلس إلى المغرب ومصر وبلاد الشام ، مما أتاح لمملكته فترة طويلة نسبياً من الهدوء والاستقرار ، هذا فضلاً عما تمتعت به من شراء في كافة النواحي .

كذلك ارتبط علي بن مجاهد بعلاقات ودية مع ملوك النصارى ، ولكن على أساس مبدأ الاستقلال لا الخضوع ، واتباع سياسة المودة والتسامح مع المعاهدين النصارى في دولته . ومن المرجح أن ذلك يرجع إلى ظروف حياته ، ونشأته خلال فترة أسره الطويل بين النصارى في رعاية أمه النصرانية فاعتنق المسيحية قبل أن يعود إلى الإسلام^(٤) .

(١) أي بأنواع الحبوب من قمح وسواه ، وهذا اصطلاح ساد في الغرب الاسلامي .
- مؤلف أندلسي من أهل القرن السادس الهجري : كتاب الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة ، الطبعة الأولى ، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م هامش ٦٤ ، ص ٧٧ .

(٢) مؤلف مجهول : الحل الموشية ، ص ٧٧ .

(٣) نفسي المصدر : ص ٧٧ ، هامش ٦٣ .

(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢١ .

- Prieto Y Vives : Op , Cit ., p . 36 .

- Isidro de Las Cagigas : Los Mozarabes , p . 463 .

- Henri Peres : Esplendor de al - Andalus , p . 279 .

- Huici Miranda : Op , Cit ., p . 248 .

- Campaner Y Fuertes : Op , Cit , p . 82 - 83 . وأنظر الترجمة العربية ، ص ٢٤٨ .

ومما يدل على علاقته الطيبة بملوك النصارى الاسبان وثيقتان صادرتان منه الأولى خطاب أرسله إلي غلبرت Gislberto أسقف برشلونة^(١) يقضى بوضع سائر الكنائس بمملكة دانية وجزر البليار تحت رعاية أسقفية برشلونة ، وأن يتولى هو تعيين سائر رجال الدين الذين يعملون بهذه الكنائس وهناك وثيقة موجودة بالفاتيكان تفيد ذلك ، ووثيقة ثانية يسمح فيها علي للنصارى المعاهدين في أعمال مملكته بأن يذكروا اسم أسقفهم في خطبهم ، ولدينا النص العربى للوثيقة الثانية والذي يؤكد ما سبق ذكره في الجزء اللاتينى وقد جاء فيه : " انفذ هذا ويعمل به إن شاء الله من محمد بن علي ومن مجاهد بن علي وعبد العزيز بن عبد الله وهشام محمد بن محمد بن زياد أشهده اقبال الدولة أيده الله على أنه أجاب ألبرت الاسقف ببرشلونة إلي أن يكون مذكورا في خطب النصارى في بيعهم بجميع أعماله وهو ما انعقد بالخط الأعلى وذلك في شوال سنة تسع وأربعين وأربعمائة^(٢) عبد الله بن محمد بن أحمد وعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم النميرى ومحمد بن مسلم بن مقبل وعلام مولى الموفق وأحمد بن خلف المعافرى وسلمة مولى الموفق رحمه الله " ^(٣) .

يبدو أن تلك الوثيقة كانت موجهة إلي ولدين لعلّي بن مجاهد لتنفيذها وإن الأول هو محمد بن علي ولي العهد ، والآخر اسمه مجاهد بن علي - على اسم جده - وفي أحيان أخرى باسم سراج الدولة ، وأرجح أنهما كانا يتوليان بعض أعمال أبيهما ، ويمكننا أن نحدد من بين الأشخاص الذين وقعوا على هذه الوثيقة عبد العزيز بن أرقم كاتب اقبال

(١) كان يحكم امارة برشلونة في تلك الفترة رامون برنجير الأول .

Remon Berenguer I (٤٢٧ - ٢٦٩ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٧٦ م) .

- البكرى : جغرافية أوروبا والأندلس ، ص ٩٦ - ٩٧ .

- Aguado Bleye : Op , Cit , pp . 630 - 632 .

(٢) الموافق ٢٦ ديسمبر ١٠٥٧ م .

(٣) - Campaner Y Fuertes : Op , Cit . , p . 83 - 84 .

- Prieto Y Vives : Op , Cit . , p . 36 .

- Isidro de Las Cagigas : Los Mozarabes , tomo II , P . 463 .

- Huici Miranda : Op . Cit . , p . 249 .

- عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٣ .

- كليلىا سارنللى : مجاهد العامري ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

الدولة ، ومحمد بن مسلم وزيره ، أما الشخصيتان الاخريان علام وسلام فيبدو أنهما كانا من الصقالبة المقربين من اقبال الدولة ومن موالى أبيه الموفق ^(١) .

ولقد استغربت كليليا هذا التصريح من ملك اسلامي لأنه يعنى نفوذاً أجنبياً في دولته ، وعزت ذلك إلي أنه كان يوجد بين رعيته عدد كبير من المسيحيين ^(٢) مع إن ذلك لم يكن غريباً على دويلات الطوائف بوجه عام وعلى مملكة دانية بصفة خاصة . فقد سمح المسلمون للأقليات الدينية أن يكون لهم قوانينهم الخاصة بهم ، وأتاحوا لهم ممارسة شعائرهم والحكم فيما بينهم بقوانينهم وتقاليدهم وعاداتهم التي حرص المسلمون على احترامها . أما بشأن مملكة دانية فقد تميزت دون غيرها بانفتاح موانئها على البحر المتوسط كمركز تجارى هام ، مما استلزم قدراً أكبر من التسامح مع الأقليات الدينية فيها . ولا ننسى أن جدة علي كانت مسيحية وأنها لم تعتنق الاسلام بل ظلت تحتفظ بديانتها وتمسكت بها . ولم تقبل أن تعود إلي دار الاسلام بعد هزيمة ابنها مجاهد في سردانية ، كما أن الفترة الطويلة التي قضاها في الأسر واعتناقه المسيحية كان لها تأثير عميق على مستقبل حياته ، وهكذا انتهج علي اقبال الدولة مع نصارى بلاده سياسة من التسامح فأطلق لهم حريتهم الدينية .

لكل ذلك أرجح صدق ما جاء في هذه الوثيقة لأن الظروف والأحداث في تلك الفترة تؤكد أنه من الممكن صدورها ^(٣) . وكان من نتاج تلك الحرية الدينية المطلقة ، أن تحقق في نفس الوقت حرية فكرية شاملة ، وإنطلقت الأقلام بما شاءت وفي هذا الجو المشبع بالتسامح والحرية كتب أبو عامر أحمد بن غرسية رسالته في الشعوبية ^(٤) التي تفيض تحاملاً على الجنس العربى وتشيد بصفات العجم وتحمل في طياتها حقداً دفيناً ضد المسلمين وميلاً واضحاً إلي النصارى .

(١) - Maria Jesus : La Taifa de Denia , p . 104 .

(٢) كليليا سارنللى : مجاهد العارمي ، ص ٢٦٧ .

(٣) - Simonet (Francisco Javier) : Historia de Los Mozarabes de Espana , Madrid

(٤) أنظر ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ٧١٣ .

وكان مبعث تلك النزعة العشوية ذلك الصراع الخفى حينا والظاهر أحيانا أخرى بين العناصر العربية والصقلية ، خاصة بعد أن استعان الأمراء والخلفاء الأمويون بالصقالبة منذ عهد الأمير الحكم الربضى ، فازدادت أعدادهم بدرجة كبيرة ووصلوا إلى أعلى المناصب في الدولة فكان منهم الحرس الخاص وقادة الجيوش بل كان لهم دور في تولية الأمراء والخلفاء ، كما حدث مع الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط - فقد قام حبيب الصقلبي ومن معه من الصقالبة عندما علموا بوفاة الأمير عبد الرحمن الأوسط بتدبير الأمر ، ورأوا أنه من الانسب لهم أن يدفعوا الامارة إلى الأمير محمد بدلاً من عبد الله بن السيده طروب وكان لهم ما أرادوا ^(١) وحبيب هذا هو الذى صنف كتاباً سُمي : " الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة " ^(٢) ومنذ ذلك الحين ظهر التمييز بصورة واضحة بين العرب والصقالبة ، خاصة بعد أن أظهر الصقالبة التفانى في خدمة بنى أمية بكل وسيلة بهدف القضاء على العصبية العربية حتى تحقق ذلك في النهاية . فاشتد نفوذهم على نحو تجاوز كل تقدير ، وسيطروا على مجريات الأمور ، بل وصل الأمر أن سلط عبد الرحمن الناصر سيوف مواليه الصقالبة على رقاب عصبية وأقرباءه من بنى أمية كما سبق أن أوضحنا في الفصل الأول .

مما سبق يمكننا أن نعتبر كتاب حبيب الصقلبي " الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة " أول كتاب ورد ذكره نتبين فيه بوضوح نزعة المؤلف في إظهار فضل الصقالبة على الأدب والشعر العربى ، وتفوقهم على العنصر العربى في هذا المضمار ^(٣)

^(١) راجع ما كتب في فصل الصقالبة (الفصل الأول) .

^(٢) بينما يذكر ابن الأبار " أن أحد الصقالبة واسمه حبيب ويتصف بالفهم والتيقظ ألف زمن هشام الثانى كتاباً انحاز فيه لقومه وعنوانه الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة " .

راجع : ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ ، ص ٢٧٨ ، ترجمة ٧٤١ .

^(٣) يذكر ابن بسام أنه اطلع على هذا الكتاب وهو يحتوي على جملة من اشعار الصقالبة ونوادير اخبارهم منهم عمارة الصقلبي الفتى الكبير والصقلبي ميسور ونجم الوصيف .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٣٤ .

- وإن لم يهاجم العرب - وهذا مما دفع بالمستشرق الألمانى جولد زيهير إلى اعتبار هذا الكتاب " البداية الادبية الأولى نحو الشعوبية فى اسبانيا " (١) ومن الواضح أن نوعاً آخر من الشعوبية تولد بين العرب وبين المولدين والمعاهدة الذين ينحدرون من أصول أسبانية ، وقد ظهر هذا الشعور الشعبى بصورة واضحة فى كورة البيرة فى عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط . وبسقوط الخلافة الأموية وانقسام الأندلس إلى دويلات أتيح للنزعة الشعوبية أن تقوى وتحتدم - خاصة فى شرق الأندلس التى لجأ إليها كثير من الموالى المسلمين من أجناس الصقلب والافرنجة والبشكنس . وكان من أهم الأسباب التى أدت إلى احتدامها ضعف النفوذ العربى ووصول بعض الصقالبة إلى الحكم على شاكلة مجاهد العامري الذى أضحى بلاطه ملاذاً للشعوبيين ، فقد لاذ بكنفه ابن سيده - سبق ذكره - الذى قال عنه صاحب سير النبلاء : " كان شعبياً يفضل العجم على العرب ... وكان منقطعاً إلى الأمير مجاهد العامري " (٢) هذا بالإضافة إلى ابن غرسية أقوى صوت شعبى عرفته الأندلس وقد اشتهر برسائله التى يفضل فيها العجم على العرب وهى الوثيقة الوحيدة المتبقية اليوم وتعتبر بصدق عن مشاعر الشعبين فى الأندلس (٣) .

وابن غرسية هذا هو أبو عامر أحمد بن غرسية ، وكان من أبناء نصارى البشكنس فى شمالى اسبانيا ، سبى صغيراً وأدبه مجاهد مولاه ، ولما رأى براعته فى العربية والكتابة ألحقه بدواوينه ، وعنه يقول ابن سعيد " من عجائب دهره ، وغرائب عصره ، إن كان نصابه فى العجمية ، فقد شهدت له رسالته المشهورة بالتمكن من أعنه العربية " (٤) .

(١) العبادي : الصقالبة فى اسبانيا ، ص ١٦ - ١٧ .

(٢) الحافظ الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج ٩ ، ص ٤٩٧ .

- هارون : نواير المخطوطات ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

(٣) عبد الواحد ذنون طه : الدس الشعبى فى الأندلس وموقف العرب فى مجابهته ، بحثلقى فى الندوة القومية لمواجهة الدس الشعبى ، بغداد ، ديسمبر ١٩٨٩ م ، ص ١٤ .

(٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ ترجمة ٦٠٦ .

- ابن الأبار (محمد بن عبد الله) : المعجم فى أصحاب القاضى الإمام أبى عبد الله الصدفى ، القاهرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧ ، ص ٣١١ .

- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، ج ٥ ، ص ١٤١ .

وإذا ما اطلعنا على الرسالة نجد أن ابن غرسية لم يأت بجديد بالنسبة لأفكار وكتابات الشعوبيين في المشرق ويبدو أنه استقى من تلك الأفكار أهم المسائل التي تطرق إليها الشعوبيين ضد العرب ، مما يدل على أن مفاهيم الشعوبية ، وأفكارها كانت واحدة سواء في المشرق أم في المغرب .

وفي هذه الرسالة المنسوبة إلي ابن غرسية ذم كبير للعرب وتفاخر عظيم للعجم ، كتبها ابن غرسية لأبي جعفر بن الجزائر^(١) وقال ابن بسام في سببها أن ابن غرسية كان قد استقر بمدينة دانية في كنف مجاهد فخاطب الأديب أبا جعفر بن الجزائر معاتباً له لتركه مدح مجاهد^(٢) واقتصاره على مدائح المعتصم بن صمادح التجيبي ٤٤٣ - ٤٨٤ هـ / ١٠٥١ - ١٠٩١ م وهي رسالة ذميمة اغرب في تسطيرها ودم فيها العرب وفخر بقومه العجم^(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن استاذنا الدكتور أحمد مختار العبادي أجرى نقاشاً حول شخصية الأمير معز الدولة الذي ورد ذكره في رسالة ابن غرسية التي يقول فيها لابن الجزائر " إذ أضربت عن مدح هذا العلق الربيع ... معز الدولة " .^(٤) فناقض رأي جولد زيهر الذي يرجح أن ملك المرية محمد بن معن به صمادح هو الذي حمل اسم معز الدولة على أساس افتراض إقامة ابن غرسية في بلاط المرية مدة من

(١) هو الذي شجر بينه وبين ابن غرسية مولى اقبال الدولة ما أوجب أن صنع ابن غرسية الرسالة الشعوبية في تفصيل العجم على العرب .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ترجمة رقم ٥٧١ .
- وقد ورد اسمه في كتابي الصلة والتكملة وكذلك في نفح الطيب باسم الخراز - ويبدو أن الاسم الصحيح هو الجزائر ، حيث أشار ابن غرسية في هجاءه له إلي أنه كان من اسرة تحترف الجزارة .

- راجع الأبيات من ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ .
(٢) لعله يقصد علي بن مجاهد لأن المعتصم ولي سنة ٤٤٣ هـ بعد وفاة مجاهد الذي مات سنة

٤٣٦ هـ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ٧٠٤ - ٧٠٥ .
- أنظر ابن سعيد ، المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ، ٤٠٧ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ٧١٣ .

الزمان . ورجح أن الأمير المقصود في الرسالة هو علي بن مجاهد باعتبار أن نقود هذه الفترة تشير إلي أن علي اتخذ لقب معز الدولة مع لقبه المعروف باقبال الدولة ^(١) . إلا أنني لا أميل إلي هذا الرأي وأرجح أن الأمير معز الدولة الذي ورد اسمه في نقود علي بن مجاهد هو ابن لهذا الأخير ^(٢) والذي أرسله إلي ابن هود لاستصلاحه عندما هاجم دانية سنة ٤٦٨ هـ ^(٣) .

ومن المرجح أن هذه الرسالة وجهت إلي ابن الجزار ما بين عامي ٤٥٠ إلي ٤٦٠ هـ ، وكان ابن غرسية آنذاك يقيم بدانية في كنف اقبال الدولة الذي انتهج سياسة التسامح وأباح قدراً أكبر من الحرية الثقافية والفكرية .

فالشعبوية إذن هي نتاج اصطدام الشعور القومي للأعاجم بالعصبية العربية وقد اتخذ صورة حركة أدبية سياسية دينية اجتماعية ساعدت على ظهورها الحرية الدينية التي عاشتها مملكة دانية في عصر الطوائف ، مما أدي إلي حرية فكرية شاملة ، وانطلق الأقلام بما شاءت . وفي هذا الجو من التسامح كتب ابن غرسية رسالته في منطقة يسيطر عليها العنصر الصقلبي ، وفي كنف أكبر زعماء الصقالبة في الأندلس في ذلك الوقت ، وألا لما استطاع أن يكتب بمثل هذا الأسلوب وتلك الجرأة دون أن يتعرض لعقاب العرب ونقمتهم يؤيد ذلك دهشة البلوي ^(٤) - الذي عاش بعد ذلك بقرنين - من سكوت رجال ذلك العصر على اساءات وافتراءات ذلك الفاسق الزنديق ابن غرسية فيقول " والعجب من أهل ذلك الزمن كيف استقروا على هذه الفتن واقرؤا هذا

(١) العبادي : الصقالبة في اسبانيا ، ص ٢٨ - ٢٩ .

Prieto Y Vives : Op , Cit ., p . 122 - 123 .

(٢) مثلما كان يفعل مجاهد عندما كان يضع اسماء ابنائه بجانب اسمه على النقود المسكوكة في دانية عام ٤٣٥ هـ .

Prieto Y Vives : Op , Cit ., p . 122 .

(٣) ابن بسام : النخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٢٧ .

(٤) وقد عني البحث الحديث بدراسة رسالة ابن غرسية والتعليق عليها منهم جولد زيهير والدكتور أحمد مختار العبادي : الصقالبة في اسبانيا ، ص ٣١ - ٤٢ ؛ عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

- شوقي ضيف : عصر الدول والامارات ، الاندلس ، ص ٤٧٢ - ٤٧٥ .

- Maria Jesus : La Taifa de Denia , pp . 136 - 141 .

المجتري على هذا الاجتراء وما جاء به من الافتراء ، أم كيف أبلعوه ريقه وأوسعوا له طريقه ، ولم يهلكوا فريقه " (١) .

وقد أثارَت رسالة ابن غرسية مرارة في الأوساط الأدبية المعاصرة ، ورد عليها بعض الأدباء القريبين من عصره برسائل شديدة اللهجة تنتقض مزاعمه ، حمية للعرب والعروبة ، ومن المحتمل أن أول من رد على هذه الرسائل هو أبو جعفر بن الجزار التي وجهت إليه الرسالة (٢) . وقد أورد ابن بسام ثلاث رسائل منها رسالة لابو جعفر أحمد بن الدودين البنسي ، وقد عاش في النصف الثاني من القرن الخامس ، وكان معاصراً لابن بسام وقد التقى به الأخير سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م وأخبره برسالته التي رد فيها على أبي عامر أحمد بن غرسية (٣) .

كما رد على ابن غرسية الأديب أو الطبيب عبد المنعم بن عبد الله القروي المتوفى سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م (٤) وكان عنوان رسالته هو "حديقة البلاغة ودوحة البراعة المورقة افنانها المثمرة أغصانها ، بذكر المآثر العربية ، ونشر المفاخر الإسلامية والرد على ابن غرسية فيما إدعاه للامم الأعجمية " (٥) والرد الثالث الذي أورده ابن بسام

(١) البلوي : (أبو الحجاج يوسف بن محمد) ÷ : كتاب ألف باء ، بيروت ، عالم الكتب ، بدون تاريخ ، ج ١ ، ص ٣٥٣ .

- Julian Ribera : Epica Andaluza Romaceada en Disertaciones Y Opusculos , t , I , p . 137 .

(٢) عبد الواحد ذنون طه : الدس الشعوبى في الأندلس ، ص ١٨ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ٧٠٢ - ٧٠٣ ، ٧١٥ - ٧٢٢ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ ترجمة ٥٦٦ .

نواذر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارون ، المجموعة الثالثة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٨ .

(٤) هو أبو عبد المنعم بن من الله ابن أبي بحر الهواري القيرواني ، يكنى أبا الطيب ، دخل الأندلس ودرس الحديث في شرقها ، وكان اديباً شاعراً توفى ، سنة ٤٩٣ هـ . (ابن بشكوال : الصلة ، ص ٣٩٢ ترجمة ٨٤٠) .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ٧٢٢ - ٧٤٦ .

- نواذر المخطوطات ، ج ٣ ، ص ٣١٠ - ٣٣٠ .

يذكر أنه اقتبس من كتاب لابن عباس رد فيه على ابن غرسية^(١) ولكنه لا يعرفنا بشخصية ابن عباس هذا .

واستمرت رسالة ابن غرسية تثير نخوة العرب وكتابهم ليس في الاندلس فحسب بل في المغرب أيضاً ، حيث تصدى بالرد على رسالته أبو يحيى بن مسعدة من فقهاء الموحدين وقد عاش فيما يبدو في النصف الثاني من القرن السادس وتعد هذه الرسالة من أطول الرسائل التي وصلتني في الرد على ابن غرسية^(٢) .

وهناك رسالة أخرى^(٣) ولكنها مجهولة المؤلف تعرضت أيضاً لما أثاره ابن غرسية الشعبي ويرجح الأستاذ عبد السلام محمد هارون أن مؤلفها هو ابن مسعدة نفسه للتشابه الشديد بين أسلوب الرسالتين^(٤) ولكن أبا البقاء صالح بن شريف الرندي (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) ينسب في كتابه " روض الأنس ونزهة النفس " هذه الرسالة إلي أبي العلاء بن الجنان الشاطبي^(٥) .

وهناك مجموعة أخرى من الردود على رسالة ابن غرسية الشعبية ، لكنها لم تصل إلينا مع الأسف باستثناء آخر رسالة ، وهي من إنشاء أبي الحجاج يوسف بن محمد المالكي الاندلسي المعروف بابن الشيخ البلوي (ت ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م) ، ويعود إليه الفضل في التعريف ببعض هذه الردود التي فقدت ومنها رسالة الفقيه أبي مروان عبد الملك بن محمد الأوسى وعنوانها " رسالة الاستدلال بالحق ، في

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٧٤٦ - ٧٥٥ .

(٢) أنظر نواير المخطوطات ، ج ٣ ، ص ٢٥٦ - ٢٩١ ؛ عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٦ .
- عبد الواحد ذنون طه : الدس الشعبي في الأندلس ، ص ٢١ .

(٣) أنظر نص الرسالة في نواير المخطوطات ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٩ .

(٤) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ .

(٥) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

- عبد القادر زمامة " كتاب روضة الأنس ونزهة النفس لأبي البقاء صالح بن شريف الرندي ٦٠١ - ٦٨٤ هـ " ، مجلة معهد المخطوطات العربية م ١٨ ، ج ١ ، ١٩٧٢ ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ؛ عبد الواحد ذنون طه : الدس الشعبي ، ص ٢٢ .

تفضيل العرب على جميع الخلق ، والذب والانتصار ، لصفوة الله المهاجرين والأنصار " (١) .

ومنها كذلك رسالة الكاتب ذي الوزارتين أبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) (٢) وعنوانها " خطف البارق وقذف المارق في الرد علي ابن غرسية الفاسق في تفضيله العجم على العرب وقرعه النبغ بالغرب " (٣) .

ومن المتأخرين الذين أشار إليهم البلوي ، أيضاً ابن الزبير الفقيه المحدث أبو محمد بن عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي المعروف بابن الفرس (٤) (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠٠ م) ولكنه لم يذكر عنوان رسالته .

كما نقل ابن عبد الملك صاحب كتاب الذيل والتكملة فصلاً من رسالة الاستاذ أبي العلاء ادريس بن محمد القرطبي التي سماها (تفضيل العرب وتمييز النبغ من الغرب) قال فيه القرطبي عن رسالته

(١) البلوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

— عبد الواحد ذنون طه : الدس الشعبي ، ص ٢٢ .

(٢) هو محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي (٤٦٥ - ٥٤٠ هـ) من فرغليط من عمل شقورة من اقليم جيان غربى مرسية ، درس على شيوخ عصره ، كان متقناً في العلوم مستبحراً في الآداب واللغات عالماً بالآخبار ومعاني الحديث والسير والاشعار . (أنظر ترجمته في قلاند العقيان ، ص ١٧٥ ، والصلة ، ص ٥٨٨ - ٥٨٩ ؛ ترجمة ١٢٩٤ ، وبغية الملتمس ، ص ١٣١ ترجمة ٢٨٢ ، المغرب ، ج ٢ ، ص ٦٦ ؛ ترجمة ٣٨٣ - المطرب ص ١٨٧ ؛ الاحاطة ج ٢ ، ص ٣٨٨ ؛ الذخيرة ق ٣ ، م ٢ ، ص ٧٨٤ - ٧٨٦ ؛ وراجع د. محمد علي مكى : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، المجلدين السابع والثامن من صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ؛ وابن سعيد : رايات المبرزين ، ص ١٠٥ .

(٣) البلوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٥١ .

(٤) المالقي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١١٠ .

- يقول عنه الأوسى المراكشي أنه " كان من بيت علم وجلالة مستبحراً في فنون المعارف على تقاريقها متحققاً بها نافذاً فيها ذكى القلب حافظاً للفقہ حاضر الذكر له ، متقدماً في علوم اللسان فصيح المنطق ... " .

(المراكشي الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الخامس ، القسم الأول ، ص ٥٨ - ٦٠ ترجمة رقم ١٢٩ ، وأبي جعفر أحمد بن الزبير ، صلة الصلة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط ١٩٣٧ م ، ص ١٧ - ٢٠ ؛ ترجمة ٢٨) .

"... فجاءت فائدة انتجاع الطالب المقيم والمرتحل ، وفائدة اشياح ابن سيده الناهل وابن غرسية المنتحل ... " ^(١) والجدير بالملاحظة في شأن هذه الرسالة أنها كتبت رداً على رسالة ابن غرسية في الشعوبية .

هذا ويشير البلوي ^(٢) إلي أنه اطلع على جميع هذه الردود وعلى كلام ابن غرسية فاستفزه ذلك وأغاضه ما اقترفه ذلك الجاهل ، فرأي من الواجب عليه أن يدلوه بدلوهم في الرد والانضمام إلي النخبة الخيرة من الكتاب المدافعين عن القيم العربية ضد الهجمة الشعوبية في الأندلس ، فأنشأ ما يشبه المقامة الهزلية التي يختلط فيها الشعر بالنثر ^(٣).

يتضح لنا مما سبق أن رسالة ابن غرسية من أبرز نماذج الشعوبية الأندلسية فقد كان مؤلفها مولداً يرجع إلي أصل نصراني ، وهو يردد في رسالته ما تضمنه أدب الشعوبية في المشرق الإسلامي ^(٤) من أسس ومبادئ وأفكار ، بيد أن رسالة ابن غرسية تمتاز بأنها في تفضيل العجم على العرب ، وتعنى قبل كل شيء بالاشادة بفضائل الروم أي النصاري ، في حين أن معظم رسائل الشعوبية المشرقية تعنى بالمفاضلة بين العرب والفرس ^(٥).

استمر عليّ اقبال الدولة يحكم مملكة دانية ما يقرب من ثلاثين عاماً ، امضاها في سلام مع جيرانه سواء مع ملوك الطوائف في الأندلس أو النصاري في الشمال وظل بعيداً عن أحداث السياسة

^(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق محمد بن شريفة ، دار الثقافة ، السفر الأول ، القسم الأول ، ص ٢٤٩ .

^(٢) البلوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

^(٣) أنظر : هارون : نواذر المخطوطات ، ج ٣ ، ص ٤٠ .

- عبد الواحد ذنون طه : الدس الشعبي ، ص ٢٣ .

- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢ م ، ص ١٧٢ .

^(٤) راجع زاهية قدورة : الشعوبية أثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، ص ٧٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ .

^(٥) عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٨ .

- زاهية قدورة : المرجع السابق ، ص ١١٥ - ١١٧ ، ١٧٧ .

وتقلباتها ، مؤثراً جمع المال والاشتغال بالتجارة ^(١) وكان على حد قول ابن الخطيب " ناجح الشعب في أبواب الجباية والاكتساب " ^(٢) وقد اتاح ذلك السلام لمملكته الازدهار الحضاري والرخاء الاقتصادي .

وكان اقبال الدولة أميراً فاضلاً رفيع الخلال والمواهب وكان مثل أبيه من حماة العلوم والآداب ^(٣) وكان لطول اقامته في الأسر عند النصاري يتحدث ويكتب بالفرنسية والقشتالية وينظم الشعر بهما ^(٤) . لكن يبدو أنه على نقيض أبيه لم يكن ميالاً إلى اللغويات قدر ميله إلى الاهتمام بالادب والشعر ، لذلك كثر مادحوه وأمه الشعراء والأدباء حسبما أسلفنا ، وفي ذلك يقول ابن سعيد عن عليّ " وحذا حذو أبيه في الاقبال على العلماء ، إلا أنه كان ذلك تطبعاً لا طبعاً " ^(٥) .

ولقد حمل مؤرخو العرب أمثال ابن بسام وابن سعيد على عليّ بن مجاهد لاهتمامه بالتجارة وجمع المال على حساب الناحية العسكرية ، حيث جنح إلى السلم وتقاعس عن الغزو والفتح والجهاد ، وأهمل تقوية الحصون والقلاع ، يقول ابن بسام " ... ألقى السلم ، وأغمد السيف وشام القلم ... " ^(٦) معتمداً على أن علاقات المصاهرة تحميه من أي اعتداء من جانب ملوك الطوائف ، ويبدو أن سياسة عليّ تلك أدت إلى ضعف بلاده عسكرياً ، وأتاح الفرصة لجيرانه الطمع في ضمها ، ولقد أتاه الخطر الداهم من حيث لا يتوقع ، من جانب صهره المقتدر بن هود ^(٧) أعظم ملوك الطوائف في ذلك الوقت ، وقد حظى بشهرة كبيرة لاسيما بعد أن أحرز انتصاره الرائع على النصاري في

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٥ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .

(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٩ ، ص ٢٩٠ .

(٤) عنان : دول الطوائف ، ص ١٠٩ .

Ibars : Valencia Arabe ., p . 170 .

(٥) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .

(٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٥ .

- يقول الأمير عبدالله " وحصل ابن هود على مدينة دانية بغفلة صاحبها عن الرجال وحبه في الأموال " (مذكرات الأمير عبد الله الزيري : التبيان ، ص ٧٧) .

(٧) قال عنه ابن سعيد : " عميد بني هود وعظيمهم ، ورئيسهم وكريمهم ، ذو الغزوات المشهورة والوقائع المذكورة) - ابن سعيد : المغرب ج ٢ ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ؛ ترجمة ٦٢٠ .

بربشتر^(١) واستطاع تخليصها من سيطرتهم^(٢) واصبحت مملكة سرقسطة اقوي ممالك الطوائف بالاندلس، هذا في الوقت الذي مات فيه أنشط وأقوي الملوك المنافسين امثال المعتضد في اشبيلية سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م والمأمون يحي بن ذي النون في طليطلة سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م^(٣).

عندئذ وجد المقتدر أن الفرصة مواتية كي يطلق لاطماعه وسياسته العنان لتحقيق مشروعاته التوسعية في شرق الأندلس على حساب آخر ممالك الصقالبة في الأندلس ، وهي دانية مملكة صهره الذي اتخذ من المصاهرة سبيلاً لدفع خطر جيرانه عن بلاده ، ومن سخریات القدر أن هذه السياسة ذاتها ، وهي سياسة المصاهرة كانت أيضاً هي السبب في سقوط وضياع المملكة^(٤).

(١) وهي قلعة في نهاية الامتاع والتحصين ، والصعود إليها على طريق صعب . (الادريسي : صفة المغرب ، ص ٢٠٤) .

(٢) مأساة بربشتر Barbastro من أشنع ما أصاب المسلمين في الثغر الأعلى خلال فترة الطوائف وخلصتها أن نفرأ من النورمان الذين سمح لهم شارل الساذج Charles Le Simple ملك فرنسا بالاقامة في الاقليم الذي عرف باسمهم من فرنسا بعد ذلك Normandie قاموا بنشاط واسع في الغزو والنهب والسلب في شتى نواحي أوربا ، وقد غزا بعضهم ايطاليا واتصل بالبابوية ، وهناك نصحتهم الناس بالاتجاه إلى حرب المسلمين في الأندلس ، فسارت حملة قوية منهم من جنوب فرنسا يقودها رجل يسمى Rebert Crespin وأنضم إليهم نفر من الفرنسيين والايطاليين وفاجأوا مدينة بربشتر استولوا عليها بعد حصار أربعة أيام ، ثم نهبوا نهبا ذريعا وقتلوا من أهلها ألوفاً وأسروا ألوفاً أخرى ، وكان ذلك في جمادي الأولى ٤٥٦ هـ / مارس ، ابريل ١٠٦٤ م .

- وعندما انتشر خبر هذه الكائنة ارتاع المسلمون في الاندلس كله ، ونهض أحمد بن سليمان بن هود الملب بالمقتدر ونادي المسلمين لتخليص بربشتر فتم لهم ذلك في رمضان من السنة التالية ٤٥٧ هـ / اغسطس ١٠٦٥ م .

- البكري : جغرافية الاندلس وأروبا ، ص ٩٢ - ٩٥ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٨٧ ، ١٧٣ - ١٩٠ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٨ .

- محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٧٤ - ٢٧٩ .

Afifi Turk : El Reino de

(٣) مذكرات الأمير عبد الله الزيري ، ص ٧٧ .

Prieto Y Vives : Op , Cit ., p . 54 .

- ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، والاستاذ محمد صلاح الدين حلمي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م ، ص ١٢٨ .

(٤) يقول ابن بسام " فسمأ إليه منهم ابن هود المذكور سنة سبع وستين يريه أن الناس مأكول وأكل وأن القياس أكثر باطل " (الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٦) .

- عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠١ .

- Huici Miranda : Op , Cit ., p . 246 .

ذلك أن المقتدر اتخذ قراره بالاستيلاء على دانية ، ولم يكن امامه سوى افتعال ذريعة لمهاجمتها ، فأخذ يكيد لعلّي ويشدد في مضايقته ، وكان من أهم الاسباب التي انتحلها لخصومته ، أن علياً قد استقبل بدانية بعض الشخصيات التي فرت من لاردة بلد المظفر أخي المقتدر وخصيمه ولاذت بحمايته ^(١) . وكانت فرصة سانحة للمقتدر كي يهاجم عليّ ويستولي على دانية سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م ^(٢) .

ويذكر ابن بسام سبباً آخر لهذا الغزو ، وهو أن المقتدر طالب علياً ببعض القلاع الشمالية المصاوبة لمملكته ، والتي كان يريد أن يلحقها بثغر طرطوشة التي كانت في يد ابنه المنذر ، وأن علياً عندما أحس بما ينويه المقتدر تملكه الرعب منه وخشى سطوته ، وكتب إلي عماله بتسليم تلك القلاع ، بيد أنه بعد رحيل ابن هود عنه زين له رجاله الغدر به ، وقد رحل ، فأرسل عليّ كتباً إلي أصحاب تلك القلاع يحثهم فيهم على التحصن والمقاومة ، وقد وقعت تلك الكتب في يد المقتدر ، وهو غير بعيد عن دانية ، فكر راجعاً بقواته وحاصرها عاقداً العزم على الاستيلاء عليها ، وشعر عليّ أنه عاجز عن مقاومتها ^(٣) .

هنا دعا اقبال الدولة حلفاءه وأصهاره من ملوك الطوائف لانجاده لكي يتمكن من الصمود أمام ابن هود ، لكنهم تقاعسوا عن مساعدته عارضين عليه بذل مساعيهم للاتصال بينهما ، هذا في الوقت الذي اشتد فيه الحصار على عليّ وأيقن بالهزيمة والهلاك أمام تصميم ابن هود على استنزاله ^(٤) .

ولم يجد عليّ مفرأ من ارسال ابنه معز الدولة ^(٥) لمصالحة ابن هود مدلاً عليه بتقديم صهره ، فأخذ يوجه إليه التهديد وابن عليّ يحاول

(١) عنان : المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

(٢) الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٦٢ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

Afif Turk : El Reino de Zaragoza ., p. 110 .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ٤٢٩ .

(٥) يقول عنه ابن بسام يحط من شأنه " رجل قليل الطبع ، ثقيل السمع ، ضيق الذرع قد غذى بالترف واللين ، ونشأ في الحلية ، وهو في الخصام غير مبين " . =

استمالته ، ولكن ابن هود أصر على الاستيلاء عليها وعلى كل معاقلها ولم تلبث دانية أن سقطت في قبضة ابن هود ^(١) . ويتبين من الرواية العربية التي أوردها كل من ابن عذارى وابن الخطيب أن ابن هود شدد الحصار على دانية ، وضيق عليها الخناق فلما شعر عليّ : أنه عاجز عن مقاومته عرض عليه أن يسلمه المدينة القصر بما فيه فقبل المقتدر وأمر بوقف القتال ، ودخل دانية واستولى عليها ^(٢) .

ولكن بمقارنة الرواية السابقة مع رواية الأمير عبد الله الزيري في مذكراته وهو معاصر للأحداث ^(٣) يتبين أن المقتدر استولى على دانية بعد موت المأمون بن ذي النون ^(٤) وتم ذلك بطريقة مفاجئة وغير متوقعة ، يقول الأمير عبد الله الزيري أنه " حصل على المدينة بغفلة صاحبها عن الرجال وحبه في الأموال ، ومع مداخلات أوتى بها من قبل وزيره ابن الريولة الخارج عنه إلى سرقسطة فعمل ابن هود حتى أتاه على غفلة ودخل المدينة بلا مشقة وحصل منها على عظام الأموال بوفرها " ^(٥) .

وواضح من الرواية السابقة أن ابن هود استولى على دانية بعد حصار قصير في شعبان ٤٦٨ هـ (مارس - إبريل ١٠٧٦ م) تخللته بعض المعارك استولى فيها على بعض الحصون ، ثم أنه جلب إليها

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٧ .

^(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

Afif Turk : Op , Cit . , p . 113 .

Maria Jusus Rubiera Mata : La Taifa de Denia , pp . 106 - 107 .

- عبد النبي على عبد الله داوود : دولة بني هود في سرقسطة (رسالة ماجستير) ، ص ٢٢١ - ٢٢٤ .

^(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ .

- ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢٢ .

^(٣) بدأ حكمه من ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ - ١٠٧٤ م) إلى أن استولى على ملكه يوسف بن تاشفين في عام ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) .

^(٤) Viguera (Maria Jesus) : Aragon Musulman , Zaragoza , 1981 , p . 159 .

^(٥) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٧٧ - ٨٧ .

Afif Turk : Op , Cit . , p . 112 .

Rubiera Mata (Maria Jesus) : Posible Indentificacion de Ibn Al - Royola de Denia Ministro de Al - Muqtadir de Zaragoza (S . XI) R . Sharq Al - Andalus N . T , Alicante , 1984 , p . 147 .

الخييل والرجال وأحكم الحصار عليها فوجد عليّ أنه لن يستطيع الصمود أمام ابن هود فاضطر إلى الاستسلام سريعاً خاصة بعد أن تخلى أنصاره عن نجدته ، بالإضافة إلى تعاون ابن الريولة مع المقتدر ، والذي كان لتدخله أثر فعال في سقوط المدينة ^(١) .

وأحدث سقوط مملكة دانية دويماً كبيراً في الأندلس ، يقول الأمير عبد الله " فإن ابن هود اهتزت له الأندلس عند حصوله على دانية ، وجزعت جميع الرؤساء لأخذه لها دون قتال ولا زمان ^(٢) وكان خروج ابن هود بحشود جيشه قد أثار ذعر ملوك الطوائف ، حيث كان الواحد منهم يظن أن هذا الجيش موجه إليه ^(٣) . فلما سقطت دانية وكانت من أكثر مدن الأندلس حصانة ومنعة وثراء ^(٤) ، زادت مخاوف دويلات الطوائف الأخرى وأحست بالخطر يتهدها ، وأقام المقتدر ابن هود بعض الوقت في دانية ينظم شؤونها ، ثم غادرها وقد أخذ معه صهره علياً وأهله إلى سرقسطة ، وأنزله في كنفه وظل عنده مكرماً إلى أن مات في سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ^(٥) .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

- الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٦٣ .

(٢) مذكرات الأمير عبد الله الزيري ، ص ٧٨ .

(٣) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٧٨ ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٦ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٥) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٧٨ .

- ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ ؛ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٢٢ .

- وأنظر مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٢١٧ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ .

- Huici Miranda : Op , Cit . , p . 255 .

- بينما يذكر ابن الأثير والنويري أن المقتدر استولى على دانية في شهر رمضان ٤٧٨ هـ ، لعله يقصد ذكر تاريخ وفاة المقتدر .

(راجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٩١ .

- النويري : نهاية الارب ، ج ٢٣ ، ص ٤٦٧ .

وفي رواية أخرى أن علياً استطاع الفرار أمام المقتدر ، ولحق بالعدوة ، والتجأ إلي بنى حماد وأصحاب بجاية ^(١) Bougie وهناك توفي ^(٢) .

إلا أن ابن بسام أورد في رسالة لابن طاهر ما يفيد بموت علي بن مجاهد عند تغلب ابن هود على دانية قائلا " كتابي عند ورود الخبر الصحيح بالتغلب على دانية وتثقيف قصبتها ، وتملك معز الدولة - (استنقذه الله) - وهجوم المنية على اقبال الدولة (رحمه الله) ... " ^(٣) ولهذا فإنني اعتقد أن تلك الرواية على جانب كبير من الأهمية ، نظراً لكون ابن طاهر معاصراً للأحداث ، كتب رسالته بعد تأكده من تغلب ابن هود على دانية . ويتبين لنا من مضمون رسالته أن ابن هود استولى على دانية بعد مقاومة ، ويبدو أن علياً مات مدافعاً عن ملكه بينما ظل ابنه معز الدولة في قبضة ابن هود . ومن المرجح أنه قام بتوليته على بعض أملاك أبيه على أن يكون تابعاً له ، وحمل اسم أبو عامر الذي ذكره ابن الأثير والنويري إذ يقولان ، بأنه بعد موت علي بن مجاهد " ولي بعده ابنه أبو عامر ولم يكن مثل أبيه وجده " ^(٤) ، فقد كان لا يتمتع بأي خصال تؤهله للأمرة ، يحث وصفه ابن بسام بأنه " قليل الطبع ، ثقل السمع ضيق الذرع ، قد غذي بالترف واللبن ... " كما وصفه " بالجاهل الجبان " ^(٥) وسرعان ما أقاله ابن هود وطرده واستولى على سائر أملاكه ^(٦) ، ولهذا فإنني أميل إلي ترجيح رأي الدكتور عصام سيسالم بأن المقتدر عندما طرد معز الدولة من سرقسطة ، توجه منها إلي بجاية في المغرب الأوسط حيث عاش تحت رعاية بنى حماد ، ونسب هذا اللجوء لوالده علي اقبال الدولة ^(٧) .

^(١) وبجاية هذه دار ملك بنى حماد الصنهاجيين الذين تنتسب قلعة بنى حماد إليهم ، وكانوا يملكون من قسنطينة المغرب إلي موضع يعرف بسيوسيرات . (المراكشي : المعجب ، ص ٢٣٥) .

^(٢) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٠٢ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٥ .

^(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٨١ .

^(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .

- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٦٧ .

^(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٦٧ .

^(٦) النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٤٦٧ .

^(٧) عصام سالم سيسالم : جزر الأندلس المنسية ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

ومن الملاحظ أن المقتدر لما استولى على دانية أخذ عليه رجال دولته تصرفه هذا واتهموه بالضعف لتركه بلنسية المجاورة له ، مع أنها أكثر فائدة وأهمية لو فر غلاتها وعجز رجالها وخواصها ، وعدم وجود ملك يحكمها ويدافع عنها ، فاتجه خطأ إلى غزو دانية ^(١) التي لم يكن له حدود معها ، وعلى الرغم من أن بلنسية كانت ضرورية للربط بين دانية وطرطوشة ^(٢) .

ويبدو أن السبب في عدم استيلاء المقتدر على بلنسية في ذلك الوقت يرجع إلى أنها كانت في حوزة أبي بكر بن عبد العزيز - وزير عبد الملك بن عبد العزيز المظفر - الذي استولى عليها بايعاز منه ، وبالتالي كان حليفاً له ، ومن ثم يبدو لي أن المقتدر بالاتفاق معه ، جاز بجيشه عبر أراضيه متجهاً إلى دانية للاستيلاء عليها . وبعد أن تم له ذلك طمع في بلنسية التي وقعت بين شقي الرحي حتى تمكن من الاستيلاء عليها بالاتفاق مع الأذفونش ^(٣) .

وتصمت المصادر العربية عن ذكر أي أخبار عن أبناء علي بن مجاهد ، ولم تذكر منهم سوى ابنه سراج الدولة الذي لا نعلم اسمه الأصلي ، أما ولداه محمد ومجاهد . فقد ورد ذكرهما عفواً في الوثيقة التي أصدرها علي لصالح أسقف برشلونة ، وبالنسبة لابنه معز الدولة الذي أرسله علي لاستصلاح المقتدر عند محاصرته لدانية ، فلم تذكر المصادر أي شيء بشأنه بعد أن طرده ابن هود ، كما أن الفتح ابن خاقان عندما يتحدث عن أحد أبناء علي يقول " أخبرني ابن اقبال الدولة بن مجاهد " دون أن يذكر اسمه ^(٤) .

(١) قائلين (ما أحق هذا وأهوجه ، عجز عن الأيم ونكح المزوجة)

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) - Huici Miranda : Op , Cit ., pp . 251 - 252 .

Afif Turk : Op , Cit ., pp . 115 - 116 .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٤١ - ٤٣ ؛ مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٧٨ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٤٩ .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

- Huici Miranda : Op , Cit ., p . 253 .

- Maria Jusus Viguera : Aragon Musulmana , p . 160 .

(٤) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ص ٥٧ .

أما سراج الدولة بن علي الذي ذكرته المصادر العربية بطريقة مقتضبة اقتصر على القول بأنه وقت سقوط دانية كان حاكماً على معقل شقورة Segura فانفرد بها وضبطها ^(١) وبدأ يسعى إلى استرداد ملك أبيه ، فسار إلى برشلونة ليطلب مساعدة صاحبها الكونت برنجير الأول ، فاستجاب إليه بشروط محددة - لم يذكرها - وأمدّه ببعض قواته ، واستطاع بالفعل أن يسترد بعض الحصون لكن المقتدر كان له بالمرصاد عندما أحس بالخطر ، ويقال أن المقتدر استطاع أن يتخلص منه ، بأن دس عليه من اغتاله بالسّم ، فتوفي سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ - ١٠٧٧ م بعد نحو عام من خلع أبيه ^(٢) .

وباستيلاء المقتدر على دانية سنة ٤٦٨ هـ - بالإضافة إلى طرطوشة التي خضعت له سنة ٤٥٢ هـ - أضحت مملكته من أكبر ممالك الطوائف في هذا الوقت ، كما أصبح الملك الوحيد في الأندلس الذي تمثل حدوده أكثر من نصف الحدود المشتركة مع الدويلات المسيحية في قطلونيا وأراجون ونبرة وقشتالة ^(٣) .

(١) ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ ؛ عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٩ .

- Campaner Y Fuertes : Bosquejo Historico de la Damanicion Islamita en las Islas Baleares , p . 84 .

- Huici Miranda : Historia Musulmana de Valencia , p . 256 .

- بينما يذكر ابن الأبار أنه " انفرد بحكم شقورة ثم مات حتف أنفه وخلف على حرمة وولده في قصبتها عبيد بن أبيهما عبد لآبيه من سبي سردانية وهما إبراهيم وعبد الجبار بن سهيل " .

ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(٣) Afif Turk : El Reino de Zaragoza , p . 76 .

(٦)

الحياة العلمية والأدبية في مملكة دانية في عهد مجاهد

اجتذب بلاط مجاهد العلماء والأدباء إلى انتجاع حضرته بفضل ما عُرف عنه من اهتمام خاص بالعلوم الشرعية واللغوية^(١) والأدبية وما ساد مملكة دانية من سلام وأمن لم تشهدهما الأندلس منذ سنوات طويلة مضت ، وشارك مجاهد نفسه في هذه الحركة العلمية المباركة فألف في العروض كتاباً^(٢) ، وكان يحيط نفسه بجو علمي وأدبي حتى قيل أن جواريه وغلماؤه كانوا يقبلون على العلوم والآداب بتشجيع منه^(٣). وبرزت منهن العبادية التي أداها مجاهد إلى المعتضد بن عباد وكانت على قدر كبير من المعرفة باللغة كما كانت شاعرة مجيدة^(٤).

وقد امتدحه ابن حيان شيخ مؤرخي الأندلس وأشاد بمآثره في العلوم والآداب فذكر أنه "فتى أمراء دهره ، وأديب ملوك عصره لمشاركته في علم اللسان ونفوذه في علوم القرآن عني بذلك من صباه وابتداء حاله ، إلي حين اكتهاله ، ولم يشغله عن التزويد عظيم ما مارسه من الحروب براً وبحراً ، وحتى صار في المعرفة نسيج وحده ، جمع من دقاتر العلوم خزائن جمّة^(٥) ، وكانت دولته أكثر الدول خاصة ، وأسراها صاحبة لانتحاله العلم والفهم ، فأمه جملة من العلماء

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٧٨٢ - ٧٨٣ .

(٢) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٥٤ .

- الضبى : بغية الملتبس ، ص ٤٧٣ .

(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٨ .

(٤) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٨٣ .

Henri Peres : Esplendor , p . 431 .

وانظر الترجمة العربية ، الطاهر أحمد مكي : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص ٣٧٥ .

(٥) في بداية الفتنة بددت مكتبة القصر الخلافي بقرطبة وبيعت الكتب بأقل الأثمان ، وانتشرت في سائر أنحاء الأندلس . (صاعد البغدادي : طبقات الأمم ، ص ١٦٤) . ويبدو أن مجاهد حصل على نصيب الأسد من هذه الكتب وأسس بذلك خزانة كبيرة من الكتب في شتى أنواع العلوم .

، وأنسوا بمكانه ، وخيموا في ظل سلطانه ، واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة " (١) .

ولقد كان مجاهد نفسه على دراية تامة باللغة العربية وآدابها ، والقرآن وقراءاته ومعانيه وفي ذلك يقول ابن حيان : " كان أبو الجيش مجاهد يباين سائر ملوك زمانه بخلال من الفضل ، من أشفها العلم والمعرفة ، اللذان لم يكن في الأحرار ولا في الموالي أثبت قدماً منه فيها يكاد يُربى على متقليديها من أكابر العلماء في وقته لا سيما علم العربية ، فإنه تحقق به ، إلي ما يتصرف من علم القرآن قراءاته ومعانيه وغريبه وتفسيره " (٢) .

واستقر بدانية في عهده علماء عظام في شتى أنواع العلماء ، فازدهرت بها العلوم والآداب ، وغدت موطناً لأولى الفضل من أعلام الفقه واللغة والأدب ، استظلوا بظله ونعموا بعطاياه ومننه (٣) ومن الجدير بالذكر أن تمكن مجاهد من اللغة ، وعلمه بأساليبها يسر له القدرة على النقد فهابه الشعراء (٤) .

- وفيما يلي عرض لأبرز علماء دانية ممن نزل بها أوزارها في عصر مجاهد العامري

-
- (١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٣ .
 - ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .
 - ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .
 - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٣١٨ .
 - وأنظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .
 - (٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .
 - (٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١٨ .
 - وأنظر ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .
 - (٤) ابن بسام : الذخيرة : ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٣ .
 - ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .
 - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٩ .

- Heneri Peres : Op , Cit ., p . 85 .

- Huici Miranda : Op , Cit ., pp . 229 - 230 .

أولاً: في العلوم الدينية

١- أبو عمر الداني:

هو أبو عمرو بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي المعروف بابن الصيرفي^(١)، أحد كبار الأئمة في علوم القرآن ورواياته وتفسيره وإعرابه، وفي الحديث وطرقه وأسماء رجاله ونقلته وتعددت تواليه فيهما، ولد بقرطبة سنة ٣٧١ هـ، ونزل دانية سنة ٤١٧ هـ في عهد مجاهد العامري ولذلك لقب بالداني. بدأ بطلب العلم وسنة أربعة عشرة سنة ثم رحل إلى المشرق لاداء فريضة الحج سنة ٣٩٧ هـ وعاد إلى الأندلس في سنة ٣٩٩ هـ في بداية الفتنة، فاستوطن دانية، واشتغل بعلوم القرآن والحديث فبلغ الغاية فيها^(٢).

ومن أشهر مؤلفاته كتاب "التيسير في القراءات السبع" وكتاب "الاقتصاد في القراءات السبع" هذا عدا مائة وعشرين مصنفاً^(٣). وتوفي في النصف من شعبان سنة ٤٤٤ هـ / ١٠ ديسمبر ١٠٥٢ م^(٤).

(١) ياقوت : معجم الأدباء ، ج ٤ ، ص ٢٨ .
- وأنظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٣٢ .
(٢) الحميري : جذوة المقتبس ، ص ٣٠٥ ، ترجمة ٧٠٢ .
- ابن بشكوال : الصلة ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ ؛ ترجمة ٨٧٦ .
- ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .
- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٧٨٣ .
- الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٣٢ .
- ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ .
(٣) ياقوت : معجم الأدباء ، ج ٥ ، ص ٣٦ .
(٤) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣٠٥ .
- ابن بشكوال : الصلة ، ص ٤٠٧ .
- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج ٢ ، ص ٨٠١ .
- وأنظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٣٢ .

٢- أبو الوليد الباجي:

هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن أيوب بن وارث التجيبي المالكي الأندلسي الباجي ، ولد سنة ٤٠٣ هـ بمدينة بطليوس ، كان من علماء الأندلس وحفاظها نزل بشرق الأندلس فترة ثم رحل إلي المشرق سنة ٤٢٦ هـ ، وأقام متردداً على مراكز العلم فيه نحو ثلاثة عشر عاماً^(١). وصنف كتباً كثيرة منها كتاب "المنتقى" وكتاب "أحكام الفصول في أحكام الأصول" وكتاب "التعديل والتجريح فيمن روي عنه البخاري الصحيح" وكتاب "شرح الموطأ"^(٢) وأدخل كتب الفقيه الفيروز - ابادي الشيرازي^(٣) إلي الأندلس مثل كتاب "التبصرة في الفقه" و"اللمع" في أصول الفقه و"المعرفة" في الجدل^(٤).

عمل أبو الوليد الباجي أول أمره في خدمة المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس ثم دعاه مجاهد لقضاء بعض الوقت في دانية ، فأعجب بعلمه وفقهه ومقدرته فاستبقاه في دانية . ويدل على ذلك تلك الرسالة الرائعة التي كتبها له أبو محمد بن عبد البر إلي المظفر ببطليوس وضمنها مدحاً وثناءً على أبو الوليد الباجي^(٥).

وقد علت مكانة أبو الوليد بين علماء الأندلس وأثنى عليه ابن حزم رغم اختلاف وجهات نظرهما في بعض المسائل ، بل أن أبا الوليد أقحم ابن حزم في مناظرات قامت بينهما بميورة وتسبب في احراق

(١) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ج ٢ ، ص ٥٩٩ وما يليها .
- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٩٤ - ٩٥ .
- ابن بشكوال : الصلة ، ص ٢٠٠ - ٢٠٢ ترجمة ٤٥٤ .
- الضبي : بغية الملتبس ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ترجمة ٧٧٧ .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .
- النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٩٥ .
- الحميري : الروض المعطار ، ص ٧٥ .
- ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ ترجمة ٢٧٥ .
- الحميري : الروض المعطار ، ص ٧٥ .
(٣) هو أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف .
(٤) الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٤ .
(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٩٧ .

كتبه . ومع ذلك قال فيه ابن حزم " لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي " ^(١) .

ويرجع إلي الباجي الفضل في دعوة ملوك الطوائف إلي جمع الكلمة ، والتضامن في وجه أعداء الإسلام ^(٢) وتوفي الباجي في ١٩ رجب ٤٧٤ هـ (٢٣ ديسمبر ١٠٨١ م) ^(٣) .

٣- ابن حزم

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الأندلسي القرطبي النشأة الفارسي الأصل ^(٤) ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ ، كما لقب بالظاهري ، نسبة إلي مذهبه الذي انتقل إليه بعد أن كان شافعيًا ^(٥) . أما أسرة ابن حزم فقد كانت تعيش أولاً في قرية منت لشم من إقليم الزاوية من عمل أو نبه التابعة لكورة لبلة في غرب الأندلس ، استوزره عبد الرحمن المستظهر بالله ثم المعتد بالله ^(٦) ثم تولى ابن حزم عن

-
- (١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٩٦ .
 - ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .
 - ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .
 - ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .
 (٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٩٥ - ٩٦ .
 - وأنظر ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
 (٣) ابن بشكوال : الصلة ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ ؛ الضبي : بغية الملتمس ، ص ٣٠٣ .
 - ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ؛ الحميري : المصدر السابق ، ص ٧٥ .
 (٤) صاعد البغدادي : طبقات الأمم ، ص ١٨١ - ١٨٤ .
 - الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ترجمة ٧٠٨ .
 - ابن بشكوال : الصلة ، ص ٤١٥ - ٤١٧ .
 - الضبي : بغية الملتمس ، ص ٤١٥ ترجمة ١٢٠٥ .
 - ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١٢ ، ص ٢٣٥ .
 - ويتشكك ابن حيان وابن سعيد في انتمائه إلي فارس ويرجحان نسبته إلي عجم لبلة . (ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٧ ؛ - ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٣٥٥)
 - لهذا يقول شوقي ضيف " يبدو أن ابن حزم لم يعرف جذور أسرته معرفة دقيقة " .
 - ضيف (دكتور شوقي) : تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والامارات (الأندلس) ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٩ م ، ص ٤٩٤ .
 (٥) صاعد : المصدر السابق ، ص ١٨٣ ؛ ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .
 - ابن العماد شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .
 (٦) صاعد : المصدر السابق ، ص ١٨٣ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١٢ ، ص ٢٣٧ .

عمله وزيراً وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن فعنى بعلم المنطق وألف فيه توالييف كثيرة^(١)، كما تبحر في علوم الحديث وفقهه واهتم باستنباط الأحكام من الكتاب والسنة^(٢).

ولابن حزم مؤلفات كثيرة في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المعارضين بلغت نحو أربعمائة مجلد^(٣) ومن أهم كتبه كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل" وكتاب "كشف الالتباس"، ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس^(٤) كما ألف أوسع كتب النسب وأحفلها وأدقها وهو كتبه "جمهرة أنساب العرب"^(٥) وكتاب "نقط العروس" جمع فيه كل غريب ونادر^(٦).

وبرز في علوم اللغة والأدب^(٧) ومن أهم مؤلفاته في هذا المجال كتابه عن الحب المسمى "طوق الحمامة" ألفه أثناء مقامه بشاطبة سنة ٤١٨ هـ أو ٤١٩ هـ^(٨).

(١) صاعد : المصدر السابق ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

- الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٠٩ ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٦٧ .

- ياقوت : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ؛ ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .

(٢) الحميرى : الجذوة ، ص ٣٠٨ ؛ الضبى : بغية الملتبس ، ص ٤١٥ .

(٣) صاعد البغدادي : طبقات الأمم ، ص ١٨٣ .

- ابن بشكوال : الصلة ، ص ٤١٦ .

- أنظر قنمة بمؤلفاته في مقدمة كتاب جمهرة أنساب العرب ، ص ٩ - ١٢ .

- وانخل جنثا لثبائنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢١٧ - ٢٣٧ .

(٤) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٠٨ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

- الضبى : بغية الملتبس ، ص ٤١٥ - ٤١٦ .

(٥) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١٣ .

(٦) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

(٧) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٧٢ .

- الضبى : بغية الملتبس ، ص ٤١٦ .

- يقول عنه الفتح بن خاقان في المطمح "وله في الأدب سبق لا ينكر وبديهة لا يعلم أنه روي فيها ولا فكر وقد أثبت من شعره ما يعلم أنه لوحد وما مثله " .

(الفتح بن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٨٠ - وأنظر ابن العماد شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠٠) .

(٨) شوقي ضيف : المرجع السابق ، ص ٤٩٧ .

وأثار بتفوقه في شتى أنواع العلوم والمعرفة غيرة جماعة من حاسديه من رجال عصره فوشوا به إلي المعتضد بن عباد وحرصوا عليه حتى اضطر إلي حرق كتبه وتنتقل في عدد من المدن والاقاليم^(١) والتجأ إلي دانية فارتفعت منزلته عند مجاهد فقربه إليه وأدناه من نفسه، وانتهى به المطاف بنواحي لبلة مسقط رأسه، وبقي هناك إلي أن وافته المنية في شعبان ٤٥٦ هـ / يوليو ١٠٦٤ م^(٢).

٤- أحمد بن رشيق:

هو أبو العباس أحمد بن رشيق أحد أعلام الاندلس البارزين، كان أبوه من موالى بنى شهيد، نشأ بمرسية، وانتقل إلي قرطبة وطلب الأدب فنبغ فيه، وشارك في سائر العلوم، ومال إلي الفقه والحديث، ولما استقر بدانية قدمه مجاهد علي كل من كان بدولته من أهل العلم والمعرفة والأدب، وولاه جزيرة ميورقة، وهناك تولى الأمور بالعدل والسياسة، ولم يشغله ذلك عن العناية بالفقه والحديث فكان يجمع العلماء والصالحين ويؤثرهم، ويصلح الأمور جهده وكان يتسم مع هذا كله بالهيبة والتواضع والحلم، وهو الذي رحب بابن حزم الذي تناظر بين يديه مع أبي الوليد الباجي كما أسلفنا الحديث عنهما. وتوفي أحمد بن رشيق فيما يقرب من سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ - ١٠٤٩ عن سن عالية^(٣).

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، م ١، ص ١٦٨. قال ابن العريف كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقتين.

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٠٠.

- وأنظر الداية (دكتور محمد رضوان) مختارات من الشعر الأندلسي، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، دمشق ١٩٦٩ م، ص ٥٨.

(٣) الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٣٠٩؛ ابن بسام: الذخيرة، ق ١، م ١، ص ١٦٨.

- ابن بشكوال: الصلة، ص ٤١٧؛ الضبى: بغية الملتبس، ص ٤١٦.

- ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ٣٥٥.

(٣) الحميدى: جذوة المقتبس، ص ١٢٢، ١٢٣ - ١٢٤ ترجمة ٢٠٨.

- الضبى: بغية الملتبس، ص ١٧٨ - ١٧٩ ترجمة ٤٠٠.

- ياقوت: معجم الأنباء، ج ٣، ص ٣٣.

- ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ٢، ص ١٢٨ ترجمة ١٣١.

٥- أبو عمر بن عبد البر

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري إمام عصره وواحد دهره ^(١) ولد بقرطبة في ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ وهجر قرطبة مسقط رأسه ومكث في الغرب مدة ثم تحول إلي شرق الأندلس ، وتردد بين دانية وبلنسية وشاطبة وفيها توفي سنة ٤٦٣ هـ ^(٢) .

وكان أبو عمر فقيهاً حافظاً مكثراً عالماً بالقراءات وبالاخلاف في الفقه وبعلم الحديث ومؤرخاً وأديباً ^(٣) ، قال عنه أبو الوليد الباجي لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث وهو أحفظ أهل المغرب ^(٤) ، ومن تصانيفه التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد "سبعون جزءاً" ، وكتاب "الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم" وكتاب "جامع بيان العلم وفضله" ، وما ينبغي في روايته جملة "سنة أجزاء وكتاب "الدرر في اختصار المغازي والسير" وغيرها ^(٥) .

(١) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٣٩٤ .

- ابن بشكوال : الصلة ، ص ٦٧٧ ترجمة ١٥٠١ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ ترجمة ٦٠٧ .

- ودار بنى النمر بن قاسط بالأندلس : حصن وضاح من أعمال رية .

(ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٢ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ص ٦٧٨) .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ، ص ٦٧٩ .

- بينما يذكر الحميدى والضبي أنه ولد في رجب سنة ٣٦٢ هـ ولا يحددان تاريخ وفاته بالضبط .

- الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٦٧ - ٣٦٩ .

- الضبي : بغية الملتبس ، ص ٤٩٠ - ٤٩١ .

- وأنظر ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٤ .

(٣) الحميدى : المصدر السابق ، ص ٤٦٧ .

- الضبي : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .

(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ص ٦٧٧ - ٦٧٨ .

(٥) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

- الضبي : بغية الملتبس ، ص ٤٩٠ - ٤٩١ ؛ وأنظر ابن بشكوال : الصلة ، ص

٦٧٨ - ٦٧٩ .

- ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .

٦- أبو عمر الطلمنكي

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لب بن يحيى بن محمد قلزمان المعافري المقرئ المنسوب إلي طلمنكة^(١) ولد سنة ٣٤٠ هـ وتوفي سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ - ١٠٣٧ م^(٢).

كان أحد الأئمة في علم القرآن قراءاته واعرابه وأحكامه ومعانيه ، له كتب كثيرة على مذاهب أهل السنة ، ظهر فيه علمه ، وكانت له عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته وضبطه ومعرفة برجاله وحملته ، هاجر من قرطبة إلي الثغر فتجول فيه وانتفع الناس بعلمه^(٣) ، ثم قصد طلمنكة بلده في آخر عمره فتوفي بها بعد طول التجول والاغتراب وله تسعة وثمانون سنة^(٤).

٧- علي بن أحمد بن أبي الفرج

هو أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الفرج الأموي ، من أهل دانية ، صاحب أبا عمرو المقرئ وأخذ عنه كثيراً ، وأخذ أيضاً عن أبي عمر الطلمنكي ، وأبي مكي بن أبي طالب وغيرهم وكان من أهل التقيد والاعتناء بالعلم^(٥).

-
- (١) الحميدى : المصدر السابق ، ص ١٦٢ ترجمة ١٨٧ .
 - ابن بشكوال : المصدر السابق ، ص ٤٤ ترجمة ٩٢ .
 - الضبى : المصدر السابق ، ص ١٦٢ ترجمة ٣٤٧ .
 - ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ .
 (٢) الضبى : بغية الملتبس ، ص ١٦٢ .
 - بينما يذكر الحميدى أنه توفي سنة ٤٢٠ هـ (الحميدى : جذوة المقتبس ، ١١٤) .
 - ويذكر ابن بشكوال أنه توفي سنة ٤٢٩ هـ .
 - ابن بشكوال : الصلة ، ص ٤٥ .
 (٣) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١١٤ .
 - ابن بشكوال : الصلة ، ص ٤٥ .
 - الضبى : بغية الملتبس ، ص ١٦٢ .
 - ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ .
 (٤) ابن بشكوال : الصلة ، ص ٤٥ .
 - الضبى : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .
 (٥) ابن بشكوال : الصلة ، ص ٢٢٣ ترجمة ٩٠٧ .

٨- ابن الصائغ

هو أبو عبد الله محمد بن مبارك ، يعرف بابن الصائغ ، من أهل دانية كان فقيهاً حافظاً عن أبي عمرو الداني المقرئ وتوفي سنة ٤٧٦ هـ / (١) ١٠٨٣ - ١٠٨٤ م .

٩- خلف بن إبراهيم

هو أبو القاسم خلف بن إبراهيم بن محمد القيسي المقرئ الطليطلي - سكن دانية - روي عن أبي عمرو المقرئ وعن أبي الوليد الباجي وغيرهما وأقرأ الناس القرآن وتوفي في ربيع الأول سنة ٤٧٧ هـ / يوليو ١٠٨٤ م (٢) .

١٠- ابن السقاط

هو أبو عبد الله محمد بن خلف بن مسعود بن شعيب ، ويعرف بابن السقاط القرطبي ولد سنة ٣٩٥ هـ ، رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج ، وكان حسن الخط سريع الكتابة ثقة فيما رواه وعنى به ، روي بالأندلس عن أبي عمر الطلمنكي ، وأبي عمرو المقرئ واستقضى بقرطبة وقونكة ، وكان محبباً إلى أهل بلده ، ولحقته محنة في آخر أيامه وتوفي بدانية فيما يقرب من سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م (٣) .

١١- عامر بن خليفة الأنردي

كنيته أبو محمد - من أهل دانية - كان راوية للعلم وفقيهاً بصيراً بالشروط والعقود، وتوفي حوالي سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ - ١٠٦٨ م (٤) .

(١) نفس المصدر ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤ ترجمة ١٢١٣ .

- أنظر ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج ٢ ، ص ٨٠١ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ، ص ١٧١ ترجمة ٣٩٠ .

(٣) نفسي الصمدر ، ص ٥٥٩ ترجمة ١٢٢٧ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٤٣ ترجمة ٩٥٣ .

١٢- ابن الحذاء

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي من أهل قرطبة ولد سنة ٣٨٠ هـ ، روي عن أبيه أكثر رواياته وأرسله صغيراً لطلب العلم والسمع سنة ٣٩٣ هـ ، فحصل له سماع عن شيوخ أجلاء حتى أدرك درجة أبيه ، رحل عن قرطبة عند بداية الفتنة ، فسكن مدينة سرقسطة والمريّة ، ثم تقلد أحكام القضاء بمدينة طليطلة ثم بدانية ، وعاد إلى قرطبة في آخر عمره وتردد بينها وبين اشبيلية إلى أن توفي في هذه الأخيرة سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ - ١٠٧٥ م ^(١) .

١٣- عبد العزيز بن علي الشهرزوري

يكنى أبا عبد الله ، قدم الأندلس سنة ٤٢٦ هـ قادماً من المشرق ، وكان شيخاً جليلاً نهل من كافة العلوم والآداب بأوفر نصيب ، وكان له تخصص في علوم القرآن وتعبير الرؤيا . دخل دانية وأقام بها مدة ، ثم ركب البحر منصرفاً إلى المشرق فقتلته الروم في البحر سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٣٦ م وقد قارب على المائة سنة ^(٢) .

١٤- عتيق الأنصاري

هو أبو بكر عتيق بن محمد بن أحمد بن عبد الحميد الأنصاري من أهل دانية روي عن ابن داود المقرئ ، وطاهر بن مفوز ، وأبي الوليد الوقشي ، وأبي الحسن المقرئ وغيرهم ، تولى الصلاة والخطبة بجامع دانية ، وكان خيراً فاضلاً راوية للعلم وكان ثقة فيما رواه ^(٣) .

^(١) ابن بشكوال : الصلاة ، ص ٦٢ - ٦٣ ترجمة ١٣٣ .

- أنظر الضبي : بغية الملتبس ، ص ١٦٣ ترجمة ٣٤٩ .

- أنظر : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ .

^(٢) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ترجمة ٨٠٥ .

^(٣) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ص ٥٤١ - ٥٤٢ ترجمة ٩٧٠ .

١٥- ابن الحشا

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن ، يعرف بابن الحشا ، أصله من قرطبة .
روي بالمشرق والقيروان وسمع بقرطبة ، وحضر في دانية مجالس أبي عمر بن عبد البر ، وأبي عمرو المقرئ وغيرهم ، وكان من أهل العلم والنباهة والفهم ومن بيت علم وفضل ، تولى قضاء طليطلة ثم طرطوشة ثم دانية إلى أن توفي بها سنة ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ - ١٠٨١ م^(١) .

١٦- هارون بن موسى بن خلف بن عيسى بن أبي درهم

يكنى أبا موسى ، أصله من مدينة وشقة ، استوطن دانية وتولى القضاء بها والخطابة بجامعها ، وكانت له معرفة بالاحكام ، وعقد الشروط ، توفي فيما يقرب من سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م^(٢) .

١٧- سليمان بن أبي القاسم نجاح

هو مولى أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله ، وكنى أبا داود ولد سنة ٤١٣ هـ وسكن دانية وبلنسية . روي عن أبي عمرو المقرئ وأبي عمر بن عبد البر ، وأبي الوليد الباجي وغيرهم ، وكان من جلة المقرئين وعلمائهم برز في القراءات ورواياتها وطرقها ، وكان حسن الضبط لها ، له مؤلفات كثيرة في معاني القرآن العظيم وغيره وتوفي ببلنسية سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ - ١١٠٣ م^(٣) .

(١) ابن بشكوال : الصلة ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ ترجمة ٧٢٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٥٨ ترجمة ٤٤٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ترجمة ٤٥٨ .

الضبي : بغية الملتبس ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ترجمة ٧٧٨ .

١٨- سعيد بن سليمان الهمذاني

يعرف بنافع ، ويكنى أبا عثمان ، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الحسن الانطاكي كان من أهل العلم بالقرآن والعربية ، ومن أهل الضبط والاتقان والستر الظاهر توفي بمدينة دانية سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م^(١) .

١٩- أحمد بن الحسن بن عثمان الفساني

يكنى أبا عمرو يعرف بابن أبي رثال من أهل المرية استوطن دانية وولى قضاء دانية لمجاهد العامري ، وأوفده ابنه اقبال الدولة بعد خلاصه من الأسر بسر دانية إلى القيروان في أيام المعز بن باديس الصنهاجي ، فلقى هنالك أبا عمران الفاسي وطبقته ، وجرت له معهم مسائلات توفي حوالى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ - ١٠٤٩ م^(٢) .

٢٠- المعيطى

هو الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن الوليد المعيطى ، كان أحد من أز عجمته الفتنة من رجال الاشراف بقرطبة ، وكان من عداد الفقهاء المشاورين بها ، سار من قرطبة إلى دانية في كنف ملكها مجاهد العامري الذي كفله وأحاطه بالتقدير والاحترام والاجلال ، ونصبه خليفة سنة ٤٠٥ هـ إلى أن خلعه مجاهد بعد عودته منكوباً من سر دانية سنة ٤٠٧ هـ ، وتوفي بها سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ - ١٠٤١ م^(٣) .

٢١- أحمد بن عثمان

هو أبو العباس أحمد بن عثمان بن سعيد الأموي والد أبي عمرو المقرئ الحافظ ، أصله من قرطبة واستقر به المطاف بدانية .

(١) ابن بشكوال : الصلة ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ترجمة ٤٧٨ .

(٢) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ ، ص ٤٢ ترجمة ١٢١ .

(٣) راجع ما كتب في هذا الفصل .

روي عن أبيه وعن غيره ، وأقرأ الناس القرآن بالروايات ،
وتوفى في رجب ٤٧١ هـ يناير ١٠٧٩ م ^(١) .

ثانياً : أشهر علماء دانية في العلوم العقلية

١- اسحاق بن قسطنطين

كان خادماً يهودياً لمجاهد العامري وابنه على اقبال الدولة وكان
بصيراً بأصول الطب مشاركاً في علم المنطق على معرفة بأراء
الفلاسفة ، وكان متقدماً في علم اللغة العبرية بارعاً في فقه اليهود ،
وحبراً من أحبارهم ، توفى بطليطلة سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م عن خمس
وسبعين عاماً ^(٢) .

٢- ابن الصغار :

هو أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر ، كان من أبرز علماء
الأندلس في العدد والهندسة والنجوم وينسب له زيغ مختصر على
مذهب السند هند ، وكتاب في العمل بالاسطرلاب مبسط ، رحل من
قرطبة بعد مضي صدر من الفتنة واستقر بمدينة دانية قاعدة مجاهد
العامري وتوفى بها ^(٣) .

٣- أبو الوليد هشام الوقيشي

هو أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام بن خالد الكناني من أهل
طليطلة ولد سنة ٤٠٨ هـ ^(٤) ، كان أحد المتقدمين في العلوم الهندسية
والمنطق بالإضافة إلي رسوخ قدمه في علم النحو واللغة والشعر
والخطابة والاحكام بعلم الفقه والأثر والكلام ، وهو مع ذلك كان شاعراً

^(١) ابن بشكوال : الصلة ، ص ٦٥ ترجمة ١٣٨ .

^(٢) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

^(٣) نفس المصدر ، ص ١٧١ .

^(٤) نفس المصدر ، ص ١٧٨ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ص ٦٥٣ .

- ابن نحية : المطرب ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

بليغاً لساناً يفظاً عالماً بالانساب والأخبار والسير مشرفاً على جمل سائر العلوم ^(١) وتوفي بدانية في جمادي الآخرة سن ٤٨٩ هـ مايو - يونيو ١٠٩٥ م ^(٢).

ثالثاً: أبرز علماء اللغة والنحو والأدب

١- أبو العلاء صاعد البغدادي

هو أبو العلاء صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي ، الوافد من العراق ، أصله من الموصل ، ورحل إلى بغداد حيث درس على شيوخ عصره ونسب إليها ، وكان عالماً باللغة والأدب والأخبار ، وفد إلى الأندلس في أيام هشام المؤيد وحجابه المنصور بن أبي عامر فيما يقرب من عام ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م فأكرمه المنصور وزاد في الاحسان إليه والافضال عليه . وجمع له كتاب " الفصوص " وأثابه عليه خمسة آلاف دينار واتهم بالكذب في نقله ، لهذا رفض الناس كتابه ^(٣) . وحل في بلاط مجاهد حيث مدحه بعد أن أنزل هزيمة نكراء بخيران . وتوفي بصقلية سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م ^(٤).

(١) ابن صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٧٨ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ص ٦٥٣ .

(٢) ابن بشكوال : نفس المصدر ، ص ٦٥٣ .

(٣) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٤٠ ؛ ترجمة ٥٠٨ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ م ١ ، ص ٩٠٨ .

- ابن بشكوال : الصلة ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ؛ ترجمة ٥٤١ .

- الضبى : بغية الملتبس ، ص ٣١٩ ترجمة ٨٥٢ .

- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .

- ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ، ص ٤٨٨ - ٤٨٩ ؛ ترجمة ٣٠١ .

- ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٤) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٤٤ ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ م ١ ، ص ٥٥ .

- ابن بشكوال : الصلة ، ص ٢٣٧ .

- بينما يذكر الضبى وابن خلكان أنه توفي سنة ٤١٧ هـ .

- الضبى : بغية الملتبس ، ص ٣٢٣ .

- وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٨٩ .

٢- ابن سيده

هو أبو الحسن علي بن محمد بن سيده الأعمى المعروف بابن سيده اللغوي المرسى ، ولد في مرسية سنة ٣٩٨ هـ ، وعنى في صباه بعلم المنطق عناية فائقة وألف فيه ، وكان أعلم أهل الأندلس بالنحو واللغة والأشعار ، وأحفظهم لذلك حتى أنه كان يستظهر كثيراً من المصنفات ، وصنف في اللغة مصنفات جليلة منها كتاب " المحكم " أو المحيط الأعظم مرتب على حروف المعجم ، ومنها كتاب " المخصص " وهو أشهر كتبه مرتب على أبواب ، وكتاب " الأنيق " في شرح الحماسة في ستة مجلدات ، وغير ذلك من المصنفات النافعة^(١) .

وقد أخذ ابن سيده بادي ذي بدء على أبيه الضرير وكان من كبار نحاة الأندلس ، ثم على أبي العلاء صاعد البغدادي الذي سبق ذكره ، وأيضاً على أبي عمر الطلمنكى^(٢) .

وكان ابن سيده منقطعاً إلي مجاهد ، وعندما توفي مجاهد الذي شمله باحسانه وفضائله خاف من ابنه اقبال الدولة ففر إلي بعض

(١) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٨٤ - ١٨٥ ؛ الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣١١ ترجمة ٧٠٩ ، ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٩١ .

- ابن بشكوال : الصلة ، ص ٤١٧ - ٤١٨ ؛ ترجمة ٨٩٢ .
- لضبى : بغية الملتبس ، ص ٤١٨ ترجمة ١٢٠٥ .
- ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١٢ ، ص ٢٣١ - ٢٣٣ ترجمة ٦١ .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ ترجمة ٤٤٩ .
- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ترجمة ٥٣١ .
- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٧ .
- ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .
- بروكلمان (كارل) : تاريخ الأدب العربى ، الجزء الخامس ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

- ليفى بروفنسال : الحضارة العربية في اسبانيا ، ص ٧٩ .
- النعيمى (دكتور عبد الكريم شديد) : ابن سيده ، آثاره وجهوده في اللغة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٤ م ، ص ٢٩ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٨ .
(٢) ابن بشكوال : الصلة ، ص ١٠٥ ، ترجمة ٢٤٣ ، ص ٤١٧ .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٣٣١ .

الاعمال المجاورة لأعماله وبقي بها مدة ثم استعطفه ^(١) ، فعفا عنه وأعادته . وتوفي هذا الأديب اللغوي فيما يقرب من سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ - ١٠٦٨ م وقد بلغ الستين أو نحوها ^(٢) .

٣- محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي

من أهل قرطبة ويكنى أبا الوليد ، كان حافظاً للغة مشاركاً في الأدب ، عالماً بالتاريخ وله كتاب في تاريخ الدولة العامرية ، وكان يقابل كتب محمد بن أبي عامر وولده من بعده ، استوطن الجزائر الشرقية في كنف مجاهد العامري ، وولى الأحكام هنالك إلي أن توفي بها في شوال سنة ٤٢٣ هـ / سبتمبر ١٠٣١ م ^(٣) .

٤- عبد الله بن يوسف بن عبد البر النمري

هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ^(٤) ، كان له ولابيه سالف الذكر لواء سبق ، ولسان صدق ، تنقل هو وأبوه في غرب الأندلس ثم في شرقها من بلاط إلي بلاط ، وكتب عن أكثر ملوك الطوائف ^(٥) وانتهى بهما المطاف إلي الاستقرار بدانية حيث توفي عبد الله قبل أبيه وذلك بعد سنة ٤٥٠ هـ ^(٦) .

(١) سوف نورد هذه القصيدة عند حديثنا عن علي أقبال الدولة .

(٢) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ٣١١ - ٣١٢ ؛ المطمح ، ص ٢٩٢ .

نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٧ - ٢٨ ؛ بينما يذكر آخرين " أنه توفي بحضرة دانية يوم الأحد لاربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٨ هـ / ٢٨ مارس ١٠٦٦ م . وعمره ستون سنة أو نحوها (بن صاعد : طبقات الامم ، ص ١٨٥ ؛ بغية الملتبس ، ص ٤١٨ - ٤١٩ ؛ وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٣٣٠) .

(٣) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ ، ص ٣٨٤ ، ترجمة ١٠٦٨ .

(٤) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ٢٦٨ ترجمة ٥٥٦ ؛ ابن بشكوال : الصلة ص ٢٧٩ ؛ ترجمة ٦١١ ؛ الضبى : بغية الملتبس ، ص ٣٥٤ ترجمة ٩٦٥ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ ترجمة ٦٠٢ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ م ١ ، ص ١٢٥ - ١٣١ ؛ ١٤٣ ، ص ١٦٥ - ٢٢٦ .

(٦) قبل سنة ٤٥٨ هـ (ابن بشكوال : الصلة ص ٢٧٩) .

- بينما يذكر ابن بسام أنه توفي في سنة ٤٧٤ هـ وهذه الرواية تتعارض مع الرواية القائلة بوفاته قبل أبيه سنة ٤٦٣ هـ (راجع : ابن بسام : الذخيرة ق ٣ م ١ ، ص ١٢٦) .

وكان عبد الله هذا أديباً بارزاً وعلماً من أعلام البلاغة^(١)، مما اتاح له الارتقاء إلى أعلى المراتب الرئاسية فحصل على لقب ذي الوزيرين^(٢).

٥- ابن شهيد الأندلسي

هو أبو عامر أحمد ابن أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الأشجعي^(٣) القرطبي، ولد في قرطبة سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م وتوفي ٣٠ جمادى الأولى سنة ٤٢٦ هـ / ١١ أبريل ١٠٣٥ م^(٤).

كان ابن شهيد من أسرة عربية عريقة التي تقلب أفرادها في المناصب الإدارية العالية^(٥) وولد ابن شهيد في عهد هشام المؤيد حين وصلت البلاد تحت قيادة المنصور ورعايته إلى أعلى درجات الازدهار السياسي والعسكري، وعاصر اضمحلالها ثم تحللها الكامل ونهاية سطوتها^(٦).

وكان ابن شهيد من أشهر أعلام الأندلس في الأدب، وله التصانيف الغريبة البديعة منها كتاب "كشف الدك وإيضاح الشك"

(١) الحميدى: الجنوة ٢٦٨؛ ابن بشكول: الصلة ص ٢٧٩؛ الضبي: بغية الملتبس، ص ٣٥٤.

(٢) ابن خلكان: قلاند العقيان، ج ١، ص ٥٢٨.

(٣) راجع أخباره وأخبار أسرته عند (الحميدى، والضبي، وابن نحية، وابن خلكان، وابن الأبار في الحلة السيرة ج ١، يعقوب زكى، ديوان ابن شهيد الأندلسي: المقدمة - بطرس البستاني: رسالة التوايع والزوايع، مكتبة صابر، بيروت ١٩٥١).

(٤) الحميدى: جنوة المقتبس، ص ١٢٣ - ١٢٦ ترجمة ٢٣٢.

- الضبي: بغية الملتبس، ص ١٩١ - ١٩٢ ترجمة ٤٤٠.

- ابن نحى: المطرب، ص ١٥٨؛ ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ٧٨ - ٨٥.

- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١١٦ - ١١٨ ترجمة ٤٨.

- العماد: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٣٠.

(٥) مثل بى نى عبدة، وبني حنير، وبني عبد الرؤوف، وبني جهور، وبني فطيس.

(٦) يعقوب زكى: ديوان ابن شهيد، ص ١٢.

ومنها " حانوت العطار " ^(١) وله رسالة يخاطب بها أبا بكر بن حزم سماها " التوابع والزوابع " وبنائها على مخطابات الجن ^(٢) ، وكان بالإضافة إلى ذلك من شعراء الأندلس المشهورين ^(٣) ، وتتسبب إليه رسائل كتبها إلى مجاهد العامري يمتدحه فيها أو يعتب عليه لاتصرافه عنه واشتغاله بالحروب ^(٤) .

٦- أبو حفص بن برد الأصغر

هو أبو حفص أحمد بن محمد ^(٥) حفيد أبي حفص أحمد بن برد الأكبر الذي ولي ديوان الانشاء للمنصور بن أبي عامر ، وكتب بعده لابنيه المظفر والناصر ، وكان كاتباً بليغاً أيضاً توفي سنة ٤١٨ هـ ^(٦) .

عندما ولد ابن برد الأصغر توسم فيه جده النجابة منذ صغره ، فعني بتربيته وتخرجه في الأدب ^(٧) ، وقد سجل عدة رسائل كتبها للموفق مجاهد العامري ^(٨) .

-
- (١) الحميري : الجنوة ، ص ١٣٣ .
 - ابن خاقان : المطمح ، ص ١٨٩ .
 - الضبي : بغية الملتبس ، ص ١٩١ .
 - ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١١٦ .
 (٢) أورد ابن بسام فصول منها (الذخيرة ق ١ م ١ ص ١٩ ص ٢٤٥ - ٢٨١ ، ص ٢٨٣ - ٣٠٥ .
 - ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٧٩ ؛ بطرس البستاني : رسالة التوابع والزوابع .
 - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والامارات ، الأندلس ، ص ٤٤٨ - ٤٥٨ .
 (٣) الحميدى : الجنوة ، ص ١٣٣ ؛ الضبي : بغية الملتبس ، ص ١٩١ .
 - كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج ٥ ، ص ١٢١ - ١٢٢ .
 (٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ١ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٧ - ٢٢٩ .
 (٥) يقول الحميدى والضبي أن بنى برد ينتمون إلى بنى شهيد بالوء ولهذا انعقدت صلة وثيقة بين ابن برد الأصغر وابن شهيد .
 - الحميدى : الجنوة ، ص ١١٥ ترجمة ١٩٢ ؛ الضبي : بغية الملتبس ، ص ١٦٤ - ١٦٥ ترجمة ١٣٥٤ .
 (٦) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ١١٩ ترجمة ١٩٩ .
 - ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ١ ، ص ١٠٣ ص ٤٨٦ .
 - ابن بشكوال : الصلة ، ص ٣٨ ترجمة ٧٤ .
 - ياقوت : معجم الألباء ، ج ٥ ، ص ٤١ - ٤٢ .
 - ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ترجمة ١٣١ .
 (٧) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ١ ، ص ٤٨٨ .
 (٨) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ١ ، ص ٤٩١ - ٤٨٦ .

٧- بشار الأعمى

يكنى أبا القاسم سكن دانية وعاش في كنف مجاهد العامري ،
وكان نحويًا واستاذًا في العربية ، وشيخاً من شيوخ الأدب ^(١) .

٨- أبو بكر محمد بن أحمد القرطبي :

هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن اسحاق بن عبد
الله بن اسحاق بن مهلب بن جعفر من أهل قرطبة ، أخذ العلم عن أبي
عمر بن عبد البر بدانية سنة ٤٣٢ هـ ، كما تتلمذ على أبي محمد بن
حزم .

وكان من أهل الكتابة والبلاغة ، ضابطاً مقيداً شديد العناية
بالرواية ، وله تعليق على تاريخ ابن الفرضي واستلحاق يشهد بنباهته
ومعرفته ، وتوفي في سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٨١ م ^(٢) .

٩- أبو تمام النحوي

هو أبو تمام غالب بن عبد الله القيسي القطيني المقرئ ، كان
شاعراً أديباً من أهل دانية ، روى عن أبي عمر بن عبد البر وأبي
عمر المقرئ وأبي الوليد الباجي وغيرهم ، ولد سنة ٣٩٣ هـ وتوفي
بدانية سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ - ١٠٧٤ م ^(٣) .

(١) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ١٨١ - ١٨٢ ترجمة ٣٤١ .

- الضبي : بغية الملتبس ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ ترجمة ٥٩٧ .

- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ص ٢٣٠ ترجمة ٦١٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٩٠ ترجمة ١٠٩٠ .

(٣) ابن بشكوال : الصلة ، ص ٤٥٧ ترجمة ٩٨٠ .

- ابن الأبار : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٩٦٨ ترجمة ١٩٥٦ .

١٠- عبد الله بن الفضل البوتى

هو أبو محمد عبد الله بن الفضل ابن عمر بن فتح اللخمى المنسوب إلى البونت أقام بدانية وروى عن أبى الوليد الوقشى وغيره وأقرأ الناس اللغة العربية بمدينة بلنسية تميز بمعرفة جيدة باللغة وقواعدها والشعر وقوافيه توفى بميورقة فيما بعد عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م^(١).

١١- عبد العزيز بن أرقم

هو عبد العزيز بن محمد بن أرقم النميرى الكاتب يكنى أبا الأصبع ، كان من أهل العلم والأدب كاتباً جليلاً وشاعراً بليغاً ، سكن المرية وأقام بدانية مدة عند اقبال الدولة ثم صار إلى المعتصم محمد بن صمادح وكان من وجوه رجاله ونبهاء أصحابه وله مجموع شبه الرسالة سماه عقاب المتسور ، توفى في اشبيلية في عهد المعتمد بالله^(٢).

١٢- ابن مسلم

هو الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن مسلم الدانى ، قال عنه ابن بسام أنه " آية الزمن ، ونهاية الفطنة واللسن ، نفث بالسحر ، واغترف من البحر ، ونظم الدرر بلألاء من الدر ، وله رسائل سماها "طى المراحل" وهي رسائل حسان أحرز فيها ميدان السبق ، منها رسائل خاطب بها أغلب مولى مجاهد وصاحب ميورقة^(٣) .
وتجول ابن مسلم في ممالك الطوائف مثل المرية وغرناطة واشبيلية وقرطبة^(٤) .

(١) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، الجزء الثانى ، طبعة مجريط ١٨٨٧ ص ٤٥٥ .
(٢) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ج ١ ، ص ٦١ ؛ ابن بسام : الذخيرة ق ٣ م ١ ، ص ٣٦٠ .
- ابن الأبار : المصدر السابق ، ص ٦٢٢ ترجمة ١٧٣٥ .
- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ص ٤٩٨ .
(٣) ابن بسام : الذخيرة ق ٣ م ١ ص ٤٢٧ ؛ ابن سعيد : المغرب ج ٢ ص ٤٠٥ ترجمة ٦٠٤ .
(٤) أورد ابن بسام رسائل له تدل على أنه كان رسولا إلى بعض ملوك الطوائف عن اقبال الدولة علي بن مجاهد حين نازعه المقتدر أحد الحصون . =

١٣- محمد خلسة النحوي الكفيف

يكنى أبا عبد الله ، أصله من شذونة ، وسكن دانية ، وأخذ بها عن أبي الحسن بن سيده وأقرأ العربية هنالك وببلنسية ، قال عنه الحميدى أنه كان من النحويين المتصدرين والاساتذة المشهورين والشعراء المجيدين ، ورأه في دانية بعد سنة ٤٤٠ هـ^(١) . وقال عنه ابن بسام أنه كان أحد علماء الكلام ، أشبه منه بالكتاب والشعراء^(٢) ، كتب عن اقبال الدولة وله شعر في مدحه وقراً ابن الأبار في ديوان شعره قصيدة له يهنئ فيها المقتدر أحمد بن سليمان بن هود يهنئه بدخول دانية وتملكها سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ - ١٠٧٦ م^(٣) .

١٤- أبو بكر محمد بن قاسم اشكباط

أديب أصله من وادي الحجارة ، نشأ بقرطبة ، وجاري حلبة الأعيان والكتاب في تلك الفتنة^(٤) ، رحل إلى المشرق ، ولما عاد إلى الأندلس استقر بدانية في كنف مجاهد الذي أفاض عليه من كرمه وجوده ، وتمتع بعز ونعيم لم يكن يحلم به^(٥) .

١٥- سعيد بن مخلد الأنردي

أديب شاعر ، كان من بين الشعراء الذين مدحوا مجاهد العامري^(٦) .

= ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ م ١ ، ص ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ .
^(١) الحميدى : جذوة المقتبس ص ٥٤ ترجمة ٤٩ ؛ الضبى : بغية الملتبس ص ٧٤ ص ١١٢ .
^(٢) ابن بسام : الذخيرة ق ٣ م ١ ص ٣٢٢ .
^(٣) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ ، ص ١٩٥ ، ترجمة ١١٠٧ .
- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ ترجمة ٥٩٦ .
- المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ١٠٠ ، ١٥٦ .
^(٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣١ .
^(٥) ابن سعيد : نفس المصدر ص ٣١ ؛ المقرئ : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .
^(٦) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ترجمة ٤٨٢ .
- الضبى : بغية الملتبس ، ص ٣١٢ - ٣١٣ ترجمة ٨٢٠ .

١٦- ابن دراج القسطلی

هو أبو عمر أحمد بن دراج ولد سنة ٣٧٤ هـ في بيت من بيوت قبيلة صنهاجة المغربية بمدينة من أعمال جيان تسمى قسطة دراج ، ألحقه أبوه منذ نعومة أظافره بكتاب حفظ فيه القرآن وبعض الأشعار ، ثم انتقل إلى حلقات الشيوخ بجيان فالتفت ثقافته اللغوية والأدبية ، وتفتحت ملكته الشعرية ، فرحل إلى قرطبة فنال الحظوة لدى المنصور محمد بن أبي عامر ، وكان ينشد مع كل غزوة يغزوها ، ثم مدح خلفائه ومن استولى على الحكم في قرطبة من بعدهم ، ثم مضى بعد ذلك إلى شرق الأندلس وتقل ما بين مرسية وشاطبة وطرطوشة وسرقسطة ، وعندما سمع بما ذاع وشاع عن مجاهد أمير دانية ، وأسبأه العطايا الجزيلة على الشعراء والعلماء وفد عليه مادحاً بقصيدة بديعة استهلها بقوله :

إلى أي ذكر غير ذكرك أرتاح ومن أي بحر بعد بحرك أمتاح
واحتفل مجاهد بقدومه عليه وأجزل له في العطاء مما جعله
يؤثر المقام عنده ولكن القدر لم يمهلَه فقد توفي بدانية بعد عامين من
نزوله بها سنة ٤٢١ هـ ^(١) / ١٠٣٠ م .

١٧- الفضل بن أحمد

هو الفضل بن أحمد بن دراج القسطلی ، هذا حذو أبيه في نظم الشعر ، وكان له حظ وافر في البلاغة ، وقد مدح اقبال الدولة بقصائد رائعة ^(٢) .

^(١) ديوان ابن دراج القسطلی ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي (المقدمة) .

— احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ص ١٩١ .

— أحمد هيكال : الأدب الأندلسي ، ص ٣٠٢ .

— محمد رضوان الداية : مختارات من الشعر الأندلسي ، ص ٤٠ — ٤٤ .

— كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج ٥ ، ص ١٢١ .

- Margarite la chica Garrido : El Poeta Darray Al - Gastalli en Valencia , Vol II , Valencia , 1981 , p . 414 - 417 .

^(٢) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٢٧ ترجمة ٧٥٦ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ص ٤٦٤
ترجمة ٩٩٦ = .

١٨- ابن اللبانة

هو أبى بكر محمد بن عيسى اللخمي الداني نسبة إلى مدينة دانية، وهو منسوب إلى أمه وكانت امرأة تباع اللبن حتى غلب اسمه عليها ، فلقب بابن اللبانة .

كان أبو بكر من جلة الأدياء وفحول الشعراء ، قال عنه صاحب القلائد " المديد الباع ، الفريد الانطباع الذي ملك للمحاسن مقادراً ، وغدا له البديع منقاداً " . وقد تردد ابن اللبانة على عدد من ملوك الطوائف . ولكنه استقر في النهاية في بلاط المعتمد ابن عباد ^(١) .

وتوفي ابن اللبانة بميورقة سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ - ١١١٤ م .

١٩- ادريس بن اليمان

هو أبو علي ادريس بن اليمان العبدي اليايسى ، نسب إلى بلده يابسة ، وينسبه آخرون ، فيقولون : الشيبيني لأن الغالب على بلده شجرة الشبين ، وهو شاعر جليل عالم له أمداح كثيرة في ملوك الطوائف ^(٢) .

يذكر ابن بسام أنه قرأ بدانية ، ونشأ بها ومنها انطلق حتى سما قدره وعلا ذكره وصار شعره سمر النادي (المجالس) وتعلله الحادي وتمثل الحاضر والبادي وطفق يتردد على ملوك الطوائف بالأندلس

= - الضبى : بغية الملتبس ، ص ٤٤٣ ترجمة ١٢٨٢ ؛ ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٦١ - ٦٢ ترجمة ٣٨٠ .

^(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ٦٦٦ - ٦٦٧ .

- ابن خاقان : قلائد العقيان ج ٢ ، ص ٧٧٦ - ٧٧٨ .

- الضبى : بغية الملتبس ، ص ١٠٩ - ١١٠ ترجمة ١٣١٣ .

- ابن دحية : المطرب ، ص ١٧٨ .

- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ج ١ ص ٤١٠ ترجمة ١١٦٢ .

- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ ؛ ابن سعيد : رايات المبرزين ، ص ١٢٠ .

- المراكشي : المعجب ، ص ٩٣ - ٩٤ .

^(٢) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ ، ص ٤١٠ .

^(٣) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ١٧٠ ترجمة ٣١٣ .

- الضبى : بغية الملتبس ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ترجمة ٥٦٠ .

- ابن دحية : المطرب ، ص ١٣٠ ؛ ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٤٠٠ ترجمة ٢٨٥ .

تردد الكاس على الشرب ، ويجرى في أهوائهم جري الماء في الغصن الرطب " وكانت صلته على القصيدة مائة دينار ^(١) وله في مجاهد قصائد يمتدحه فيها وأخرى في مدح ابنه اقبال الدولة ^(٢) .

ومن الشعراء الذين ينسبون إلى دانية

أبو القاسم بن خيرون من شعراء اقبال الدولة ^(٣) ، وابن هندو الداني ^(٤) وأبو عامر بن زهرة الصائغ ^(٥) ، وأبو بكر الفرضي الداني ^(٦) .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ص ٣٣٦ .
(٢) الحميدى : الجذوة ، ص ١٧ ؛ ابن بسام : الذخيرة ق ٣ م ١ ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .
- الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٣٧ ؛ ابن دحية : المطرب ، ص ١٩٧ .
- ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٤٠٠ .
(٣) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤١٩ ترجمة ٦١١ .
(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ م ٢ ص ٨٩٦ .
- ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ص ٤٠٨ ترجمة ٦٠٨ .
(٥) ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٩٠٠ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٩٠١ .

الفصل الثاني

- دولة الصقالبة في الجزائر الشرقية في عصر الطوائف
- (١) الجزائر الشرقية في عهد كل من مجاهد وعليّ
(اقبال الدولة)
- (٢) الجزائر الشرقية في الفترة من ٤٦٨ هـ /
١٠٧٦ م وحتى ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م
(عصر المرتضي ومبشر ناصر الدولة)
- (٣) الحياة العلمية في الجزائر الشرقية
في عصر دويلات الطوائف

دولة الصقالبة في الجزائر الشرقية

في عصر الطوائف

من المناسب هنا بعد أن انتهينا من ذكر الأحداث التي انتهت بسقوط دانية ، أن نعود إلى ذكر أخبار الجزائر الشرقية قبل وبعد سقوط دانية في يد المقتدر بن هود ، حيث أن تاريخ تلك الجزر يعتبر امتداداً لتاريخ مملكة الصقالبة في دانية . وكانت جزءاً تابعاً لها إلى أن سقطت دانية فاستقلت بأمرها ، واستطاعت أن تحتفظ بهذا الاستقلال في مواجهة المرابطين والنصارى إلى أن قاموا هم أنفسهم باستدعاء المرابطين لتخليصهم من غزو النصارى .

(١)

الجزائر الشرقية في عهد كل من مجاهد وعليّ

أقبال الدولة

كانت تلك الجزر تؤلف أهم أقسام مملكة دانية ، حيث أنها كانت بمثابة خط الدفاع الامامي لدانية أمام اعتداءات النصارى - خاصة بيزا وجنوة - على سواحل الأندلس الشرقية . لاسيما وأن تلك الجزر كانت مزودة بمرافئ لكثير من السفن الكبيرة التي لم تكن تتسع لها ميناء دانية^(١) . وظلت الجزائر الشرقية جزءاً من مملكة مجاهد العامري في دانية .

ويبدو أنها نعمت في الفترة ما بين ٤٠٧ ، ٤١٣ هـ بنوع من الهدوء والاستقرار وكان يتولاها في هذه الفترة من قبل مجاهد والي يدعي أبو العباس أحمد بن رشيق^(٢) ذكر ابن الأبار أنه : " بلغ من رياسة الدنيا أرفع منزلة وقدمه الأمير أبو الجيش مجاهد بن عبد الله

(١) عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٧ .

(٢) سبق ذكره في الفصل السابق .

العامري على كل من في دولته وولاه جزيرة ميورقة ، فكان ينظر فيها نظر العدل والسياسة ، ويشغل بالفقه والحديث ويجمع العلماء الصالحين ويؤثرهم ويصلح الأمور جهده " (١) وكان لهذه السياسة الحكيمة أثرها في ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية بهذه الجزر ، وانعكس ذلك أيضاً على الحياة العلمية بحيث أصبحت ملاذاً للعلماء والفقهاء أمثال أبي محمد بن حزم وأبي الوليد الباجي . ويبدو أن أحمد بن رشيق وإلى الجزائر الشرقية انفراد بحكم هذه الجزر في السنوات الأخيرة من عهده ونستند في ذلك على نص لابن خلدون يتضمن ما يشير إلى أن مجاهد وضع يده على الجزر الشرقية في سنة ٤١٣ هـ (٢) (١٠٢٢ - ١٠٢٣ م) عقب فترة حكم ابن رشيق الذي انتهى في تلك السنة ولا ندري السبب الذي أخر مجاهد في الاطاحة بابن رشيق قبل هذه السنة (٤١٣ هـ) .

وما إن انضوت هذه الجزائر الشرقية في فلك دولته بدانية حتى ولى ابن أخيه عبد الله عاملاً عليها سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ، واستمرت ولايته نحو خمسة عشرة سنة إلى أن توفي في عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م (٣) . ولم ترد في المصادر العربية أية أخبار عن أحداث الجزر الشرقية طوال سني حكمه ، وخلفه من قبل مجاهد الأغلب مولاه في عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م (٤) وكان الأغلب جندياً وبحاراً مجرباً صاحب غزو وجهاد في البحر (٥) ، اسهم في غزو سواحل قطلونية وبروفانس (٦) ، وتوفي مجاهد في فترة ولايته وذلك في عام ٤٣٦ هـ /

(١) الحميدى : جنوة المقتبس ، ص ١٢٢ ، ترجمة ٢٠٨ .
 - الضبي : بغية المتمس ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ ؛ ترجمة ٤٠٠ .
 - ابن الأبار : الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .
 (٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .
 - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ .
 - القلقشندي : مآثر الانافة في معالم الخلافة ، ج ١ ، وزارة الانباء الكويتية ، تحقيق عبد الستار فراج ، ١٣٦٤ ، ص ٣٥٥ .
 (٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .
 (٤) ابن خلدون : نفس المصدر والصفحة .
 - القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ .
 (٥) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٣٥٥ . س .
 (٦) عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .

١٠٤٥ م ، ولما تولى عليّ اقبال الدولة رئاسة مملكة دانية والجزائر الشرقية أقر الأغلب على هذه الجزر ، فظل يتولاها فترة من عهد علي بن مجاهد الذي أولى شئون الجزائر اهتماماً خاصاً ، واختصها بكثير من العناية ، وبعد فترة طلب الأغلب من عليّ أن يأذن له بالحج فأذن له^(١) وكان ذلك في حوالى سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٧ م^(٢) . إلا أن الدكتور عصام يرجح أن الأغلب يؤدي عمله والياً على الجزائر حتى عام ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م اعتماداً على نص لابن بسام ظن أنه يدل بشكل قاطع على أن الاغلب غادر الجزائر الشرقية بعد موت مجاهد بفترة طويلة ، وهذا النص عبارة عن فقرة من رسالة للوزير الكاتب أبى عبد الله بن مسلم أحد وزراء عليّ اقبال الدولة بن مجاهد إليّ الأغلب عامل البليار^(٣) يذكر كاتبها في أحد فقراتها ، أنه علم اثناء وجوده في غرناطة بوفاة المنصور عبد العزيز بن أبى عامر ملك بلنسية وملحقاتها^(٤) ولما كانت وفاة المنصور عبد العزيز بن أبى عامر قد حدثت في ذي الحجة ٤٥٢ هـ / ديسمبر ١٠٦٠ م فمن الطبيعي استناداً إليّ هذا النص أن الأغلب في هذه السنة ما يزال قائماً بحكم جزر البليار . وعلى هذا الأساس يرجع الدكتور عصام اعتماداً على نص ابن خلدون أن الأغلب اعتزل الحكم وتوجه لاداء فريضة الحج قبل عشر سنوات من استيلاء المقتدر بن هود على دانية ، أي أنه ظل عاملاً على جزر البليار حتى سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م ، وعلى فترتين الأولى منهما في عهد مجاهد العامري منذ عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م وحتى وفاة مجاهد ٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م والفترة الثانية في عهد عليّ اقبال الدولة بن مجاهد ٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م حتى سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م^(٥) .

إلا أننا نروى أن ورود ذكر وفاة المنصور عبد العزيز ابن أبى عامر في أحد فصول تلك الرسائل التى خاطب بها الأغلب صاحب ميورقة ، لا ينهض دليلاً على أن الأغلب المقصود هنا ظل يقوم بعمله حتى سنة ٤٥٢ هـ ، وإلا فما هو التفسير الذي يمكن أن نذكره لما ورد

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٢) عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ق ٣ ، م ١٠ ، ص ٤٣٩ .

(٥) عصام سيسالم : جزر الأندلس المنسية ، ص ١٥٧ .

في فصل من أحد تلك الرسائل لنفس هذا الوزير الكاتب والتي يصف فيها حصار المقتدر بن هود لأحد الحصون التابعة لعلّي أقبال الدولة حصاراً شديداً مما دعاه إلى الاستتجاد باصهاره وحلفاءه من ملوك الطوائف لنجدته و امداده بما يحتاج إليه حتى يتمكن من الصمود في مواجهة ابن هود . ولكنهم تقاعسوا عن مساعدته واكتفوا بأن عرضوا عليه بذل مساعيهم الحميدة للإصلاح بينهما ، إلى أن أنتهى الأمر باستسلام أقبال الدولة بعد حصار قصير وسقوط دانية في يد المقتدر بن هود في شعبان ٤٦٨ / مارس - ابريل ١٠٧٦ م ^(١) .

ونتساءل هل هذا النص يدل على أن الأغلب ظل يحكم جزر البليار حتى سنة ٤٦٨ هـ التي تسجل تاريخ سقوط دانية في يد المقتدر بن هود ؟ والواقع أننا لا نستطيع أن نتكهن بذلك ، لأن النص لا يشير صراحة إلى الأغلب ، وعلى هذا الأساس لا يمكننا أن نوافق الدكتور عصام على مبدأ الأخذ بفصل من تلك الرسائل لمجرد أنه يتوافق مع ما يرجحه ، ونترك فصل من رسالة أخرى لا تتناسب مع هذا الرأي .

وبناء على ذلك فإننا نأخذ بالنص الذي ورد في رواية ابن خلدون بأن الأغلب استعفى بعد وفاة مجاهد بفترة وجيزة أي حوالي سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٧ م ^(٢) .

واستخلف عليّ مكانه على الجزائر صهره سليمان بن مشكيان سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٧ م ، الذي كان من البحريين الشجعان المتمرسين في فنون البحر والجهاد ، مما مكنهم من الدفاع عن تلك الجزر في وقت سيطرت فيه الاساطيل البحرية المسيحية على الحوض الغربى للبحر المتوسط ، ولم يبق صامداً في مواجهتها سوى جزر البليار التي وقفت وحدها تدافع بشموخ عن أمن وسلامة ساحل الأندلس الشرقى ^(٣) . فلقد

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٤٢٩ .

راجع نفس الفصل .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٣)

Alvaro Campaner Y Fuertes : Op . Cit , pp . 74 - 75 .

- عصام سيسالم : جزر الأندلس المنسية ، ص ١٦٩ .

حقق سليمان عامل البليار نصراً كبيراً على اساطيل بيزا سنة ٤٤١ هـ ،
 ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م تمكن على أثره من استعادة سردينيا من أيدي
 البيزيين ، حيث تذكر المدونة البيزية Cronicon breve Pisanum ما يلي
 في حوادث عام ١٠٥٠ م (٤٤١ ، ٤٤٢ هـ) : " غزاهم مجاهد (والاصح
 سليمان بن مشكيان) جزيرة سردينيا بجيش كبير وتمكن من الاستيلاء
 عليها وأنشأ فيها عدداً من المدن ، وقام البابا ليو التاسع بتكوين حلف
 بحري مسيحي بزعامة بيزة لطرد المسلمين من جزيرة سردينيا وهاجم
 البيزيون القوات الاسلامية في الجزيرة بعد أن أذن لهم المقر البابوي ،
 الذي منحهم شرف حمل راية القديس بطرس (سان بيدرو San Pedro)
 ونجحوا في ايقاع الهزيمة بقوات المسلمين التي انسحبت من سردينيا ،
 ونتيجة لما بذلته اساطيل بيزة من جهود في تحقيق هذا النصر ، فقد منح
 المقر البابوي لبيزة السيادة على جزيرة سردينيا ، وقامت بيزة بدورها
 باعلان سيادة الامبراطورية الرومانية المقدسة على سردينيا تكريماً
 لامبراطور الجرمان على ما قدمه من عون كان له أكبر الأثر على ما
 حققته الاساطيل المسيحية من نصر على المسلمين في هذه الجزيرة .

ويعتبر الدكتور حسين مؤنس خروج جزيرة سردينيا من أيدي
 المسلمين الخطوة الأولى لضياح سيادتهم على غرب البحر
 المتوسط^(١) ، فلقد أصبحت سردينيا بعد ان استعادتها بيزة سنة ٤٤١ هـ /
 ١٠٥٠ م من قواعد العدوان على الثغور الاسلامية في غرب البحر
 المتوسط ، ولم يبق في الساحة سوى جزر البليار التي جابهت وحدها
 عدة اعتداءات بحرية من قبيل القرصنة قامت بها الاساطيل المسيحية
 التي فرضت سيطرتها على مياه الحوض الغربي للبحر المتوسط ،
 وأخذت تفرض الاتاوات الضخمة على الثغور الاسلامية في ساحل
 الأندلس الشرقي ، وكانت كل من بلنسية والمريّة من المدن الأندلسية
 التي خضعت لهذا الابتزاز ، ودفعت للجمهوريات الايطالية مبالغ طائلة
 لحماية سكانها من القتل والأسر والسلب والنهب^(٢) .

= - عبد الحليم (دكتور رجب محمد) : العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية
 في عصر بني أمية وملوك الطوائف ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ،
 بيروت (بدون تاريخ) ، ص ٣٥٧ .

(١) حسين مؤنس : المسلمون في البحر المتوسط ، ص ١١٧ - ١١٨ .

(٢) أرشيبالد لويس : القوة البحرية والتجارية ، ص ٣٧١ - ٣٧٥ .

ودام حكم سليمان خمس سنوات إلي أن توفي عام ٤٤١ هـ /
١٠٥٠ م^(١).

وخلف سليمان على الجزائر الشرقية عبد الله المرتضى الذي استمر حكمه لها مدة طويلة جاوزت ربع قرن بحيث عاصر سقوط دانية في يد المقتدر بن هود سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م ، وعلى الرغم من ذلك فقد احاط الغموض تاريخ عبد الله المرتضى إلي حد أن مؤرخاً كبيراً كابن خلدون أغفل ذكره ونسب بعض أعماله إلي خلفه مبشر ناصر الدولة^(٢).

وبالإضافة إلي تجاهل معظم المصادر العربية لعبد الله المرتضى وأغفالها ذكره ، فإن بعضها الآخر الذي تعرض لذكره تضمن أخطاء تاريخية واضحة ، مما يتطلب الحذر عند تناولها ، ودراستها بامعان وروية حتي نتبين وجه الحقيقة ، خاصة وأن تلك النصوص تأتي مختصرة للغاية وتفتقر إلي الترتيب والتسلسل ، ومن أبرز تلك النصوص النصان التاليان : الأول منهما لابن الكردبوس يتناول الحديث عن جزر البليار في عصر المرابطين عندما تعرضت لهجمات أهل جنوة وبيزة الايطاليين يقول : " وكان واليها (يقصد جزر البليار) قبل حلول العدو بنواحيها (سنة ٥٠٨ هـ / ١٠١٤ م) المرتضى من أهل الأندلس ، وثار فيها عند انقطاع دولة بني أمية بالأندلس حين ثار سواه ، ثم توفي وقام بالأمر من بعده خصي من خصينه اسمه مبشر فتلقب بناصر الدولة " ^(٣).

- النص في مجمله صحيح بشأن تولية مبشر ناصر الدولة بعد عبد الله المرتضى طبقاً لمقارنتها ببعض النصوص العربية واللاتينية التي تمكنا من الرجوع إليها .

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٥٥ .

(٣) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ، ص ١٢٢ .

أما الخطأ الوحيد هو ذكر صاحب هذه الرواية أن عبد الله المرتضى تولى حكم جزر البليار عند انقطاع دولة بني أمية بالأندلس سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م حيث سبق أن ذكرنا ولاية هذه الجزر في عهد مجاهد وابنه عليّ حتى تولية عبد الله المرتضى في عام ٤٤١ هـ / ١٠٥٠ م . الذي استقل بحكمها في عام ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م بعد سقوط دانية في يد المقتدر بن هود كما سبق أن أوضحنا .

- أما النص الثانى عن المرتضى فهو لابن سعيد المغربى ،
نطالع فيه ما يلى :

" وملكها (يقصد ميورقة) في مدة ملوك الطوائف مجاهد العامري الذى تقدمت ترجمته في مدنية دانية ، ولما مات غلب عليه مولاه المرتضى أغلب ، وكان واليه عليها ، ثم مات فوليها مبشر ناصر الدولة " (١) .

وهذا النص المبتور يتسم بالاختصار الشديد بحيث يظهر فيه المعنى مختلاً غير دقيق رغم أهميته عند مقارنته بالمصادر الأخرى .

(١) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٢)

الجزائر الشرقية في الفترة من ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م وحتى ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م

(عصر المرتضى ومبشر ناصر الدولة)

بسقوط دانية في يد المقتدر بن هود أصبح من الطبيعي أن تستقل الجزائر الشرقية بشئونها ، وهو ما حققه عبد الله المرتضى الذي أعلن استقلاله بتلك الجزر ، وبعث إلي دانية ليستقدم أسيرة علي بن مجاهد سيده المخلوع ، فأرسلت إليه وعاشت في كنفه معززة مكرمة ^(١) ، ومع ذلك فإن الأخبار المتعلقة بالمرتضى شحيحة للغاية ، وتتسم فترة حكمه بالغموض على الرغم من طول الفترة التي حكمها ^(٢) ، وقد كان من الممكن أن يظل اسم عبد الله المرتضى مجهولاً إلي درجة كبيرة لولا العثور على مجموعة من النقود ترجع إلي عهده ، وعهد خلفه مبشر بن سليمان الذي تولى ملك جزر البليار من بعده ^(٣) . ويرجع تاريخ تلك النقود التي سكّت بميورقة في عهد عبد الله المرتضى إلي فترة من ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م حتى ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م وجميعها دراهم ذات شكل موحد ، وتحمل إلي جانب اسم " عبد الله " ولقبه " المرتضى " تسميه " ابن الأغلب " ^(٤) .

وعلى هذا الأساس فإنني أميل إلي تأييد رأي الدكتور عصام القائل بأن عبد الله المرتضى هو أحد أبناء " الأغلب " عامل البليار السابق ذكره ^(٥) . كما أن تأييدي لهذا الرأي يدعوني إلي القول بأن الوزير الكاتب أبا عبد الله محمد بن مسلم خاطب في أحد فصول رسائله عبد الله المرتضى (ابن الأغلب وليس الأغلب) ، كما ذكر الدكتور عصام عندما أخذ بعنوان الفصل كما ورد في الذخيرة ^(٦) والذي سبق

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , p . 41 .

Campaner Y Fuertes : Op , Cit . , pp . 86 - 88 .

Prieto Y Vives : Los Reyes de Taifas , pp . 123 , 194 , 195 .

Prieto Y Vives : Ibid , p . 123 .

(٥) عصام سيمسالم : جزر الأندلس المنسية ، ص ١٨٠ .

(٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٤٢٧ .

أن فندناه ، وما يدفعني إلي افتراض هذا الرأي ، الاخبار التي أوردها هذا الكاتب عن حصار المقتدر بن هود لأحد الحصون التابعة لأقبال الدولة واستتجاد هذا الأخير بأصهاره وحلفاءه من ملوك الطوائف ، وما كان من تقاعسهم عن مساعدته مما أدى في النهاية إلي سقوط دانية في يد بن هود عام ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م ^(١) وهي أخبار عن فترة تلت وفاة الأغلب بمدة طويلة .

مما سبق يتبين أن المؤرخين خلطوا بين الأغلب ، وعبد الله المرتضى بن الأغلب وهو ما أوضحته لنا النقود التي سكنت في فترة حكم عبد الله المرتضى .

ولقد استقل عبد الله المرتضى بحكم جزر البليار ٤٦٨ هـ - ٤٨٦ هـ / ١٠٧٦ - ١٠٩٣ م في وقت سيطرت فيه الأساطيل الإيطالية والفرنجية القطلانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ولم تعد هناك قوة بحرية إسلامية من المغرب والأندلس يمكنها التصدي لهذه القوات البحرية المتفوقة سوى أساطيل جزر البليار ^(٢) . التي تصدت ببسالة لغارات تلك الأساطيل وردتها مدحورة ، ونتيجة لهذا الصمود حافظت جزر البليار على استقلالها طيلة عهد المرتضى . ولهذا فقد أشادت المصادر الفرنجية واللاتينية ببطولة عبد الله المرتضى وصلابته في الدفاع عن البليار في مواجهة الهجمات المتلاحقة للأساطيل الإيطالية والفرنجية والقطلانية ^(٣) .

وعلى هذا الأساس لم يتعرض المرابطون - بعد جواز قواتهم إلي الأندلس - لجزر البليار وأميرها المجاهد عبد الله المرتضى ولمبشر بن سليمان ناصر الدولة خليفته من بعده ، ووجدوا في هذه الجزر وفي قادتها المجاهدين المخلصين السد المنيع لثغور شرق الأندلس من أي عدوان بحري مسيحي ^(٤) . فلم يتعرضوا له مثل زميله صاحب الثغر الأعلى من بني هود .

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٤٢٩ .

(٢) ارشيبالد لويس : القوة البحرية والتجارية ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٣) A . Campaner Y Fuertes : Op , Cit , p . 92 .

(٤) مكى (دكتور محمود على) : وثائق جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، المجلد ٨٧ ، ص ١٥٨ .

ومن جانب آخر كان عبد الله المرتضى تربطه بملك برشلونة رامون برنجير الأول ، علاقات ود وصداقة ، وترددت بينهما البعثات والسفارات ، وتعرف رسول ملك برشلونة في إحداها على مبشر بن سليمان الذي خلف المرتضى سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م ^(١) .

وينفرد ابن الكردبوس بروايته عن أصل مبشر فيذكر أنه كان من أهل قلعة الحمير ^(٢) من أعمال لارده - في الثغر الأعلى - أسره النصاري صغيراً وخصوه وعاش في برشلونة حتى تعرف عليه رسول المرتضى إلي الأمير برنجير في بعض الشئون فأعجب بمواهب مبشر ونبله ، واقتداه من الأسر ، وصحبه معه إلي ميورقة وقدمه إلي المرتضى فأعجب بمواهبه وقربه إليه وأولاه ثقته ، واستعان به في تصريف شئون الحكم ^(٣) .

وبعد وفاة عبد الله المرتضى سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م خلفه مبشر ناصر الدولة في حكم جزر البليار ، وفي ذلك يقول الفتح بن خاقان " وكان المرتضى رحمه الله هو الذي أورث ناصر الدولة الملك ، ونظم بلبته ذلك السلك " ^(٤) .

ومع ذلك يذكر الباروكمبنيير الميورقي أنه قد تم العثور على نقود في جزيرة ميورقة يحمل بعضها اسم مبشر ناصر الدولة سكنت في أعوام ٤٨٤ ، ٤٥٨ هـ أي في عهد المرتضى الذي توفي سنة ٤٨٦ هـ . مما يدعو إلي الافتراض بأن المرتضى ومبشر حكم معاً خلال أعوام

(١) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) قلعة الحمير *Castelldasens* ومعناها باللغة القطلانية نفس المعنى بالعربية " قلعة الحمير وهي مركز قاضائي في مقاطعة لارده " .

(٣) ابن الكردبوس : نفس المصدر ، حاشية ٦ ، ص ١٢٢ .

(٤) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

بينما يذكر ابن خلدون أن مبشر ولى على الجزائر في أوائل عهد علي أقبال الدولة وإن أصله من شرق الأندلس ، وأسره النصاري صغيراً وجبوه ، وإن مجاهداً وقع عليه بين أسرى سردينيا فأعجب بمواهبه وقربه إليه وترقى في خدمته . (راجع ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥) .

(٤) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ج ٢ ، ص ٧٧٩ .

٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ هـ ، أو أن مبشراً أساء استخدام الثقة التي أولاها إياها الأمير المرتضى وأغتصب السلطة ، ويميل كمبانيير إلى ترجيح هذا الرأي الأخير ^(١) . ومع ذلك ففي تصوري - بخلاف ما يراه كمبانيير - أنهما حكما معاً في أواخر حكم المرتضى ، وأن مبشر حاز ثقة المرتضى فأشركه معه في حكم الجزائر الشرقية ربما لمرض أصابه جعلت من الصعب عليه الانفراد بالحكم ، أو لشيخوخته التي أضعفت من قدرته الإدارية وقللت من سطوته ، إذ كان قد تولى حكم الجزر الشرقية منذ عام ٤٤١ هـ وأصبح في حاجة إلى رجل يثق فيه ويشركه معه في إدارة ملكه ، ويخفف عنه اعباء الولاية . وهذا الافتراض يفسر إلى حد كبير نقش اسم مبشر ناصر الدولة على بعض العملات التي تحمل تاريخ سنة ٤٨٤ ، ٤٨٥ هـ في نفس الوقت الذي كان يحكم فيه المرتضى مما ينفي تهمة التمرد والثورة عن مبشر ضده سيده عبد الله المرتضى . ويؤيد ذلك أن المصادر السلامية تؤكد اخلاص مبشر لسيدته عبد الله في حياته وبعد وفاته وقيامه بتكريم أهله ورعايته لهم ^(٢) .

ولقد كان مبشر رجلاً أقل ما يوصف به أنه عالي الهمة ، يملك من القدرات والكفايات ما يرفعه إلى مصاف الحكام العظام ، فقد استطاع أن يضبط شئون ميورقة بحزم وكفاية واستحق أن يُلقب ناصر الدولة ^(٣) .

ويبدو أن الجزائر الشرقية نعمت في عهده بفترة من الأمن والاستقرار ارتقت في ظلها البلاد ، فازدهرت الحياة الاقتصادية وتألفت حياتها العلمية بمن قصدها من الأدباء ، وانتجتها من العلماء الذين اجتذبهم بهم الأمن والسلام اللذين سادا ربوع البلاد ، ومن أشهر من قصدهم من أدباء الأندلس الشاعر أبو بكر الداني (ابن اللبانة) الذي مدحه قائلاً :

(١) A . Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., pp . 92 - 93 .

(٢) ابن خاقان : قلند العقيان ، ج ٢ ، ص ٧٧٩ - ٧٨٠ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

وانظر ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ .

وعمرت بالاحسان أفق ميورقة وبنيت فيها ما بنى الاسكندر
فكان بغداد أنت رشيدها ووزيره-وله السلامة- جعفر^(١)

وكان مبشر بالاضافة إلى صفاته سالفة الذكر من أكثر حكام
الأندلس حباً في الجهاد، ولهذا كانت الحرب سجالات بين أساطيل جزر
البليار وأساطيل البيزيين والجنوبيين والفرنجة والنورمان في صقلية^(٢)
وكانت الحملات البحرية تخرج من ثغور الجزائر الشرقية المختلفة
للاغارة على شواطئ النصارى في قطلونية وبروفانس وساعده على
تحقيق ذلك امتلاكه لأسطول قوي اهتم بتجهيزه. وفي ذلك يقول ابن اللبانة :
والبحر يسكن خليفة من ناصر أرضى الرياسة بعد موت المرتضى^(٣)

وقوله:

وبنو الحروب على الحرابى التى تردى كما تردى الجياد السبق
خاضت غدير الماء سامجه به فكأنما هى في سراب أينق
ملأ الكماة ظهورها وبطونها فأتت كما يأتى السحاب المغدق^(٤)

ونتيجة للسياسة البحرية النشطة التى انتهجها مبشر تعرضت
جزر البليار طيلة عهده لعدة حملات صليبية . تمكن أهلها الشجعان من
التصدى لها وهزيمتها ومطاردة الغزاة إلى عقر دارهم ، مما أثار نقمة
البابوية على أصحاب هذه الجزر الاسلامية التى تقف عقبة كأداء في
وجه أساطيل أوروبا المسيحية مجتمعة وتطارد الأساطيل المسيحية
عبر البحر المتوسط وتقطع عليها الطريق ، وتغير على الثغور
المسيحية في غرب البحر المتوسط ووسطه بجرأة منقطعة النظير ،
مما عاق المد الصليبي في بلاد المغرب والمشرق الاسلاميين^(٥)

(١) ابن دحية : المطرب ، ص ١٧٨ .

- وأنظر ابن خاقان : قلاند العقيان ، ج ١ ، ص ١٧٩ ، ج ٢ ، ص ٧٧٨ .

(٢) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., pp . 101 - 102 .

(٣) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ج ٢ ، ص ٧٧٩ .

(٤) نفس المصدر : ص ٢٤٨ .

- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ٦٩٤ مع اختلاف بسيط .

- أنظر المراكشى : المعجب ، ص ٩٦ .

(٥) A . Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., pp . 93 - 95

- ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ . =

خاصة بعد إعلان الباب أوربان الثاني الحرب الصليبية على المسلمين في شرق العالم الاسلامي ومغربه ^(١) وعندما اخفقت الحملات الصليبية الاولى على جزر البليار أصدر الباب باسكال الثاني Pascual II ^(٢) عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م نداء إلى القوى البحرية المسيحية في الحورض الغربي للبحر المتوسط بالتجمع تحت راية البابوية لمهاجمة المسلمين في جزر البليار والاستيلاء على هذه الجزر ^(٣) ، وقد اغفلت المصادر الاسلامية التي بين أيدينا ذكر الحملات الصليبية الاولى على البليار التي ردت عنها مدحورة عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م ^(٤) مما اضطرنا إلى اللجوء إلى المصادر المسيحية التي لم تذكر عن هذه الحملات الفاشلة سوى روايات مقتبضة تلخصها فيما يلي :

أ - حملة أرمنجول كونت أرقلة Armengol de Urgel

أورد البارو كمبانير اعتماداً على المصادر القطلانية رواية مقتبضة تشير إلى قيام أرمنجول كونت أرقلة - من امارة قطلونية - بحملة صليبية على جزر البليار ، ويبدو من ظاهر الرواية أن هذه الحملة لم تؤد إلى أية نتائج ايجابية كما يتضح من رواية كمبانير التي نسجلها في السطور التالية : " وقعت أحداث غامضة وخطيرة في جزر البليار أثناء حكم مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، ومن بين هذه الأحداث حملة بحرية قام بها الكونت أرمنجول الذي يطلق عليه بعض المؤرخين اسم الميورقي El de Mallorca (وورد اسمه أحياناً Mayeruca O Moycrusa) وقد توفي هذا الكونت أثناء قيامه بهذه الحملة " - ولم يشر كمبانير إلى تاريخ هذه الحملة وأسبابها والظروف التي أحاطت بها ومصيرها . ويبدو أن هذه الحملة فشلت في تحقيق

=- عنان : دولة الطوائف ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

^(١) د. سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢ م ، ص ٤٣١ - ٤٣٩ .

^(٢) البابا باسكال الثاني : تولي السدة البابوية ١٠٩٩ - ١١٢٨ م .

- سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ، ص ٦٦١ .

^(٣) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 102 - 103 .

^(٤) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

أهدافها نظراً لوفاء قائدها أثناء قيادته للحملة ، وتصمت المصادر المسيحية عن ذكر أي شيء يتعلق بتفاصيلها ^(١) .

ب- حملة أمير قطلونية رامون برنجير الثالث

على جزر البليار بالتحالف مع البيزيين سنة ٥١٢ هـ / ١١٠٨ م :

تزع بعض المصادر المسيحية اعتماداً على نصوص لاتينية بأن البيزيين تمكنوا بالتعاون مع قوات قطلونية بقيادة أمير قطلونية رامون برنجير الثالث من الاستيلاء على جزيرة ميورقة سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م . وأن أمير قطلونية هو الذي تولى قيادة هذه الحملة التي كانت تتكون في معظمها من البيزيين . وتزعم تلك المصادر بأن هذه الحملة أسفرت عن مقتل صاحب جزر البليار ووقوع أفراد أسرته في الأسر ، وأغلب الظن أن تلك الرواية ملفقة لا تستند إلى أدلة تؤيدها ^(٢) . وأتفق مع الدكتور عصام في ترجيحه بأنها لم تكن أكثر من غزوة بحرية فاشلة قام بها البيزيون بالتعاون مع القطلان ثم خلطوا بين حوادث هذه الحملة وحوادث الحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى على البليار في سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ - ١١١٥ م نظراً للتقارب الزمني بين الحملتين ^(٣) . ولا تشير المصادر العربية إلى شيء من ذلك ، وكل ما رود عن هذه الجزر الشرقية لا يعدو وصفاً عاماً لحياة الأمن والاستقرار والسلام المخيم على ربوع ميورقة في عهد أميرها مبشر ناصر الدولة في سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م وهي السنة التي نهض فيها الفتح بن خاقان من بلنسية إلى ميورقة ومدح أميرها مبشر ناصر الدولة الذي أحسن لقياءه وأكرمه ^(٤) .

(١) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., pp . 93 - 94 .

(٢) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 99 .

(٣) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 99

- عصام سيسالم : جزر الأندلس المنسية ، ص ٢١٩ .

(٤) ابن خاقان : قلاند العقيان ، ج ١ ، ص ١٧١ .

- ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٧ .

- المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٦٥٩ - ٦٦١ .

ج- حملة سيجورد الأول Siguard I ملك النرويج سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م :

لم تمض أشهر على حملة القطلان والبيزيين حتى أبحر من سواحل النرويج الملك سيجورد الأول في نفس العام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م على رأس أسطول بحري كبير في طريقه إلى ساحل الشام لمساندة القوي الصليبية ^(١) تلبية لنداء البابا أوربان الثاني Urban II ^(٢).

ويبدو أن الاسطول مر في طريقه إلى سواحل الشام بجزيرة فرمنتيره Formentera أصغر الجزائر الشرقية ، وأكثرها حصانة ومنعة بفضل استحكاماتها الدفاعية القوية ، ويبدو أن هذا الاسطول الصليبي أراد أن يعرج على هذه الجزيرة لمقاتلة أهلها ولكن الطبيعة الوعرة الممثلة في مرتفعات هذه الجزيرة عاقت القوات النور مندية عن الرسو على سواحلها . بالاضافة إلى ما تعرضت له هذه القوات من سهام المسلمين المتحصنين بأعلى مرتفعات مولا . وعندما عجز الملك سيجورد الأول عن اقتحام أسوارها بالقوة عمد إلى الحيلة ، وأمر مجموعات من جنوده بالصعود إلى الصخور المطلة على أسوار الجزيرة وأطلق الأسهم النارية وكتل الصخور على الحامية الإسلامية المدافعة عن السور الامامي ، إلى أن تمكن الرماة من فتح ثغرة في الاسوار الخارجية ، تسالت منها القوات النورماندية إلى داخل الجزيرة والتجأت حامية السور الأول بعد قتال عنيف إلى أحد الكهوف ، وقام البرابرة النورمان بوضع أكداس من الحطب على باب ذلك الكهف وأشعلوا فيه النار وقضوا على من فيه ، وتقدمت القوات النورماندية نحو السور الثاني للجزيرة . وبعد هجمات متلاحقة وخسائر فادحة من الجانبين تمكنت من اقتحامه ، وانطلق الغزاه يقتلون وينهبون ويحرقون ، ولما أتموا مرادهم وحققوا هدفهم وملأوا أيديهم من الغنائم والأسلاب ركبوا سفنهم وأغاروا على أطراف جزيرة يابسة المجاورة ثم غادروها سريعا إلى جزيرة منورقة ، فلما واجههم المسلمون

(١) Campaner Y Euertes : Op , Cit ., p . 94 .

(٢)

(٢) سعيد عاشور : أوروبا في العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .

وتصدوا إليهم بشجاعة نادرة رفعوا الحصار عنها واتجهوا بأسطولهم إلى جزيرة صقلية^(١).

د- الحملة الصليبية الكبرى على جزر البليار

استطاع اسطول جزر البليار الصمود أمام هجمات أساطيل المسيحية طوال عهد مبشر ناصر الدولة، وحتى عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م بل إن اسطول المسلمين في ميورقة ومنورقة واصل الاغارة على الثغور المسيحية بسواحل ايطاليا وصقلية وسردانية، والساحل الجنوبي لبلاد غالة وامارة قطلونية^(٢) لهذا اصدر البابا باسكال الثاني Pascual II نداء إلى جمهورية بيزة في عام ٥٠٧ هـ / ١٠١٣ م يدعوها إلى إعداد حملة بحرية كبرى للاستيلاء على جزر البليار، والقضاء على قوى المسلمين بها وتطهير البحر المتوسط منهم لاعتداءاتهم البحرية المتواصلة على السيف الشمالي لحوض البحر المتوسط، وما يتبع هذه الاعتداءات من قتل وتخريب^(٣) وواضح أن البابا اختار البيزنين بالذات للقيام بهذه الحملة لما بلغه من اهتمامهم الشديد بالاستيلاء على جزر البليار ووضع حد لغاراتهم المتكررة على الشواطئ الإيطالية^(٤).

ولم يتردد البيزيون في الاستجابة السريعة لنداء البابوية، وبدأوا يعدون حملة بحرية كبرى للاستيلاء على الجزائر الشرقية جهزت لها بيزة ثلاثمائة سفينة من مختلف الأنواع^(٥) ويروي ابن الكردبوس في أحداث عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ - ١١١٥ م ما يلي :

(١) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., pp . 95 - 96 .

- عصام سيسالم : جزر الأندلس المنسية ، ص ٢٢١ .

- عنان : دول الطوائف ، ص ٢١١ .

(٢) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 102 .

- عنان : دول الطوائف ، ص ٢١١ .

(٣) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 102 - 103 .

- دائرة المعارف البريطانية ، ج ٧ ، ص ٩٥٥ لعام ١٩٦٢ م .

(٤) عنان : دول الطوائف ، ص ٢١١ .

(٥) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p 103 .

اجتمع أهل بيشة (بيزة) وحنوة^(١) وعمر واثلاثمائة مركب وخرجوا إلى جزيرة يابسة من عمل ميورقة ...^(٢) " هذا وقد انضم إلى أسطول بيزة قوات بحرية من برشلونة^(٣) و أمبورياس Ampurias ومونبلييه Montpellier وأربونة Narbona وسردانية حتى بلغ مجموع سفن الأسطول المشارك في الحملة خمسمائة سفينة^(٤).

وبعد أن أتمت الأساطيل المسيحية استعداداتها منح البابا باسكال الثاني لواء البابوية إلى بدرو Pedro قائد القوات البيزية والمشرف على إعداد الحملة وأذن لهم بالبحار " لمحاربة أبناء هاجر والكفار القاطنين بجزر البليار "^(٥).

وفي يوم الخميس غرة ربيع الأول ٥٠٨ هـ الموافق السادس من شهر أغسطس ١١١٤ م أبحر الأسطول البيزي من خليج أرنو Arno واتجه غرباً إلى جزيرة سردانية حيث انضمت إليه قوات برية وبحرية من تلك الجزيرة ، ثم واصل الأسطول البيزي مسيرته غرباً تجاه جزر البليار^(٦) بعد أن اتفق كبار قادة الحملة على اسناد الرياسة الشرفية ، وحمل الراية البابوية الكبرى إلى رامون برنجير الثالث قبط برشلونة في كل العمليات العسكرية التي تقوم بها الحملة ضد مسلمي البليار^(٧).

(١) تشير المصادر المسيحية إلى عدم اشتراك قوات حنوة في الحملة .
Campaner Y Fuertes : Ibid ., p . 103 .

(٢) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء ، ص ١٢٢ .
- وأنظر ابن عذاري : البيان ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .
- مكي (دكتور محمود على) : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد ٨٧ مدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

(٣) وعن كيفية اشتراك قوات من برشلونة في الحملة يروي الباروكمباتير رواية غريبة مفادها أن الأسطول البيزي رسا على ساحل ظنه القباطنة البيزيون بأنه من سواحل جزيرة ميورقة ، حيث نزلت قواتهم ، يقتلون ويخربون ثم تنبهوا إلى خطأهم عندما علموا بأنهم كانوا في أرض مسيحية تابعة لامارة برشلونة ، وبعثوا إلى كونت تلك الامارة يعتذرون له ويطلبون منه الاشتراك في الحملة الصليبية ، فلم يتردد أمير برشلونة الذي عاتى من غارات المسلمين من قبول دعوة المشاركة .

Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., pp . 104 - 105 .

Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 103 .

Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., pp . 103 - 104 .

Campane Y Fuertes : Op , Cit , p . 256 .

Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 266 .

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

وعندما بلغ مبشر خبر هذه الحشود الضخمة والأعداد الكبيرة لاساطيل المسيحية ، بعث رسله يعرض الصلح على الغزاة ، ويعدهم بتسليم ما لديه من الأسرى المسيحيين ، وأن يعرضهم عن نفقات الحملة ، ولكن القادة المسيحيين رفضوا هذا العرض ^(١) ، وتجمعت أساطيل النصاري في ميناء سالو Salou على ساحل قطلونية إلا أن اضطراب البحر وسوء الأحوال الجوية أدى إلى إعاقة تحرك القوات البحرية لفترة من الوقت ^(٢) ، فلما استقرت الأحوال أبحرت تلك الاساطيل إلى ثغر سان ماتيو San Mateo في ربيع الثاني ٥٠٨ هـ (٢٤ سبتمبر ١١١٤ م) ثم تحركت السفن بعد ثلاثة أيام نحو جزر البليار ، ولكن سوء الأحوال الجوية دفع السفن إلى مياه دانية ، مما أجبر قادة الحملة على العودة إلى برشلونة وقضاء فصل الشتاء هناك ^(٣) .

وأخيراً تحركت وحدات الأسطول الصليبي من ساحل قطلونية في شوال ٥٠٨ هـ (مارس ١١١٥ م) إلى الجزر الشرقية ، وهاجمت بعنف وضراوة يابسة والجزر الأخرى ، وقوبل الهجوم بمقاومة ضارية من قبل المسلمين بشهادة المصادر اللاتينية ^(٤) ، الأمر الذي تعذر على القوات الصليبية إحراز أي نصر سريع وطالت المعارك بين الجانبين ، ولم يتمكن الأسطول الصليبي من تحقيق النصر إلا بعد مضي خمسة أشهر وذلك في ربيع الأول ٥٠٩ هـ (٢٨ يوليو ١١١٥ م) ^(٥) وتبع ذلك استيلاء النصاري على يابسة .

ويعبر الكاتب المرابطي محمد بن عبد الله بن الجد الفهري عن هذا الحادث في رسالة له نطالع فيها ما يلي : " وفي هذه السنة (٥٠٨ هـ / ١١١٤ م) كانت الحملة التي انتلفت بعض الممالك المسيحية في غرب البحر الأبيض على توجيهها إلى الجزائر الشرقية ، وقد اشترك في هذه الحملة أهل بيزة وجنوة وإمارة برشلونة إذ سيروا أسطولا

(١) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 106 – 107 .

(٢) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 107 .

(٣) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 266 – 267 .

(٤) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 277 – 278 .

(٥) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 277 – 278 .

مكوناً من نحو ثلاثمائة قطعة بحرية إلى جزيرة يابسة أولاً فحاصروها حصاراً شديداً واستبسل في مقاومتهم عامل الجزيرة الذي تسميه المراجع المسيحية Abunazare (أبا نصر ؟) إلا أن القوات المتحالفة استطاعت الاستيلاء على الجزيرة وأقبلت بعد ذلك على النهب والتخريب بأفزع صورة ممكنة ^(١).

بينما تبلغ المصادر اللاتينية والاسبانية في ذكر تفاصيل استيلاء القوات الصليبية على يابسة في يوم عيد القديس لورنثو San Lorenzo في ١٣ ربيع الأول ٥٠٩ هـ / ١٠ أغسطس ١١١٥ م. وتسوق تفصيلاته عن المذبحة البشعة التي قام بها الصليبيون في أهل يابسة والتخريب الذي أعقب ذلك للأسوار والحصون وقصر الامارة ^(٢).

وبعد أن فرغ الغزاة من يابسة توجهوا بقواتهم المكونة من خمسمائة سفينة نحو جزيرة ميورقة في ٢٥ ربيع ٥٠٩ هـ / ٢٢ أغسطس ١١١٥ م بعد يومين في يوم عيد القديس سان بارتولومي San Bartolome في ٢٧ ربيع الأول ٥٠٩ (٢٤ أغسطس ١١١٥ م) ^(٣). ونزلت القوات المسيحية على ساحل الجزيرة وضربوا حصاراً شديداً حول مدينتها ^(٤). ومع ذلك أبدت قوات المسلمين مقاومة باسلة كبدت

(١) أنظر محمود على مكى : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٥٩ .

— ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٢ .

(٢) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., pp . 267 , 278 - 279 .

(٣) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 279 .

(٤) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

— مكى : وثائق تاريخية جديدة من عصر المرابطين ، ص ١٥٩ .

— ابن عذاري : البيان ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

— ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

— ابن أبي زرع (أبو الحسن على بن عبد الله : " الانيس المطرب ، بروض القرطاس في

أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " ، نشره كارل يوحنا تورنبرج - طبع في مدينة

أوبسالة ، بدار الطباعة المدرسية ١٨٤٣ م ، ص ٧٩ - ٨٧ .

— القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٥ ، ص ٢٥٦ .

— الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٧ .

Campaner Y Fuertes: Op , Cit ., p . 267 - 268 , 281 .

الأعداء خسائر فادحة^(١). وفي نفس الوقت كان مبشر ناصر الدولة يحاول انقاذ مدينة ميورقة وعسكر المسلمين الذين أرهقهم شدة القتال وأحكام الحصار ، ولما اشتد كلب النصارى على ميورقة تطلع ناصر الدولة إلى الاستتصار بالمرابطين ، وكانوا قد تمكنوا آنذاك من السيطرة على شرق الأندلس كله^(٢) ، فلم يتردد ناصر الدولة مبشر من الاستتجاد بهم ووجه كتابه مع قائد البحر أبى عبد الله محمد بن ميمون ، وكان بين يديه آنذاك قائد غراب^(٣) ، " فلم يشعر حتى خرج الغراب معمرا ليلا من دار الصناعة عليه فانطلق في الحين يقفوا أثره ، وأتبعه نحو عشرة أميال والظلام قد ستره ، فلما قطع يأسه في الظفر به ، رجع خاسئا على عقبه ، فوصل ابن ميمون بالكتاب إلى أمير المسلمين ، فأمر في الحين ، بتعمير ثلاثمائة قطعة ، وأن تلقى بعد شهر دفعه... "^(٤).

وفي تلك الأثناء كانت مقاومة المسلمين قد فترت في الوقت الذي ازداد ضغط الحصار الصليبي على المدينة ، وتتابع هجمات

(١) Campaner Y Fuertes : Ibid ., p . 281 - 282 .

(٢) ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٣) غراب والجمع أغربة ، سفينة شراعية صغيرة من طبقة واحدة وذات صار أو صاريين وتستخدم عادة في الأغراض العاجلة لسرعتها ، وقد انتقلت إلى الأوروبية باسم Corvette أو Corveta راجع . Dozy : Supplement aux diction

aires arabes , T , II , Paris , 1927 , p . 205 .

- Fahmi (Ali . M) : Muslim Sea Power in The Easter Mediterranean , p . 132 - 133
- وينكر الدكتور درويش النخيلي ، أن الغراب من المراكب الحربية شديدة البأس التي استخدمها المسلمون والفرنج في العصور الوسطى وقد دعت بهذا الاسم لرقتها وطولها وسوادها لطلانها بالأطالية الماتعة للماء كالزفت ، فصارت تشبه بسوادها الغربان من الطير وكان مقدم هيكلها على شكل رأس غراب وهي تسير بالقلع والمجاديف (درويش النخيلي : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٤ ، ص ٤) .

(٤) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

- مكى : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٥٩ .

بينما يذكر ابن القطان أن عدد القطع البحرية التي أعدت وجهزت في دور الصناعة المرابطية بأمر أمير المؤمنين على بن يوسف كانت " مائة وعشرين مركبا " .

- ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكتاني الفاسي) : نظم الجمان ، جزء منه ، تحقيق د. محمود على مكى ، المركز الجامعي للبحث العلمى اشرف مولاي الحسن للبحوث ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، بدون تاريخ ، ص ٢٠ .

الغزاة على الجزيرة ، واستماتت حامية الجزيرة في الدفاع عنها ^(١) مما دفع أبا ربيع سليمان بن لبون الذي خلف مبشر في حكم الجزائر الشرقية أن يدعو المعسكر الصليبي للصلح ، ولكن المفاوضات تعثرت وباعت بالفشل ^(٢) ، واستغل البيزيون فرصة اجراء المفاوضات وتوقف حامية مدينة ميورقة عن القتال واندفعوا نحو أسوار المدينة مستخدمين كافة أنواع آلات الحصار ونجحوا في فتح عدة ثغرات في الأسوار ^(٣) ومن خلالها اقتحموا المدينة ، ولم تلبث تحصينات ميورقة الامامية أن سقطت في أيديهم في السادس من شوال ٥٠٩ هـ (٢٢ فبراير ١١١٦ م) وأعقب ذلك مذبحة مروعة قام بها الغزاة ضد حامية مدينة ميورقة الاسلامية وصفها صاحب المدونة اللاتينية ^(٤) .

وقام الغزاة بأعمال السلب والنهب وأطلقوا سراح الأسرى المسيحيين الموجودين في سجون المدينة . ولما أشبع الغزاة ظماهم في سفك دماء المسلمين وتخريب العمران انتقلوا بسفنهم إلى جزيرة ميورقة ، وهاجموا بالمة ، مركزين على قصبة المدينة التي كان يطلق عليها اسم " حصن المدينة " (بضم الميم وفتح الدال) وفرضوا الحصار على القصبة ذات التحصينات الهائلة ، وأخذوا في دك أسوارها بمختلف آلات الحصار عشرة أيام متواصلة ^(٥) وأخيرا تمكن المحاصرون من الاستيلاء على معقل المدينة في ١٨ شوال ٥٠٩ هـ (٤ مارس ١١١٦ م) ^(٦) . مما اضطر حامية المدينة إلى الاحتماء في قلعة القصر ، وواصلت التصدي للمهاجمين ، واستبسلوا في المقاومة إلى أن وهنت قواهم وانهارت مقاومتهم ، فاقتحم الغزاة أبواب القصر في ٣ من ذي القعدة ٥٠٩ هـ (١٩ من مارس ١١١٦ م) ^(٧) بعد أن دمروا معظم بنيانه واستولوا على جميع التحف والذخائر ^(٨) .

(١) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., pp . 269 , 285 - 286 .

(٢) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., pp . 269 , 287 .

(٣) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 269 .

(٤) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 270 .

(٥) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 270 , 287 - 288 .

- عصام سيسالم : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

(٦) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 287 - 289 .

(٧) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., p . 119 - 287 - 289 .

(٨) Campaner Y Fuertes : Ibid ., p . 272 , 273 , 289 .

وتروي المصادر اللاتينية أن أبا ربيع سليمان عندما أيقن بسقوط المدينة استقر عزمه على الهرب بطريق البحر مع عدد من أعوانه بعد أن جمع ما خف حمله من كنوز وذخائر ، ولكن ما كاد يضع قدمه في المركب الذي أراد أن ينجو به ، حتى وقع في قبضة الغزاة فكلوه بالأغلال ^(١) . وانطلق الغزاة في أرجاء المدينة يقتلون ويأسرون ، ولم ينج من أهلها إلا من تمكن من الهرب إلى الجبال المحيطة بالمدينة ^(٢) وهكذا دمرت المدينة تماماً وأصبحت أكواماً " خاوية على عروشها محرقة سوداء مظلمة منطبقة " ^(٣) .

وكان علي بن يوسف قد تلقى أثناء الحصار الصليبي لميورقة صريخ مبشر واستجاده على يد قائد البحر أبي عبد الله بن ميمون ، الذي وفق في اختراق الحصار الصليبي تحت جناح الظلام ، والوصول بكتاب مبشر إلى أمير المسلمين الذي بادر بتجهيز اسطول من ثلاثمائة سفينة ^(٤) بقيادة أمير البحر ابن تاقراطاس ، إلا أن هذا الاسطول لم يصل إلى جزر البليار إلا بعد أن سقطت ميورقة تماماً في أيدي الغزاة ولا نعلم سر هذا التأخير ، لكن النصاري لم يلبثوا أن غادروها سريعاً بعد أن بلغت أخبار الاسطول القادم لانقاذ الجزيرة ^(٥) .

وهكذا اقلعت سفنهم عن الجزيرة وقد أثقلت بما حصلوا عليه من السبي والغنائم ، بعد أن استصفوا ثروات الجزيرة وتركوها قاعاً

(١)

Campaner Y Fuertes : Ibid ., p . 271 .

(٢) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

- ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٢٠ ؛ القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٧ .

- ابن عذاري : البيان ، ج ١ ، ص ٣٠٥ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

- الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٧ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(٤) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

- محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة في عصر المرابطين ، ص ١٥٩ .

(٥) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

- ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٢٠ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٧ .

صفصفاً خاوية على عروشها بعد أيام قليلة من عيد الفصح أو آخر ذو القعدة ٥٠٩ هـ (منتصف ابريل ١١١٦ م) ^(١).

وصل الاسطول المرابطى إلى ميورقة بقيادة أمير البحر ابن تاقريطاس بعد فرار الغزاة عنها ، ووجد المرابطون المدينة خاوية أصابها تدمير شديد فعمروها ، وأعادوا إليها الفارين من أهلها ، وكان عدد كبير منهم قد لاذ بقمم الجبال ^(٢). ثم قلد على بن يوسف على ولايتها وانور بن أبى بكر اللمتونى ^(٣) ومنذ ذلك التاريخ دخلت تلك الجزر في فلك دولة المرابطين وكان لاسترجاعها أثر بعيد في مستقبل الأندلس كله ، لأنها لو بقيت بأيدي النصاري لأصبحت خطراً يهدد شرق الأندلس كله .

(٣)

الحياة العلمية في الجزائر الشرقية في عصر دويلات الطوائف

إذا نظرنا إلى الجزائر الشرقية سواء في فترة تبعيتها لمملكة دانية ، أو بعد أن استقلت وأصبحت امارة مستقلة قائمة بذاتها نجد أنها - وعلى الأخص ميورقة - أنجت عدداً كبيراً من العلماء لبعضهم الباع الطويل في مجال العلوم الدينية ، وبعضهم الآخر شهرة عالية في مجال الدراسات الأدبية ، ولكن - مع الأسف - لا تسعفنا المصادر العربية بمادة كافية لكي نتتبع هذه الحركة العلمية في الجزائر الشرقية ويمكننا من أن نبرز اتجاه الحركات الفكرية والمذاهب الأدبية بهذه الجزائر ، وأن نقومها تقويماً علمياً متكاملًا .

(١) Campaner Y Fuertes : Op , Cit ., pp . 119 - 272 .

اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ج ١ ، ترجمة الاستاذ محمد عبد الله عنان ، ص ١٤٢ .

(٢) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

- ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٥ ؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٦٧ .

Prieto Y Vives : Op . Cit ., p . 41 .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

ومما لا شك فيه أن كثيراً من أعلام هذه الحركة العلمية قد رحلوا عنها ، كما أن عدداً آخر من العلماء الوافدين من جزيرة الأندلس قد اجتذبتهم الحياة فيها وليس من السهل على الباحث أن يميز بين البلدي منهم والوافد لقلّة ما زودتنا به المصادر العربية ، وأيا كان الأمر فإن ذلك لا ينفي قيام حركة علمية مزدهرة لاسيما بعد أن أصبحت هذه الجزر منذ بداية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) تؤدي دوراً هاماً في المجال السياسي ، الأمر الذي مهد السبيل إلي اجتذاب عدد كبير من الأدباء والعلماء إليها للاستقرار أو لمجرد الرحلة إليها والاقامة الموقوتة .

من حسن طالع هذه الجزائر أنه في كل مرة ينفرد بالسلطة فيها حاكم ، نجده عالماً وأديباً ، يشجع العلماء والأدباء أو يشاركهم في حياتهم ليجعل من قصره بلاطاً ينافس غيره من البلاطات ، فكان لمجاهد العامري وأحمد بن رشيق نائبه في الجزائر الشرقية ومن بعدهما ناصر الدولة في القرن الخامس الهجري الدور الأعظم في تنشيط هذه الحركة العلمية . فكانت بلاطاتهم تستقطب أبرع علماء عصرهم وأنبغ أدبائه .

ولقد علمت الفتن الداخلية بالأندلس والحروب الخارجية بين النصارى والمسلمين على جعل هذه الجزر ملجأ يلوذ إليه بعض العلماء والأدباء المرموقين . ففي بداية القرن الخامس للهجرة وبعد سقوط الدولة العمارية ثم الخلافة الأموية من بعدها نزح بعض علماء قرطبة إلي الجزائر الشرقية ، واستظلوا في سمائها آمنين من الفتنة الطاحنة التي شملت أجزاء كثيرة من الأندلس ، مطمئنين إلي الحرية التي ينعمون بها في ظل حكام متسامحين .

ويعتبر ابن حزم أفضل مثل للتعبير عن هذه الحياة فبعد أن سدت جميع الأبواب في وجهه بالأندلس لم يجد متنفساً إلا بجزيرة ميورقة مع حاكمها أحمد بن رشيق نائب مجاهد العامري على الجزائر . فنراه يعقد فيها المجالس والمناظرات بكل حرية ويجادل كبار علماء المالكية

دفاعاً عن مذهبه الظاهري ، وهذا دليل واضح على توافر الحرية العلمية التي تمتعت بها مملكة دانية والتي ظهرت بأجل صورها في ظهور نزعة الشعوبية كما سبق أن أوضحنا . كما حل بالجزيرة أبو الوليد الباجي الذي تضافر مع أبي عبد الله محمد بن سعيد الميورقي المالكي لمناظرة ابن حزم .

كذلك لجأ إلى الجزائر الشرقية عالمان قرطبيان أزعتهما الفتنة البربرية إلى ميورقة في بداية القرن الخامس الهجري ، وهما :

- أحمد بن مطرف المعروف بابن الخطاب :

يكنى أبا بكر أخذ القراءة عن أبي الحسن الأنطاكي ، وأبي الطيب بن غلبون ، خرج في الفتنة إلى الثغر ، ثم انتقل إلى جزيرة ميورقة سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م عن سن يناهز خمس وسبعين سنة^(١) وخلف ابن غُصن بن علي الطائي ويكنى بأبي سعيد ، من أهل قرطبة ، أخذ القراءة عن أبي الطيب بن غلبون وهو الذي لقنه القرآن وأقرأ الناس بقرطبة وغيرها . وتوفي بجزيرة ميورقة مستهل المحرم سنة ٤١٧ هـ / ٢٢ فبراير ١٠٢٦ م^(٢) .

وقد اجتمعت خلاصة التجربتين بدانية وميورقة في شخص المقرئ أبي تمام غالب بن أبي اليمن القطيني ، فقد درس بميورقة أولاً ثم أخذ بدانية عن أبي عمرو المقرئ وتوفي في سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م^(٣) .

وبعد سقوط دانية سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م على يد ابن هود أصبحت ميورقة بلا منازع أهم مركز لعلم القراءات في شرق الأندلس أن لم نقل في كل بلاد الأندلس ، وتكونت بها مدرسة لهذا الفن تخرج منها أشهر المقرئين الأندلسيين .

(١) ابن بشكوال : الصلاة ، ص ٣٦ ترجمة رقم ٦٩ .

(٢) ابن بشكوال : الصلاة ، ص ١٦٦ - ١٦٧ ترجمة رقم ٣٧٥ .

(٣) المراكشي : الذيل والتكملة ، ج ٢ ، ص ٦٩٨ .

كما ازدهرت في بلاد مبشر حركة أدبية كان هو قطبها
ومحركها فكثرت المادحون له ووفد عليه بميوزقة كبار الشعراء في
الأندلس وخارجها أمثال ابن اللبانة^(١) وابن حمديس^(٢).

أما ابن حمديس فقد مدح مبشر بن سليمان بقصيدة تبلغ سبعة
وعشرين بيتاً ابتدأها بقوله :

جاءتك أولاد الوجيه ولاحق فأرتك في الخلق ابتداع الخالق
نينان أمواه وفتح سباسب وظباء جام وعصم شواهدق^(٣)

وقد ركز الشاعر أبياته على وصف خيل مطهمة - والجزائر
الشرقية مشهورة بها - أهديت لناصر الدولة فذكر ألوانها الزاهية
وصهيلها المطرب وحرركاتها الرشيقة وعدوها السريع .

وهكذا أصبحت الجزائر الشرقية خلال هذه الفترة ملجأ لكثير
من سكان الأندلس خاصة عند اندلاع نار الفتنة التي أدت إلى سقوط
الخلافة الأموية بقرطبة ، وكان التسامح النسبي الذي عرف به حكام
الجزائر عاملاً مشجعاً للعلماء والأدباء من بين هؤلاء السكان ليحطوا
رحالهم فيها .

(١) ابن اللبانة سبق الحديث عنه .

(٢) أحمد بن حمديس : ٤٤٦ هـ - ٥٢٨ هـ / ١٠٥٤ - ١١٣٣ م كان بميوزقة زمن مبشر بن
سليمان ناصر الدولة ومدحه بقصيدة .

أنظر ، ديوان ابن حمديس ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٦٠ م ، ص ٢١٣ .

(٣) الديوان ، نفسه ، ص ٣٣٠ .

الختامة

الخاتمة

أخذ دور الفتيان الصقلية في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس يتعاظم تدريجياً في عصر الخلافة حتى أصبحت لهم اليد الطولى في تصريف أمور الدولة العامرية ، وتبوأوا المناصب الكبرى التي مكنتهم من التدخل في تعيين الخلفاء . وكان لجهودهم الحربية الصادقة في عصر الامارة والخلافة أعظم الأثر في توطيد هيبة الخلافة بالداخل والخارج .

وفي عصر الدولة العامرية رأي المنصور محمد بن أبي عامر أن من مصلحته استمالة الصقلية إلي جانبه ، فضم طائفة منهم إلي قواته ، وأضاف إليهم جنداً من البربر وأخمل شأن القبائل العربية ، واستطاع بفضل استعانيته بطوائف الصقلية والبربر تمكين دعائم حكمه ، وكسوة الأندلس بآرادية العظمة والفخامة حتى لقد أصبحت تضاع ما كنت تنعم به من قوة وعظمة في عصر الخلافة .

إلا أن استعانة المنصور بتلك القوات البربرية والصقلية وإن كان خيراً على القوات العسكرية للأندلس كانت له عواقب وخيمة وكان عاملاً من أبرز عوامل الهدم التي أغرقت البلاد في حرب أهلية أدت إلي تفتت وحدتها وانقسامها إلي دويلات طائفية ، وقد ساعد على احتدام نار الفتنة التي طحنت الأندلس برحائها ، التنافس على دست الخلافة بين أمراء البيت المرواني ، واستعانة بعضهم على بعض بالعامية حيناً والبربر حيناً ، وبالمرتزقة النصارى حيناً آخر فضاعت هيبة الخلافة وانهارت السلطة المركزية بسبب الحرب الأهلية ، ولجأ أهل الأندلس إلي المناطق الآمنة حيث قامت دويلات صقلية أو بربرية أو عربية .

وكان من بين العناصر التي التمسست مجالاً أكثر أمناً الفتيان الصقلية وعلى رأسهم عنبر وواضح وخيران ومجاهد العامري ، فقد اختاروا شرق الأندلس وتمكنوا من تأسيس دويلات صقلية في طرطوشة وفي دانية وفي بلنسية وفي مرسية وفي المرية .

وعلى الرغم من اختلاف خيران العامري الذي انتزى بالمرية مع أصحابه من الفتيان العامريين في شرق الأندلس وخاصة مجاهد ، فقد تمكن من إنشاء مملكة مترامية الأطراف امتدت من الساحل الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة على هيئة مثلث كبير ينتهي أحد جوانبه عند وادي آش وحدود مملكة غرناطة غرباً ، وحتى بسطة وجيان بالاضافة إلى أوريولة ومرسية شمالاً ، وكانت سياسته الداخلية التي تميزت بالهمة والنشاط والتنظيم والدقة بالاضافة إلى اهتماماته العمرانية والثقافية سبباً في ظهور المرية كواحدة من أعظم دويلات الطوائف من حيث الاتساع العمراني والازدهار الاقتصادي .

وفي عهد خلفه زهير اتسعت املاك المرية حتى شملت قرطبة نفسها التي دخلها سنة ٤٢٥ هـ / ١٠٣٤ م واستمر بها يتولاها مدة خمسة عشر شهراً ونصف ورجحنا أن ذلك تم بناء على استدعاء من أبي الحزم بن جهور للمعاونة في الحفاظ على الأمن واستقرار الأوضاع . كما أوضحنا أن زهيراً انتهج نهج صاحبه خيران في محاولة تأييد شرعية حكمه بالاستناد إلى خليفة شرعي دفعاً لخطر الحموديين من ملوك الطوائف ، فاستقدم رجلاً كان يعمل سقاء ، ويشبه الخليفة هشام ونصبه خليفة سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م ورجحنا أن ذلك كان من الأسباب التي أدت إلى إثارة ابن جهور ضد زهير حتى استطاع أن يجبر هذا الأخير على مغادرة قرطبة بطريقة ما .

كما أبرزنا جوانب العلاقة بين زهير وابن عباد وما آلت إليه من تدهور نتيجة لامتناع زهير عن مبايعة هشام المؤيد المدعو بخلف الحصري والذي نصبه ابن عباد في اشبيلية ، ولكن زهير تمكن من كف خطر بنو عباد عن طريق تحالفه مع حبوس الصنهاجي ومبايعته لادريس بن علي بن حمود (المتأيد بالله) .

أما بالنسبة لبانسية فقد حكمها كل من مبارك ومظفر ، وعندما تطلع مبارك إلى ضم شاطبة إلى دولته باعته محاولته بالفشل رغم قضائه على خيرة صاحب شاطبة بالسهم نظراً لاختيار أهلها لعبد العزيز بن أفلق خلفاً له الذي قنع من مبارك بالسيادة الاسمية على شاطبة .

وأوضحنا كيف ان الازدهار الاقتصادي الذي نعمت به بلنسية أثر على شتى مناحى الحياة فيها ، حيث أن نمو الثروات في حوزة الارستقراطية الحاكمة في بلنسية أثر تأثيراً مباشراً على النواحي العمرانية والاقتصادية ، فقد نشطت حركة البناء والتعمير ، فأقيمت التحصينات وأسست قصور منمقة الجدران فسيحة الأبعاد تضاهي ما كان موجوداً في قصر الخلافة بقرطبة ، وساعد على هذا الازدهار الاقتصادي والرخاء الذي نعمت به بلنسية توفر الأمن في ربوعها مما شجع عدداً كبيراً من التجار وأرباب الحرف على قصدها ، والكثير من موالى المسلمين والصقالبة إلى اللجوء إليها حيث تم تدريبهم واستخدامهم فرساناً للذود عنها ، كما لجأ إلى تلك المدينة العبيد والمشردين الذين تم الاستعانة بهم في أعمال الزراعة والصناعة وخدمة القصر ، مما أدى إلى ازدهار الحركة الاقتصادية بالمدينة ، وعاد ذلك بأطيب النتائج على تلك المملكة .

وعلى المستوى السياسي والعسكري فقد بينا أنه بالرغم من مبايعة مبارك ومظفر المرتضى مع بقية الفتيان العامريين في شرق الأندلس ، إلا أنهما لم يشاركا بشكل عملي في الجيش المصاحب للمرتضى عند دخوله قرطبة سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م كما أوضحنا كيف دخل مبارك الصقلبي في حرب مع المنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة عندما طمع في انتزاع طرطوشة من يد لبيب العامري ، وقد أدى انتصاره عليه إلى علو شأنه وارتفاع مكانته . غير أن سياسة مبارك ومظفر التعسفية مع الرعية وتشدهما في جباية الأموال كانت سبباً في هلاكهما ، إلى أن ظفر منذر بن يحيى التجيبي ببلنسية بعد أن فشل لبيب ومجاهد في استمرار حكمهما لها . ثم آلت إلى المنصور عبد العزيز بن أبي عامر بعد أن أجمع عليه الفتيان العامرية وفي عهده نعمت البلاد بفترة طويلة من السلم والهدوء والاستقرار .

وبالنسبة للسياسة الخارجية ، فقد حاول المنصور عبد العزيز كسب ود القاسم بن حمود في قرطبة ، ولكنه لم يلبث أن نبذ طاعته لبني حمود ، وبادر إلى مبايعة الخليفة هشام المزعوم في قرطبة مثل غيره

من الأمراء والموالى الصقالبة وهذا يؤكد أن عبد العزيز كان يبغى من وراء سياسته هذه إلي إيجاد سند شرعى لتعضيد حكمه وكف خطر الحموديين في قرطبة أولاً ، ثم القوة الممثلة في بنى عباد أصحاب اشبيلية بعد ذلك ، كما ساعدت علاقاته الودية مع ملوك اسبانيا المسيحية في كف خطر ملوك الطوائف المجاورين له خاصة مجاهد العامري .

وكان ولده وخليفته عبد الملك المظفر عاطلاً من صفات أبيه مما أدى إلي اضمحلال مملكة بلنسية واستيلاء صهره المأمون بن ذي النون عليها .

أما بالنسبة لطرطوشة التى كانت تتبع دولة مجاهد العامري فقد انتزعها لبيب الصقلبي الذي نجح في التصدي لاطماع المنذر بن يحيى التجيبى بفضل إمدادات مبارك العسكرية .

وتؤكد رواية صاحب الذخيرة - بناء على السفارة التى بعث بها هشام بن محمد الناصري الملقب بالمعتد في قرطبة إلي مقاتل صاحب طرطوشة - على أن مقاتلاً كان يحكم طرطوشة منذ ما يقرب من عام ٤٢١ هـ وهذا خلاف ما أورده ابن خلدون وبريتواي بييس اللذين أوردا خبر بداية حكمه لطرطوشة في سنة ٤٣٣ هـ ، ٤٢٧ هـ ، وتعاقب على حكم طرطوشة مجموعة من الصقالبة كان آخرهم الفتى نبيل الذي تمكن المقتدر بالله بن هود من انتزاعها منه سنة ٤٥٢ هـ / ١٠٦٠ م .

وبالنسبة للمملكة دانية فقد تبين لنا - من مقارنة الروايات التى أوردتها المصادر العربية - أن المنصور محمد بن أبى عامر أقام مجاهد حاكماً على مدينة دانية قبل وفاته سنة ٣٩٢ هـ . غير أننا أثبتنا أن مجاهد عند اشتعال نار الفتنة كان يحكم الجزائر الشرقية فقط ، ثم تركها وعاد إلي قرطبة عند وقوع الفتنة وعندما تمكن البربر من السيطرة على قرطبة فر مجاهد مع بقية الفتيان العامريين إلي شرق

الاندلس واستطاع أن يفرض سيطرته على المنطقة الشرقية الممتدة من طرطوشة شمالاً حتى دانية ولورقة جنوباً .

ومن الجدير بالذكر أن مجاهد وخيران لم يعترفا بخلافة سليمان المستعين بل أن مجاهد نصب عبد الله المعيطي أحد اشراف الامويين خليفة لكي يسبغ الشرعية على حكمه . وكانت دانية من أهم دويلات الطوائف التي لعبت دوراً بارزاً في الصراع البحري في حوض البحر المتوسط ، ولهذا كان مجاهد من أكثر ملوك الطوائف عناية بالاساطيل خاصة وأن الظروف كانت مهيأة للنهوض بالاسطول وبالتالي تحول المسلمون من سياسة الدفاع إلى الغزو المنظم .

وفي مجال الحديث عن جزر البليار أثبتنا أن المسلمين أتموا فتح ميورقة نهائياً سنة ٢٩٠ هـ وأن الإسلام انتشر في هذه الجزر بنفس الطريقة التي انتشر بها في شبه جزيرة الأندلس ، وذلك عن طريق المصاهرات والفتح المنظم . وذكرنا أن من اسباب فتح مجاهد لجزر البليار انتهازه فرصة الفراغ الذي حدث بها بعد موت مقاتل آخر حكمها في سنة ٤٠٣ هـ ، ثم رغبته في الابتعاد عن دائرة المنازعات والصراعات المحلية التي كانت تخوضها دويلات الطوائف الأخرى .

وقد ترتب على سياسة مجاهد البحرية واستيلاءه على سر دانية أنه أصبح يتهدد السواحل الجنوبية الغربية من ايطاليا ، مما اثار سخط البابوية ومسيحي ايطاليا الذين تحالفوه ضده .

أما بالنسبة لعلاقاته مع ملوك الطوائف ، فقد دارت بين مجاهد والمنصور عبد العزيز عدة وقائع سبق ذكرها بسبب التنافس على أملاك زهير العامري ، ولم ينته إلي صلح إلا بوساطة سليمان بن هود ، ونتيجة لهذا الصلح تمت المصاهرة بين الملوك الثلاثة ، وقام تحالف سياسي كفل لمجاهد الحماية لثغور دانية الغربية أمام اطماع المأمون بن ذي النون ملك طليطلة .

أما في المجال الثقافي فقد أثبتنا مشاركة مجاهد في الحياة العلمية والأدبية ، وحرصه الشديد على إقامة خزانة للكتب تقارب ما كان قد جمعه الحكم المستنصر من الكتب في شتى فروع المعرفة . هذا وقد ساعدت ظروف الفتنة القرطبية على جمع كنوز ونفائس ما أخرجته قرائح علماء وأدباء الأندلس والمشرق الإسلامي . كما أدّى تشجيع مجاهد للعلماء والأدباء ، وبذله العطايا لهم بسخاء ، أن اجتمع ببلاطه العديد من مشاهيرهم الذين أسهموا في ازدهار الحياة الثقافية في مملكة دانية . وعندما تعرضنا لعلی بن مجاهد أبرزنا سياسته الودية مع جيرانه المسلمين والنصارى على السواء ، والتماسه من المصاهرة مجالا لتوطيد هذه العلاقات ، وأكدنا أن علاقاته الخارجية امتدت إلى خارج شبه الجزيرة خاصة مصر والشام التي ارتبطت معها بعلاقات اقتصادية في أيام الشدة المستنصرية سنة ٤٤٦ هـ . أما بالنسبة لعلاقاته الطيبة مع الممالك المسيحية ، فقد رجحنا أن ذلك يرجع إلى نشأته الأولى عندما وقع أسيرا عند ملوك النصرانية في سردانية وتأثره بتعاليم المسيحية ، الأمر الذي ساعد على أن يسود دولته مناخ من التسامح الديني وشجع على نشاط حركة الشعوبية .

غير أن هذه السياسة المتوازنة التي أقامها علي بن مجاهد مع جيرانه لم ترد عنه عادة صهره المقتدر أحمد بن سليمان بن هود الذي تمكن من الاستيلاء على دانية وضمها إلى ملكه سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م.

أما بالنسبة لجزر البليار فقد ارتبط تاريخها بمجاهد العامري الذي تمكن من ضمها إلى ملكه منذ أن افتتحها . لكن تلك الجزر خرجت عن تبعيتها لمملكة دانية منذ أن استولى المقتدر بن هود على مدينة دانية سنة ٤٦٨ هـ وقد أثبتت العملات التي تم العثور عليها أن المرتضى عبد الله بن الأغلب استقل بحكمها منذ ذلك التاريخ ، وخلفه عليها مبشر ناصر الدولة حتى سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م .

وشهدت جزر البليار نهضة علمية وأدبية عندما كانت تابعة للمملكة دانية أو بعد أن استقلت عنها نتيجة لانجابهها عددا من العلماء

النابعين ، كما قصدها بعض الشوامخ من علماء الأندلس الذين كان لهم
باع طويل في مجال العلوم الدينية والأدبية ، وساعد على هذا الازدهار
أن حكامها كانوا علماء أو أدباء سعوا إلى تنشيط الحركة العلمية في تلك
الجزر .

قائمة المصادر

المصادر العربية

- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاعى البلبسى) ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م : " كتاب التكملة لكتاب الصلة " نشره عزت العطار الحسينى ، جزءان القاهرة ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، طبعة كوديرا ، مدريد ١٨٨٦ م .
- ابن الأبار : " المعجم في أصحاب القاضى الامام أبى علي الصدفى " دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- ابن الأبار : " الحلة السيرة " ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- ابن الأبار : " اعيان الكتاب " ، تحقيق الدكتور صالح الاشر ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٦١ م .
- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الجزري) ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م : " الكامل في التاريخ " ، الجزء السادس والتاسع ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ م .
- الادريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ادريس الحمودي) ت حوالى ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م : " صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس " مأخوذة من كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " تحقيق دوزى ودي غويه ، ليدن ١٨٩٤ م .
- الادريسي : " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " مجلدان ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- الاصطخرى (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى) كان حياً في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / النصف الأول من القرن العاشر الميلادى : " كتاب المسالك والممالك " ، مطبعة بريل ، ليدون ١٩٣٧ .
- الاصفهاني (العماد أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد) ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م : " خريدة القصر وجريدة العصر " ثلاثة أقسام ، القسم الأول والثانى ، تحقيق محمد المرزوقى ، ومحمد العروسى المطوي ، تونس ١٩٧٣ م ، القسم الثالث ،

تحقيق أنرتاش أذنوش ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٧٢ م .

- ابن بسام (أبو الحسن علي الشنتريني) ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م : " كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " تحقيق الدكتور اسحان عباس ، أربعة أقسام في ثمان مجلدات ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩ م .

- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م : " كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس " ، جزءان ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م .

- البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م : " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، من كتاب المسالك والممالك نشر De Slane دي سلان بعنوان Description de L' Afrique Septentrional الجزائر ١٩١١ م .

- البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجى ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٨ م .

- البلوي (أبو الحجاج يوسف بن محمد المالكي الأندلسي) القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي : " كتاب ألف باء " عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ .

- ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيري) : " مذكرات الأمير عبد الله ، المسماة بكتاب التبيان ، تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٥ م .

- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيابوري) ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م : " يتمية الدهر في محاسن أهل العصر " ، تحقيق الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٣ م .

- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م : " جمهرة أنساب العرب " ، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ م .

- ابن حزم : " طوق الحمامة في الألف والآلاف " تحقيق الدكتور الطاهر أحمد مكي ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥ م .
- ابن حزم : " نقط العروس في تواريخ الخلفاء " ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، مجلة كلية الآداب ، مطبعة جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٥١ م .
- ابن حزم : " رسائل ابن حزم " تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة الخانجي بمصر ، والمثني ببغداد ، بدون تاريخ .
- ابن حزم : " مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق والزهد في الرذائل " تحقيق أبو حذيفة ابراهيم بن محمد ، الطبعة الأولى ، مكتبة الصحافة بطنطا ١٩٨٧ م .
- ابن حزم : " الرد على بن النغريلة اليهودي " ورسائل أخرى ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة العروبة ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت في أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي : " الروض المعطار في خبر الأقطار " ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٤ م .
- الثعالبي (أبو المنصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري) ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م : " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر " ، تحقيق الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٣ م .
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م : " جمهرة أنساب العرب " ، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ م .
- ابن حزم : " طوق الحمامة في الألف والآلاف " تحقيق الدكتور الطاهر أحمد مكي ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥ م .
- ابن حزم : رسائل ابن حزم " تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة الخانجي بمصر ، والمثني ببغداد ، بدون تاريخ .

- ابن حزم : "مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل " تحقيق أبو حذيفة إبراهيم بن محمد ، الطبعة الأولى ، مكتبة الصحافة بطنطا ١٩٨٧ م .
- ابن حزم : " الرد على ابن النخيلة اليهودي " ورسائل أخرى ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة العروبة ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت في أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي : " الروض المعطار في خبر الأقطار " ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٤ م .
- الحميري : " صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار " تحقيق الاستاذ ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ م .
- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح) ت ٤٨٨ / ١٠٩٥ م : " جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس " ، مجموعة تراثا ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ابن حمديس الصقلي (عبد الجبار) ت ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م : " ديوان " ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٦٠ م .
- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبى) ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م : " كتاب صورة الأرض " ، الطبعة الثانية ، بمطبعة بريل ، ليدن ١٩٣٨ م .
- ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان) ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٩ م : " المقتبس في تاريخ رجال الأندلس " قطعة نشرها الأب ملشورم . انطونية ، باريس ١٩٣٧ م .
- ابن حيان : " المقتبس في أخبار بلد الأندلس " تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجى ، بيروت ١٩٨٣ م .
- ابن حيان : " المقتبس من أنباء أهل الأندلس " تحقيق الدكتور محمود على مكى ، القاهرة ١٩٧١ م .
- ابن حيان : " المقتبس " (قطعة خاصة بالثلاثين سنة الأولى من حكم عبد الرحمن الناصر) ، نشرها الأساتذة بدرو

شالميتا، وفديريكو كورينطي، ومحمود صبح، مدريد ١٩٧٩.

- ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي) ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م : " قلند العقيان في محاسن الأعيان " ، مجلدان تحقيق الدكتور حسين يوسف خربوش ، الطبعة الأولى ، مكتبة المنار ، الأردن ١٩٨٩ م .
- ابن خاقان : " مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس " ، تحقيق الاستاذ محمد علي شوابكة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٣ م .
- ابن خرد ذابة (أبو القاسم عبيد الله) ت ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م : " المسالك والممالك " تحقيق دي غوية ، مطبعة ابريل ١٨٨٩ م ، مكتبة المثنى ببغداد .
- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) : ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م " اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام " (الجزء الخاص بالأندلس) تحقيق الاستاذ ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٦ م .
- ابن الخطيب : " الاحاطة في أخبار غرناطة " تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان في أربعة أجزاء ، القاهرة ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ م .
- ابن الخطيب : " مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس " (مجموعة رسائل) تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ، مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٨٣ م .
- ابن الخطيب : " رقم الحل في نظم الدول " ، تحقيق الدكتور عدنان درويش ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٩٠ م .
- ابن الخطيب : " ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب " تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨١ م .
- ابن خفاجة (ابو اسحق ابراهيم بن أبي الفتح الأندلسي) ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م : ديوان ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ١٩٦١ م .

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ :
" العبر وديوان المبتدأ والخبر " ، المقدمة طبعة بيروت
١٩٨٢ م ، وبقية الأجزاء طبعة بيروت ١٩٦٨ م .
- ابن خلدون : " التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً "
نشر وتحقيق الأستاذ محمد بن تايوت الطنجي ، القاهرة
١٩٥١ م .
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي
بكر) ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م : وفیات الأعيان وأنباء أبناء
الزمان ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت
١٩٦٨ - ١٩٧٧ م .
- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن) ت ٦٣٣ هـ /
١٢٣٥ م : " المطرب من أشعار أهل المغرب " ، تحقيق كل
من الأستاذ إبراهيم الأبياري " وحامد عبد المجيد ، القاهرة
١٩٥٤ م .
- ابن دراج القسطلی (أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصی بن
أحمد بن سليمان بن عيسى) ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م : "
ديوان ، نشر وتحقيق الدكتور محمود على مكى ، الطبعة
الثانية ، دمشق ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- الدواداري (أبو بكر بن عبد الله بن أبيك) ت ٧٣٦ هـ /
١٣٣٥ م : " كنز الدرر وجامع الغرر " الجزء السادس
" الدرر الماضية في أخبار الدولة الفاطمية " تحقيق الأستاذ
صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
معهد الدراسات الألمانية ، القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .
- الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي)
ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م : " سير اعلام النبلاء " الجزء التاسع
تحقيق وتعليق بشار عواد معروف ، مطبعة عيسى الحلبي
١٩٧٧ م .
- الذهبي : " العبر في خبر من غير " اربع أجزاء ، طبع
الكويت ، تواريخ مختلفة ، الجزء الأول والرابع ، تحقيق
الأستاذ صلاح المنجد الكويت ١٩٦٠ م ، ١٩٦٣ ، الجزء

- الثانى والثالث تحقيق الاستاذ فؤاد السيد ، دائرة المطبوعات والنشر ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٠ م ، ١٩٦١ م .
- ابن الزبير (أبو جعفر أحمد) ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م : " القسم الأخير من كتاب " صلة الصلة " تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال ، الرباط ١٩٣٧ م .
- ابن ابى زرع (أبو الحسن على بن عبد الله الفاسى) ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م : " كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " نشره كارل يوحن تورنبرج ، طبع في مدينة أوبسالة بدار الطباعة المدرسية ، ١٨٤٣ م .
- الزهرى (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر) ت ٥٤١ هـ / ١١٥٤ م : " كتاب الجغرافيا " تحقيق الاستاذ محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ابن الزقاق البلسى (أبو الحسن على بن إبراهيم بن عطية) ت ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م : ديوان ، تحقيق عفيفة ديرانى ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤ م .
- ابن سعيد : (أبو الحسن على موسى) ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٦ م : " المغرب في حلى المغرب " جزءان تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧٨ م ، والجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠ م .
- ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " تحقيق الاستاذ اسماعيل العربى ، الطبعة الأولى ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٠ م .
- ابن سعيد : " رايات المبرزين وغايات المميزين " تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضى ، لجنة احياء التراث الاسلامى ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- السقطى (أبو عبد الله محمد بن أبى محمد) : " كتاب آداب الحسبة " تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال والاستاذ كولان ، باريس ١٩٣١ م .

- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م : " الاستقصا لآخبار دول المغرب الأقصى " تحقيق الأستاذ / جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ٩ أجزاء في ٣ مجلدات ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤ م .
- السلفي (أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم) ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م : " أخبار وتراجم أندلسية " تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٣ م .
- السيوطي (عبد الرحمن) ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م : " تاريخ الخلفاء " طبعة مصر .
- ابن سماك العاملي (أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي) النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي : " الزهرات المنثورة في نكت الاخبار الماثورة ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، منشورات المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مدريد ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ابن شهيد (أبو عامر أحمد بن عبد الملك) ت ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م : " ديوان ، جمعه ، وحقه يعقوب زكي وراجعه الدكتور محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة بدون تاريخ .
- ابن شهيد : " رسالة التوابع والزوابع " تحقيق بطرس البستاني ، مكتبة صادر ، بيروت ١٩٥١ م .
- صاعد (أبو القاسم بن أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد) ت ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م : " طبقات الامم " تحقيق حياة بوعلوان ، الطبعة الاولى ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٥ م .
- الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م : " بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس " دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- الطرطوشي (أبو بكر محمد بن الوليد الفهري) ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م : " سراج الملوك " ، القاهرة ١٢٨٩ م .

- الطرطوشي : " كتاب الحوادث والبدع " تحقيق الدكتور محمد انطالبي ، تونس ١٩٥٩ م .
- ابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الله) : " رسالة في آداب الحسبة والمحتسب " نشرها الاستاذ ليفي بروفنسال ضمن كتاب بعنوان " ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب " القاهرة ١٩٥٥ م .
- ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي) : " رسالة في القضاء والحسبة " نشرها الاستاذ ليفي بروفنسال ضمن كتاب بعنوان " ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب " القاهرة ١٩٥٥ م .
- عبد السلام هارون : نواذر المخطوطات ، المجموعة الثالثة والرابعة ، الطبعة الأولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ م .
- ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد) كان حيا في ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م : " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " ٤ أجزاء تنتهي بنهاية عصر دولة المرابطين في المغرب والأندلس ، الأجزاء الثلاثة الأولى تحقيق كولان ، وليفي بروفنسال ، والجزء الرابع تحقيق الدكتور احسان عباس ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٨٠ م .
- العفري (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى) ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م : " ترصيع الاخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك " تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني ، مدريد ١٩٦٥ م .
- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى) ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٨٠ م : " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٩ م .
- العماد الأصفهاني (أبو عبد الله عماد الدين) ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م : " خريدة القصر وجريدة العصر " الجزء الثالث ، قسم شعراء المغرب والأندلس ، تحقيق أنرتاش أنرنوش ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٧٢ م .

- العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله) ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م : " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، الجزء الخاص بوصف إفريقيا والمغرب والأندلس ، نشر الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب " مجلة البدر " عدد ١١ مطبعة النهضة ، بتونس .
- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد) ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م : " كتاب العقد الفريد " أربعة أجزاء ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف) ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م : " القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم " ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م .
- ابن غالب الأندلسي (أبو عبد الله محمد بن غالب البنسسى) ت ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م : قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥ م .
- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م : " تقويم البلدان " تحقيق دي سلان ، باريس ١٨٤٠ م .
- ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر) ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م : " تاريخ افتتاح الأندلس " الطبعة الأولى ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٨٢ م .
- ابن الفرضى (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأردى) ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م : " تاريخ علماء الأندلس " الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد) : " رسالة في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة " تحقيق الدكتور سامي الدهان ، الطبعة الثانية ، مكتبة الثقافة العالمية ، بيروت ١٩٨٧ م .

- القزويني (زكريا بن محمد بن محمد) ت ٦٨٢ هـ /
١٢٨٣ م : " آثار البلاد وأخبار العباد " دار صادر ، بيروت
١٩٧٩ م .
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ت ٢٧٦ هـ /
٨٨٩ م : " الامامة والسياسة " منسوب إليه تحقيق طه الزيني
، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٧ م .
- ابن قتيبة : " كتاب العرب ، أو الرد على الشعوبية ، رسائل
البلغاء " جمعها محمد كرد علي ، دار الكتاب العربية الكبرى ،
مصر ١٩١٣ م .
- ابن القطان (أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن
يحيى الكتامي) ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م : جزء من كتاب
"نظم الجمان " تحقيق الدكتور محمود علي مكي بمساهمة من
المركز الجامعي للبحث العلمي ، إشراف مولاي الحسن
للبحوث ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، كلية الآداب
والعلوم الانسانية ، بدون تاريخ .
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢١ هـ /
١٤١٨ م : " صبح الاعشى في صناعة الانشا " الجزء
الخامس والسادس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
١٩٧٣ م .
- القلقشندي : " مآثر الانافة في معالم الخلافة " الجزء الأول ،
تحقيق عبد الستار فراج ، وزارة الانباء الكويتية ١٩٦٤ م .
- ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) ت أواخر القرن
السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي : " قطعة من كتاب
الاكتفاء في أخبار الخلفاء " تحقيق الدكتور أحمد مختار
العبادي ، معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٧١ م .
- مجهول : " نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون
الوسطى " منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ،
نشرها الاستاذ ليفي بروفنسال ، معهد العلوم المغربية ، الرباط
١٩٣٤ م .
- مجهول : " ذكر بلاد الأندلس " نشر وتحقيق لويس مولينا ،
مدريد ١٩٨٣ م .

- **مجهول** : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم " تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة - دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨١ م .

- **مجهول** : " كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار " ، لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، تحقيق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية ١٩٥٨ م .

- **مجهول** : مدونة تاريخية عن عصر عبد الرحمن الناصر ، نشرها الأستاذ ليفي بروفنسال واميليو غرسية جومث تحت عنوان :

Una Cronica anonima de Abd Al - Rahman III Al - Nasir , Por Levi - Provencal , G . Gomez , Madrid 1950 .

- **المراكشي (عبد الواحد بن علي)** ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م : " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م .

- **المراكشي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسى)** ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م : " الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة " السفر الأول - القسم الأول ، والثاني ، تحقيق محمد بن شريفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، بقية السفر الرابع ، تحقيق الدكتور احسان عباس ومحمد بن شريفة ، بيروت ١٩٦٤ م ، السفر الخامس جزئين ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٦٥ م .

- **المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي)** ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م : " مروج الذهب ومعان الجوهر " تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٣ م .

- **المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري)** : " أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تحقيق دي غويه ، مكتبة المثنى ببغداد ، ليدن ١٩٠٦ م .

- المقرئ (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني)
ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م : " نفح الطيب من غصن الأندلس
الطبيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب " تحقيق
الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م .
 - المقرئ الفيومي (أحمد بن محمد بن علي) : " المصباح
المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي " ، تحقيق الدكتور
عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ م .
 - المقرئ (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥ هـ
/ ١٤٤١ م : " النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني
هاشم " مصر ١٩٣٩ م .
 - المقرئ : " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " ،
الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت .
 - النباهي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن الملقب) كان
حياً ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م : " تاريخ قضاة الأندلس - المسمى
المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا " - تحقيق لجنة
أحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٨٠ م .
 - النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٢ هـ /
١٣٣٢ م : " نهاية الأرب في فنون الأدب " ، الجزء الثالث
والعشرون ، تحقيق الدكتور أحمد كمال زكي ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م .
 - ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي) ت ٦٢٦ هـ /
١٢٢٩ م : " معجم البلدان " طبعة بيروت ١٩٥٥ م -
١٩٥٧ م .
 - ياقوت : " كتاب المشترك وضعاً والمفترق صفحاً " مؤسسة
الخانجي بمصر ١٨٤٦ م .
 - ياقوت : " معجم الأدباء " ، نشره أحمد فريد الرفاعي بك ،
مكتبة القراءة والثقافة الأدبية ، القاهرة ١٩٣٨ م .
- المراجع العربية والمُعربة**
- أحمد (دكتور علي) : الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام
من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري ،
الطبعة الأولى ، دمشق ١٩٨٩ م .

- أماري (ميخائيل) : المكتبة العربية الصقلية ، نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ، مكتبة المثنى ببغداد ، لبيزج ١٨٥٧ م .
- أحمد (دكتور أحمد رمضان) : تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط " العصر الوسيط " ، سلسلة الثقافة الاثرية والتاريخية ، مشروع المائة كتاب رقم ٧ .
- بالنتيا (انخل جونثالث) : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- بدر (دكتور أحمد) : تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة) ، دمشق ١٩٧٤ م .
- بروكلمان (كارل) : تاريخ الأدب العربي ، الجزء الخامس ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣ م .
- بروفنسال (الاستاذ ليفي) : الاسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، والاستاذ محمد صلاح الدين حلمي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- بروفنسال (الاستاذ ليفي) : سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، ألقاها عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ترجمها إلي العربية محمد عبد الهادي شعيرة ، وراجعها عبد الحميد العبادي بك ، القاهرة ١٩٥١ م .
- بروفنسال (الاستاذ ليفي) : الحضارة العربية في اسبانيا ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٥ م .
- بيريس (هنري) : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمه التوثيقية ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٨ م .
- تشركوا (كليليا سارنللي) : مجاهد العامري قائد الاسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري ،

- ملتزم الطبع والنشر لجنة البيان العربى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦١ م .
- جاسم (ليث سعودي) : ابن عبد البر الاندلسى ، وجهوده في التاريخ ، دار الوفاء للطباعة والسر والتوزيع ، الطبعة الأولى المنصورة ١٩٨٦ م .
- الجابرى (محمد عابد) : العصبية والدولة " معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامى " ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٧١ م .
- جمال الدين (دكتور عبد الله) : أبو مروان بن حيان أمير مؤرخي الأندلس ، منزلته وكتبه ومنهجه التاريخى ومصادره ، مجلة أوراق ، العدد الثانى ، مدريد ١٩٧٩ م .
- الجنجاني (الحبيب) : " المقرئ " صاحب نفح الطيب ، دار تحليلية ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الشرقية ، تونس ١٩٥٥ م .
- حايك (سيمون) : صبح البشكنسية ، أو الأندلس في عهد الحكم المستنصر والدولة العامرية ، مدريد ١٩٧٦ م .
- الحجى (دكتور عبد الرحمن) : التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، الطبعة الثالثة ، دار القلم ، دمشق ١٩٨٧ م .
- حسن (دكتور حسن إبراهيم) : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- خالص (دكتور صلاح) : اشبيلية في القرن الخامس الهجرى (دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بنى عباد في اشبيلية وتطور الحياة الادبية فيها ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ م .
- الداية (دكتور محمد رمضان) : مختارات من الشعر الأندلسى ، المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٦٩ م .
- داوود (عبد النبى على عبد الله) : دولة بنى هود في سرقسطة (التاريخ السياسى) ، رسالة ماجستير ، جامعة الاسكندرية ١٩٩٢ م .

- دوزي (رينهات) : ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام ، ترجمة الاستاذ كامل الكيلاني ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٣٣ م .
- ذنون طه (دكتور عبد الواحد) : " الدس الشعبي في الأندلس وموقف العرب من مجابهته " ، بحث ألقى في الندوة القومية لمواجهة الدس الشعبي ، بغداد ، ديسمبر ١٩٨٩ م .
- ذنون طه (دكتور عبد الواحد) : " استقرار القبائل البربرية في الأندلس " مقال بمجلة أوراق ، العدد الرابع ، مدريد ١٩٨١ م .
- الركابي (دكتور جودت) : في الأدب الأندلسي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م .
- زيدان (جرجي) : تاريخ التمدن الاسلامي ، مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس ، الجزء الخامس ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- أبو زهرة (الشيخ محمد) : " ابن حزم حياته وعصره ، وآراؤه وفقهه " نشر وطبع دار الفكر العربي ١٩٥٤ م .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، بيروت ١٩٦١ م .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ الحضارة والاسلام في الأندلس ، الاسكندرية ١٩٨٥ م .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، قاعدة أسطول الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٤ م .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : قرطبة حاضرة الخلافة (دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية في العصور الوسطى) ، الجزء الأول ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧١ م - ١٩٧٢ م .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : المغرب الكبير (العصر الاسلامي) الجزء الثاني ، الاسكندرية ١٩٦٦ م .

- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ م .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : التاريخ والمؤرخون ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ م .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : بحوث اسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، القسم الأول ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ١٩٧٧ م .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : مدينة مرسية ، موطن الشيخ الزاهد أبو العباس المرسى ، مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية ١٩٦٩ م .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : " الشعوبية في جنوب شرق الأندلس في عصر الدولة الأموية " ، بحث ألقى في الندوة القومية لمواجهة الدس الشعبي ، بغداد ، ديسمبر ١٩٨٩ م .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة على علب العاج ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد التاسع عشر ، مدريد ١٩٧٦ - ١٩٧٨ م .
- سالم (دكتور السيد عبد العزيز) والعبادي (دكتور أحمد مختار) : البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، الجزء الثاني ، مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تاريخ .
- سالم (دكتور سحر السيد عبد العزيز) : تاريخ بطليوس الاسلامية وغرب الأندلس في العصر الاسلامي ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٩ م .
- سالم (دكتور سحر السيد عبد العزيز) : بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري ، أسرة من المولدين بمرسية في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٩ م .

- سالم (دكتور سحر السيد عبد العزيز) : ظاهرة الزواج المختلط في الأندلس في العصر الاسلامي ، بحوث مكتوبة بالآلة الكاتبة (تحت الطبع) .
- سيسالم (دكتور عصام سالم) : جزر الأندلس المنسية (التاريخ الاسلامي لجزر البليار) دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٤ م .
- شريف (دكتور إبراهيم) : أوروبا دراسة اقليمية لدول أشباه الجزر الجنوبية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٦٠ م .
- الشيال (دكتور جمال الدين) : أبو بكر الطرطوش العالم الزاهد النائر ، سلسلة أعلام العرب ، عدد ٧٤ ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- الشيال (دكتور جمال الدين) : أعلام الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ م .
- الشكعة (دكتور مصطفى) : صور من الأدب الأندلسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٦ م .
- شيخة (جمعة) : الحياة الفكرية والأدبية بالجزائر الشرقية في القرنين الخامس والسادس الهجري ، أعمال الملتقى الرابع الاسباني - التونسي بالمادي ميورقة ١٩٧٩ م ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، مدريد ١٩٨٣ م .
- الصاوي (دكتور أحمد السيد) : " مجاعات مصر الفاطمية ، أسباب ونتائج " الطبعة الأولى ، دار تضامن ، بيروت ١٩٨٨ م .
- ضيف (دكتور شوقي) : تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والامارات (الأندلس) ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٩ م .
- طرخان (دكتور إبراهيم علي) : المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ، الادارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي ، الألف كتاب ، سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- الطوخي (دكتور أحمد محمد) : مصر والأندلس ، دراسة في العلاقات السياسية والعلمية والاقتصادية والفنية ، مركز الدلتا للطباعة ١٩٨٨ م .

- عاشور (دكتور سعيد عبد الفتاح) : أوروبا في العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسى ، القاهرة ١٩٦٦م.
- العبادي (دكتور أحمد مختار) : الصقالبة في اسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية ، مدريد ١٩٥٣ م .
- العبادي (دكتور أحمد مختار) : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، بمadrid ١٩٥٧ م .
- العبادي (دكتور أحمد مختار) : الاسلام في أرض الأندلس ، مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام ، الكويت ١٩٨٤ م .
- العبادي (دكتور أحمد مختار) : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ١٩٦٨ م .
- عباس (دكتور احسان) : تاريخ الادب الأندلسى ، عصر سيادة قرطبة ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٠م.
- عباس (دكتور احسان) : تاريخ الأدب الأندلسى في عصر الطوائف والمرابطين ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢ م .
- عبد البديع (دكتور أحمد لطفى) : الاسلام في أسبانيا ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- عبد الجليل (محمد) : كيف ساعد الفقهاء الأندلسيون يوسف بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف ، أعمال الملتقى الاسباني التونسي ، بالمادي ، ميورقة ١٩٧٩ م .
- عبد الحليم (دكتور رجب عبد الحليم) : العلاقات بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بنى أمية وملوك الطوائف ، دار الكتاب المصري ، القاهرة - دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٥ م .
- عجلة (أسعد أحمد) : الشعر الأندلسى في بلنسية في القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير) جامعة الاسكندرية ١٩٨٦ م .
- العدوي (دكتور إبراهيم) : الاساطيل العربية في البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٦٣ م .

- عبد النبى (عزت قاسم أحمد) : تاريخ مدينة مرسية الاسلامية منذ تأسيسها حتى استيلاء المرابطين عليها ، (رسالة ماجستير) جامعة الاسكندرية ١٩٨٤ م .
- العربى (إسماعيل) : دولة الادارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٩٨٣ م .
- العسلى (بسام) : الحاجب المنصور ، الطبعة الثالثة ، دار النفائس ، بيروت ١٩٨٥ م .
- غنان (الأستاذ محمد عبد الله) : دولة الاسلام في الأندلس ، العصر الأول قسمين في مجلد واحد القسم الأول من الفتح إلى بداية عهد الناصر القسم الثانى ، الخلافة الاموية والدولة العامرية ، الطبعة الرابعة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٩ .
- غنان (الأستاذ محمد عبد الله) : دول الطوائف منذ قيامها وحتى الفتح المرابطى ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٩ م .
- غنان (الأستاذ محمد عبد الله) : الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، دراسة تاريخية أثرية ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦١ م .
- غنان (الأستاذ محمد عبد الله) : مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، الطبعة الرابعة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ م .
- غنان (الأستاذ محمد عبد الله) : تراجم اسلامية مشرقية وأندلسية ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- عويس (دكتور عبد الحليم) : ابن حزم الأندلسى وجهوده في البحث التاريخى والحضارى ، الطبعة الثانية ، الزهراء للاعلام العربى ، القاهرة ١٩٨٨ م .
- عيسى (دكتور محمد عبد الحميد) : تاريخ التعليم في الأندلس ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٢ م .

- عيسى (دكتور فوزي سعد) : الهجاء في الأدب الأندلسي ، دار المعارف ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .
- الفاسي (محمد) : الاعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البيئة ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، الرباط ١٩٦٢ م .
- فكري (دكتور أحمد) : قرطبة في العصر الاسلامي ، تاريخ وحضارة ، الاسكندرية ١٩٨٣ م .
- فيلالى (عبد العزيز) : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، الطبعة الثانية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٣ م .
- قدورة (دكتورة زاهية) : الشعبية وأثرها الاجتماعى والسياسى في الحياة الاسلامية في العصر العباسى الأول ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب البناني ، بيروت ١٩٧٢ م .
- قطان (دكتورة فريال محمود) : نشأة الرق التركى والصقلى في المجتمع الاسلامى حتى نهاية القرن الرابع الهجرى (رسالة ماجستير) ، جامعة الاسكندرية ١٩٨٠ م .
- الكاتب (سيف الدين) : اعلام من المغرب والأندلس ، بيروت ١٩٨٢ م .
- الكنانى (دكتور محمد حسن محمد) : العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨١ م .
- لويس (ارشيبالد) : القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة الاستاذ أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- ماجد (دكتور عبد المنعم) : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ١٩٦٦ م .
- المرزوقى (رياض) : ملامح من الحضارة الأندلسية في عهد ملوك الطوائف ، استنطاق بعض النصوص الأدبية ، أعمال الملتقى الرابع الاسبانى بالمادي ميورقة ١٩٧٩ م .

- متر (آدم) : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ،
ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده ، لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤١ م .
- مكى (دكتور الطاهر أحمد) : دراسات عن ابن حزم وكتابه
طوق الحمامة ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة
١٩٨١ م .
- مكى (دكتور الطاهر أحمد) : دراسات أندلسية في الأدب
والتاريخ والفلسفة ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة
١٩٨٠ م .
- مكى (دكتور محمود على) : مدريد العربية ، دار الكتاب
العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- مكى (دكتور محمود على) : التشيع في الأندلس ، المجلد
الثانى ، العدد ١ ، ٢ ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات
الإسلامية في مدريد ١٩٥٤ م .
- مكى (دكتور محمود على) : وثائق تاريخية جديدة في عصر
المرابطين ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية في
مدريد ، العدد السابع ، والثامن ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠ م .
- مؤنس (دكتور حسين) : فجر الأندلس ، دراسة في تاريخ
الأندلس من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الأموية ، الطبعة
الأولى ، القاهرة ١٩٥٩ م .
- مؤنس (دكتور حسين) : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في
الأندلس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الطبعة
الثانية ، القاهرة ١٩٨٦ م .
- مؤنس (دكتور حسين) : رحلة الأندلس ، حديث الفردوس
الموعد ، الطبعة الأولى ، مطبعة كوستا توماس ، القاهرة
١٩٦٤ م .
- مؤنس (دكتور حسين) : المسلمون في حوض البحر
المتوسط ، مجلة الجمعية التاريخية ، المجلد الرابع ، العدد
الأول ، مايو ١٩٥١ م .
- مؤنس (دكتور حسين) : معالم تاريخ الأندلس ، الطبعة
الأولى ، القاهرة ١٩٨٠ م .

- مؤنس (دكتور حسين) : شيوخ العصر في الأندلس ، المكتبة الثقافية (١٤٦) الدار المصرية للتأليف والترجمة ديسمبر ١٩٦٥ م .
- النخيلي (دكتور درويش) : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، مطابع الأهرام ، الاسكندرية ١٩٧٤ م .
- النعيمي (دكتور عبد الكريم شديد) : ابن سيده ، آثاره وجهوده في اللغة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٤ م .
- هيكل (دكتور أحمد عبد المقصود) : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، الطبعة العاشرة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٦ م .

Aguado Bleve (Pedro) :

Manual de Historia de España , T , I , Madrid , 1947 .

Arie (Rachel) :

España Musulmana (Siglos VIII - XV) Barcelona, 1982 .

Baracelo (Miquel) :

Assaig d ' Un Corpus Numismatic de la taifa Amerida
de Daniya - Mayurqua (436 - 468) , Actas de IV
Coloquio Hispano - Tuneciono 1979 .

Codera (Francisco) :

Mochehid Conquistador de Cerdana , Centenario della
Pascito dis Michele Amari , Palermo 1910 .

Corriente , F . :

Diccionario , Español - Arabe , Instituto Hispano Arabe
de Cultura , Madrid , 1970 .

Chabas (Roque) :

Mochehid higo de Yusuf Y Aly Higo de Mochehid ,
Sarragozza , 1904 .

Campaner Y Fuertes (Alvaro) :

Bosquejo Historico de la dominacion Islamita en las
islas Baleares , Palma 1888 .

de Las Cagigas (Isidro) :

Los Mozarabes , t . I , II , Madrid 1947 , 1948 .

de Las Cagigas :

Andalucia Musulmana , Madrid , 1950 .

de Coca Castanar (J . Enrique) :

Los Reinos de taifas Y Las Dinastias Bereberes
Historia de Andalucia Vol II .

Dozy (R .) :

Recherches sur L ' Histoire et la Litterature de L '
Espagne Pendant Le Moyen Age .2 Vols Leyde , 1881 .

Dozy (R .) :

Spanish Islam : A History of the Moslems in Spain , 4 ,
Bookes , London 1913 .

Dozy (R .) :

Supplement aux dictionnaires arabes , Paris , 1927 .

Dufourcq (Charles) :

La Vie Quotidienne dans L ' Europe Medievale sous la
domination arabe , Hachette , 1978 .

Fernandez (L . Suarez) :

Historia de España antigua Y Media , T . I , Madrid ,
1976 .

Gaspar Remiro (Mariano) :

Historia de Murcia Musulmana , Zaragoza , 1905 .

Garcia Gomez (Emilio) :

Algunas Precisiones Sobre la ruina de la Cordoba
Omeya .

مقال نشر بمجلة الأندلس ، عدد ١٢ مدريد ، غرناطة ١٩٤٧ م .

Garcia Gomez (Emilio) :

Al Hakam II Y Los Bereberes segun un texto inedito de
Ibn Hayyan , Al - Andalus Vol XIII , 1948 , Fasc , I .

Garrido (Margarita la Chica) :

El poeto Ibn Darra' al - Qastalli en Volencia , Vol II ,
Valencia 1981 .

Huici Miranda (Ambrosio) :

Historia Musulmana de Valencia Y su Region , Vol I ,
Valencia 1969 .

Ibars (A . Piles) :

Valencia Arabe , Vol , I , Valencia , 1901 .

Latrie (Mas) :

Traité du Paix et de commerce et documents divers
concernant les relations de chrétiens avec Les Arabes
de l' Afrique Septentrionale au Moyen age, paris 1866 .

Lévi Provençal (EV .) :

Histoire de L' Espagne Musulmane 3 Tomes , Alger ,
1944 .

Lévi Provençal (EV .) :

L ' Espagne Musulmane au Xeme Siecle , Paris , 1932 .

Lévi Provençal (EV .) :

Inscriptions arabes d' Espagne , Leyden , Paris , 1931 .

Lévi Provençal (EV .) :

La descriptions de L' Espagne , d ' Ahmed Al - Razi ,
Al - Andalus , Vol XVII Fasc I , Madrid , 1953 .

Lopez (Emilio Molina) :

La Cora de Tudmir segun Al ' Udri (S . XI) ; en
(Cuaderno) de Historia del Islam , Sevilla , 1972 .

Lopez (Emilio Molina) :

Algunas Considerations sobre La Vida Socio
Economica de Almeria en el siglo XI Y Primera Mitad
del XII , Actas del IV Coloquio Hispano - Tuneciono .

Martin (José Ibanez) :

Geografia de España , Madrid 1931 .

Menendez - Pida (Ramon) :

La España del Cid , Cuatro Edicion 2 Vol , Madrid ,
1942 .

Monés (Hussain) :

Consideraciones Sobre La epáca de Los Reyes Taifas ,
Al - Andalus , Vol XXXI , 1966 .

Monés (Hussain) :

Essai sur la Chte du Califat Umayyade de Cordue en
1009 , La Caire 1948 .

Navarro (Maria Luisa Avila) :

La Proclamacion de Hisam II , al Qantara , Vol , I ,
Madrid 1980 .

Péres (Henri) :

Esplendor de al - Andalus - La Poesia Andaluza en
Arabe clasica en el Siglo XI traduccion de Mercedes
Garcia - Arenal , Madrid , 1953 .

Prieto Y Vives (Antonia) :

Los Reyes de Taifas , Madrid , 1926 .

Robles (F . Guillen) :

Malga Musulmana , Malga 1947 .

Ribera (Julian) :

E Pica Andaluza Romaceada en Disertationes Y
Opusculos , t . I .

Rubiera Mata (Maria Jesus) :

La Taifa de Denia , Alicante , 1985 .

Rubiera Mata (Maria Jesus) :

Posible indentification de Ibn Al - Royolo de Denia ,
Ministro de Al - Muqtadir de Zaragoza , (S . XI)
R . Sharq Al - Andalus , Estudios Arabes Alicante N.I ,
1984 .

Salem (El - Sayed Abdel - Aziz) :

Algunos aspectos del Florecimiento Economico de
Almeria Islamica Durante El Periodo de Los Taifas Y
de Los Almoravides, Revista del I E.E. I, Madrid 1979 .

Sanchez Albornos (Claudio) :

La España Musulmana , T , II , Madrid 1974 .

Scales (Peter) :

The Handing of the Duero Fortresses 1009 - 1011 A .
D (399 - 401 AH) , Al - Gantara , Vol V , Fasc I Y Z
1984 .

Simonet (Francisco Javier) :

Historia de Los Mozarabes de España , Madrid , 1897 -
1903 .

Teres (Elies) :

Textos Poeticos Arabes Sobre Valencia , Al - Andalus ,
Vol XXX Fasc 2 , Madrid 1965 .

Torres Balbas (Leopoldo) :

Almeria Islamica , Al Andalus Vol XXII , 1957 .

Torres Balbas (Leopoldo) :

Ciudades Hispano - Musulmana ; 2 Vols pub. I . H .
A . C . , Madrid (Sin Fecha) .

Torres Balbas (Leopoldo) :

Atarazanas Hispano - Musulmanos , Al - Andalus Vol
XI 1964 .

Turk (Dr . Afif) :

El Reino de Zaragoza en el Siglo XI de Cristo (V de
Hegira) Madrid , 1978 .

De Valdeavalleno (Luis) :

Historia de España , de Los Origenes a La baja Edad
Media , t . 2 , Madrid , 1955

Vallvé (Joaquin) :

España Musulmana en el Siglo XI , Aspectos Economi
cos ; en Actas de Las Jornadas de Cultura arabe e Islam
ica (1978 , Madrid 1980) .

Vallve (Joaquin) :

El Reino de Murcia en la época Musulmana , Revista
del Instituto , Egiptio de Estudios Islamicos , Vol , 20 ,
Madrid 1979 - 1980 .

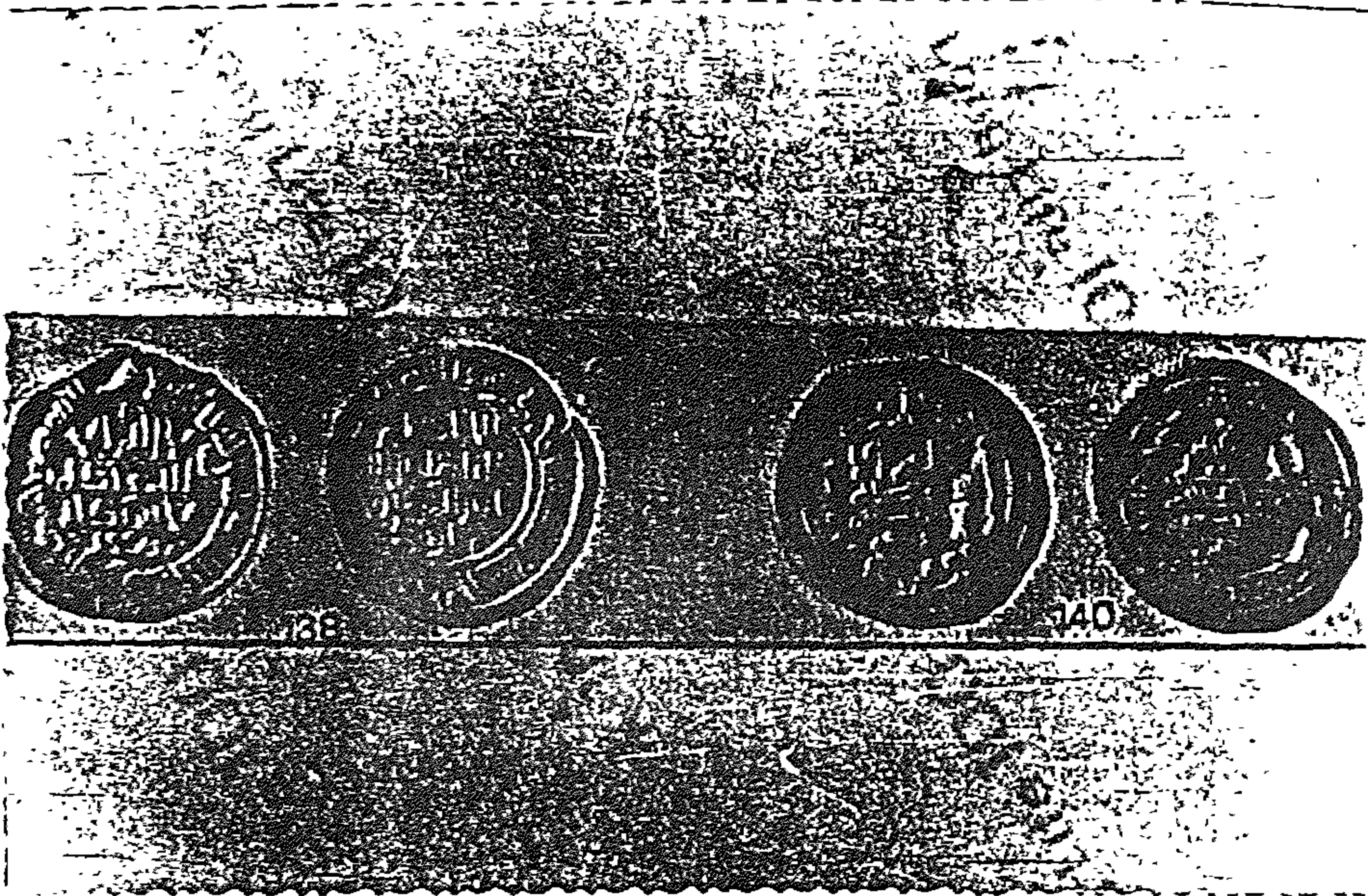
Viguera (Maria Jesus) :

Aragon Musulman , Zaragoza 1981 .

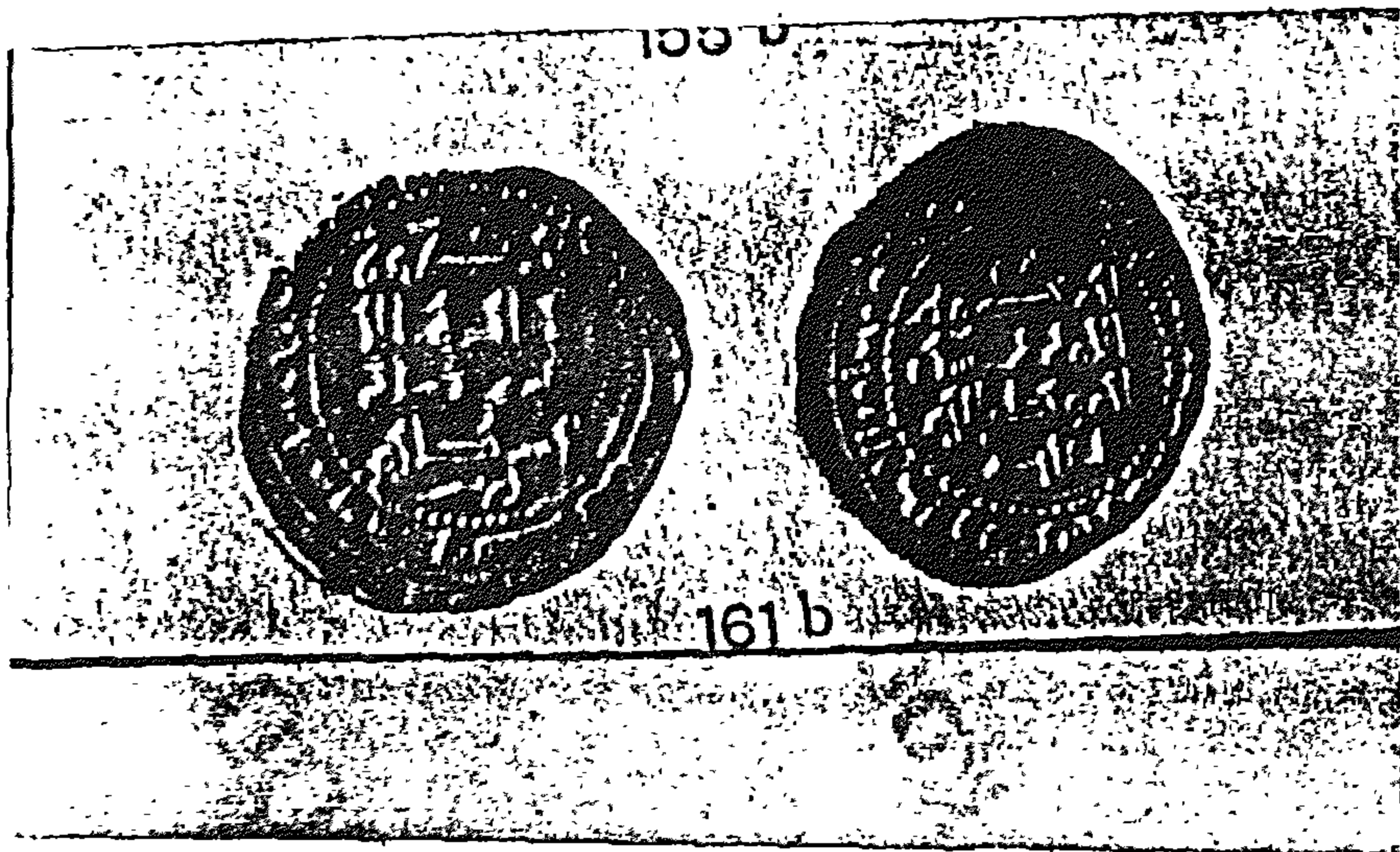
Watt (W . Montgomery) :

Historia de la España Islamica , Segunda Edicion ,
Madrid , 1974 .

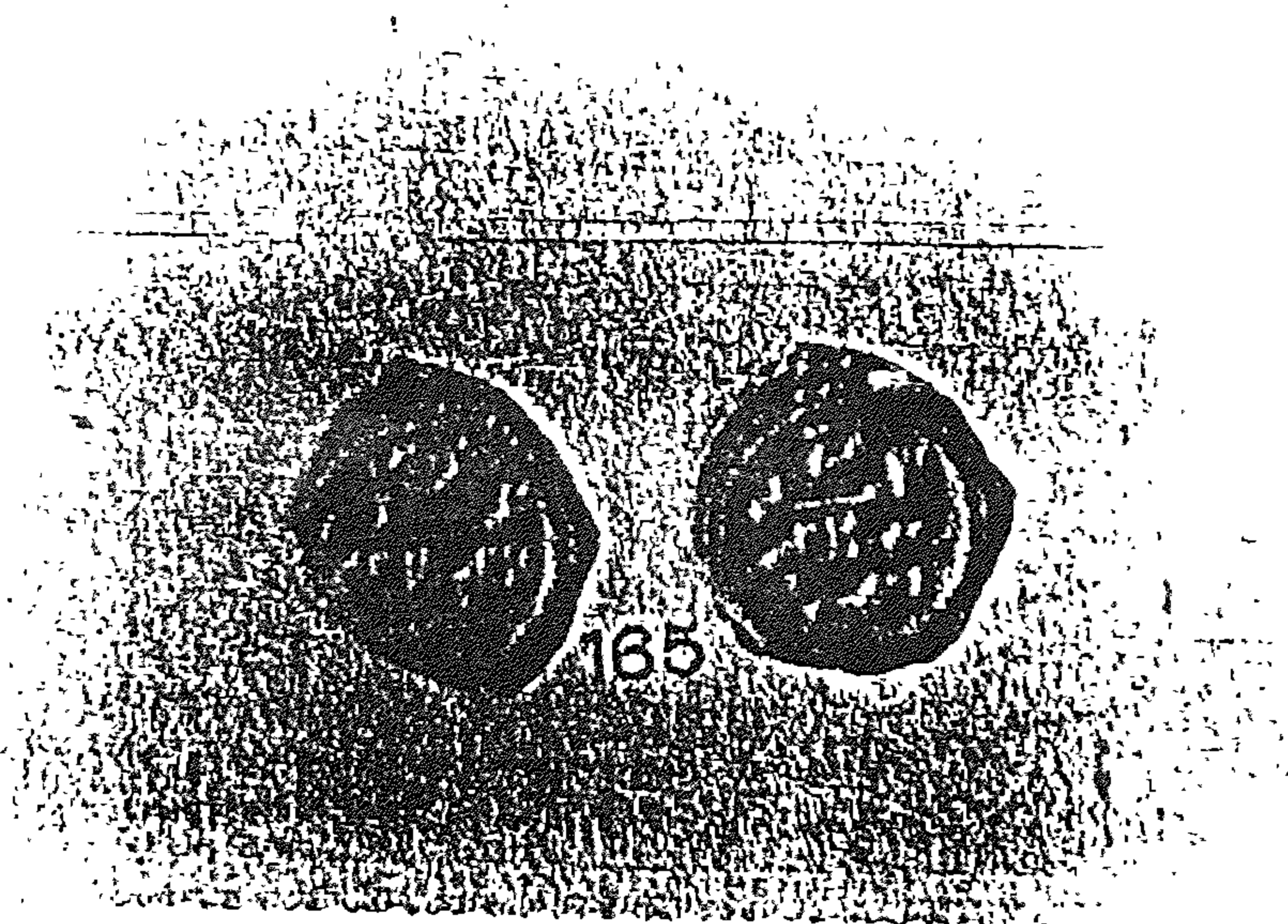
دراهم سكت في بلنسية في عهد مظفر ومبارك



دراهم سكت في عهد مظفر ومبارك

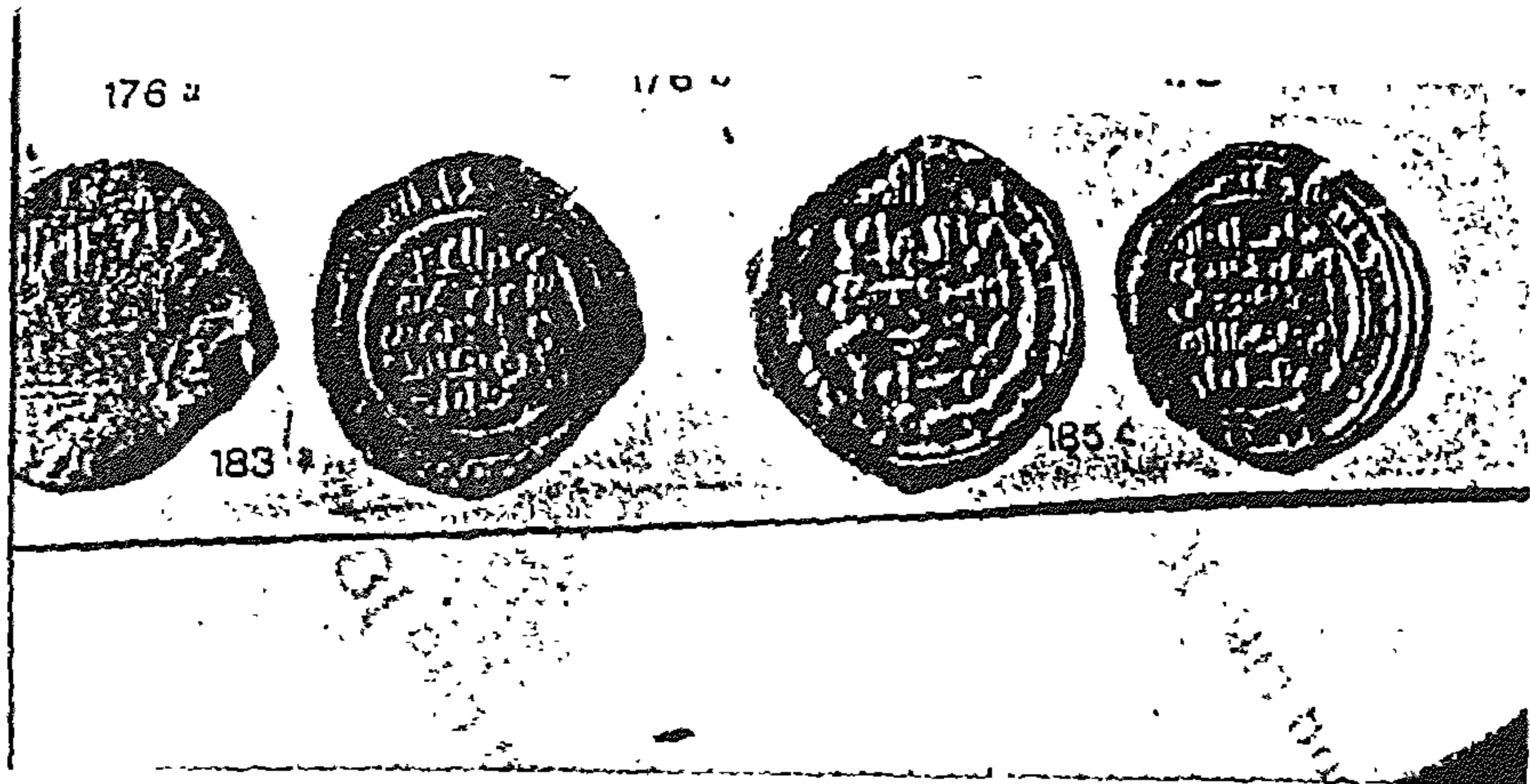


دراهم سكت في عهد عبد العزيز بن عبد الرحمن شجول

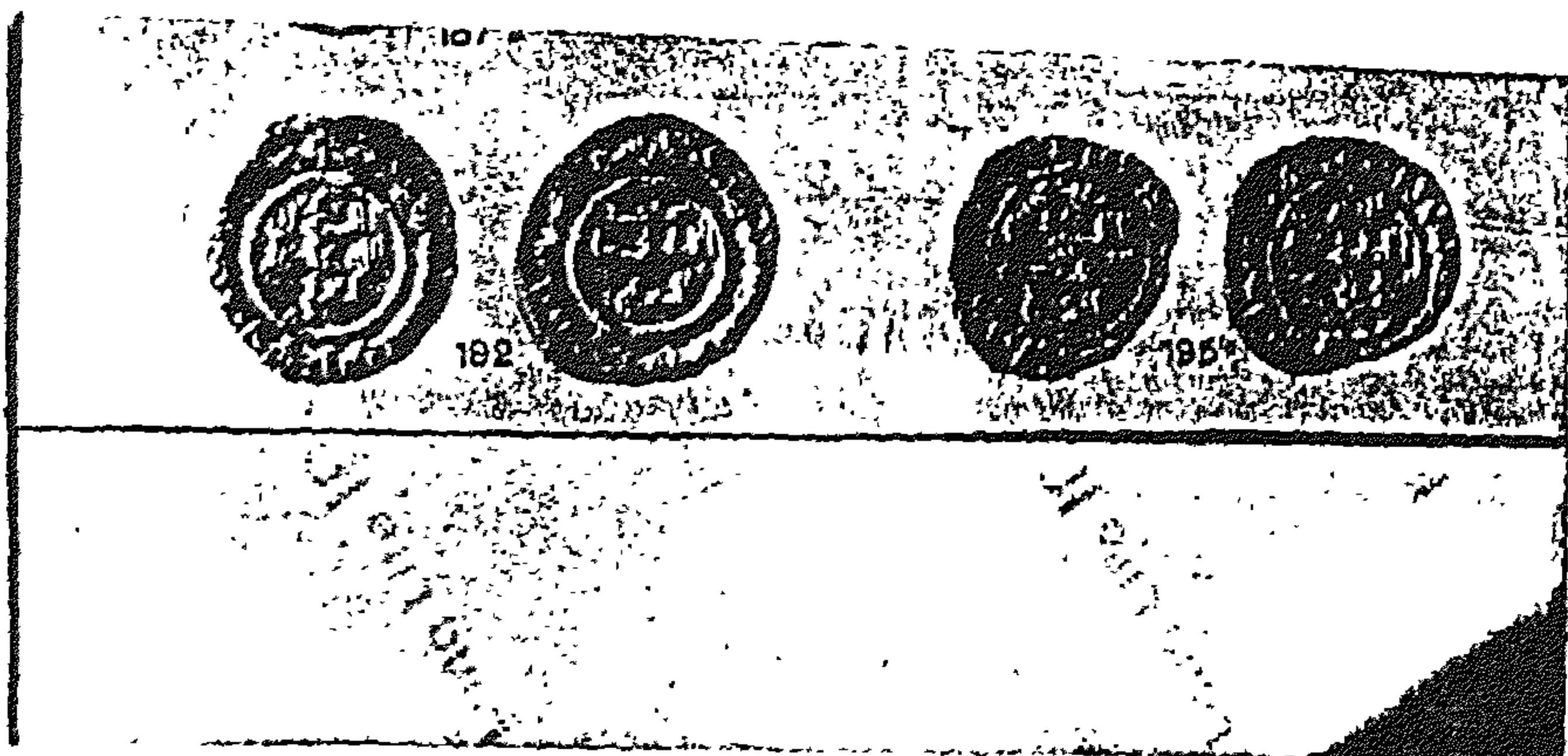


دراهم سكت في عهد المظفر عبد الملك بن العزيز المنصور

دراهم سكت في طرطوشة

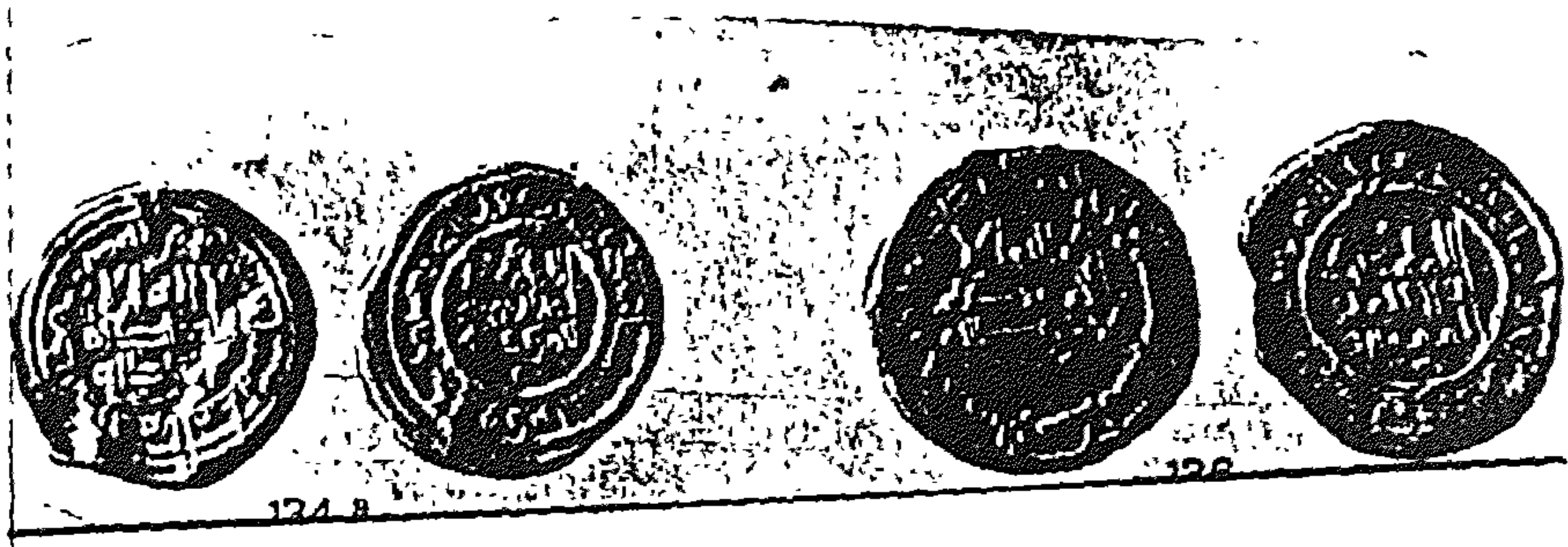


دراهم سكت في عهد مقاتل العامري (سيف الملة)

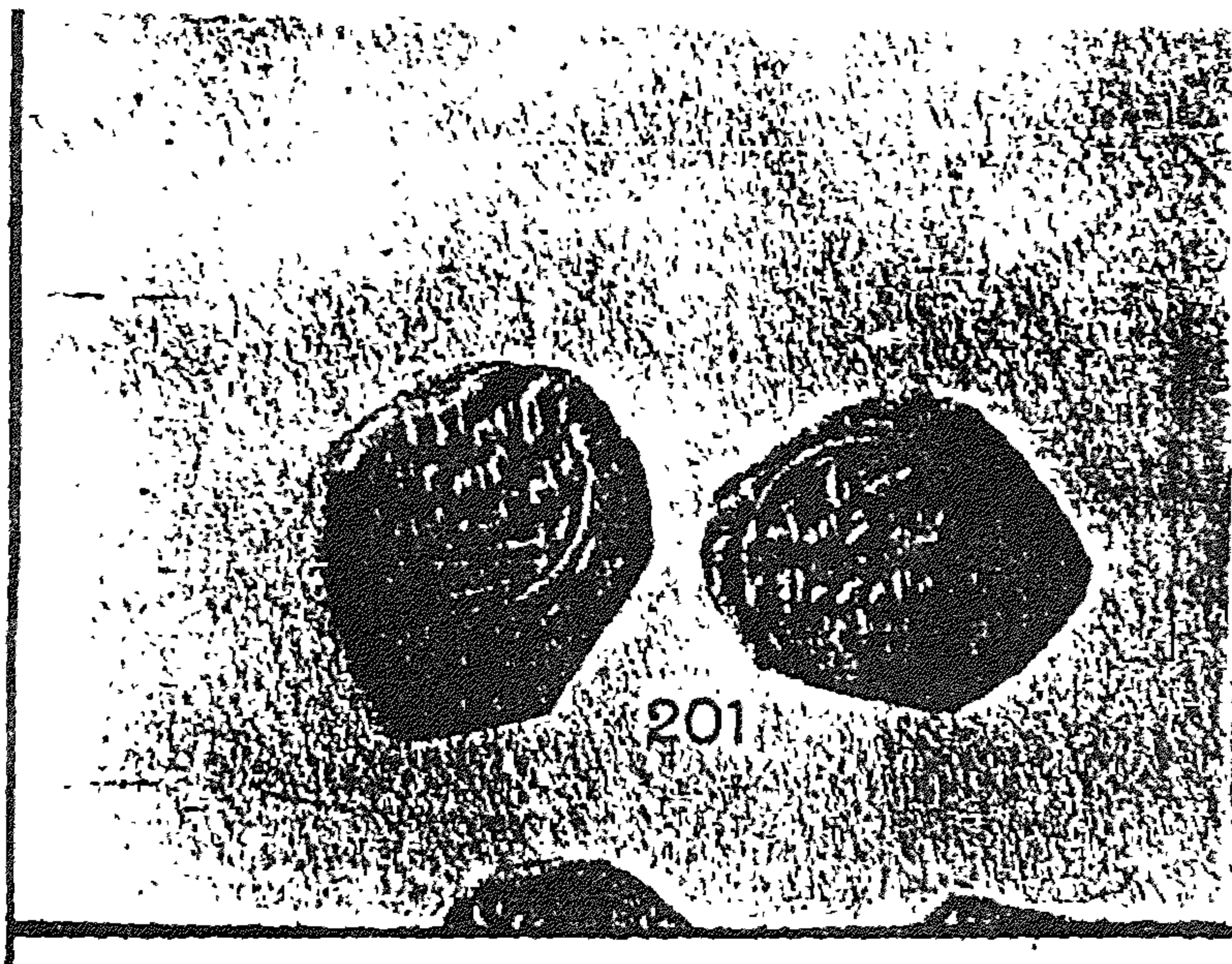


دراهم سكت في عهد يعقوب

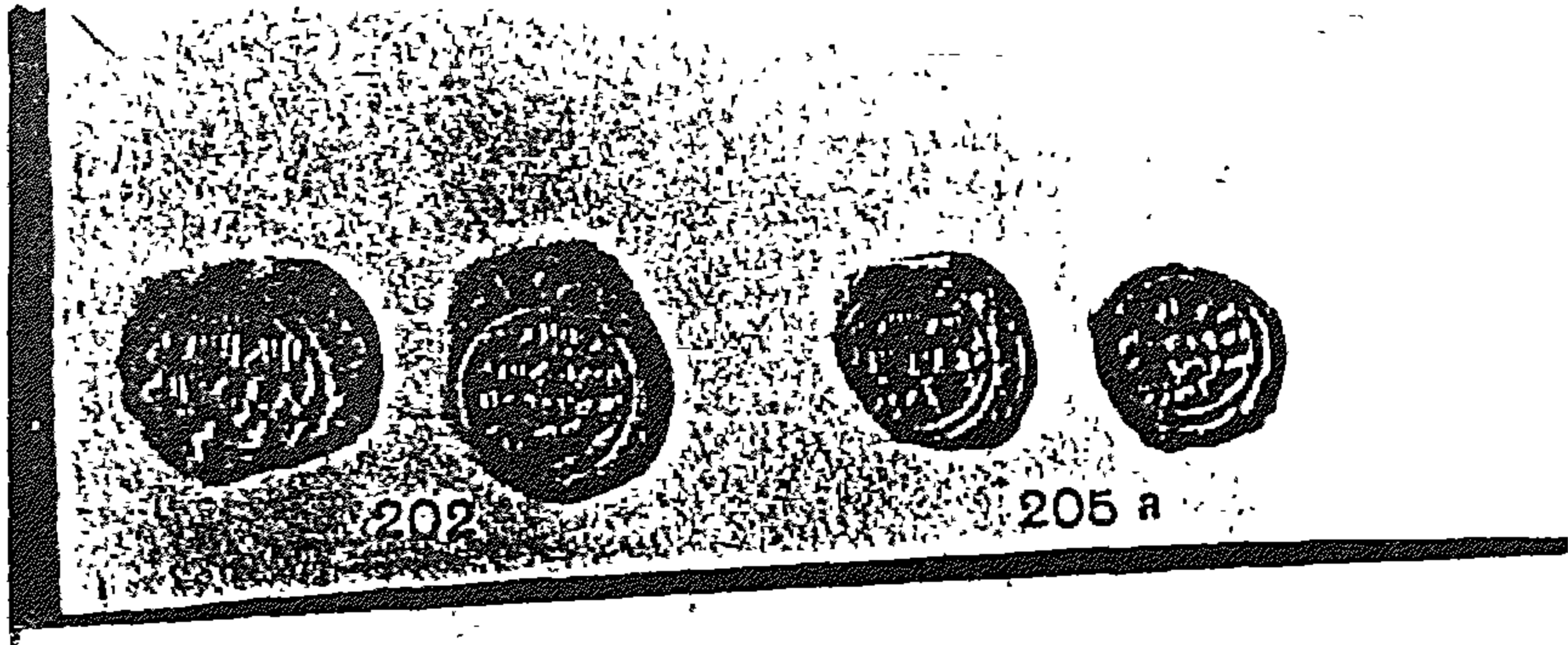
— ٧ —
دراهم سكت في دانية وميورقنة



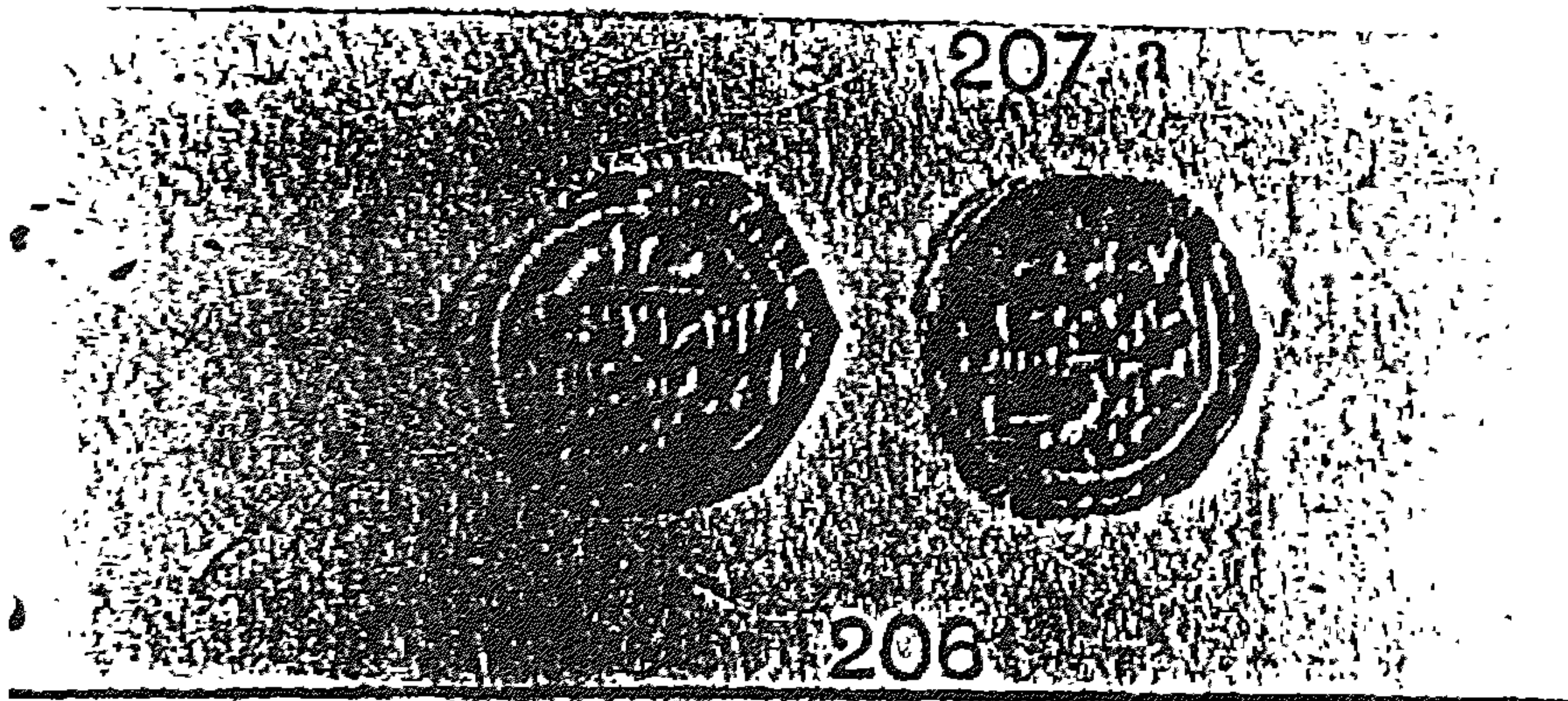
دراهم سكت في الوطة في عهد مجاهد العامري



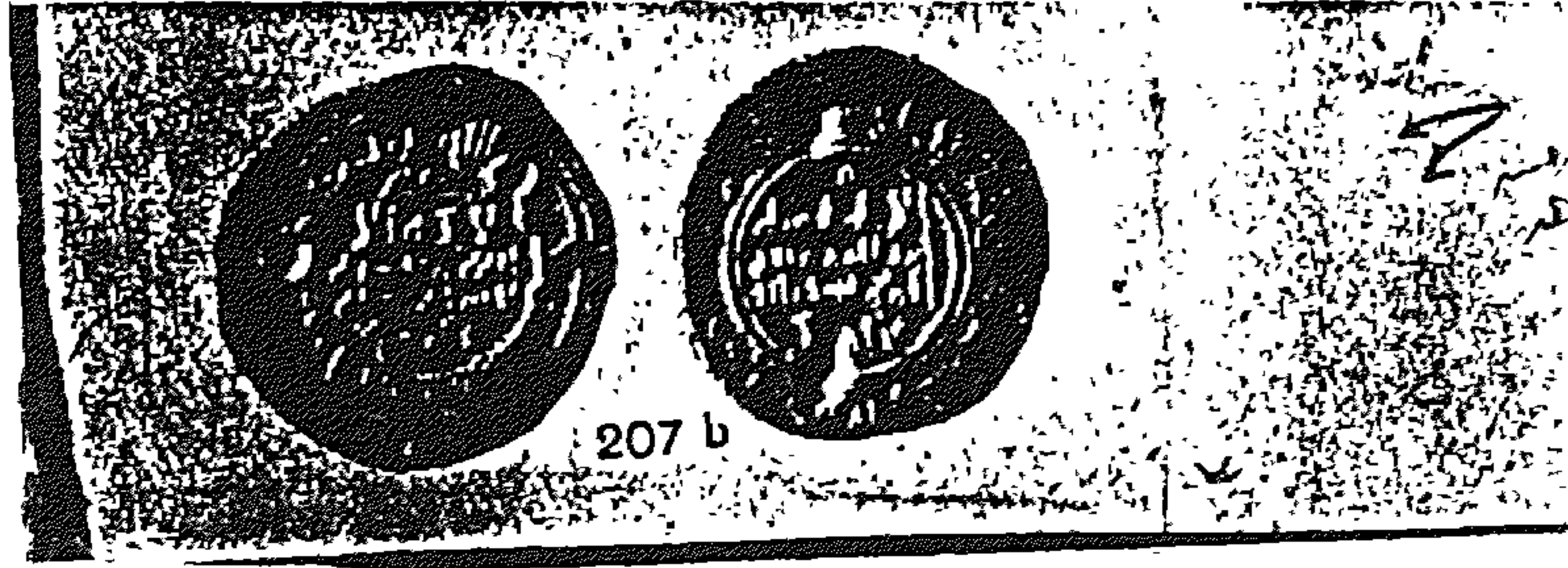
دراهم سكت في دانية نقش عليها اسم حسن سعد الدولة



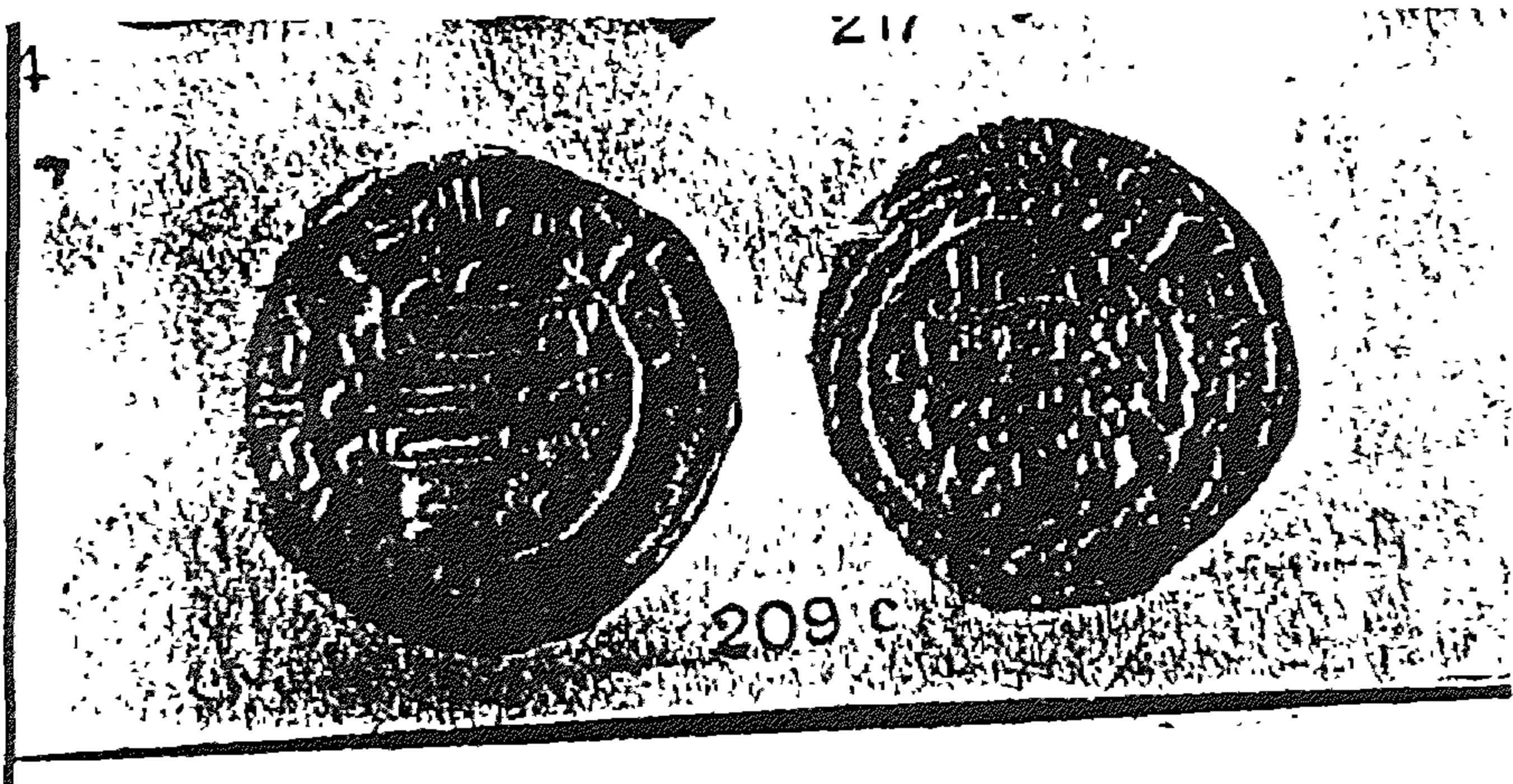
دراهم سكت في دانية نقش عليها اسم حسن سعد الدولة



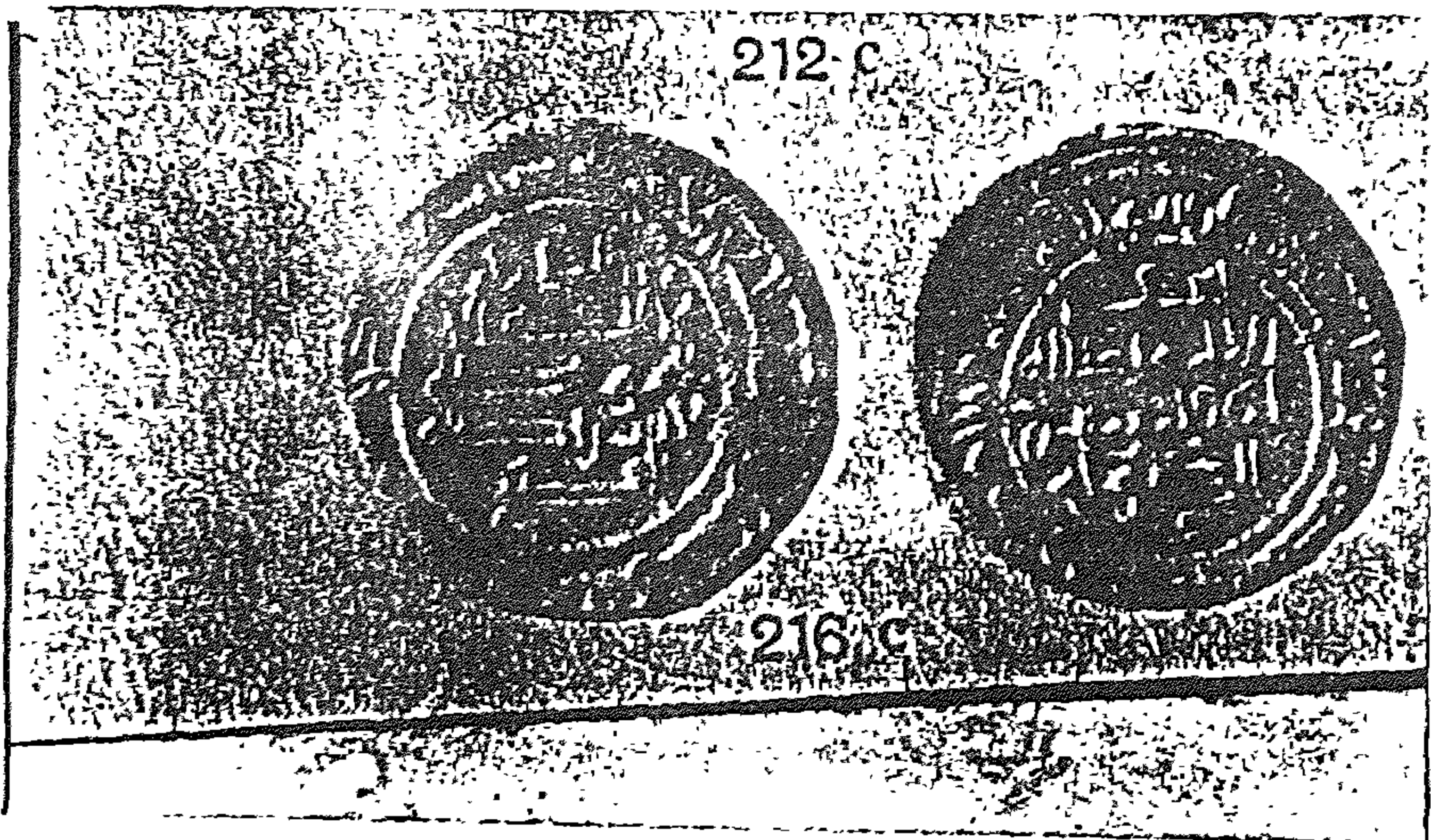
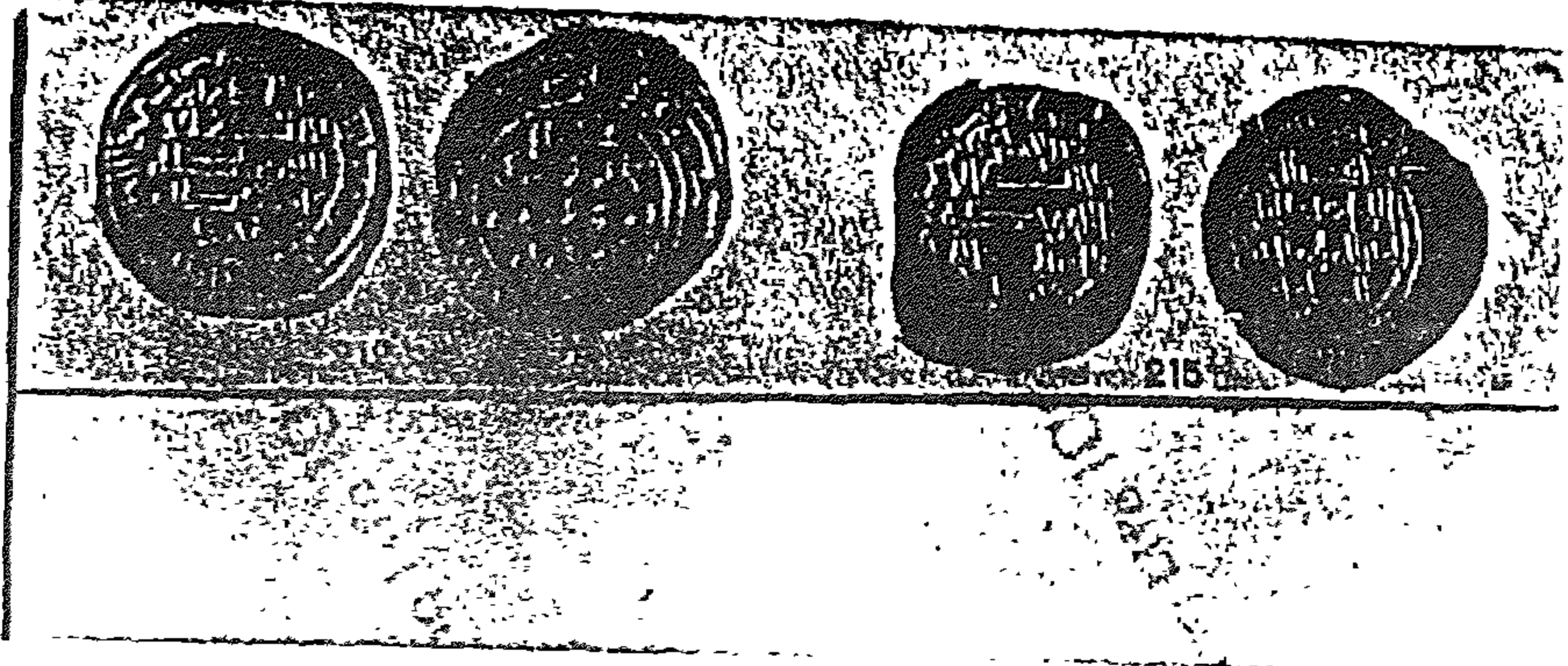
نقود سكت في دانية نقش عليها اسم مجاهد وولديه علي وحسن



نقود كت في دانية عليها اسم مجاهد وولديه علي وحسن

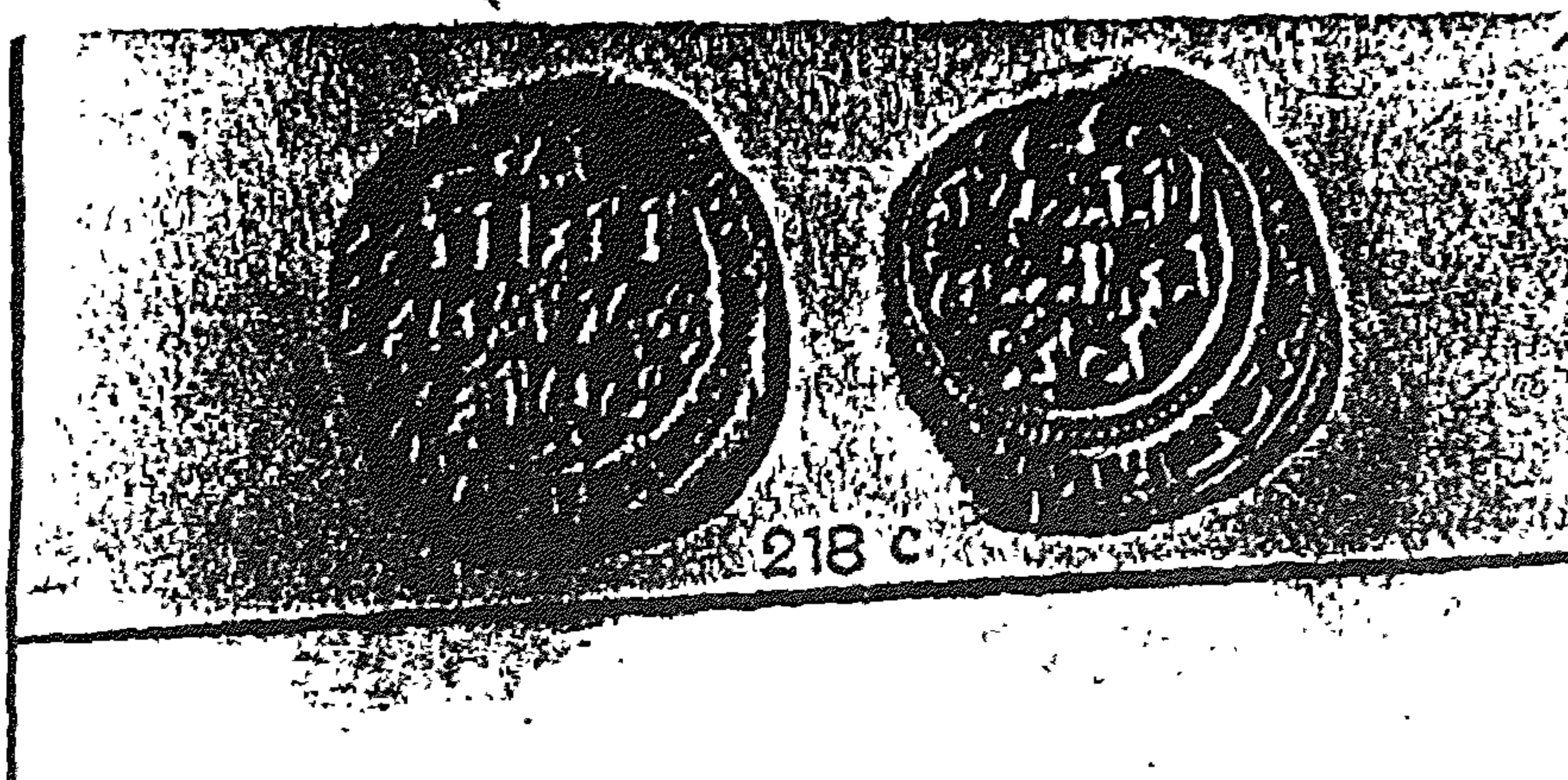


نقود كت في ميونخ في عهد علي اقبال الدولة



دراهم سكت في دانية نقش عليها اسم على اقبال الدولة وابنه معز الدولة

- ح -
دراهم سكت في ميونخ



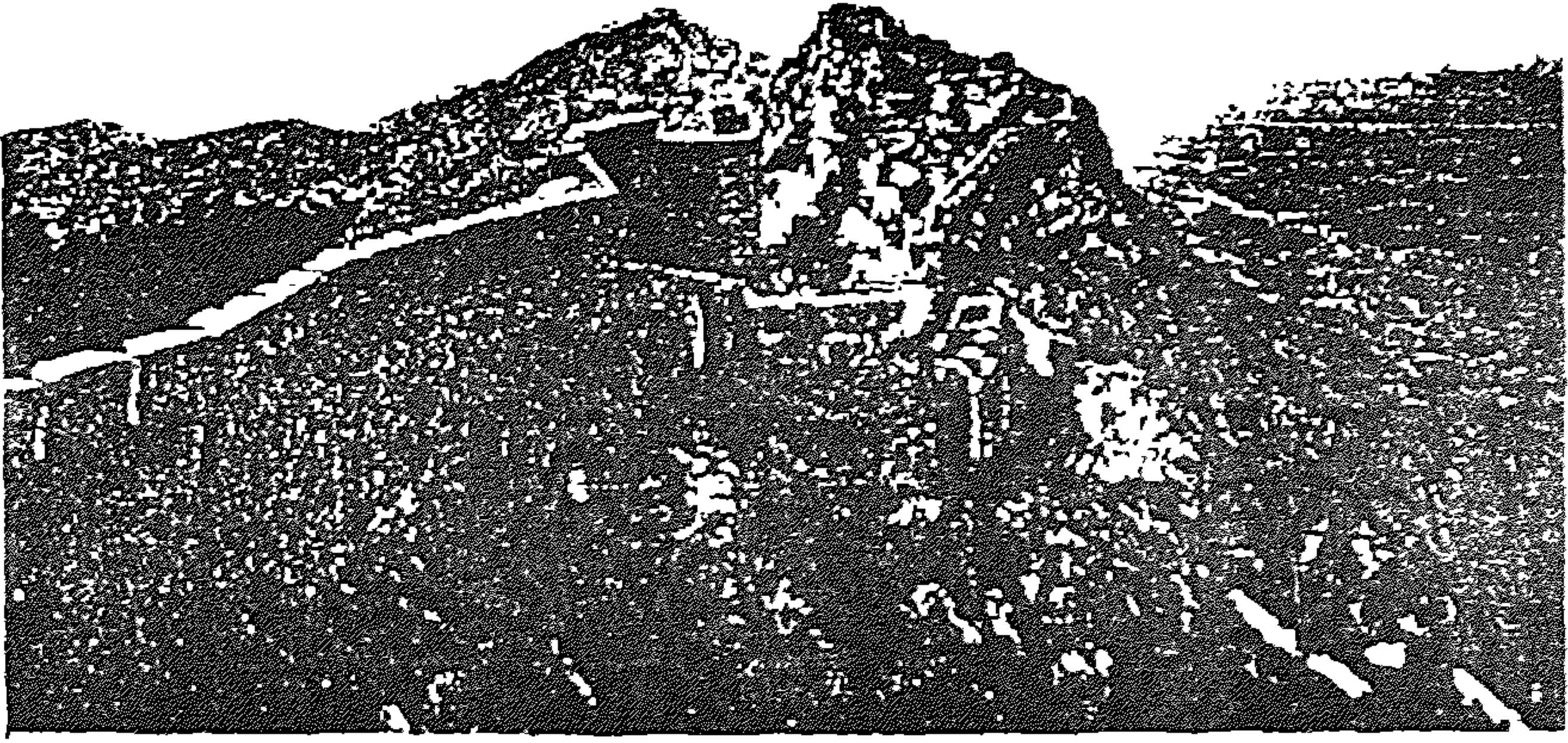
دراهم سكت في ميونخ في عهد عبد الله المرتضى



دراهم سكت في ميونخ في عهد مبشر بن سليمان ناصر الدولة



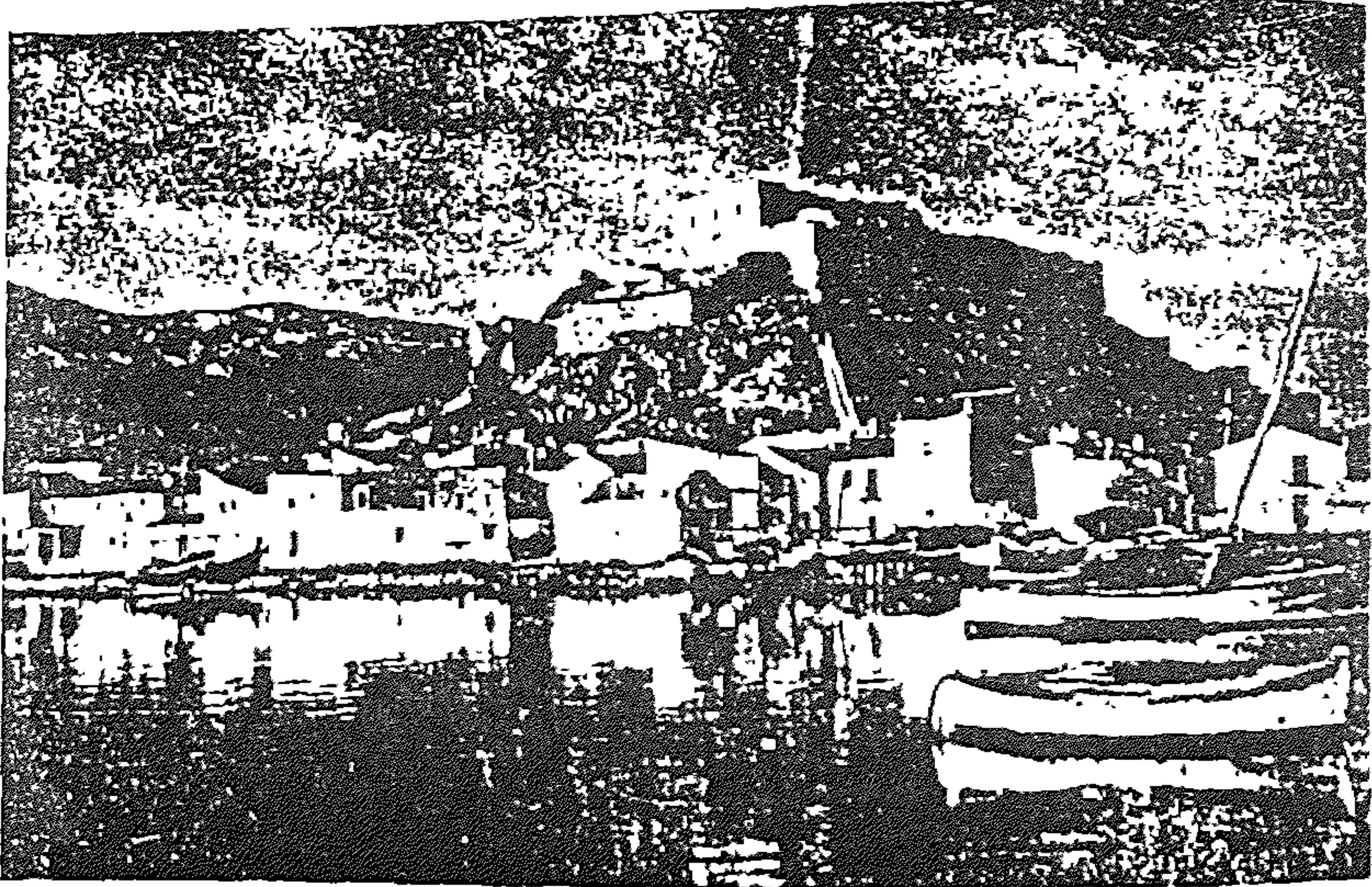
عقد محراب الجامع الكبير في المدينة



القمة في شاطبة

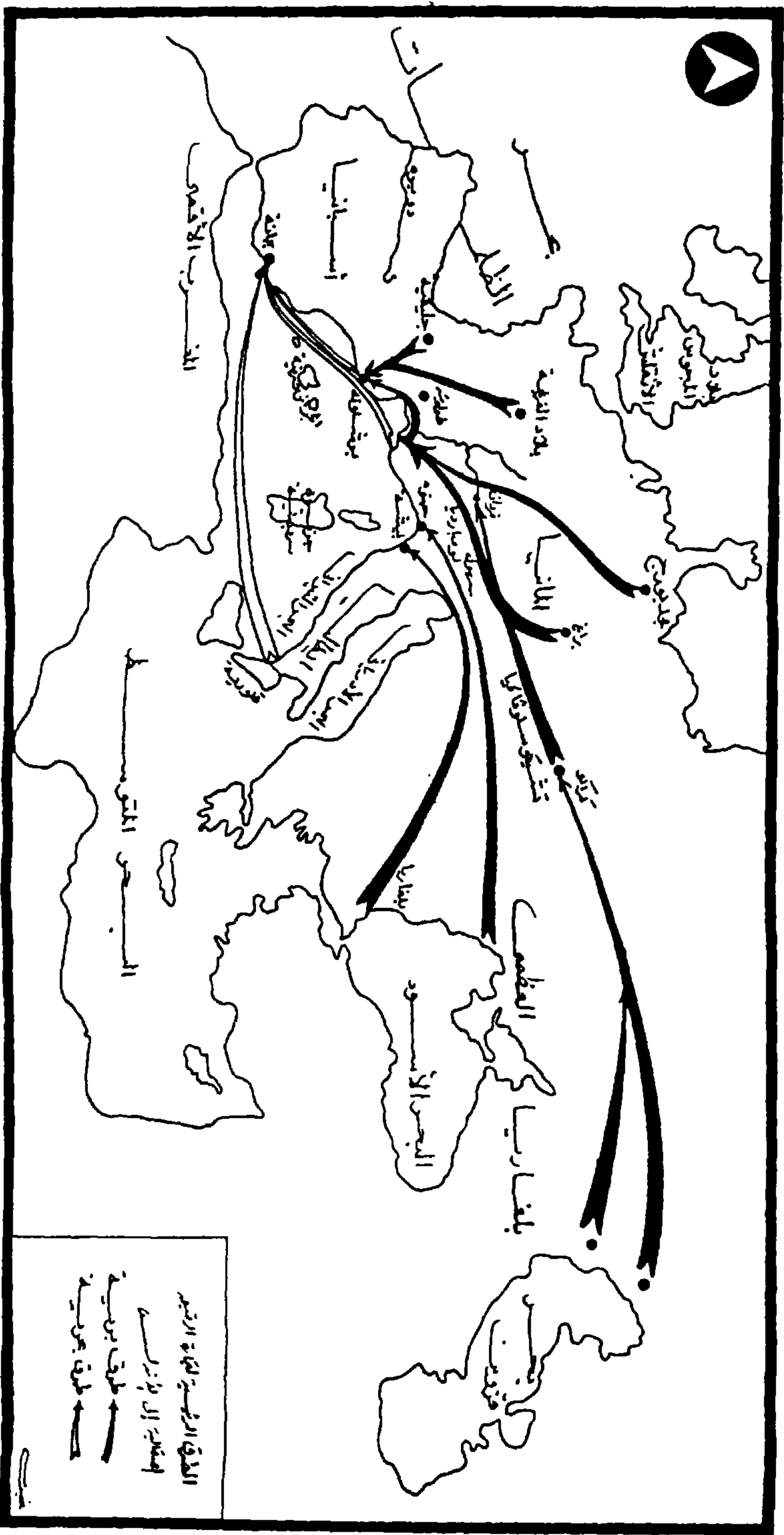
HISTORIA DE ESPAÑA

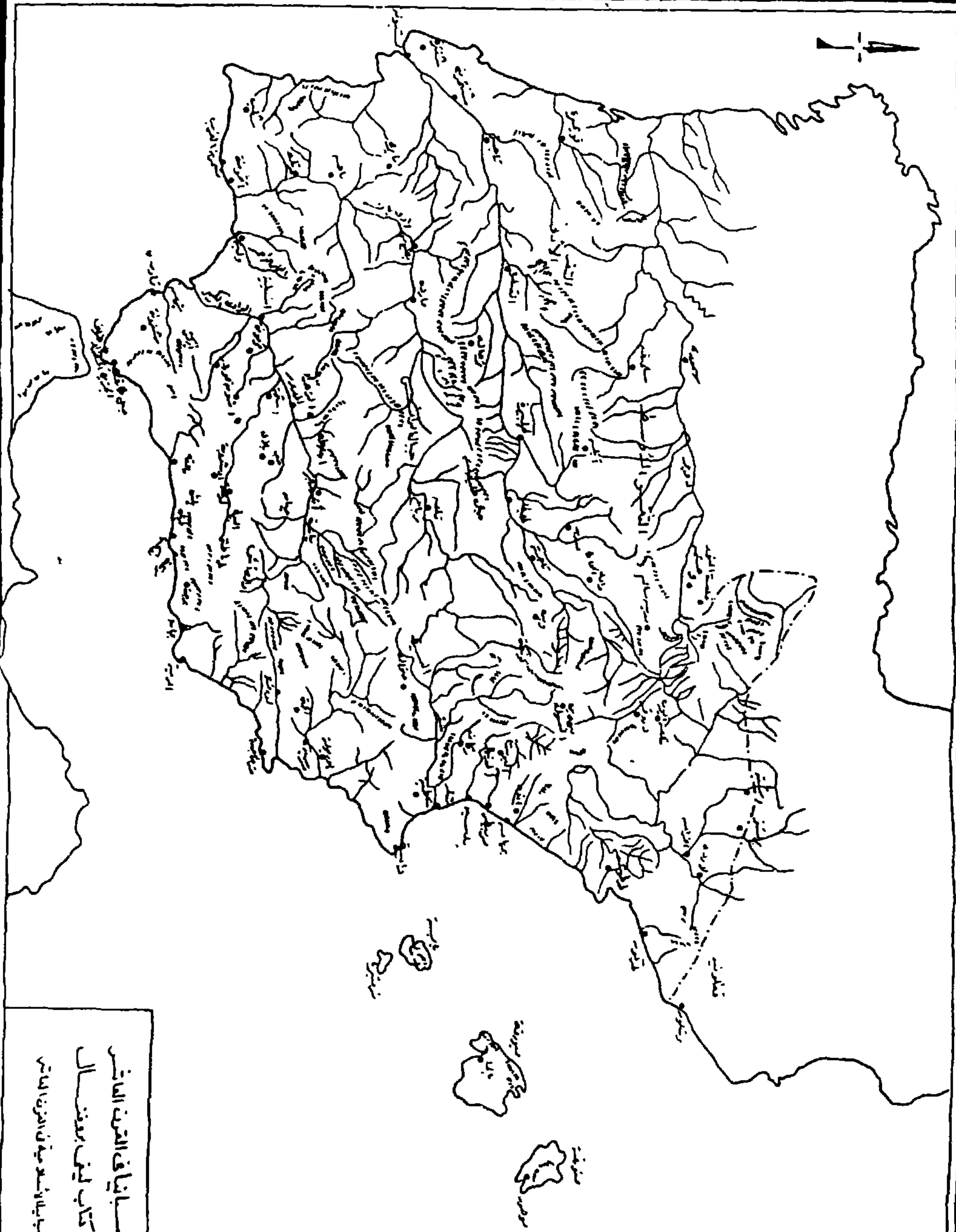
224



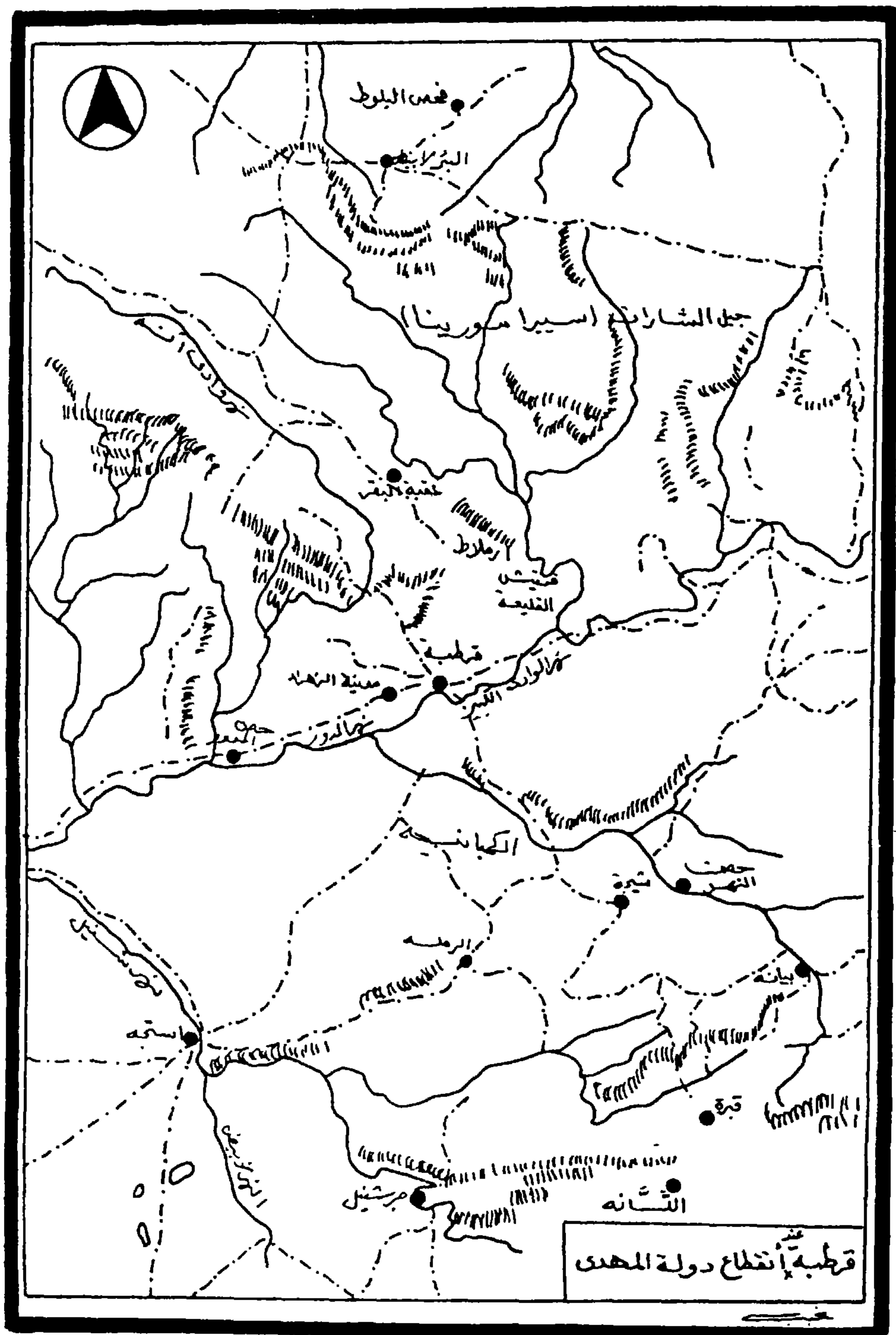
الميناء والقمة في دانييسة

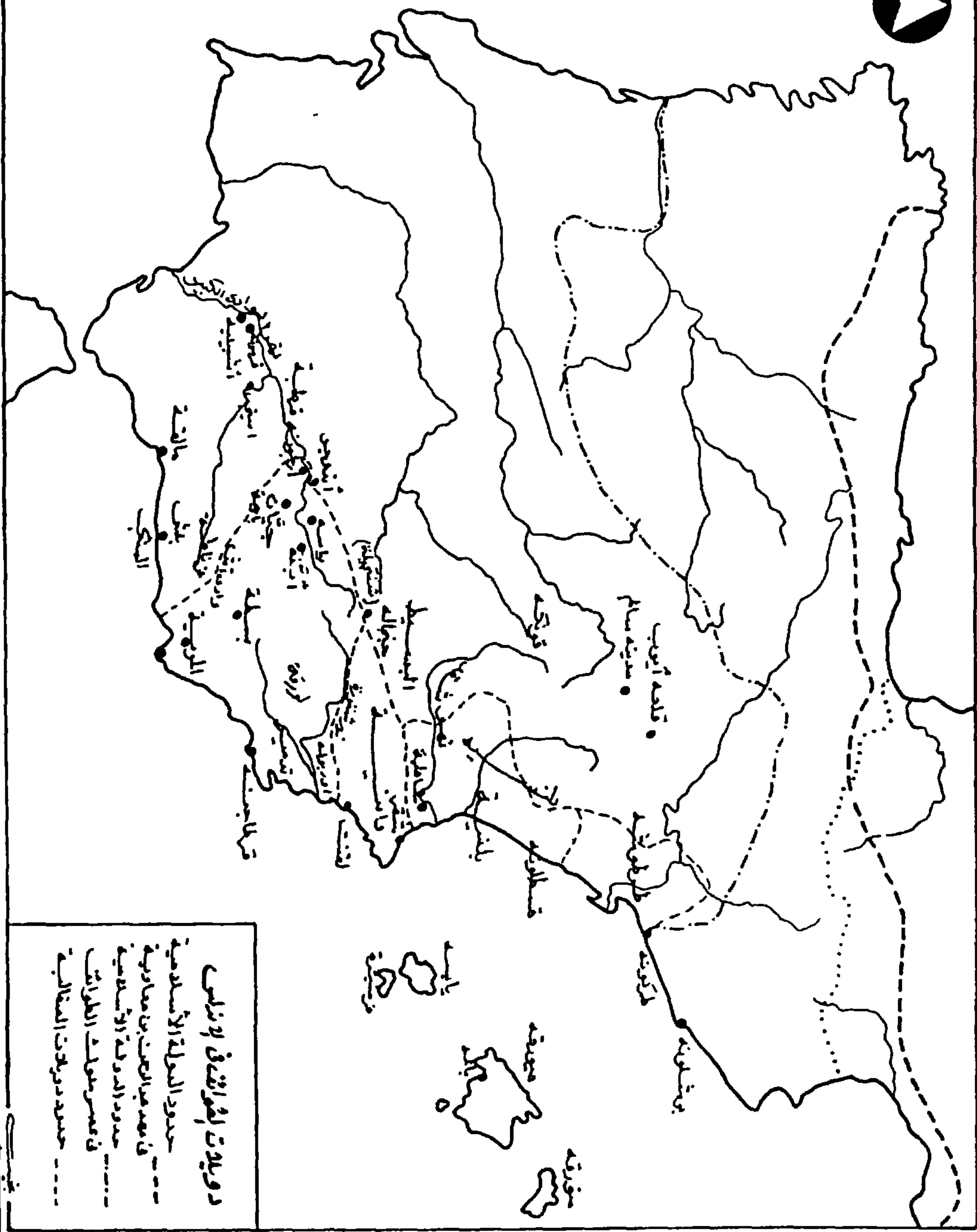
خريطة رقم (1)





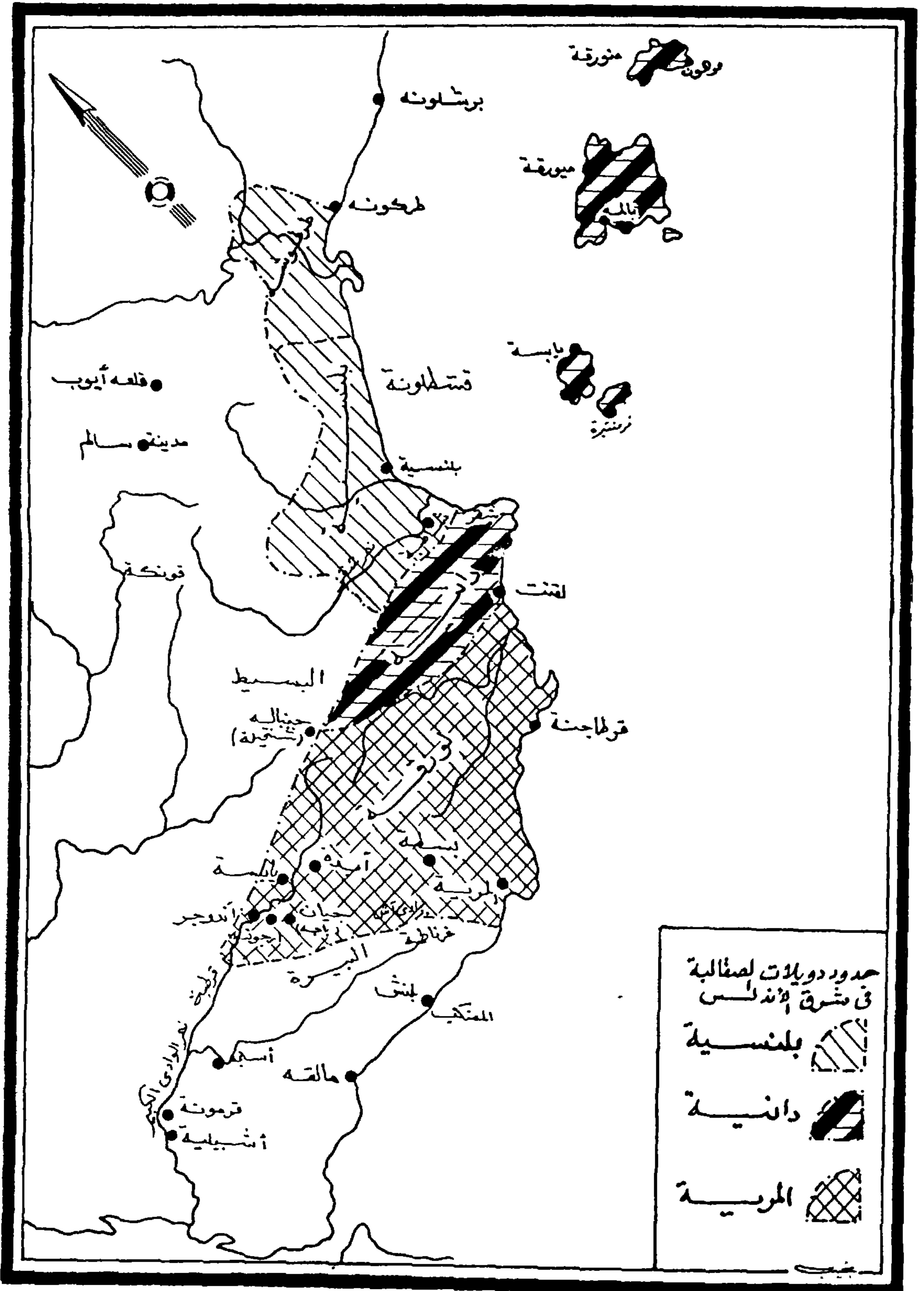
أسبانيا في القرن العاشر
من كتاب ليف برغوتسالك
أسبانيا الأسطورية في القرن العاشر





دويلات إغوان في بلادنا
 حدود المملكة الأردنية الهاشمية
 في عهد عبد الرحمن بن فيصل
 حدود المملكة الأردنية الهاشمية
 في عهد محمد بن فيصل
 حدود دويلات المغالبة

خريطة رقم (٥)



محتويات الكتاب

رقم الصفحة	الموضوع
٤٧ - ٥	مقدمة : شرق الأندلس في عصر دويلات الطوائف
٢٠٨ - ٤٩	الباب الأول
١٣٢ - ٥١	الفصل الأول : دراسة تمهيدية
٧٧ - ٥١	أولاً : المسرح الجغرافي لشرق الأندلس
٥٩ - ٥٤	١ - الخصائص الجغرافية لمدينة المرية
٦٨ - ٦٠	٢ - الخصائص الجغرافية لكورة بلنسية
٧٠ - ٦٩	٣ - الخصائص الجغرافية لمدينة طرطوشة
٧٢ - ٧١	٤ - الخصائص الجغرافية لمدينة دانية
٧٧ - ٧٣	٥ - الخصائص الجغرافية لجزر البليار
١٣٢ - ٧٨	ثانياً : الحقائق التاريخية
٨٦ - ٧٨	١ - بداية ظهور العنصر الصقلبي في الأندلس
٩٣ - ٨٧	٢ - التوسع في اقتناء الصقالبة في عهد عبد الرحمن الأوسط ومن خلفه من أمراء بني أمية
١٠٤ - ٩٤	٣ - النفوذ الصقلبي في ذروته
١٢٢ - ١٠٥	٤ - الصقالبة العامرية منذ ظهور المنصور حتى سقوط الدولة العامرية
١٣٢ - ١٢٣	٥ - موقف الصقالبة من الفتنة
١٧٨ - ١٣٣	الفصل الثاني : مملكة المرية
١٣٨ - ١٣٥	١ - استيلاء خيران العامري على المرية
١٥٤ - ١٣٩	٢ - موقف خيران من الخلفاء المروانيين والمحموديين
١٥٨ - ١٥٥	٣ - مشاركة خيران في أحداث شرق الأندلس
١٦١ - ١٥٩	٤ - السياسة الداخلية لخيران
١٧٨ - ١٦٢	٥ - المرية في عهد زهير العامري
٢٠٨ - ١٨٠	الفصل الثالث : مملكة بلنسية
١٩٢ - ١٨١	١ - بلنسية في ظل مبارك ومظفر الفتيين الصقلبيين
٢٠٢ - ١٩٣	٢ - دولة بني عامر في بلنسية
٢٠٨ - ٢٠٣	٣ - إمارة طرطوشة

٣٣٢-٢٠٩	الباب الثاني :
٣٠٣-٢١٣	الفصل الأول : مملكة دانية
٢١٧-٢١٣	١ - بداية ظهور مجاهد العامري على المسرح السياسي في شرق الأندلس
٢٢٨-٢١٨	٢ - جهود مجاهد لدعم دولته حتى عام ٤٠٥ هـ / ١٠١٥ م
٢٤٣-٢٢٩	٣ - افتتاح مجاهد لجزيرة سر دانية
٢٥١-٢٤٤	٤ - دولة مجاهد العامري بعد هزيمته في بحر سر دانية وحتى وفاته
٢٧٨-٢٥٢	٥ - مملكة دانية في عهد علي بن مجاهد - إقبال الدولة
٣٠٣-٢٧٩	٦ - الحياة العلمية والأدبية في مملكة دانية في عهد مجاهد
٣٣٢-٣٠٥	الفصل الثاني : دولة الصقالبة في الجزائر الشرقية في عصر الطوائف
٣١٣-٣٠٧	١ - الجزائر الشرقية في عهد كل من مجاهد وعلي (إقبال الدولة)
٣٢٨-٣١٤	٢ - الجزائر الشرقية في الفترة من ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م وحتى ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م (عصر المرتضي ومبشر ناصر الدولة)
٣٣٢-٣٢٩	٣ - الحياة العلمية في الجزائر الشرقية في عصر دويلات الطوائف
٣٤١-٣٣٥	الخاتمة
٣٦٩-٣٤٣	المصادر
٣٨٥-٣٧٠	- الخرائط والأشكال

Bibliotheca Alexandrina



0658789

